

السلسلة الأكثر مبيعًا في نيويورك تايمز

لورين روبرتس

بلا قفوة

فريسة وصياد
جمع بينهما القدر

رواية

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
First Book & Entertainment
Jeddah, Jazan, Riyadh



بلا قوة

لورين روبرتس

مكتبة الوادي





Powerless

بلا قوة

لورين روبرتس

رواية

تم إعداد هذه النسخة الإلكترونية بواسطة /

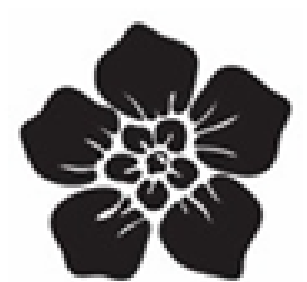
مكتبة الوادي



تحرير وتدقيق:
كاميليا

إهداء لكل فتاةٍ شعرت يوماً

بأنّها "بلا قوة"





إيليا

دور

دور

جبل الانحدار

ملذذ الأرواح

حلبة "الصحن"

العشوائيات

حي النشالين

غابة الهمسات

بحر المستنقعات

ش

ج

غ

جزيرة

أفراد النخبة المسجلين



العاديون



الدفاعيون



الهجوميين

قاتلين (فاتالين) - 1 من كل نوع في حوزة الملك
متحكم (كنترويل) - التلاعب بالآخرين - 1
قارئ أفكار (مايند ريدر) - 1
خامد (سايلنسر) - إخفاء قدرات الآخرين - 1

القدرات < 100

الهاديون

- مكبر الصوت - عرض وتوجيه الصوت > 100
- كاشف الكذب - اكتشاف الأكاذيب > 200
- مغرط (هايدر) - حواس معززة > 250
- عالم (سكولان) - قدرات فكرية > 100
- بصير (سايت) - تسجيل وعرض الفيديو عن طريق البصر > 100

الدفاعيون

- وامن (فلاش) - الانتقال الآني لأي مكان في مجال الرؤية > 100
- زاحف (كراولر) - تسلق الجدران > 225
- معالج (هيلر) - الشفاء السريع > 100
- صانع وهم - تكوين الأوهام > 100
- درع (شيلد) - إنشاء حقل طاقة أرجواني > 170
- لامع (شيمر) - التلاعب بالضوء > 125
- ناقل (ترانسفير) - غرس القدرات في الأشياء > 100
- مخفي (فيل) - الاختفاء > 130

الهجوميون

- مشعل (بليزر) - التلاعب بالنهب > 200
- مزهر (بلوم) - التلاعب بالنباتات > 130
- قوي (براوتي) - قوة بدنية > 250
- ناسخ (كلون) - إنشاء نسخ > 110
- مزدوج (ديوال) - استخدام قدرتين > 100
- عاصف (جاست) - التلاعب بالهواء > 125
- مائي (هايدر) - التلاعب بالماء > 150
- مشعل (إجنايت) - إحداث انفجارات > 100
- القشرة (شير) - بشرة من حجر > 125
- نانوب حركي - تحريك الأشياء عن طريق العقل > 100
- كهربائي - التلاعب بالكهرباء > 100

مستحوذ (ويلدر) - الشعور
بقدرات الآخرين
واستخدامها ضمن نطاق
قريب - 1

بيدن

Paedyn



أدينا

Adena



الفصل 1

بيكان

سال سائلٌ كثيف لزج ودافئ على ذراعي.
دماء.

من المضحك أنني لا أذكر إطلاقاً أن سيف ذلك الحارس قد خدشني، قبل أن تهوي قبضتي على وجهه. فرغم كونه من فئة "الوامضين"، عجز - على ما يبدو - عن التملص من لكمتي اليمنى التي استقرت في فكه.

لسعت رائحة السخام أنفي، فأجبرتني على كتم أنفاسي بكفٍ ملوثة بالرماد لأمنع عطسة مباغطة من الانفلات.

كانت العطسة لتكون طريقة بائسة لانكشاف أمري والقبض عليّ.

وحين تيقنتُ من أن أنفي لن يشي بي لجنود الإمبراطورية المتربصين في الأسفل، أعدتُ يدي إلى الجدار القذر الذي أسند إليه ظهري، بينما غرستُ قدمي في الجدار المقابل. تنفستُ بعمق حتى كدتُ أختنق بالسخام، ثم استأنفتُ تسلقي البطيء نحو الأعلى. ورغم نيران الألم التي استعرت في فخذي وضاهت حرقه أنفي، أجبرتُ جسدي على مواصلة الزحف صعوداً، وأنا أكتم تلك العطسة اللعينة.



لم يكن تسلق مدخنة هو السيناريو الذي تخيلته لتمضية أمسياتي.
المساحة الخائقة تتسبب في تصبب عرقي، فأبتلع خوفي قبل أن أندفع متسلقةً
نحو قمة هذا الممر الضيق، تتملكني لهفة عارمة لاستبدال هذه الجدران
المكسوة بالهباب بسماء ترصعها النجوم. وما إن أخرجت رأسي من الفوهة
أخيراً، حتى ابتلعتُ الهواء الرطب بشراهة، ثم سحبتُ جسدي للخارج،

لتهاجمني على الفور توليفة جديدة من الروائح، أبشع بكثير من نتانة
السخام المتشبث بجسدي وملابسي وشعري. عرق، أسماك، توابل، وأكاد
أجزم أن هناك مزيجاً من الإفرازات البشرية؛ كلها انصهرت معاً لتخلق تلك
الرائحة الخائقة التي تخيم على «حي النشالين».

حافظتُ على توازني فوق المدخنة، وحدقتُ في عتمة السطح لأتفحص
ذراعي اللزجة. كدتُ أنسى أمرها تماماً لولا غياب ذلك الألم اللاذع الذي
يصاحب عادةً ضربات السيوف ليذكرني بها.

مزقتُ شريطاً قماشياً من قميصي المبلل بالعرق والملتصق بجسدي،
ومسحتُ به موضع الجرح.

ستقتلني أدينا حتماً لأنني أفسدتُ خياطتها. مرة أخرى.

اعتلى وجهي طيف دهشة حين لم أشعر بوخزة الألم المألوفة وأنا أفرك
ذراعي بالقماش الخشن، ممتصةً تلك اللزوجة بنفاد صبر.

وحينها فقط تسالت الرائحة إلى أنفي.

عسل.

العسل ذاته الذي يغلف لفائف القرفة اللزجة المكدسة في جيوب صديرتي
الممزقة، والذي أخذ يقطر على ذراعي - متخفياً في هيئة دماء. أطلقت زفرة
طويلة، وقلبتُ عيني سخريةً من نفسي.

لكنها - رغم كل شيء - مفاجأة سارة. فحتى غرق ملابسني في العسل
أهون بكثير من مكابدة غسل الدماء.

سحبتُ نفساً عميقاً، ورحتُ أتأمل المباني المتهالكة والمتداعية التي غمرتها ظلال مصابيح الشوارع المتذبذبة المتناثرة هنا وهناك. لا نحظى بالكثير من الكهرباء هنا في العشوائيات، لكن الملك تكرم علينا بسخاء ببضعة مصابيح للإنارة. وبفضل فئة "الكهربائيين" و"العلماء" الذين سخروا قدراتهم لإنشاء شبكة طاقة مستدامة، بتُّ أضطر لبذل جهد مضاعف للبقاء متوارية في الظلال.

وكلما ابتعدت عن العشوائيات، تبدأ صفوف المتاجر والمنازل تتحسن تدريجياً من حيث الحجم والحالة. تتحول الأكواخ إلى منازل، والمنازل إلى قصور منيفة، لينتهي المشهد عند أرهب مبنى على الإطلاق. ضيقتُ عيني لأحرق عتمة الليل، وبالكاد استطعتُ تمييز الأبراج الشاهقة لقلعة العائلة المالكة، والقبعة المنحدرة لـ حلبة الصحن القابعة بجوارها.

ارتدتُ أنظاري مجدداً إلى الشارع الفسيح الممتد أمامي، أطوف بعيني على المباني المريبة المحيطة بي. إن «حي النشالين» هو القلب النابض للعشوائيات، يضخ الجريمة والتجارة في شرايين المدينة بأسرها. تتبععتُ بعيني العشرات من الأزقة والشوارع المتفرعة منه، لأتوه في متاهة هذه المدينة، قبل أن أطلق زفرة وابتسامة خفيفة للشارع المألوف القابع أسفل قدمي.

منزلي. أو هكذا يبدو. فرغم كل شيء، تفترض كلمة «المنزل» أن يمتلك المرء سقفاً يأويه.

لكن التحديق في النجوم أمتع بكثير من التحديق في سقف أصم. وأنا أدرك ذلك جيداً، فقد كان لي سقف أحرق فيه كل ليلة، في زمن مضى لم أكن أحتاج فيه لرفقة النجوم.

جالت نظراتي الخائنة عبر أرجاء المدينة، لتقف عند البقعة التي أعلم أن منزلي السابق يقبع فيها، محشوراً بين شارع التاجر وشارع إلم. هناك، حيث تجلس الآن – على الأرجح – عائلة صغيرة سعيدة حول مائدة العشاء، يتضحكون ويتبادلون تفاصيل يومهم –

تناهى إلى مسمعي صوت ارتطام، تبعه تمتمات انتشلتني من مستنقع أفكار المريرة. أرهفتُ السمع، فبالكاد ميزتُ ذلك الصوت العميق والمكتوم العائد للحارس الذي تفضلتُ بإعفائه من مهامه قبل قليل.

قال الحارس:

– «... تسلل من خلفي مباشرة، بهدوء فأر، ثم... لم أشعر بشيء سوى نقرة على كتفي، ولكمة هوت على وجهي.»

تردد صدى صوت نسائي حاد ومفعم بالحنق عبر المدخنة، وقالت:

– «أنت من فئة الوامضين، بحق الطاعون! أليس من المفترض أن تكون سريعاً أو ما شابه؟»

أخذت نفساً عميقاً، وتابعت قائلة:

– «هل ألقيت نظرة على وجهه على الأقل قبل أن تسمح له بسرقتي؟ مرة أخرى؟»

غمغم الحارس:

– «كل ما رأيته كان عينيه. زرقاوان. زرقاوان بشدة.»

زفرت المرأة بضيق، وقالت:

– «يا لها من معلومة قيمة! دعني أستوقف كل شخص في «حي النشالين» لأرى إن كانت عيناه تتطابق مع وصفك الدقيق: زرقاوان بشدة.»

كتمتُ ضحكتي الساخرة حين صرَّ شيء ما في الطرف الآخر من الغرفة، وتبعه جوقة من وقع الأقدام المكتومة. ومن أنين الخشب المتعفن الذي انهار تحت وطأة عدة أحذية جديدة، استنتجتُ على الفور أن ثلاثة حراس آخرين انضموا إلى رحلة الصيد.

وتلك كانت إشارتي للرحيل.

قفزتُ من فوق المدخنة، وتشبثتُ بالحافة البارزة للسطح، ثم أرجحتُ ساقي فوق الحافة لأتدلى فوق الشارع. زفرتُ الهواء، وأفلتُ قبضتي، عاضّةً على لساني لأكتم صرخة بينما تجذبني الجاذبية بقسوة نحو الأرض. وبصوت

ارتطام مكتوم، هويتُ بافتقار تام للرشاقة داخل عربة تاجر تفيض بالقش.
اخترقت العيدان القاسية ملابسي كأنني وسادة دبابيس من وسائد أدينا،
وتطايرت سحابة من السخام والقش مع نسيم الليل حين قفزتُ إلى الشارع.

بدأتُ رحلة العودة إلى الحصن، وأنا أتسلى بنزع القش من شعري
المتشابك، متسللة بين عربات التجار المتهاكة التي هُجرت طوال الليل، بينما
تتراقص قدماي فوق أكوام القمامة والخردة المحطمة. تهامس اللصوص
المتكئون على جدران الأزقة أو المندسون بين زوايا المباني فيما بينهم بينما
أمر بجوارهم.

تحسستُ ثقل الخنجر المدسوس في حذائي، وانسابت الراحة في أوصالي
من برودة الفولان، وأنا أتجاوز مجموعات من زملائي المشردين المتجمعين
طلباً للدفع في هذا الليل. رمقتُ الوميض الأرجواني الباهت لدروع الطاقة التي
تحمي بعضهم، في حين يفتقر البعض الآخر لأي قدرة تكفل لهم نومًا هانئًا،
وهو السبب الدقيق الذي يجعل العشوائيات مأواهم الوحيد.

حافظتُ على إيقاع خطواتي سريعًا وواثقًا، وعينا ي تمسحان الأزقة يمنا
ويسرة، دون أن أرخي دفاعاتي قط. فالفقراء لا يميزون؛ الشلن هو شلن، ولا
يعنيهم أبدًا إن انقضوا على شخص أشد بؤسًا منهم للحصول عليه.

تقاطع طريقي مع عدة حراس وأنا أتعرج بين الشوارع، مما أجبرني على
الإبطاء لتفادي الاصطدام بهم. فقد حظي كل متجر، وكل زاوية، وكل شارع
بنعمة وجود حماة القانون المتلصصين، بزيّهم الأبيض المميز. انتشر هؤلاء
الإمبراطوريون الوحشيون في كل شبر من «حي النشالين» بموجب مرسوم
ملكي بحجة ارتفاع معدلات الجريمة.

من الواضح أن الأمر لا علاقة له بي على الإطلاق.

انسلتُ إلى زقاق أضيق، شاقة طريقي نحو نهايته المسدودة. وهناك، في
إحدى الزوايا، يقبع متراس مشوه من عربات التجار المحطمة، والورق
المقوى، والملاءات البالية، وما لا يعلمه إلا الطاعون. وقبل أن أنتصف في
طريقي نحو كومة القمامة التي أدعوها «منزلي»، أطل وجه فتاة تحجبه
خصلات مجعدة وحشية تلامس الكتفين من فوق الحصن.

سألتني بلهفة:

– «هل حصلتِ عليه؟»

فكّتشابك ساقيها الطويلتين من مجلسها، ونهضت بخفة، ثم اخترقت جدار القمامة الذي يبلغ ارتفاعه ثلاثة أقدام وكأنها طيف عابر دون أدنى تفكير، لتهرول نحوي بأعين تفيض بالأمل، حتى ليخال المرء أنني أهديتها سقفاً حقيقياً يأويها ووجبة دافئة. ورغم أنني أعجز عن منحها أيّاً من هذين، إلا أن في جعبتي ما هو أعظم شأنًا في نظرها.

تنهدتُ، وقلت:

– «يؤلمني شكك بي يا أدينا. ظننتُ أنك ستمتلكين قدرًا أكبر من الإيمان بقدراتي بعد كل هذه السنوات.»

سحبتُ حقيبتني من على ظهري، وأخرجتُ الحرير الأحمر المجعد من جوفها، وعجزتُ عن كبح ابتسامتي حين ارتسمت ملامح الانبهار على وجهها. اختطففت الحرير من يدي بشراهة، وراحت تمرر أناملها عبر طياته الناعمة. واختلست النظر إليّ من بين غرتها المجعدة المتدلية فوق عينيها العسليتين، ترمقني بنظرة توشي وكأنني بمفردي محوتُ الطاعون من الوجود، لا كأنني مجرد لصة نشلت قطعة قماش من امرأة بالكاد يفوق بؤسها بؤسنا.

كأنني البطلة، ولست الشريرة.

أشرقت ابتسامة أدينا حتى لتضاهي شمس صحراء الاراضي المُحرّقة، وقالت:

– «بيدن، أنتِ وأصابعك اللزجة تصنعان السحر، أتعلمين ذلك؟»

طوقت عنقي بذراعيها، وجذبتني في عناق ساحق تسبب في تسرب المزيد من العسل على صديريتني ليتكدس في جيوبي.

قلتُ، وأنا أنتزع نفسي من عناقها لأفتش في جيوبي:

– «وبالحديث عن الأصابع اللزجة...»

أُخرجتُ ست لفائف قرفة مهروسة ولزجة، لم يُفقدِها القش المتناثر عليها الآن سوى القليل من شهيتها. اتسعت عينا أدينا عند رؤيتها، قبل أن تخطف إحداها من يدي بشراهة لا تقل عن شراحتها للقماش. استدارت وهي في منتصف قضيبتها، ومشّت مخترقة حصننا بخطوات واسعة دون تفكير، لترمي بثقلها على السجاد الخشن الباهت القابع داخل المتراس. ربتت على البقعة المجاورة لها بترقب، وعلى النقيض من خفتها، قفزتُ بفضاظة فوق الجدار قبل أن أتخذ مقعدي.

قالت أدينا بين قضاماتها، وابتسامة ملتوية تمتزج بالفتات على وجهها: - «أراهن أن ماريا لم تكن مسرورة بتعرض متجرها للنهب. مرة أخرى. يجب على المسكينة حقاً أن ترفع مستوى حراستها.»
ورغم أنني أسرق تلك المرأة مرة واحدة شهرياً على الأقل طوال السنوات الماضية، إلا أن كل ما استنتجته هو أن السارق ذكر.
على الأقل هي تحاول.

هزرتُ كتفيّ وقلت:

- «في الواقع، كان لديها جنديان إمبراطوريان إضافيان متمركزان حول متجرها أكثر من المعتاد. لابد أنها سئمت من كل تلك اللفائف المسروقة على مر السنين.»

ضيقّت أدينا عينيها العسليتين عند رؤية ابتسامتي، وقالت:

- «اشكري الطاعون أنك لم تقعي في الأسر يا بيدن.»

وما إن انزلت تلك العبارة المألوفة من شفثتها، حتى تصلب فكي بغريزة فطرية، بينما تيبس فكها مفتوحاً في منتصف قضيبتها. جفلت بوضوح، وانكمش جبينها وهي تتنحّج، وقالت:

- «عفوًا. عادة سيئة.»

انزلت أصابعي نحو الخاتم السميك المطوق لإبهامي، أديره بشرود بينما أستجمع قواي لرسم ابتسامة باهتة. هذا الموضوع من المواضيع التي

نتحاشاها عادةً، رغم أن خطأي هو ما جعل الخوض فيه أمراً محرّجاً من الأساس. كل ذلك بسبب لحظة ضعف، ليتني لم أكن مرتاحة جداً بشأنها. قلتُ:

– «أنتِ تعلمين أن الكلمات ليست ما يزعجني، بل –»
قاطعتني بابتسامة، وبتقليد متقن ومدّش لنبرة صوتي:
– «بل المعنى الكامن خلفها.»

كدتُ أختنق بضحكتي وبقطعة من العجين الحلو، فقلت:
– «هل تقتبسين كلامي يا أدينا؟»

وكرِدَ على سؤالي، قضمت من لفافتها اللزجة قبل أن تعلن وفمها ممتلئ:
– «وليس الطاعون هو ما يثير اشمئزازك، بل ما تمخض عنه.»

أومأتُ ببطء، وأنا أتتبع بشرود نقوش السجاد البالية تحتنا، مستأنسة بلمسها المألوف تحت أناملي. فكرة تقديم الشكر للطاعون الذي حصد أرواح الآلاف من أهل إيليا تسلبني شهيتي حتى لتلك اللفائف اللذيذة. كيف لي أن أشكر ذلك الكيان الذي بث كل هذا الكم من الألم، والموت، والتفرقة!

لكن جل ما يعبأ به الجميع الآن هو من نجا من منجل الطاعون. عُزلت المملكة لسنوات طويلة لمنع الوباء من التفشي في المدن المجاورة، ولم ينجُ من ذلك المرض الذي بدّل التكوين البشري من جذوره سوى الأقوى في إيليا. فأصبح السريع أسرع بصورة خارقة، واستحال القوي قوة لا تُقهر، ومن كانوا يتوارون في الظلال صار بإمكانهم التماهي معها. انهالت العشرات من القدرات الخارقة على أهل إيليا وحدهم، تتفاوت في قوتها، ومآربها، وسطوتها. هبات مُنحت لهم كمكافأة على البقاء.

إنهم "النخبة". إنهم خارقون للعادة. إنهم استثنائيون.

تلاشت كلمات أدينا وهي تعبت بلفافتها، مجاهدة لصياغة كلماتها لمرة واحدة نادرة، وقالت:

– «فقط... كوني حذرة يا بيدن. إن وقعتِ في الأسر ولم تسعفك لباقتكِ في النجاة–»

قاطعتها بنبرة مفرطة في اللامبالاة، متجاهلة موجة القلق التي غمرتني:
– «سأكون بخير. هذا هو صميم عملي يا أدينا. وهو ما عهدتُ فعله دائماً.»

تنهدت من خلال ابتسامتها، ملوحة بيدها طاردة الفكرة:
– «أعلم، أعلم. يمكنك تدبر أمرك مع أفراد النخبة.»

اجتاحني ذلك الشعور بالارتياح مجدداً، فامتزج داخلي شعور بالذنب والامتنان لكونها تفهمني حقاً. فليس كل من نجا من الطاعون كان ذا حظوة ليُوهب قدرات خارقة. كلا، كان العاديون مجرد ذلك – عاديين. وعلى امتداد العقود العديدة التي تلت اجتياح الطاعون، عاش العاديون مع النخبة في سلام ووثام.

إلى أن أصدر الملك إدريك مرسومه القاضي بأن العاديين لم يعودوا جديرين بالعيش في مملكته.

حدث ذلك قبل أكثر من ثلاثة عقود، حين اجتاح المرض أرجاء البلاد. وإثر تفشي ما كان يُرجح أنه مجرد علة مألوفة، استغل معالجو الملك الفرصة للزعم بأن العاديين يحملون داءً لا يمكن رصده، مدعين أن هذا هو السبب الأرجح لعدم تطور قدراتهم. وباتت مخالطتهم المطولة خطراً يهدد النخبة وقواهم على حد سواء، وبمرور الوقت، أخذ العاديون يستنزفون القدرات التي يستमित أفراد النخبة في الذود عنها.

كافحت الرغبة في قلب عينيّ سخرية عند تلك الفكرة.

كان والدي يوقن بأن ذلك محض هراء، وأنا لا أرى غير ذلك. ولكن حتى لو امتلكتُ الدليل القاطع على كذب الملك الفج، فليست فتاة من العشوائيات في موضع يخولها لأن تُصدق.

لكن الملك لم يكن ليسمح بأن يوهن مجتمعه النخبوي، أو أن يصيبه ما هو أسوأ، على يد مجرد أناس عاديين. فالانقراض لم يكن خياراً متاحاً للاستثنائيين.

ومن هنا، بدأ التطهير.

وحتى الآن، وبعد مرور عقود، ما زالت حكايات الجثث المتناثرة على الرمال تحت شمس لافحة تُداول كأحداث عابرة حول نيران المخيمات، وكقصص رعب تتهامس بها شفاة الأطفال.

أطبقت أصابع لزجة على أصابعي، وكان العسل الذي يغلف يدي أدينا بعدوبة الابتسامة التي تبادلني إياها. سري يقبع آمناً في بريق عينيها، وفي الولاء الذي يزين ملامحها. لقد أمضيتُ شطراً عظيماً من حياتي مستسلمة لحقيقة أن لا شيء سيكون حقيقياً أبداً؛ فكل صداقة زائفة، وكل لطف مبني على حسابات.

«أخفي مشاعرك، وأخفي خوفك، والأهم من ذلك، تخفى خلف قناعك. يجب ألا يعرف أحد حقيقتك يا بيدي. لا تثقي بأحد، ولا تعولي على شيء سوى غرائزك.»

رن صوت والدي الحنون في رأسي بإيقاع مزعج ومثير للغرابة، يذكرني بأن كل جزء من حياتي يجب أن يكون أكذوبة، وبأن الفتاة الجالسة أمامي يجب أن تكون مخدوعة كبقية المملكة. لم تسلبني الأنانية صوابي سوى لليلة واحدة، لكنها كانت كفيلة بتعريض كلتنا للخطر.

قالت أدينا بنبرة مرحة، وهي تمسح الزقاق بنظراتها:

– «حسناً، كفانا حديثاً عن الطاعون، وعن... وضعك.»

لم أعبأ بكم شخيري الساخر، وقلت:

– «يبدو أن عامين لم يكونا كافيين لتدربي على فن التلميح يا أدينا.»

أشك أنها سمعتني أصلاً. وأشك في قدرتها على التركيز على أي شيء آخر سوى النسيج الذي ينزلق الآن بين أناملها. وعيناها العسليتان تتفحصان أدوات الخياطة، نبذت أدينا حديثنا السابق لتشرع في الثرثرة حول القطع التي

ستبدعها بهذا الحرير الجديد. غاصت يداها السمرأوان الدافئتان بين قصاصات القماش تحت ضوء المصباح المرتعش، وبدأت تثني الحواف، وتثبت الزوايا بالدبابيس، وتوخز أصابعها، وتطلق اللعنات بلا هوادة.

انخرطنا في ذلك النوع من الأحاديث العفوية الذي لا يتأتى إلا بعد سنوات من الصراع معاً للبقاء أحياء في الشوارع، مما جعل من السهل عليّ فك شفرة كلمات أدينا المشوشة بين الدبابيس المطبقة على شفتيها. تقلبتُ في رقدي، ولاذت كلماتي بالصمت أخيراً وأنا أراقب أصابعها الثابتة وجبينها المقطب، منغمسة في عملها بشدة تمنعها من النوم.

ألم طاعن في جانبي جعل جفنيّ المتدليين ينفتحان على اتساعهما، مطيحاً بالنعاس. دفعني الحجر المدبب الناتئ من أرضية الزقاق لأتذمر بصوت ناعس:

– «احفظي كلماتي جيداً؛ سأسرق سريراً يوماً ما.»

قلبت أدينا عينيها، تماماً كما تفعل كل ليلة أقطع فيها هذا الوعد الأجوف، وغنت كلماتها:

– «سأصدق ذلك عندما أتمسه يا بيدن.»

تقلبتُ حوالي دزينة من المرات قبل أن ترتطم بطانية خشنة ومكورة برأسي.

قالت أدينا بكل ما تملكه لفافة القرفة من حلاوة:

– «إن لم تكفي عن التلوي، أقسم أنني سأخيطك في هذه الأرض اللعينة.»

أردفتُ:

– «سأصدق ذلك عندما أتمسه يا أدينا.»

كاي

Kai



كيت

Kitt



الفصل 2

كاي

لأست كرة من نار وجهي، وكادت تحرق شعري عن بكرة أبيه.
وبالكاد أسعفني الوقت للانحناء حين شعرت بموجة ثانية من الحرارة تندفع نحوي.

بحق الطاعون، إن كيت في مزاج ساحر اليوم.
متراقصاً على أطراف أصابع قدمي، راقبت كرة نارية أخرى تنطلق نحوي، بينما اجتاحني ذلك الدفق المألوف من الأدرينالين. دفعتُ بدرع من الماء أمامي، فسمعت فحيح النار قبل أن تتلاشى متحولة إلى محض سحابة كثيفة من البخار. ضيق كيت عينيه، محاولاً تبين موقعي عبر الدخان، قبل أن تتسع عيناه ذهولاً حين ارتطمتُ به فجأة. سقطنا أرضاً، فثبته أسفلي، رافعاً قبضة مشتعلة موجهة نحو وجهه.

سألته والابتسامة تتراقص على شفتي:

– «أتستسلم؟»

سعل ضاحكاً، وعيناه تتنقلان بين وجهي وقبضتي المشتعلة المرفوعة بجواره.



قال وعيناه الخضراوان تلتمعان بالتسلية رغم النيران التي تتأجج على
بعد إنشأت منه:

– «إن قلتُ لا، فهل ستلكنني حقاً يا أخي الصغير؟»

قلتُ بابتسامة خفيفة، وأنا أسحب قبضتي للخلف متخذاً وضعية الهجوم:

– «أظن أنك صرت تعرف الإجابة على هذا السؤال الآن.»

هتف كيت لاهتاً:

– «حسناً، حسناً، أستسلم! ولكن فقط لأنني لا أريد للطبيب المسكين

إيلاي أن يجبر أنفاً آخر من أنوفنا المكسورة.»

أطلقتُ ضحكة مكتومة المكر عند تخيل تعابير وجه طبيب القصر الملكي
إن نحن اقتحمنا مكانه بعظمة مكسورة أخرى. وقفتُ على قدمي، ومددتُ يدي
لكيت الذي كان لا يزال ممدداً على الأرض. الابتسامة التي رمقني بها لم
تلامس عينيه حين قال أخيراً:

– «بحق الطاعون يا كاي، أنت تجيد استخدام قواي أفضل مني.»

قلتُ ببساطة:

– «ولهذا السبب أنت من سيحكم البلاد، في حين سأقاتل أنا في ساحة

المعركة، لأشتت انتباه العدو بوسامتي الساحرة.»

سأل كيت من بين ضحكاته العميقة، متصنعاً الإهانة:

– «هل تقول إنني أعجز عن تشتيت العدو بوسامتي الساحرة أنا الآخر؟»

أجبت:

– «أنا أقول إننا أخوان غير شقيقين، لذا أخشى أن هذا يعني أنك تمتلك

نصف جاذبيتي فقط.»

أطلق كيت ضحكة صاحبة أخرى، وقال:

– «بناءً على هذا المنطق، أفترض أنك تمتلك نصف عقلي إذن.»

قلتُ:

– «الشكر للطاعون على ذلك.»

وبالكاد غادرت الكلمات فمي حتى دفعني بابتسامة عريضة.

مشينا عبر الممر المتهالك الفاصل بين دوائر التدريب الترابية المنتشرة في ساحات القصر. واصل جنود الإمبراطورية المتدربون وغيرهم من النخبة ذوي المكانة الرفيعة مبارزاتهم أثناء مرورنا، وكان أغلبهم يستخدمون قدراتهم، بينما استعان قلة منهم بالأسلحة.

استدارت الرؤوس نحونا، وكوت نظراتهم بشرتي لتحاكي لفح الشمس التي تضربنا من عل. متجاهلاً تلك النظرات، استنشقتُ الرائحة المألوفة لساحات التدريب؛ المزيج الحرفي للدم والعرق والدموع، قبل أن أسحب سيفاً من رف الأسلحة وأقذف بآخر إلى كيت، الذي لم يمكن وصف تعابير وجهه إلا بالسأم المطلق.

قلتُ ردًا على نظرتة الحادة، وأنا أختبر توازن نصل سيفي بشرود:

– «أنت تعلم أنني لطالما استمتعت بالقتال بالأسلحة أكثر من القدرات.»

تبخر كيت متوغلًا في الحلبة الموحلة، وهو يكاد يقلب عينيه قائلاً:

– «أجل، أنا أدرك تمامًا مدى عشقك لسحقي بسيفك.»

أدركتُ معصمي، ملوحًا بسيفي بينما بدأنا ندور حول بعضنا البعض.

– «يتصادف حقًا أن هذا من هواياتي المفضلة، أجل.»

تقدمتُ بخطوة مباغته، وهويتُ بسيفي بقوة على سيفه، لتسري هزة ارتدادية في ذراعي. وأردفتُ:

– «أرايت؟ أليس هذا ممتعًا؟»

صرّ كيت على أسنانه تحت وطأة ضربتي، وقال:

– «أسر للقلوب.»

انزلتُ في غيبوبة مألوفة، تاركًا لقدمي حرية الرقص حول الحلبة أثناء تبارزنا، غارقًا في الإيقاع. صفا ذهني. وطننتُ أوصالي بالطاقة. لطالما شعرتُ

بقمة حياتي وأنا أقاتل. إنه الغرض الذي خلقت لأجله، وهو ما حافظ على رجاحة عقلي طوال سنوات التدريب والدراسة.

«الملك الأبله هو ملك ميت.»

دوت كلمات والدي في عقلي، تلك الكلمات التي حُفرت في جمجمتي بعد كل تدمير أبديته من دروسي المملة حين كنت صبيًا. ومع ذلك، لن أضطر للقلق حيال كوني ملكًا ميتًا أو أبله، نظرًا لأنني لن أكون ملكًا على الإطلاق. وبعد أن جادلت والدي في هذه النقطة تحديدًا، تفضل مشكورًا بابتكار حكمة جديدة لأعيش على هديها.

«المنفذ الأبله هو إمبراطورية مهزومة.»

يا له من تشجيع.

اجتاح ألم حاد ساعدي، فانتشلتني من أفكاري بانتفاضة مفاجئة.

قال كيت، وقد اعتلت وجهه نظرة انتصار عزمت على محوها:

– «من الأفضل أن تصب تركيزك في النزال يا كاي، وإلا فقد أهزمك حقًا. لا أريد للمنفذ المستقبلي الخاص بي أن يتراخى في عمل –»

وقبل أن يتسنى له إكمال تعليقه، كنت قد ضغطت بسيفه نحو الأرض، وثبته أسفل سيفي قبل أن أدور لأصبح خلفه. وفي حركة خاطفة، رفعتُ حذائي، وسللتُ منه خنجرًا لأرسي نصله الحاد على ظهره. همستُ:

– «معذرة، ماذا قلت يا صاحب الجلالة؟»

أرخيتُ قبضتي عنه، فاستدار بينما انحنيتُ أمامه في إجلال ساخر، معيدًا الخنجر إلى حذائي. كلفني هذا الانحناء دفعة قوية كادت تفقدني توازني، فرددتُ له الصاع صاعين بينما أطلق كيت ضحكة خافتة.

شعره الأشقر الداكن بات داكنًا أكثر منه أشقر في هذه اللحظة، تتناثر عليه كتل من الطين إثر تدحرجه في الحلبة. قمصاننا هُجرت منذ فترة طويلة في حر الصيف، ومثلي، كان العرق يغلف صدره الأسمر. من المضحك تقريبًا مدى

وضوح حقيقة كوننا أخوين غير شقيقين فحسب. فبعيداً عن اختلافاتنا الجسدية، أفترق إلى طبيعة كيت المتعاطفة، كما يفتقر هو لقسوتي. إنه صبور، ودود، ولائق للعرش، تماماً كما أنني لائق لساحات المعارك.

ملك، في حين أنني قاتل.

طرق كيت بأصابعه أمام وجهي، وقد بدت عليه ملامح القلق والتسلية في آن معاً، وقال:

– «كاي، هل تستمع إليّ حتى؟ بحق الطاعون، كم من الدماء فقدت؟»

تتبعُ نظراته لأرى جداول من اللون القرمزي تسيل من الجرح في ذراعي، وتنسج الدماء طريقها بين مفاصل أصابعي لتتقاطر من أطرافها. قلتُ:

– «حسناً، يبدو أن إيلاي لن يحظى بيوم عطلة في النهاية، والفضل يعود إليك.»

رمقتُ كيت متوقفاً ردّاً ساخراً، لأجد نظراته مسمرة على شيء ما عبر الساحات.

– «والآن، انظر من الذي لا يعير انتباهاً.»

شردت عيناوي نحو الطيف المتبختر نحونا، بجلود التدريب التي تعانق تضاريس جسدها، وشعرها الأرجواني الفاتح الذي يتطاير مع الريح.

همستُ بصوت خافت قبل أن تصل إلينا:

– «أوه، انظروا. العاهرة بلير.» مما جعل كيت يختنق بضحكته.

– «مرحباً أيها الفتيان.»

كان صوتها كجليد صافٍ، بارداً وناعماً. وتابعت:

– «كيف يسير التدريب؟»

مسحتنا بنظرة كسولة قبل أن تعود للتركيز على وجهينا، مع ابتسامة مأكرة طفيفة تلتوي على شفثيها، وقالت:

– «تستعد للتصفيات يا كاي؟»

أجبتها:

– «ليس وكأنني بحاجة للاستعداد.»

تسللت ابتسامة متمهلة إلى وجهها إثر ذلك، وقالت:

– «أعتقد أن المنفذ المستقبلي سيود ترك انطباع جيد لدى المملكة من خلال فوزه.»

أبدت فجأة اهتمامًا بالغًا بأظافرهما، متصنعة اللامبالاة.

مررتُ يدي في شعري زافراً بملل، وقلت:

– «وأنا أخطط للقيام بذلك بالضبط.»

رسمت على وجهها ابتسامة خلت من كل رقة، وقالت:

– «آمل ذلك، بالنظر إلى كونك أفضل نخبوي منذ عقود. أو هكذا يقولون.»

بحق الطاعون، ها نحن نبدأ.

تقدم كيت خطوة للأمام، ووضع يده على صدره كمن تلقى طعنة، وقال:

– «آخ يا بلير. سأذكر هذا التعليق حين أصبح ملكاً.»

عبست بشفتيها باصطناع قائلة:

– «آه، هل جرحتُ كبرياءك يا كيت؟»

ثم أعادت توجيه انتباهها نحوي وتابعت:

– «إلى جانب ذلك، أعتقد شخصياً أنني سأكون الفائزة في التصفيات.»

أطلقت ضحكة فاترة قبل أن أرمق هيئتها الضئيلة من عل، وقلت:

– «وما الذي يجعلك واثقة إلى هذا الحد من أنك ستتنافسين أصلاً؟»

قلتُ هذا وأنا أدرك تمام اليقين أنها ستشارك فعلاً في التصفيات.

وبحركة سريعة من معصمها، طار خنجر من رف الأسلحة كرد عملي على

تعليقي. وقبل أن يتسنى لي أن أرمش، كان الخنجر معلقاً في الهواء فجأة،

يغوص في وريدي الوداجي.

اقتربت مني حتى لم يفصل بيننا سوى بضعة إنشات، وهمست:
- «بصفتي ابنة الجنرال، أعتقد أن لدي فرصة جيدة جداً للانضمام إلى الألعاب. ألا توافقني الرأي؟»

قهقهت بنعومة، حتى وهي تضغط السكين الطافي على حنجرتي، لتؤكد وجهة نظرها.

دوى طنين العشرات من القوى عبر دمائي، جميعها تنتمي للأفراد الآخرين المتدربين في الساحة. أجبرت القدرات الأخرى على التزام الصمت، وركزتُ جل انتباهي على قوة بلير وإحساس طنينها أسفل بشرتي، وهو يلح عليّ لاحتضانها. إنها نائبة حركية جبارة، وما استعرضته بهذا الخنجر ليس سوى غيظ من فيض ما يمكنها فعله بعقلها. مددتُ حواسي نحو ذلك الشعور الوخاز الذي يمثل قدرتها، وتركته يغمرني، ويشق طريقه نحو السطح.
ثم أصبحتُ أنا القوة ذاتها.

تماماً كما فعلتُ مع قوة كيت المزدوجة من النار والماء، وتماماً كما أستطيع أن أفعل مع أي من القدرات التي تحيط بي.

ارتسمت على شفتي ابتسامة باردة وأنا أقلب الخنجر الطافي في الهواء، ووجهته ليلامس الجلد القاسي الذي يغطي قلبها مستعيناً بعقلي فحسب.

- «حسناً، إذن من الأفضل لك أن تشرعي في التدريب.»

قلتُها بهدوء، قبل أن أرخي قبضتي عن قدرتها، تاركاً الخنجر يسقط على الأرض محدثاً صوت ارتطام. لم أكلف نفسي عناء قول المزيد، بل استدرتُ ومضيتُ بخطوات واسعة نحو القلعة.

سار كيت بجانبني بصمت، وبدا غارقاً في أفكاره مثلي تماماً ونحن نشق طريقنا عائدين عبر بوابات القلعة. ومع بقاء أسبوعين فقط على بدء التصفيات، يبدو أنني لم أعد قادراً على تجاهل وجودها بسلام، ولا دوري المنتظر فيها.

كانت رائحة الدجاج المشوي والبطاطس المتصاعدة من المطابخ كفيلة بسلب انتباهي. رمقتُ كيت الهادئ على نحو غير مألوف بنظرة سريعة، قبل أن أستدير وأندفع عبر أبواب المطبخ.

– «طاب مساؤكن أيتها السيدات.»

وجهتُ ابتسامة سريعة للطاهيات والخادومات اللواتي يذرعن المطبخ تحضيرًا للعشاء.

– «هل اشتقتن إليّ؟»

تغنيتُ بكلماتي وأنا أرفع جسدي لأجلس على سطح رخامي صلب، متكئًا للخلف على راحتيّ. التقيتُ بنظرات بضع خادومات، فاحمرت وجناتهن وعدن لانهماك في عملهن، يتبادلن همسات تتخللها قهقهات خجولة. ضربتني حرارة المطبخ كموجة، وغمرتني كاسية بشرتي الزلقة بالفعل – بشرتي.

مررتُ يدي عبر شعري قبل أن أمررها على وجهي، غير مبالٍ بإدراكي أنني كنت أتجول عاري الصدر بعد أن تخلّيت عن قميصي في الحلبة القذرة؛ وهي عادة عجز حتى والدي عن تقويمها فيّ.

أطل رأس كيت من الزاوية، وابتسامة عريضة تشق وجهه، قائلاً:

– «ظننتُ أنني أشم رائحة طبقي المفضل. أنتِ قطعة من السكر يا

جايل.»

توجه بخطوات واسعة نحو الطاهية التي تقلب قدرًا مليئًا بالبطاطس المهروسة الغنية بالقشدة فوق الموقد الحارق، وبشرتها الداكنة تلتمع بتأثير العرق.

لم يسعها سوى الابتسام أمام النظرة المشرقة على وجه كيت، فقالت:

– «أوه، لا تظن أنني أعددتُ هذا من أجلك يا كيتي. تصادف أن البطاطس

المهروسة هي طبقي المفضل أيضًا.»

ابتسمت، وربتت على وجنته قبل أن تستدير لمواصلة التقلب. التقت عيناها بعينيّ من مجلسي فوق السطح الرخامي، قبل أن تنزلقا نحو ذراعي والجرح الذي نسيْتُ أنه لا يزال ينزف. هزت رأسها قائلة بصرامة:

– «من الأفضل ألا تلتخ رخامي بدمائك يا كاي.»

ابتسمتُ على إثر كلماتها وقلت:

– «لن تكون هذه هي المرة الأولى.»

هزت رأسها مجددًا، مجاهدة لكبح ابتسامتها طوال الوقت. دأبت جايل على تسريب المزيد من الأطعمة والحلوى لنا منذ كنا صبية نركض في أرجاء القلعة بنصف ملابسنا – وهو ما زلنا نفعله بوضوح. لقد شهدت اندلاع أكثر من شجار في هذا المطبخ تحديدًا، حول من سيظفر بآخر لفافة قرفة من صنع يديها.

قالت وهي تنثر التوابل على البطاطس:

– «لم تزوراني منذ فترة. هل سئمتا مني، هاه؟»

– «سئمتا منك، أجل. لكن من طعامك، أبدًا.»

بالكاد غادرت الكلمات شفتيّ قبل أن تتطاير كتلة من البطاطس لتصطدم بوجهي. لم أمتلك الوقت ولا الطاقة للانحناء قبل أن تنضم الهريسة إلى طبقات الطين والأوساخ المتلبدة.

تساءل كيت مفكرًا، من حيث كان يتكئ على إحدى الحواف، يراقبني وأنا أنزع البطاطس الملتصقة بشعري:

– «لا توجد لحظة ملل معنا، أليس كذلك؟»

قفزتُ من فوق السطح ومضيتُ نحو الطاهية، طابعًا قبلة خفيفة على وجنتها.

– «إنه لمن دواعي سروري دائمًا يا جايل.»

التفتُ حولها لألتقط تفاحة من سلتها وأنا أقول:

– «أطلع قدمًا لمعركة طعامنا القادمة.»

وبعد أن قذفتُ بواحدة لـ كيت، مسحتُ تفاحتي بسروالي قبل أن أقضم منها.

– «الأمير كاي؟»

تصلب جسدي، زفرتُ الهواء، واستدرتُ نحو مصدر الصوت من خلفي.
رفع صبي يافع نظره بتوتر، ويداه تعبثان بحاشية قميصه. رفعتُ حاجبيَّ،
ونفاد صبري جلي لا تخطئه العين.

قال الصبي:

– «يطلب الملك حضوركم في قاعة العرش.»



الفصل 3

بيدك

دهست عجلة عربة أحد التجار أصابع قدمي، فكتمت صرخة ألم كانت ستفلت من بين شفتي، لكنني لم أكبح ردي الفظ الذي وجهته لذلك الرجل الغافل، الذي يمضي في طريقه محطماً عظام الناس بعربته دون أدنى مبالاة.

حسناً، يبدو أن يومي قد بدأ بداية مبشرة للغاية.

لم أهنأ بنوم هادئ ليلة أمس؛ إذ قضيت الليل أتقلب في فراشي، غارقة في دوامة كوابيسي المتكررة. ومضات من مشهد والدي وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة بينما لا أملك سوى الإمساك بيده، تسلق مدخنة لأجد قمتها مسدودة بالألواح، وأدينا -الإنسانة الوحيدة المتبقية لي في هذا العالم- وهي تُسحب بعيداً عني وصرخاتها تمزق السكون.

وفي وقت ما بين تلك الكوابيس المتعاقبة، حاولت أدينا بوهن أن توقظني، لكنني انطلقت في أنين متذمر وأنا أنقلب على الجانب الآخر، متشبثة بما تبقى لي من فترات نوم قصيرة سرقتها من الزمن. قد أكون أنا اللصة، لكنني أُسرق بانتظام من راحة بالي ونومي.



وكعادتها في الإلحاح، غيرت أدينا إستراتيجيتها، وبدأت برمي قصاصات القماش الخشنة عليّ حتى رفعت خرقة بيضاء معلنة استسلامي.

أما الشمس، فبكسلها المعهود، كانت تصارع لتطل بخيوطها من فوق المباني المتهالكة، ملقية بظلال الصباح على «حي النشّالين» بينما كنت أشق طريقي عبر الممر المرصوف بالحصى. وبينما تدب الحياة في الشارع مع جلبة التجار وضجيج مساوماتهم، وتوسلات المتسولين لكل من يلقي عليهم نظرة عابرة، اندمجت بسهولة في تلك الفوضى التي تعم العشوائيات.

كانت يداي تتحرقان لخطف بعض الطعام لإسكات معدتي التي تقرقر، ولأحمل منه شيئاً لـ أدينا. جالت عينا في أرجاء الشارع بحثاً عن ضحيتي التالية حينما—

ثمة خطب ما.

أربعة عشر. ليس هناك سوى أربعة عشر جندياً من الإمبراطوريين يصطفون في الشارع.

لكن العدد المفترض اليوم لا يقل عن ستة عشر.

أنا أعلم ذلك حق المعرفة، فقد حفظت جداول مناوباتهم عن ظهر قلب.

لمحت «رأس البيضة» و«الأنف المعقوف» في مكانيهما المعتادين خارج متجر ماريا، إلى جانب عدة جنود آخرين منحتهم أسماء لا تقل دقة عن سابقهم. فبما أن تلك الأقنعة الجلدية البيضاء تحجب نصف وجوههم، يبدو من الصعب ابتكار ألقاب إبداعية لهؤلاء الأوغاد، لذا أعتز بتلك الأسماء القليلة التي اخترعتها.

في العادة، كان مشهد تضاؤل عدد الحراس يبعث على الراحة، وربما هي حواسي كـ "متبصرة" التي بدأت تعمل، لكن هذا المشهد أثار ريبتي.

قرقرت معدتي بغضب، فصبرها قد نفذ.

الطعام أولاً، ثم ألتفت لهذا الشعور الغريب.

تسللت بين الحشود بخفة، واختطفت بعض التفاح من العربية ذاتها التي دهست قدمي؛ فكان مذاق الانتقام حلواً بقدر حلاوة تلك الفاكهة المقرمشة التي قضمتها. وبيبضع خطوات، اتكأت على جدار متجر متهالك، ولمحت ما بدا أنه صبي متدرب يساوم تاجرًا. راقبته وهو يرمق التاجر بنظرة حادة قبل أن يلقي عدة عملات معدنية ويخطف لفة لا يمكن أن تكون سوى من الجلد الأسود. جالت عيناى فوق الشلنات وهي تتدحرج فوق العربية، وأحصيتها بسرعة لأجد أنها تفوق ثمن الجلد بكثير.

إنه في عجلة من أمره. لهذا السبب كان مستعداً لدفع ضعف الثمن بدلاً من إضاعة الوقت في التفاوض على سعر أرخص. ومن الواضح أن لديه من المال ما يفيض.

إنه الطريدة المثالية.

انطلقت نحو الشارع متجهة صوب الصبي الذي كان يشق الزحام بسرعة، بينما كنت أفك الشريط الجلدي الذي يجمع شعري بعيداً عن وجهي وعنقي. انسدل شعري على ظهري في موجات فضية فوضوية، وأنا ألعن الحرارة الخانقة التي جعلت عنقي يتصبب عرقاً. تركت غرة من شعري تتدلى على كتفي وتغطي وجهي، محولةً نفسي إلى صورة مثالية للبراءة.

«اجعليهم يستهينون بكِ. اجعليهم يتغافلون عنكِ حتى يحين الوقت الذي ترغبين فيه أن تُري.»

لقد مر زمن طويل منذ أن سمعت صوت والدي، لدرجة أن نبرته الرقيقة باتت تهدد بالانفلات من ذاكرتي لتنجرف إلى عالم الموت معه.

تحطمت تلك الخواطر حينما اصطدمنا.

تعثرتُ وتظاهرتُ بالسقوط، متشبثةً بالصبي الغافل. قبضتُ بيدي على قميصه، بينما انسلقت يدي الأخرى إلى جيب صديريه حيث رأيته يضع نقوده. شعرت بستة شلنات هناك، وقاومت الرغبة في الاستيلاء عليها جميعاً، فاكتفيتُ بالتقاط ثلاثة فقط. الجشع عاطفة ليس من السهل ترويضها، لكنني أجبرت نفسي على ترك الباقي، لعلمي أنه على الأرجح ذكي بما يكفي ليشعر

بنقص الوزن في جيبه إذا أخذتها كلها. ولا أرغب في إضافة المزيد من الندوب إلى ظهري بسبب تعرضي للإمساك.

لكن وقبل أن أسحب يدي وأتظاهر بالاعتذار، علقت أصابعي في البطانة الداخلية لصديريه. كلا، لم تكن مجرد بطانة، بل جيب سري. شعرت بقطعة ورق مطوية بالداخل، وبدافع لا أستطيع تفسيره أو تبريره، قررت خطفها هي الأخرى قبل أن أسحب يدي وأتطلع بحياء إلى وجه المتدرب.

اتسعت عيناه البنيتان وأنا أحرق فيه من بين خصلات شعري التي تتطاير على وجهي. رسمتُ على ملامحي تعبيرًا يفيض بالخجل والارتباك، وأفلتُ قميصه بسرعة.

نفخت خصلة شعر عن عيني وتراجعتُ خطوة للوراء:

– «أنا آسفة جدًا يا سيدي!»

أرغمتُ صوتي على أن يبدو متهدجًا، محرجًا، وغير مؤذ:

– «أكاد أجزم أنني الشخص الوحيد في كل إيليا القادر على التعثر في

الهواء!»

هيا. استهن بي. وتغافل عني.

مرر يده في شعره المجعد وضحك قائلاً:

– «لا عليك. يبدو أنكِ تملكين موهبة فذة في ذلك إذن.»

كانت ابتسامة تعلو وجهه، لكن نظرتَه طالت قليلاً مما لم يرق لي. لذا، بادلته بابتسامة وإيماءة من رأسي قبل أن أستدير وأختفي وسط الزحام.

فاحت رائحة لفائف القرفة السكرية في الزقاق المزدهم بينما مررت بمتجر ماريا وانعطفت جانباً نحو أحد الأزقة الصغيرة المتفرعة من «حي النشالين». كانت الورقة التي سرقتها قد بدأت تبتل من عرق كفي بينما أقبض عليها.

ما الذي يمكن أن يُكتب في هذه الورقة الصغيرة لدرجة تستدعي إخفاءها بهذا الشكل؟

عزمتُ على اكتشاف ذلك.

أسندت ظهري إلى الجدار القرمزي القذر، وفردت طيات الورقة لأكشف عن ملحوظة كُتبت بخط متسرع:

يبدأ الاجتماع في تمام الساعة الثانية عشرة والرّبع بعد منتصف الليل.
البيت الأبيض الواقع بين "التاجر" و"إلم".
أحضر الإمدادات معك.

حدقت في الملحوظة، وأنا أرمش بذهول بينما تسارعت دقات قلبي ترقبًا.
هذا منزلي.

حسنًا، كان منزلي.

أستطيع أن أدرك من ميل الحروف ولطخات الحبر أن من كتب هذا كان على الأرجح في عجلة من أمره لإخفاء الملحوظة عن الأعين المتطفلة.
أعين متطفلة كعيني.

انهمرت التساؤلات في ذهني، كل واحد منها أكثر إرباكًا من الذي قبله.
لماذا بحق هذا الطاعون الملعون تُعقد اجتماعات في منزلي؟
منزلك السابق. لقد غادرته، أتذكرين؟

والاجتماع هناك في منتصف الليل مع الإمدادات—؟
الجلد.

تعثرتُ فوق حجارة الرصيف غير المستوية، مما أعادني إلى الواقع وأدركتُ أنني كنت أذرع الزقاق جيئةً وذهابًا طوال هذا الوقت. دسست الورقة المجددة في صديريتي، ولا يزال عقلي في حالة ذهول بينما خرجت إلى الشارع المزدحم الذي بات الآن مغمورًا بضوء الشمس. هزرت رأسي محاولةً تصفية ذهني وأنا أدفع طريقي عبر الحشود المنشغلة بالمساومة والثرثرة والسباب.

بدأت بالتسلل بين عربات التجار مرة أخرى، عائدةً إلى إيقاع مهنتي "الصادقة" — السرقة. شرد ذهني وأنا أعمل، متسائلة عما إذا كانت أدينا قد حالفها الحظ في بيع ملابسها في الطرف الآخر من الشارع الطويل.

أنا أسرق، وهي تخط.

وهكذا كانت حياتنا طوال السنوات الخمس الماضية. كنت بالكاد في الثالثة عشرة من عمري ووحيدة تمامًا في هذا العالم حين اصطدمت بي أدينا حرفيًا.

حسنًا، لقد اخترقتني بجسدها. لن أنسى أبدًا نظرة الذهول على وجه الجندي الإمبراطوري وهو يركض خلفها، صائحًا بشأن المعجنات المسروقة. ودون تفكير ثانٍ، لم أتردد في مد قدمي في طريقه. وبمجرد أن رأيت وجه الحارس يرتطم بالأرض، كنت أركض خلف تلك الفتاة النحيفة ذات الشعر المجعد التي مرت عبري.

في ذلك اليوم وُلد تحالف قلق، كان من المفترض أن يبقى كذلك.

تجمدت يدي في الهواء، محلقة فوق ثمرة جريب فروت ناضجة، حين قطعت صرخة تقشعر لها الأبدان ضجيج «حي النشأين». التفتُّ حول نفسي، ناسية الفاكهة، وأنا أبحث وسط حشود الأجساد عن مصدر الصوت. جالت عينا في المكان قبل أن تستقر على هيئة صغيرة منهارّة عند عمود خشبي ملطخ بالدماء في وسط الشارع. كان أحد الإمبراطوريين يحوم فوق الصبي الصغير، والسوط في يده، وبدت عليه علامات الرضا المقرزة وهو ينظر إلى الطفل. أنا أعرف تلك النظرة جيدًا؛ فقد كنت ذلك الطفل النازف مرات أكثر مما أحتمل تذكره.

لقد قبض عليه.

تساءلت عما سرقه، وما الذي يمكن أن يبرر مثل هذا الضرب. بعض الفاكهة؟ ربما شلنات قليلة من تاجر؟ أتذكر جيدًا كيف كنت أنهار عند ذلك العمود الخشبي، مرتجفة من الألم مع كل لسعة سوط بينما أعض على لساني كي لا أصرخ. الألم يتلاشى، لكن الندوب تبقى كذكرى تدفعني لأكون أفضل.

دائمًا ما يُقبض على الصغار. إنهم محتاجون، ولم يتعلموا بعد كيف يتحكمون في جشعهم أو يتعايشون مع جوعهم، مما يجعلهم أهدافًا سهلة لـ الإمبراطوريين لاستخدامهم كعبرة.

لا يمكنك فعل شيء من أجله.

عليّ أن أغرس هذه الكلمات في رأسي لأضمن ألا تقودني قدماي إلى الصبي. لأنني حاولت ذات مرة. حاولت التدخل ومساعدة فتاة صغيرة ذكرتني بنفسي. كانت خائفة للغاية، ومع ذلك، مصممة على ألا تظهر ذلك أبداً. حين نظرت إليّ، كان الشرر في عينيها يعكس ما في عينيّ. وفي النهاية، لم تسفر محاولتي للمساعدة إلا عن جلدات إضافية لكتينا.

كشرت وجهي والتفتُ بسرعة بعيداً عن ذلك المشهد المروع، لأصطدم مباشرة بزي منشئ ومجد يرتديه أحد الحثالة.

حدق الجندي الإمبراطوري بي، واللمحة الخبيثة تلمع في عينيه من خلف قناعه الأبيض. ورغم أنه بدا أكبر مني بعشر سنوات على الأقل، وشعره الأشقر يتطاير في زوايا غريبة، فقد أخذ وقته في تمرير نظراته بوقاحة على جسدي. عضضت على لساني قبل أن أتلظ بشيء قد يجعلني أندم لاحقاً.

ف الإمبراطوريون لا يُعرف عنهم النبل عندما يتعلق الأمر بالفتيات الصغيرات - أو بأي شخص آخر - ولا أنوي اكتشاف ما إذا كان هذا الجندي هو الاستثناء.

- «آسفة جداً يا سيدي. يبدو أنني في غاية الخرق اليوم.»

قلت ذلك وأنا أخطط لهروبي وسط الحشود.

لكن يداً باردة أطبقت على معصمي وأدارتني نحوه. استجمعت كل ذرة قوة لدي لأكبح غريزة القتال التي تصرخ في داخلي وتدفعني لضربه في مقتل أو تهشيم رأسه فوق الحجارة تحت أقدامنا.

- «لماذا العجلة؟»

أرسلت ابتسامته الكريهة وعيناه السوداوين قشعريرة في عمودي الفقري، وزادت رائحة الكحول الكريهة في أنفاسه من شعوري بالغثيان.

ابتسمتُ وأجبرت نفسي على الأدب وأنا أنتشل يدي من قبضته:

- «أحاول فقط قضاء بعض الحاجات قبل أن يزداد السوق ازدحاماً، هذا

كل ما في الأمر.»

دمدم متممًا وهو يرمقني بارتياح:

– «همم... قل لي، ما هي قوتك يا فتاة؟»

قاومت الرغبة في التصلب بينما تابع بابتسامة:

– «بموجب مرسوم الملك، عليّ استجواب أي شخص أشعر... أنه يجب استجوابه.»

إنه يعشق السيطرة. يعشق امتلاك القوة.

قلت ببساطة، معلنةً رتبتي في هرم النخبة لأثبت له أنني لا أشكل خطرًا ولا أهمية:

– «أنا من العاديين. متبصرة.»

نظرت مباشرة في عينيه السوداوين وأنا أقولها، متمنية أن يصدقني قلبه الأسود.

– «أحقًا ما تقولين؟ لم أقابل متبصرة من قبل.»

ضحك بظلمة وخطا خطوة نحوي، مائلًا برأسه قرب رأسي لأستنشق رائحة الويسكي العالقة به مرة أخرى:

– «أثبتني ذلك إذن.»

لقد سئمت حقًا من هذا الطلب.

قابلت عيني الجندي، رافضةً منحه لذة التفكير بأنني قلقة، رغم أن نبضي المتسارع كان يثبت العكس.

– «أشعر بالغضب و... الندم ينبعثان منك. لقد... لقد انفصلت للتو عن زوجتك. في الواقع، هي من هجرتك.»

جلبت علامات الذهول التام على وجهه ابتسامة صغيرة إلى شفتي.

– «وإذا كنت تريدني أن أكون محددة، لأنك طلبت مني الإثبات، فالسبب هو أنك...»

توقفت في منتصف الجملة، مغمضة عيني بقوة بينما أضغط بأصابعي على صدغي، مؤديةً عرضًا مقنعًا:

– «... خنتها؟ انتظر، أشعر بشيء آخر...»

نظرت إلى وجهه الذي احمرّ من الغيظ وتابعت فرك صدغي:

– «أنت... تريد استعادتها. لكنها لا تريدك—»

كنت مستعدة للطمته قبل أن أشعر بلسعتها على وجهي.

تطاير الدم من فمي، وأبقيت رأسي ملتفتاً بعيداً عنه وهو يزمجر قرب

وجهي:

– «أنت ساحرة ملعونة، هذا ما أنت عليه. اغربي عن وجهي أيتها

العادية.»

استدرت على عقبي وابتسمت، والدم يتجمع في فمي ويسيل على ذقني. تظاهرت بالتعثر والارتطام بعربة، خاطفة قطعة قماش متدلية من حافتها من وراء ظهري. استدرت بسرعة، ضامة القماش إلى صدري وأنا أمزق زاوية منه بأسناني لأمسح الدم عن فمي وذقني. سأستخدم جزءاً من القماش كمنديل، والباقي سيذهب لـ أدينا. عصفوران بحجر واحد.

دسست ما تبقى من القماش في حقيبتني، الممتلئة الآن بالطعام والعملات والسلع المسروقة الأخرى، واتجهت عائدة نحو الحصن وأنا أعيد شريط الدقائق الخمس الماضية في ذهني.

لم يكن من الصعب استفزاز ذلك الجندي، وكنت أعلم أنه بمجرد فعل ذلك، سيلطمني ويتركني أرحل. لم تكن هذه المرة الأولى التي أسمح فيها بحدوث ذلك. أما إثبات قدراتي كمتبصرة فلم يكن صعباً، إذ كانت الأدلة مكتوبة عليه بوضوح.

الخط الشاحب الرقيق على إصبعه الخالي كان دليلي الأول على أنه كان متزوجاً رسمياً. ثم هناك حقيقة أنه نقل خاتم زواجه إلى يده الأخرى بدلاً من رهنه مقابل المال، مما أخبرني أنه لا يزال يهتم بزواجه السابقة ويحن إليها. أما شعره المنكوش، وزيه المجعد، ورائحة الويسكي في أنفاسه، فقد أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أنه رجل أعزب لم تعد لديه زوجة تهتم بمظهره.

الرجال على الأرجح سينقرضون دون نساء يراعونهم.

أما بالنسبة للجزء المتعلق بخيانتة لزوجته، فقد كان مجرد تخمين مبني على الطريقة التي نظر بها إليّ، بالإضافة إلى السمعة "الناصعة" التي صنعها الإمبراطوريون لأنفسهم. ومن الواضح أن التخمين أصاب وتراً حساساً قبل أن يصيب وجهي.

كانت شمس الظهيرة تضربني بقوة وأنا في طريقي للعودة إلى الحصن للقاء أدينا لتناول الغداء كالعادة. تمهلتُ في سيري عبر «حي النشّالين»، أمضغ تفاحة بينما ينهش الجوع أحشائي.

علقت في الهواء رائحة السمك المملح الذي يُشوى تحت الشمس فوق عربات التجار. كان الأطفال يركضون أمامي، يضحكون وهم يطاردون بعضهم البعض في الشارع. أما أصوات المساومة والسباب فكانت بالنسبة لي بمثابة جوقة موسيقية مألوفة تماماً.

لفتت انتباهي لافتة ملونة كبيرة بدأت ترتفع فوق الزقاق المزدحم، مشدودة بين متجرين بواسطة أحد الزواحف. تسلق الجدار كما لو كان هناك غراء على كفيه وقدميه، مما سمح له بصعود المتجر الأملس بسهولة. وبينما كان يربط الحبل الذي يثبت اللافتة بالجدار، حولت انتباهي إلى الكلمات المخطوطة على القماش الأخضر بأحرف سوداء كبيرة:

تصفيات التطهير السادسة على وشك البدء

تذكروا التطهير. اشكروا الطاعون.

الشرف لمملكته، لعائلته، ولنفسك.

قد تكون أنت النخبة المنتصرة القادمة.

أطلقتُ شخيراً عالياً، كدت أختنق بسببه بقطعة من التفاحة. ورغم أن تصفيات التطهير ليست أمراً يدعو للضحك، إلا أنني لم أستطع إلا أن أجد سخرية في اعتبارها احتفالاً. فتكريماً لـ التطهير العظيم الذي حدث قبل ثلاثة عقود، أنشئت هذه التصفيات لاستعراض القدرات الخارقة للناس وجلب الشرف لمملكة النخبة الوحيدة.

لا أعتقد أن قتل الأبرياء يجلب الشرف لي، أو لمملكتي، أو لعائلي - هذا إن كان قد تبقى لي عائلة أجب لها الشرف. ومع ذلك، في كل خمس سنوات، يُختار شباب من النخبة للتنافس في هذه الألعاب من أجل المجد، ومن أجل شلنات تكفي لبناء قلعة مريحة بينما تحاول الهروب من الصدمات التي سببتها لك التصفيات.

لكن الجزء الذي يجعلني أهتز ضحكاً وغيظاً في آن واحد هو إيهام ذوي الرتب الأدنى من النخبة - أولئك الذين يمتلكون قدرات دفاعية أو "عادية" - بأن لديهم فرصة للفوز في هذه التصفيات الملتوية. شعرت بخدر مفاجئ وأنا أنظر إلى الوجوه المتحمسة من حولي، وهم يتجمعون تحت اللافتة مبتسمين ومشيرين إليها.

نحن أول من يموت.

أعضاء النخبة الذين يتنافسون لا يُختارون، بل يولدون لمصيرهم هذا؛ فهم دائماً من ذوي الدم الملكي أو من طبقات القوة العليا. جالت عينا في الزحام، متجاوزةً الوجوه المبتسمة لـ العاديين الذين لا يُقذف بهم في التصفيات إلا من أجل الترفيه، بعد أن يسمح لنا الملك باختيار من يمثلنا.

ورغم إصرار الملك على أن قتل الرفاق في الحلبة أمر مستهجن، إلا أنه ليس سراً أن الموت نفسه هو أحد المتسابقين في التصفيات. فيبدو أن مقتل المراهقين يجعل الأمر أكثر إثارة بشكل استثنائي، وإذا لم يقم أعضاء النخبة بالقتل، فإن الملك سيحرك الخيوط داخل الحلبة ليفعل ذلك.

شقت طريقي عبر الحشود المتجمعة تحت اللافتة، والكل يتحدث في آن واحد عن سيمثل «حي النشأين» وماذا سيفعلون بأموال الجائزة.

مرت أوقات قليلة في حياتي لم أحسد فيها النخبة، ولكن عند التفكير في المنافسة في تصفيات التطهير، لم أشعر قط بامتنان أكبر لكوني لا أحد، ولا أملك أي أهمية.

مجرد إنسانة عادية تمامًا.



الفصل 4

بيكان

– «هل ستأكلين تلك؟»

كانت أدينا ترمق نصف البرتقالة الموجودة في حجري بينما أجلس مستندة إلى جدار الزقاق خلف الحصن.

– «تفضلوها.»

لم تكد الكلمات تخرج من شفتي حتى مالت للأمام، وشعرها المجعد يتطاير مع النسيم الرقيق، وخطفت الفاكهة ووضعت فصاً منها في فمها. لقد ترك لي الجندي الإمبراطوري ذو اللطمة القوية هدية جميلة عبارة عن شفة سفلية مشقوقة، مما جعل من الصعب عليّ ابتلاع الطعام.

– «كيف كان حالك اليوم؟»

سألتها وأنا أدير بعث ذلك الخاتم الفضي العريض – خاتم زواج والدي – حول إبهامي.

ينغرز المعدن البارد لخاتم والدي في جلدي، مواسياً إياي كما فعل دائماً. أظن أنني كنت سأمتلك خاتم والدتي أيضاً لولا أنه دُفن معها حينما كنت رضيعة.



- «مرض»، هكذا قال والدي.

لقد كانت من العاديين في نهاية المطاف، ويبدو أننا -نحن العاديين- بشر أضعف ومسكونون بالأمراض.

لكنه تزوجها رغم ذلك. أحبها رغم كل شيء. حماها، وأبقى سرها مكتومًا تمامًا كما فعل مع سري.

تنهدت أدينا، وأعادني صوتها إلى الحاضر وهي تقول بين لقمات البرتقال:

- «لا يمكنني الشكوى. أوه، لقد بعثُ ذلك القميص الذي كنت أعمل عليه منذ زمن طويل! مقابل ثلاثة شلنات كاملة! أتعرفين، ذلك الأخضر ذو الفتحة العميقة والحواف المتموجة؟»

رمقتها بنفس نظرة الحيرة التي أرمقها بها دائمًا حينما تبدأ بالتحدث بلغة الخياطة الخاصة بها.

- «آه، لا أمل منك حين يتعلق الأمر بالملابس يا بيدن.»

نظرتُ إلى قميصي المتهالك تحت الصديري الأخضر الزيتوني الذي أرتديه فوقه. لقد تغير كل شيء في اليوم الذي صنعت لي فيه أدينا هذا الصديري المليء بالجيوب، مدركة أنه سيخدمني جيدًا كلصة. كان ذلك اليوم هو بداية تحول تحالف قلق إلى صداقة متينة.

نقرت أدينا بإصبعها على شفيتها، مفكرةً في شيء ما:

- «أراهن أنه لو كنت ترتدين الزي المناسب، سينشغل الجميع بالنظر إليك لدرجة ألا يلاحظوا أنك تسرقينهم.»

أطلقتُ شخيرًا ساخرًا:

- «أفضل ألا يحدق الناس بي وأنا أرتكب جرائم. يبدو ذلك منافيًا

للمنطق.»

التقطتُ خنجري ودسسته في حذائي، ممررةً أصابعي على مقبضه الفضي المتموج. إنه التذكار الوحيد الآخر الذي أملكه من والدي بجانب خاتمه،

وكلاهما لا أفارقهما أبداً. كنت أتأمل المقبض المعقد للمرة المئة قبل أن أنتفض حين تذكرت شيئاً ما فجأة:

– «كوني حذرة اليوم يا أدينا. هناك حراس أقل من المعتاد لسبب ما، وهذا لا يعجبني. فقط...»

نازعت لأجد الكلمات المناسبة:

– «فقط ابقِ عينك مفتوحة لأي شيء خارج عن المألوف، حسناً؟»
بدت منزعة قليلاً من هذا الخبر، لكن ضيق عينيها العسليتين كان ينم عن مرح:

– «هل هذه حاستك ك متبصرة تحذرك من خطر محتمل؟»
تنهدت قائلة:

– «أجل، من الواضح أننا نحتاج للعمل على أسلوبك في التلميح.»
هزرت رأسي لها بابتسامة.

نهضت للمغادرة، وأنا أئن بينما أمدد جسدي المتعب. جمعت أدينا ملابسها، التي تختلف أحجامها وألوانها، ولوحت مودعةً بغير رغبة قبل أن تعود إلى «حي النشالين» على أمل بيع المزيد من القطع قبل غروب الشمس.
خرجت إلى الشارع المزدهم المغمور الآن بضوء شمس العصر المتأخر واتجهت نحو صخب السوق. بدأت بالأمر السهل؛ سرقة بعض الفاكهة والقماش قبل أن أشعر بالملل وأنتقل إلى أشياء أكبر وأفضل. المحافظ، الساعات، والشللات هي ما أسعى وراءه حقاً هذا المساء.

لمحت رجلاً ذا شعر أزرق داكن وساعة براقّة تزين معصمه العريض، وقررت بسرعة أن أجعله هدفي التالي. وبينما كنت أتلفت في الشارع المكتظ، لمحت قلة آخرين بشعر ملون بشكل غير طبيعي وسط الزحام؛ دليل على أن الطاعون الذي غير الجينات حمل معه ميزات أكثر من مجرد القدرات الخارقة. ورغم خصلات الشعر الفضي فوق رأسي، إلا أنني لم أُنح قوة تصاحبها.

استغرق الأمر مني وقتاً طويلاً للإفلات من الرجل ذي الشعر الأزرق بعد سرقة ساعته. ليس لأنه قبض عليّ، كلا، بل لأنه لم يتوقف عن الثرثرة. فبعد أن اصطدمتُ به وسللت الساعة ببراعة من معصمه، كان من الواضح أن الرجل المسكين كان يتوق لنشر القيل والقال مع أي شخص مستعد للابتسام والإيماء له.

كنت على وشك العودة مبكراً واعتبارها ليلة ناجحة إلى حد معقول، حينما ظهرت في «حي النشالين» هيئة طويلة، متشحة بالأسود تماماً. كان يسير بهالة من الثقة، تتناقض تماماً مع الانحناءة التي اعتاد عليها المشردون أماً في جذب أقل قدر ممكن من الانتباه.

لكن هذا الرجل... كان من الصعب غض البصر عنه.

يرتدي قميصاً أسود فضفاضاً بصف أزوار، مدسوساً في بنطال أسود ضيق يجمعهما حزام بسيط. كان قميصه مفتوحاً من المنتصف، يتطاير مع النسيم ليكشف عن جزء من صدره الأسمر. كانت ملامح وجهه غير واضحة من هذه المسافة، لكن شعره الأسود القاتم كان ينسدل فوق جبهته في موجات فوضوية. وبيديه المغروستين في جيبه، كانت خطواته الواسعة تحمله إلى عمق السوق، بمظهر هادئ وواثق.

إنه ليس من هنا.

أستطيع رؤية ذلك في الطريقة التي يتطلع بها حوله وكأنه يستوعب المكان بكل تفاصيله. من المرجح أنه من فئة "المهاجمين" (أوفنسييف)، أحد أفراد النخبة ذوي المكانة العالية أو الدم النبيل الذين ندر أن تظاً أقدامهم هذه العشوائيات. أرى في مشيته، وفي لمعان حذائه، أن هذا الرجل سيحمل أكثر من مجرد شلنات زهيدة. ضيقتُ عينيّ، محاولة تخمين المكان الذي قد يكون دس فيه فضياته.

هناك.

يتأرجح بجانب ساقه، معلقاً بحزامه بواسطة رباط، كيس صغير يستخدمه الكثير من أهل إيليا لحمل العملات. وتحديداً الواثقون منهم، فمن السهل على اللصوص اقتناص كيس غير محمي.

صيد سهل بالنسبة لي.

هدفي الأخير غير المحظوظ لهذه الليلة.

من حسن الحظ أنه طويل القامة بشكل فارع، وإلا لكنتُ فقدت أثره في زحام الناس. راقبت النساء من جميع الأعمار وهن يلوين أعناقهن أثناء مروره، محاولات الحصول على رؤية أفضل لذلك الغريب الوسيم قبل أن يذوب في الزحام. دفعتُ طريقي عبر الحشود وتعقبته حتى خرج من الممر الرئيسي بين عربات التجار إلى شارع أقل ازدحاماً. نفضتُ شعري، تاركةً الأمواج الطويلة تنسدل بخمول على كتفيّ بينما انعطفتُ في شارع جانبي، متجهة لقطع الطريق عليه. الزقاق الخلفي الذي تسلفتُ عبره قذفني إلى الشارع ذاته الذي كان الغريب يسير فيه - والآن أنا في مواجهته مباشرة.

أبقيت عينيّ مثبتتين على الأرض حينما اصطدمنا.

متبعةً روتيني المعتاد، تركتُ نفسي أترنح للخلف من أثر الاصطدام، محاربة كل غريزة تصرخ فيّ لأثبت قدمي وأقف بصلافة. التفت ذراعان قويتان حول خصري لمنعي من السقوط، تاركتين كيس نقوده مفتوحاً ومعرضاً للصوص أمثالي. قبضتُ على مقدمة قميصه، متظاهرةً بأنني فعلت ذلك كحركة لا إرادية للحفاظ على توازني. في الحقيقة، كنت أحتاج فقط لسبب يجعل يديّ قريبتين من جسده دون إثارة الشكوك.

فتيان «حي النشالين» الجائعون لا يمتلكون جسداً كهذا.

تبددت الفكرة حينما وصلت يدي إلى الكيس المعلق عند وركه، واستنتجت أصابعي وجود عشرين شلناً على الأقل تتدلى من حزام هذا الرجل. لا بد أنه واثق جداً في قدراته ليمشي في «حي النشالين» ومعه كل هذه... الغنائم.

راودتني الرغبة في انتزاع الكيس والركض، عالمةً تمام العلم أنه سيمسك بي في حوالي ثلاث خطوات واسعة. ولكن، لعدم علمي متى سأصطدم بفرصة كهذه مرة أخرى، رفضت المغادرة دون الحصول على نصف ما في حقيبتة على الأقل.

لكنه سيشعر بفرق الوزن إذا أخذتُ النصف.

كان عقلي يتسارع.

إذن شتتي انتباهه.

ومع كل هذا التخطيط الذي حدث في لحظات معدودة، قبضتُ بسرعة وهدوء على نصف العملات في كفي قبل أن أسحب يدي بحذر من الكيس وأنا أستند إليه. ثم، رفعتُ نظري ببطء عن صدره المكشوف جزئيًا حيث يبرز طرف وشم داكن من خلف ثنايا قميصه.

التقت عيناى بعينه أخيرًا.

كان الأمر أشبه بالنظر في قلب عاصفة.

كانت عيناى بلون غيوم الرعد التي تتجمع فوق إيليا، بلون الدخان المتصاعد من المداخل، بلون العملات الفضية المسروقة المقبوض عليها في كفي. كانت رموشه السوداء الطويلة تتناقض تمامًا مع عينيه الرماديتين الفولاذيتين، اللتين تجولان الآن في وجهي. رفع الذهول حاجبيه الداكنين، وشد فكه الحاد، وأبرز عظام وجنتيه القوية.

وقفنا هناك، يحدق كل منا في الآخر.

فجأة، أصبحت مدركة تمامًا لكل مكان يلمسني فيه. ذراعاى القويتان لا تزالان تلتفان حول خصري وتسندانني، رغم أن نظرتة بحد ذاتها كانت تبدو وكأنها لمسة حانية. تنحنحتُ وأنا أرفع يدي المقبوضة عن قميصه، كاشفةً عن قماش فاخر مجعد تحته، قبل أن أتحرك للخروج من بين يديه.

ارتجفت شفتاه، مما سمح لي بلمح غمازة على خده الأيمن. سحب ذراعيه ببطء عن خصري، محررًا إياي بينما علقت يداى عند الحافة الخشنة لصديري.

ندوب على كفيه. إنه مقاتل.

لم أكن بحاجة لأن أكون متبصرة لأدرك ذلك، فبنيتة الجسدية جعلت الحقيقة واضحة. ومع التفكير في كونه مقاتلاً مدرباً وبضعف حتمي، سحبتُ يدي خلفي بلا مبالاة لإخفاء دليل جريمتي. انزلت العملات بصمت في جيب الخلفي بينما أخذت نفساً عميقاً، محاولةً استجماع شتات نفسي.

– «هل تسقطين دائماً في أحضان الغرباء الوسيمين، أم أن هذا طقس جديد تمارسينه؟»

أظهر سؤاله تلك الغمازة مرة أخرى حين استقرت ابتسامة على وجهه، كاشفةً عن أسنان بيضاء مستوية.

– «كلا، في أحضان المغرورين منهم فحسب.»

ابتسمتُ ببرود بينما كان ينظر إليّ وكأنني لغز يحاول فكّه، والمرح يرتسم على كامل وجهه.

شتتي انتباهه.

ضحك وتمرر يده في شعره الفاحم، ولم ينجح إلا في جعل الخصلات أكثر فوضوية. بحثت عيناه الرماديتان في عينيّ وهو يقول:

– «حسناً، يبدو أنني تركت انطباعاً أول قوياً إذن.»

– «أجل،» قلتُ ببطء، «رغم أنني لم أقرر بعد ما إذا كان انطباعاً جيداً أم سيئاً.»

اجعلي ذهنه بعيداً عن المال وتركيزه عليك.

هز كتفيه، داساً يديه في جيبه – في صورة مثالية لعدم المبالاة الواثقة:

– «لقد أمسكتُ بكِ قبل أن تسقطي، أليس كذلك؟»

الآن جاء دوري لأضحك. أمال رأسه قليلاً وهو ينظر إليّ، وزاوية فمه مرتفعة:

– «ربما عليكِ وضع تلك التفصييلة في الاعتبار قبل أن تقرري يا

عزيزتي.»

يا للمصيبة، فتى جميل بكلمات معسولة.

خطر.

جالت عيناه الدخانيتان في وجهي، مرة أخرى ينظر إليّ وكأنني أحجية
مثيرة للاهتمام. رفضت أن أرتبك تحت نظراته وأنا أترجع خطوة للخلف نحو
الشارع المزدهم.

- «سأضع ذلك في الاعتبار يا عزيزي.»

مددت الكلمة الأخيرة، محاكيةً إياه بابتسامة. اتسعت ابتسامته، لتظهر
غمازتان على وجنتيه. أجبرت نفسي على تجاهلهما وأنا أضيف:

- «وشكرًا لإنقاذني من أكل حجارة الرصيف. يبدو أنني ملعونة

بالخرق.»

- «حسنًا، خرقك قاذك إليّ، لذا لا يمكنني وصفه باللعنة بأي حال،» قال
ببساطة، وهو يتكئ الآن على الجدار، يداه في جيبه. ابتسمتُ، ولم أستطع كبح
حركة عينيّ الساخرة التي صاحبت الابتسامة. لمحتُ ابتسامته للمرة الأخيرة
قبل أن أستدير على عقبي وأعود إلى «حي النشالين»، مختفية وسط الزحام.

كان عقلي يضج بالأفكار، معيدًا شريط الملاحظات التي كونتها عنه بينما
أشق طريقي في الزقاق. الندوب المنتشرة على ذراعيه ومفاصل أصابعه
المتورمة من قتال حديث كانت أكثر ما أثار فضولي، ومن المؤسف أنني لن
أكتشف القصة التي تقف وراءها. فكرة ارتداء أحد أفراد نخبة الهجوم للندوب
جعلت ابتسامة تقترب من شفتي.

دليل على الضعف.

أمسكتُ بالعملات في جيب الخلفي، وتركتها ترن في كفي بابتسامة نصر.
أشك في أنه سيفتقد هذه العملات.



الفصل 5

كاي

كان القميص ذو الياقة الذي ارتديته خشناً يبعث على الضيق، مما جعلني أحنُّ فجأةً إلى أيام صباي، حين كان من المقبول اجتماعياً أن أركض بنصف جسد عارٍ.

رغم أن ذلك لم يمنعني من فعله حتى الآن.

بعد أن انتعلتُ أحد أحذية القليلة التي لم تلطخها الأوحال بعد، خطوتُ نحو الباب. مررتُ برفوف فوضوية تهدد بالانهيار تحت وطأة كتب تفوق طاقتها، ومكتبي الغارق حالياً في وثائق أتهرب من مراجعتها، وسريري ذي الأعمدة الأربعة الذي يبرز من الحائط، وكان سبباً في تعثر أصابع قدمي مراراً وتفجر شلالات من السباب. تنهدتُ وأنا أغلق الباب على راحة غرفتي، متمنياً من كل قلبي لو كان بإمكانني الارتقاء فوق سريري والنوم حتى الفجر. لكن وا أسفاه، فداء الواجب لا يُرد، ومن الأفضل ألا أجعله ينتظر.

دسستُ يديَّ في جيبِي وأنا أجتاز الردهات البيضاء المؤدية إلى قاعة العرش. كان ضوء العصر المتأخر ينسكب عبر النوافذ التي تصطف على طول الممر، مما جعل اللوحات المزخرفة على الجدران تتلألأ في ذلك الضياء



الذهبي. وخلال وقت أقصر مما كنت أتمنى، انعطفتُ عند الزاوية وأومأتُ للحراس الواقفين خارج قاعة العرش قبل أن أدفع الأبواب الثقيلة.

قال والدي، وصوته العميق يتردد في أرجاء القاعة الواسعة:

– «آه، كاي. لقد حان الوقت أخيرًا.»

كانت جدران القاعة مزينة بنوافذ عريضة ضخمة تتدلى منها ستائر من الحرير الأخضر الداكن – لون مملكة إيليا – ترافقها زخارف منحوتة تمتد فوق الجدران وصولاً إلى السقف. وفي المنتصف، استقرت طاولة خشبية طويلة فوق الأرضية الرخامية المصقولة، حيث يتربع الملك على الكرسي المتصدر.

تنهد الملك، لكنني لمحتُ طيف ابتسامة في عينيه:

– «جيد، لقد ارتديت قميصًا. لقد فكرتُ في أمر الخادم بأن يضيف هذه التفصيلة إلى الرسالة التي بعث بها إليك.»

أجبت قائلاً:

– «أوه، لا تقلق يا والدي، لن أرتكب خطأ المثل في قاعة العرش دون قميص... مرة أخرى.»

حفظتُ طيف تلك الابتسامة على وجهه، فلا أدري متى سأراها ثانية، أو متى سأستحقها مجددًا.

إنه رجل غاشم، قوي (بروني) يمتلك قوة جسدية وعقلية هائلة. إنه صارم، عنيد، ومتمسك بآرائه؛ لذا فإن رؤيته يقدم ولو أوهى ابتسامة جعلتني أبادله بواحدة خافتة رغماً عني. كانت علاقتنا دائماً صعبة، وهذا أقل ما يقال، ولكن في لحظات كهذه، يبدو من السهل تجاهل ماضينا غير السار.

تنحني الملك، فتبددت من وجهه أي ذرة من العاطفة.

وها هو والدي الذي اعتدتُ عليه.

قال بلهجة رسمية:

– «لدي مهمة لك بصفتك المنفذ المستقبلي.»

أجبت بجمود:

– «أنا أحيأ لأخدم.»

بل أحيأ لأقتل.

حياتي تعني نهاية حياة شخص آخر.

إن المهام التي يُرسل إليها "المنفذون" أبعد ما تكون عن البطولة. لقد أنجزتُ العشرات منها على مر السنين، وكلها جزء من تدريبي لأصبح الجلال المستقبلي، وقائد الجيوش، واليد اليمنى للملك. كل شيء، بدءًا من استراتيجيات المعارك والإعدامات وصولاً إلى التحقيقات والتعذيب، يقع ضمن نطاق عملي بصفتي "المنفذ" المنتظر.

كلها لمحات من مستقبلي المشرق.

تابع والدي بنبرة يغلفها شيء من الملل:

– «لقد علم مخبري بوجود عائلة تأوي أحد العاديين بالقرب من <حي النشالين>. أريدك أن تستقصي الأمر وتستأصل المشكلة.»
استئصال المشكلة يعني الإعدام.

بعد "التطهير"، حين نُفي العاديون إلى المحارق لحماية إيليا من مرضهم، أصدر الملك مرسومًا يقضي بإعدام أي "عادي" يُعثر عليه في المملكة. قبل ثلاثة عقود، منحهم فرصة للنجاة إذا استطاعوا عبور المحارق والوصول إلى مدينتي دور وتاندو في الجانب الآخر حيث لن يشكلوا خطرًا. لكن رحمة الملك لم تدم سوى في ذلك اليوم من "التطهير"، والآن أنا من يحمل الموت نيابة عنه. قلت وأنا أمرر يدي في شعري وعلى فكي المشدود:

– «بالطبع.»

ولم تخفَ حركتي تلك عليه.

قال وهو ينظر إليّ بشيء من اللين:

– «كاي.»

لم أرَ تلك النظرة منذ كنت طفلًا، وحتى حينها، كانت نادرة ومقتصرة على المرات القليلة التي كنت أرضيه فيها أثناء تدريبي.

– «لا أحد يحسد "المنفذ" على عمله. إنه عمل وحشي، مخضب بالدماء. لكن الطاعون منحك هبة نادرة؛ فقدرتك ك مستحوذ (ويلدر) قوية جداً، وستخدم هذه المملكة جيداً ذات يوم.»

صمت قليلاً قبل أن يضيف:

– «لقد حرصتُ على ذلك بنفسِي.»
لقد حرص على ذلك حقاً.

كان التدريب هو كل حياتي، غاييتي الكبرى. وبدلاً من امتلاك قدرة واحدة تظهر وأتقنها، قضيتُ سنوات في تعلم كيفية التحكم في العشرات. لكنني صقلتُ جسدي بقدر ما صقلتُ قدراتي، حتى غدوتُ أنا نفسي سلاحاً. كيف أستخدم كل سلاح متاح لي وكيف أقتل به، كل ذلك غُرس في دماغي حتى صار رد فعل مبرمجاً.

لكن لا يمكنني نسب كل الفضل لنفسِي. كلا، فالملك هو من صنع مني ما أنا عليه اليوم. الملك الذي أخذ على عاتقه مساعدتي في تدريبي الجسدي والعقلي. وبعد أن عرف نقاط ضعفي، حرص على استئصالها. وبينما تعلمتُ حجب معظم ذكريات التدريب الذي كابدته في صباي، إلا أنني لا أستطيع تجاهل صورة وجه والدي البارد المقتترنة بتلك الكلمات التي سمعتها طوال حياتي:

– «إن كنت لا تستطيع تحمل المعاناة، فأنت غير مؤهل لإنزالها بالآخرين، أيها المنفذ.»

لقد خضتُ معارك، وبدأتُ تحقيقات، وأجريتُ عمليات تعذيب، بينما كان كيت يحضر اجتماعات لا حصر لها، ويصوغ المعاهدات، ويقضي أيامه بجانب ملك أكثر رحمة من الذي أعرفه.

كانت أيامه تتألف من التعليم، والدروس الخصوصية، وقضاء وقت أكثر متعة مع الأب الذي يحبه كثيراً. وبصفتي وريثاً، كان كيت دائماً محمياً ومصاناً، بل إن إخراجَه إلى ساحة التدريب معي حين كنا صبيين كان إنجازاً ليس بالهين.

حين نظرتُ ثانيةً إلى الملك، كانت عيناه الخضراوان مثبتتين عليّ بالفعل. عينا كيت. بعد أن توفيت زوجة والدي الأولى أثناء ولادة ابنه، تزوج من ابنة مستشار موثوق. ولم يكن من المستغرب أن يقع بسرعة في حب رقة والدتي ولطفها، شجاعته وجمالها. أنا أشبهها بشعري الداكن وعينيّ الفاتحتين، تمامًا كما يشبه كيت والدنا؛ فكلاهما أخضر العينين وأشقر الشعر. صفيتُ ذهني، ودفنتُ أفكار الماضي بعيداً حتى يحين الوقت التالي الذي أسمح فيه لنفسي بالخوض فيها مجدداً. كان صوتي خافتاً حين سألتُ أخيراً: - «متى أغادر؟»

تلك الكلمات ذاتها أيقظت ذكرى ما، مذكرةً إياي كم كنتُ ساذجاً حين سألتها قبل مهمتي الأولى. لم أكن أعلم حينها أنني سأصبح قاتلاً في ذلك اليوم. لم أكن أعلم أنني سأشاهد رجلاً ينهار على الأرض في بركة من دماؤه. أجاب:

- «عند الفجر.»



جاء الفجر في وقت أبكر مما كنت أتمنى، وقبل أن أدرك، كنت في طريقي نحو الإسطبلات.

كانت الحظيرة البيضاء الكبيرة تلقي بظلال أضخم في ضوء الصباح الباكر. تصطف الجدران بالمقصورات حيث تقضم الخيول التبن، وتنظر إليّ بفضول.

جالت نظراتي فوق جنديين من الإمبراطوريين يقفان إلى يساري، يرافقهما ثلاثة خيول مسرجة للرحلة التي تنتظرنا. جززتُ على أسناني. لقد سحب الملك جنديين من مناوبات «حي النشالين» كإجراء وقائي، رغم أنني أكثر من قادر على تولي الأمر بمفردي. لكن يبدو أنه في ليلة واحدة، بدأ والدي

فجأة يهتم بسلامتي. لقد استغرق الأمر تسعة عشر عامًا وحقيقة أنني صرت الآن ذا قيمة بالنسبة له.

هزرتُ رأسي وامتطيتُ الحصان الأقرب إليّ، مبتلعاً كبريائي بما يكفي للاعتراف بأنه من الحكمة وجود "إمبراطوريين" معي في حال حدوث عملية نفي.

كانت الرحلة إلى «حي النشّالين» طويلة، وقضيناها في صمت مطبق. بدأت الشوارع تتحول تدريجياً إلى عشوائيات كلما توغلنا في المدينة، واستطعتُ شم رائحة زقاق السوق الكبير قبل الوصول إليه.

رائحة السمك والدخان المألوفة وغيرها من الروائح المجهولة استقبلتني ونحن ندخل «حي النشّالين». صدى حوافر خيولنا وهي تطرق حجارة الرصيف غير المستوية يرتد عن جدران المتاجر المتهاكمة التي تصطف في الشارع. كان قلة من المستيقظين مبكراً يفسحون الطريق لنا، وهم يشيرون إلينا ويهمسون.

انعطفنا يساراً في شارع أصغر يتفرع من الزقاق الرئيسي، وتوجهنا نحو كوخ خشبي صغير. قفزتُ عن حصاني دون تردد وألقيتُ بالأعنة في يد أحد "الإمبراطوريين" المكسوة بالقفاز، تاركاً إياه يتولى مهمة تأمين الحيوان.

إن كان لا بد من وجودهم هنا، فليكونوا مفيدين لي على الأقل.

خطوتُ نحو الباب، وأخرجتُ يداً من جيبي لأطرق. سمعتُ صوتاً من الداخل، تبعه صوت خطوات ثقيلة قبل أن يفتح الباب بصريير مفصلاته الصدئة.

رجل ضخم ذو بنية قوية ولحية كثيفة وشعر أكثر كثافة يحدق في المشهد أمامه. دهشتُ كيف أمكنه العبور من إطار الباب. اتسعت عيناه الزرقاوان تحت حاجبيه الكثين وهو ينظر إليّ وإلى الجنديين اللذين صارا يحيطان بي الآن.

قال الرجل، وقد بدا عليه الدهول والارتباك في آن واحد:

– «الأمير كاي...؟»

ثم تابع بصوت مرح مصطنع تردد صداه في الشارع، منبهاً جيرانه على الأرجح وهو يمد يده للمصافحة:

– «أهلاً، يا له من شرف!»

كانت قبضته قوية وبها آثار خشونة، تماماً كقبضتي. سألتُه:

– «ناثان، أليس كذلك؟»

أوماً برأسه، فتابعْتُ:

– «لدي بضعة أسئلة أطرحها عليك بشأن أحد "العاديين" الذي وُجد هنا في حي "النشالين". أنا متأكد أن هذا لا يمثل مشكلة.»

راقبته عن كثب، باحثاً عن أي إشارة تدل على أنه يعرف عما أتحدث. لا شيء. ظل وجهه جامداً تماماً. سألتُه:

– «أسمح لنا بالدخول؟»

لم يكن سؤالاً بل أمراً وهو يدرك ذلك. كانت قدمي قد تجاوزت العتبة بالفعل قبل أن يتنحى عن الباب.

لم يكن المنزل أكبر من غرفة نومي في القصر. في أحد جوانب الغرفة، رُصت أسرة صغيرة بجانب بعضها البعض بشكل غير متساو بمحاذاة الجدار. واحتل المطبخ النصف الآخر من الغرفة، مجهزاً بمغسلة متهالكة، ومنضدة خشبية مشققة، وطاولة كبيرة يحيط بها ولدان وسيدة، والذهول يكسو ملامحهم. بساط كبير باهت اللون يجمع جانبي الغرفة، وهو الديكور الوحيد وبقعة اللون الوحيدة في المنزل.

تنحنح ناثان قائلاً:

– «هذه زوجتي، ليلي.»

ابتسمت بحرارة، فبرز بياض أسنانها بوضوح مقابل بشرتها الداكنة وهي ترمق الجنديين اللذين يتبادلان الوقوف خلفي.

وتابع ناثان وهو يشير إلى كل من طفليه ويسمييهما:

– «وهذان ولداي، ماركوس وكال.»

أبقى ماركوس عينيه مثبتتين على الطاولة، ولم يجرؤ على النظر إليّ، بينما كان شقيقه الأصغر، كال، يفيض بالفضول لدرجة منعه من كبح نظراته الخاطفة نحوي.

استخدمت قوتي، متأكداً من أن أحداً منهم ليس هو "العادي" المختبئ على مرأى من الجميع. إن قدرتي كـ مستحوذ (ويلدر) مفيدة بشكل خاص في عملي كـ "منفذ"، مما يجعل مهمتي أسهل وأكثر كفاءة بكثير.

ناثان من الأقوياء (بروني)، ولم أتفاجأ البتة فهو رجل كالجبل. أستطيع أن أشعر بقوة ليلي كـ معالجة (هيلر) وهي تفور في دمي، بينما يمتلك ماركوس وكال قوى من الطبقات العادية؛ ماركوس يمتلك قدرة كشف الكذب، وكال كـ معزز (إنهانسر) بفضل حواسه المرهفة.

قلت ببرود:

– «أنت تعرف لماذا أنا هنا. هل رأيت أو سمعت أي شيء عن أحد "العاديين" يختبئ في الجوار؟»

أجابت ليلي، وصوتها الرقيق ثابت:

– «لا يا سيدي، لم نفعل.»

جالت عينايا في أنحاء المنزل مرة أخرى، وتوقفتا عند المغسلة. كانت الأطباق التي لا تزال عالقة بها آثار العصيدة مكومة بداخلها، بانتظار تنظيفها. خمسة.

خمسة أطباق بينما لا توجد سوى أربعة أفواه لإطعامها.

مثير للاهتمام.

قلت:

– «حسناً، إذن لن تمانعوا إذا ألقيت نظرة في الأرجاء؟»

مرة أخرى، لم يكن سؤالاً. تمشيتُ بهدوء في المنزل الصغير، متوقفاً بين الحين والآخر لفحص شيء ما عن كثب. شعرتُ بعيون جنديي وعيون العائلة تخترق ظهري وأنا آخذ وقتي في تفقد المنزل، ويدي في جيبتي بمنتهى الهدوء. لا يبدو أن هناك أي شيء خارج عن المألوف.

كنتُ على وشك اعتبار هذا الطريق مسدوداً ومضيعة لوقتي حين وقفتُ في منتصف البساط المزخرف، الذي بهت لونه من أثر الأقدام طوال سنوات. دوى صرير تحت حذائي. توقفتُ ونقلتُ وزني، مستمعاً للصوت مرة أخرى. وبالتأكيد، أنَّ الخشب مجدداً تحت البساط. مثير للاهتمام.

رغم أن وجه ناثن ظل جامداً، إلا أن الدماء هربت منه، فصار شاحباً كجثة.

– «ارفعوا السجادة،» قلتُها بجفاء للحراس، وعينا لا تفارقان العائلة. وحينها لمحتُ شعوراً ألفه تماماً، الشعور الذي اعتدتُ أن يرافق حضوري أينما حللت. الخوف.

ومع طي السجادة، ظهرت حدود باب سري، يتماهى بسلاسة تكاد تكون تامة مع بقية ألواح الأرضية الخشبية القذرة.

ذلك الارتطام... هذا هو الصوت الذي سمعتُ إغلاقه حين كنتُ في الخارج.

انطلقت شهقة مكتومة من صدر ليلى حين جثوتُ وفتحتُ الباب السري، كاشفاً عن حيز ضيق ومظلم بالأسفل. هناك، منكشحة في الزاوية وتضم ركبتيها إلى صدرها، كانت تجلس فتاة صغيرة. وحين رفعت بصرها إليّ، كانت جذوة النار في عينيها تضاهي الحمرة الصارخة لشعرها الطويل. يا للأقدار، إنها صغيرة جداً.

لا يمكن أن يتجاوز عمرها الثماني سنوات، لكنها لم تقاومني حين مددت يدي ورفعته من ذلك الصندوق الرطب. وضعتها على الأرض حيث راحت تحديقاً بتحدٍ، ولم ألمح ذرة خوف واحدة على وجهها الصغير المنمش. تحسستُ بوجداني أيَّ أثر لقوة تنبع منها، فقط لأتأكد. لا شيء. لا يوجد أيُّ شيء غير عادي في هذه الفتاة—لأنها عادية. بدأت صرخات مخنوقة تملأ الغرفة.

— «لا، لا، لا!» دوت صرخات ليلى المرتجفة بين الجدران. «لا يمكنك أخذها! لا يمكنك! إنها ابنتي، أتوسل إليك!»

اعترض جنود الإمبراطورية الطريق بيني وبين العائلة الثائرة، لكنني دفعتهم جانباً بانزعاج. كان الصبيان ينتحبان الآن، متشبثين بساقي أمهما، بينما بدا ناثن مذهولاً، والدموع الصامته تنزلق على وجنتيه لتختفي في لحيته الكثة.

— «اهدأوا، وأخبروني من أين أتت هذه الفتاة، ومنذ متى وأنتم تؤوونها؟» كان صوتي منخفضاً وحازماً، يشق طريقاً وسط الفوضى.

فهذه الفتاة الصغيرة التي تقف أمامي لا تشبه هذه العائلة في شيء، بنمشها وشعرها الأحمر القاني. ناهيك عن أن كلاً من ناثن وليلى من النخبة، وهذا يعني أنهما لا يمكن أن ينجبا طفلة عادية أبداً.

— «لقد... لقد بقيت هنا لثلاث سنوات.» ارتجف صوت ليلى، والشهقات تمزق جسدها الضئيل. «لقد وجدناها في الشوارع، فأويناهنا. كنا نتمنى ابنة، ولم أكن قادرة على إنجاب المزيد من الأطفال...» خفت صوتها وهي تمسح وجهها. «أنا واحدة من المعالجين القلائل في العشوائيات، وقد بدت لي طفلة سليمة وقوية. لذا، حين وجدنا أبيجيل، استطعنا أخيراً... استطعنا أخيراً الحصول على ابنة صغيرة.» أبيجيل.

ليتني لم أعرف اسمها. ليتني لم أضطر لإضافة اسم آخر إلى تلك القائمة اللامتناهية لأولئك الذين تعثر حظهم العاثر بطريقي، وتعثر حظهم بالملك.

تنفستُ الصعداء.

لقد حانت اللحظة.

– «أنتم تعرفون القانون.» ملأت الغرفة مزيد من شهقات الندب، مما اضطرني لرفع صوتي. «بموجب مرسوم الملك، يُعدم كل العاديين. أما كلُّ من يؤوي هؤلاء العاديين، فيُنْفى إلى الاراضي المُحرّقة –»

كنتُ في منتصف تلاوة تلك الجمل المحفوظة التي رددتها عشرات المرات، حين اندفعت نحوي هيئة ضخمة صلبة. اختفت تلك النظرة الفارغة التي كان يرتديها قبل لحظات، وحلت محلها كراهية شوهت ملامح وجهه بسعر من الغضب. ارتطم ناثن بمنتصف جسدي ودفعني نحو الجدار، فانتزع الهواء من رئتيّ بينما اصطدم مؤخر رأسي بالخشب الصلب. سيؤلمني هذا كآلف طاعون غداً.

سمعتُ من بعيد صرخة تمزق حنجرة ليلي، مع وقع خطوات جنود الإمبراطورية الثقيلة وهم يركضون للتدخل.

– «لا!» صرختُ فيهم، وأنا أحنى رأسي متفادياً لكمة وجهت لأنفي، بينما توقف الحراس في حيرة. «سأتولى أمره بنفسي.»

سدد لكمة أخرى، كانت تهدف لت هشيم فكي. تفاديتها في اللحظة المناسبة لأرى قبضته ترتطم بالجدار الخشبي حيث كان وجهي، فتطايرت الشظايا حين اخترقت يده الخشب تماماً.

استيقظت غرائز القتال لدي، ولم أكلف نفسي عناء استدعاء قوة ناثن. وبينما كانت قبضته لا تزال غارقة في الجدار، انحنيت تحت ذراعه الممدودة وأمسكت بمعصمه، لافاً ذراعه خلف ظهره ليضغط تحت لوح كتفه الأيسر. أن من الألم قبل أن يرفس ركبتي بقوة. سرى الألم في ساقي بينما أفلت من قبضتي، رافعاً قبضته ذات القوة الخارقة للطبيعة.

متجاهلاً الألم في ركبتي، انحنيت ومسحتُ ساقي في قوس واسع، لترتطم بكاحليه وترسله منبطحاً على ظهره. ثم صرتُ فوقه، مثبتاً ذراعيه بركبتيّ بينما سمحتُ لقوته كواحد من الأقوياء (براوني) بالتغلغل في عروقي، لعلمي أنني لن

أستطيع تثبيته دون استخدام قوته ضده. كان يتخبط، كاشفاً عن أسنانه في وجهي.

– «اخرس واستمع إليّ،» قلتُها وأنا ألهث. «يمكننا فعل هذا بالطريقة السهلة، أو الطريقة الصعبة. وشخصياً، أفضل السهلة.»

– «إنها ابنتي!» صرخ بآلم، وجذوة العذاب في عينيه وهو يحاول إزاحتي عنه.

– «حسناً، من الواضح أنك لا تبالي بمشاعري، لأنك تصر على الطريقة الصعبة.» تنهدتُ، ثم سددتُ لكمة قوية إلى فكه. ارتد رأسه جانباً، فتركه ذلك مذهولاً بما يكفي لأحدث. «إذا لم تتعاون، فلن تملك حتى زوجتك القدرة على علاج جسدك المحطم حين أنتهي منك. لذا، أقترح عليك أن تشكرني لأنني لم أقتلك هنا أمام عائلتك، وأن تفعل ما أقوله بالضبط.»

سكن ناثن تحتي، وبدا أن رغبة القتال قد نضبت من عينيه. تحركتُ، وجثوتُ بجانبه أحرق في هيئته المهزومة.

– «الآن، انهض قبل أن أغير رأيي،» همستُ بذلك قبل أن أقف على قدميَّ. وحين لم يتحرك، أضفت: «الصبر غريب عني تماماً كالرحمة، لذا لا أنصحك باختبار حظك.»

عندها، نهض متخبطاً ووقف أمام عائلته المنكمشة، يحجبهم عني. يحميهم من وحش. أبقىْتُ عينيَّ معلقتين بمشهدهم، أتأمل الدموع المنهمرة على وجناتهم والشهقات التي تفلت من شفاههم بينما كنتُ أصدر الأوامر لجنود الإمبراطورية.

هرعوا لتنفيذ أوامري، مقيدين الأسرى بينما أضفتُ بلهجة عابرة:

– «اسلكوا الشوارع الجانبية. يبدو أنني في مزاج جيد اليوم. أشعر بشيء من الرحمة إن شئتم،» زفرتُ الكلمات بصعوبة. «لذا لا أرغب في وجود جمهور.»

دمدم الجنود بالموافقة، وعلى وجوههم ابتسامة خفيفة لسخريتهم من مفهومي عن الرحمة. وفي غضون دقائق، كان ناثن وليلى وولداهما مقيدين

ويسیرون خلف الخیول. كانوا یلوون رؤوسهم، والكره یشتعل فی نظراتهم وهم یراقبون أبیجیل المقیدة والمثبتة بإحكام فی قبضتی.

إنهم یعرفون ما سیحدث الآن. فسمعتی تسبقنی، وقصص "الوحش القاتل" تُهمس فی أرجاء الشوارع.

هذا هو الجزء الذی أقتل فیة العادیة، بینما یقتاد الجنود المجرمین إلى الاراضي المُحرقة حیث سیلحقون بها إلى الموت على الأرجح. فمع حرارتها اللافة نهاراً وبرودتها القارسة لیلاً، لیس من السهل أبداً الوصول إلى الجانب الآخر من الصحراء حیث تقع مدینتا دور وتاندو. ناهیک عن أنني حکمتُ للتو على هذه العائلة بمحاولة فعل ذلك دون مؤونة، ولا طعام، ولا ماء، ولا أمل.

إنه موتٌ أكثر إیلاماً بكثير مما ستعانیة ابنتهم العادیة.

– «أرجوك! أتوسل إليك، ارحمها!» كانت لیلى تصرخ فی وجهی بین شهقاتها وهي تتعثر فوق الحجارة خلف الخیول. «إنها مجرد طفلة –»
مدّ جندي یده من فوق حصانه ولطمها على وجهها، قاطعاً توسلها:
– «اخرسی، أیتها المتشردة.»

انتزعتُ عینی من ذلك المشهد، وسحبتُ الفتاة بعيداً فی الشارع. كانت محاولاتها الواهنة للإفلات من قبضتی تبدو مضحكة لولا الموقف المأساوی الذی نجد أنفسنا فیة.

كانت هادئة بشكل مریب بالنسبة لطفلة تُجر إلى حتفها. فمعظم العادیین یصرخون فی مثل هذا الموقف، یتوسلون ویساومون من أجل حیاتهم. لكن صراعها كان صامتاً، ونظرتها كانت ثاقبة. أبقيتُ عینی مثبتتین على الأزقة الخالیة التي نسلکها، متسائلاً عن مدى الخبرة التي یجب أن یمتلكها المرء فی إخفاء حقیقته کی یتمكن من إخفاء مشاعره حتی وهو یواجه الموت.

اتجهتُ بنا نحو زقاق مظلم، لم تلمسه بعد خیوط الشمس الشاحبة التي بدأت تصبغ المملكة باللون الذهبی. كانت أبیجیل –العادیة– تتلوی، محاولةً الإفلات من قبضتی للمرة العاشرة. نظرتُ إليها، والسخریة تغلف صوتی:

– «أنتِ مخلوقة عنیده، ألیس كذلك؟»

زفرت بضيق، مما جعل شعرها الناري يتطاير حول وجهها قبل أن توجه
ركلة قوية إلى ساقِي. كنتُ لأعجب بجرأتها لولا ضيقي المتزايد. جثوتُ أمامها
لتلتقي عيناها بعينيها الخضراوين الغاضبتين. وحين رفعت ساقها لتسد ركلة
أخرى، قلتُ بهدوء:

— «ما كنتُ لأفعل ذلك لو كنتُ مكانك.»

رمشت بعينيها، وحين ظننتُ أنها امتثلت لتحذيري، دهست قدمي بقوة
قبل أن تحاول جذب ذراعها من قبضتي دون جدوى. ثم بدأت تصرخ وتتخبط
في محاولة للهرب مني.

— «حسناً، لا يمكننا السماح بذلك.» انسلّ خنجرٌ من حذائي وهمست:
«يبدو أنك لن تجعلي هذا الأمر سهلاً علي.»

عند رؤية الخنجر، ابتلعت ريقها، وسكنت فجأة.

— «اغرزها في قلبي فحسب،» قالتها فجأة وعيناها معلقتان بالخنجر،
بصوت رقيق لا يملكه إلا طفل. «سمعتُ أُمِّي تقول إنها طريقة أسرع.»

— «أهكذا قالت؟» سألتها بهدوء. «هناك طرق سريعة أخرى أيضاً، كما
تعلمين.»

وأنا أعرف كل واحدة منها.

راقبتُ جفلتها وأنا أقرب الشفرة منها، ورأيت عينيها تتسعان وهي تسمح
لنفسها أخيراً بالشعور بالرعب الذي كانت تحاول جاهدة إخفاءه. ثم أخذت
نفساً عميقاً بدا وكأنه قبول بالقدر، قبل أن تغمض عينيها بقوة أمام وجه
الوحش الذي يقف أمامها.

قطعت الشفرة الرباط، قطعتُه بسهولة.

الفتاة—

أبيجيل.

— استنشقت نفساً مرتجفاً.

بعد لحظة طويلة، انفتحت عين خضراء دامعة بحذر. رمشت بعينيها والقيود تنزلق عن معصمها المجروحين لتسقط عند قدميها. انتقلت نظرتها من قلبها الذي لم يُصب بأذى إلى وجهي، قبل أن تستقر على الخنجر في يدي.

– «ألن تغرزه في قلبي؟»

ارتجفت شفتاي بابتسامة خفيفة.

– «اسمعيني جيداً يا أبيجيل. لقد قطعتُ قيودك، والآن عليك ردُّ الجميل. أريدك أن تبقي صامته وتكفي عن المقاومة.» تفرستُ في وجهها وأضفت:

«مفهوم؟»

لم أنتظر إجابة قبل أن أبدأ مجدداً باقتيادنا عبر الشوارع والأزقة. ويبدو أنها فهمت مرادي جيداً، لأنها كانت تسير بجانبني بتصلب وصمت، ولم تحاول الإفلات من قبضتي.

حين بدت الاراضي المُحرقة في الأفق، ظهر جنديان من الإمبراطورية يقفان عند حافتها. لم يعيرا أي اهتمام للعائلة التي كان من المفترض أن يراقباها وهي تتوغل في الصحراء، والتي باتت الآن مجرد أشباح ضئيلة في الرمال. أطللتُ برأسي من خلف جدار زقاق، مراقباً الجنديين وهما يتبادلان حديثاً عابراً. وبعد وقت قصير، هزا أكتافهما واستدارا ليعودا إلى الشارع.

كالعادة.

كنتُ أعول على كسل الحراس المتوقع وفشلهم في إنهاء مهامهم. ولم أكن أرغب في استعراض العائلة المنفية في الشوارع كما جرت العادة، لأنني حينها سأجد حشداً يشهد على خيانتني.

بمجرد مرورهما، تسللنا إلى الشارع واتجهنا نحو الرمال. كانت العائلة قد ابتعدت كثيراً، وبما أنني أشعر ببعض الكسل أنا الآخر، استدعيتُ قوة الوميض (فلاش) من أحد الجنود. سيخرج عن نطاقي قريباً، لذا سارعتُ بحمل الفتاة والركض نحو الصحراء.

كدنا نصل إلى العائلة حينما بدأ البعد يلاشي قوة الوميض من عروقي.
جفل ناثن عند سماع صوتنا خلفه واستدار، واتسعت عيناه حين وقعت على
أبيجيل بين ذراعي.

ركضت ليلي نحونا وضمت الفتاة بين ذراعيها في لحظات، بينما أحاطت
العائلة بأكملها بهما. انفجروا في البكاء بينما تنحيتُ جانباً، وقدماي تغوصان
في الرمال الحارقة التي بدأت تتسرب إلى حذائي.

ثم التفتوا نحوي، وعيونهم تشتعل بحرارة أشد من الشمس التي تضرب
رؤوسنا. نطق ناثن بكلمة واحدة فقط، منخفضة ومشحونة بالكراهية:

– «لماذا؟»

أخرجتُ خنجري وقطعتُ القيود حول معصميه بحركة واحدة سريعة،
وقابلتُ نظرتَه وأنا أقول:

– «أنا لا أقتل الأطفال.»

يا لي من منافق.

وكان هذا ليس بالضبط ما أفعله. في الحقيقة، أنا فقط أُؤجل ما لا مفر
منه. لكن على الأقل، سيكونون معاً في النهاية—سخرية من الرحمة لا أمنحها
إلا للأطفال.

تحركتُ على طول طابور السجناء المذهولين، قاطعاً قيود أيديهم. نظرتُ
في عيني كل منهم، وكانت عيون معظمهم لا تزال مغرورة بالدموع، قبل أن
ألتفت إلى الفتاة الصغيرة. العادية.
أبيجيل.

مشيتُ نحوها ببطء وجثوتُ على ركبة واحدة، غائصاً في الرمال الساخنة
لنصبح في مستوى واحد. ورغم أنها لم تنطق بكلمة، إلا أن عينيها قالتا الكثير.
إنها مجرد طفلة، ومع ذلك أرى قدراً هائلاً من التصميم خلف نظرتها.

ربما لا تحتاج إلى قوى لتكون قوياً.

مددتُ يدي إلى جيبِي، وأخرجتُ خنجراً صغيراً. كان مقبضه الأبيض محفوراً بتموجات ذهبية، لكن شفرته الصغيرة كانت حادة. مددته نحوها.
- «كلُّ فتاة تستحق شيئاً يضاهيها جمالاً وفتكاً»، قلتُ ذلك وأنا أحثها على أخذ الخنجر. رمقتني بحذر قبل أن تمد يدها الصغيرة لتنتشله من كفي.
«استخدميه بحكمة.»

مررتُ يدي في شعري وأنا أقف بتنهيده.
- «وفقاً لقوانيننا وبمرسوم الملك إدريك، أحكم بنفيكم من مملكة إيليا لارتكابكم جرم الخيانة العظمى.»
وبهذا، شاهدتُ ناثن وهو يضع ذراعه حول زوجته التي مدت بدورها ذراعها ليحتضن أطفالها بعضهم بعضاً.
استداروا كجسد واحد.
وراقبتهم وهم يسرون نحو حتفهم.



الفصل 6

كاي

رغم الألم الذي يصرخ به تورم ركبتى معترضاً، إلا أنني أرغمتُ نفسي على السير بخطوات متزنة. وبحلول الوقت الذي عدتُ فيه إلى «حي النشّالين»، كانت شمس الأصيل قد غمرت الشارع بتوهج دافئ. لطالما راقني التواجد هنا؛ فلا شيء يمتُّ للملوكية بصلة في عشوائيات إيليا، ومع ذلك، فإن بها انتعاشاً يعجز القصر الخانق عن توفيره.

جالت عيناى يمناً ويسرة وأنا أشق طريقى عبر الحشود المنشغلة بالمساومة والسباب والتسوق. سمحتُ لنفسي بلحظة أتشرب فيها مناظر وروائح «حي النشّالين» – وكلاهما لا يسرُّ الناظرين. فكل ما هنا باهت، مسلوب اللون؛ اللافتات، الطعام، وحتى الناس. وبحلول منتصف النهار، لا تفوح من الشارع سوى رائحة الأجساد المتصببة عرقاً والطعام المشكوك في أمره. ولكن رغم كل هذا، فإن «حي النشّالين» يضج بالحياة.

تتدافعني الحشود في اتجاهات شتى وكأنني في تيار بشري، وأنا أصارع للإفلات من هذا الموج البشري. انسللتُ أخيراً نحو زقاق أصغر وأقل ازدحاماً، حيث يتكور المشردون قبالة الجدران؛ بعضهم يستجدي المال، بينما يستخدم البعض الآخر قواهم لتسلية أنفسهم. ورغم أن العشوائيات هي موطن العاديين



في المقام الأول، إلا أنني لمحتُ أفراداً من نخبة الدفاع متناثرين بينهم. لفت انتباهي الوهج الأرجواني لحقول الطاقة التي تكتنف بضعة أشخاص، بالإضافة إلى لامع (شيمر) يتلاعب بالضوء من حوله ليحيله إلى شعاع منطلق، متسلماً به مع قطعة ضالة.

واصلتُ سيرتي وأنا أتأمل ما حولي، غير عابئٍ بالطريق أمامي. ويبدو أن الشخص الذي ارتطم بصدري مع مهمة مكتومة لم يكن يعير الطريق اهتماماً هو الآخر.

وبغريزة فطرية، مدتُ يديَّ لأُسد هذا الشخص قبل أن يسقط أرضاً من قوة الارتطام، ملتفةً ذراعي حول خصره. بل خصرها. فالجسد الذي أحتضنه يعود بلا شك لأنثى، وإن لم يكن ذلك كافياً، فإن خصلات الشعر الفضي الطويل التي تلامس ذراعيَّ تقطع الشك باليقين.

هي صغيرة الحجم لكنها صلبة، وأكثر نحافة من معظم الفتيات الهزيلات في العشوائيات. أستطيع أن أستشعر ذلك في انحناءة خصرها حيث تستقر يديَّ بارتياح، رغم أنه من الجلي أن سوء التغذية قد سلبها معظم العضلات التي كانت تمتلكها بوضوح في يوم من الأيام.

راحة يدها مضغوطة على صدري، حيث يحيط خاتم سميكة بإبهامها. وبعد ثوان معدودة من تأملها وهي تحاول استعادة توازنها، أطلقت زفرة مرتجفة قبل أن تلتقي عيناها بعينيَّ.

كان الأمر أشبه بالغرق في المحيط.

عيناها بلون أعمق نقطة في بحر «المستنقعات»، بلون سماء صافية حين تبدأ في الانزلاق نحو الليل، أو كدرجة خافتة من زهرة "لا تنساني". ومثل أشد النيران حرارة، كانت عيناها زرقاوين ومفعمتين باللهب. عظام وجنتيها المرتفعة تقود إلى حاجبين داكنين وقويين بالقدر ذاته، وقد ارتفعا قليلاً الآن وهي تتفحصني.

اتسعت عيناها المحيطيتان، وراقبتُ تورداً خفيفاً يغزو وجنتيها حين أدركت مدى قربى منها وأنا لا أزال أحتضنها. سحبت يدها عن صدري، ومثل أي رجل نبيل، أزحتُ يديَّ عن خصرها بينما كانت ابتسامة تتجاذب شفتيَّ.

– «هل تسقطين دائماً في أحضان الغرباء الوسيمين، أم أن هذا طقس جديد تمارسينه؟»

قلتُ ذلك، وأنا أراقب ابتسامة ماكرة تكاد تضاهي ابتسامتي ترسم على شفتيها، رغم انشقاق شفتها السفلية.

مثير للاهتمام.

– «كلا، في أحضان المغرورين منهم فحسب.»

أجابتنى والسخرية تقطر من كل كلمة. كانت تحمل نفسها بثقة معينة تخبرني أنه كان هناك وقت لم تكن فيه كذلك. وهكذا، وببساطة، شعرتُ بفضول مباغت ومزعج يراودني.

من الواضح أنها لا تدرك من أكون. ممتاز.

ضحكتُ على تعليقها ومررتُ يدي في شعري، دون أن أفصح كثيراً في ترتيبه. كانت تراقبني عن كثب، وبشدة، وكأنها مهتمة بي بقدر اهتمامي بها.

غرقتُ في عينيها الزرقاوين. في كل مرة تلتقي فيها نظراتنا، كان الأمر كجليد يعانق أشد النيران حرارة، كضباب رمادي يتصاعد فوق المحيط الأزرق العميق. أشحتُ بنظري لبرهة قبل أن أقول:

– «حسناً، يبدو أنني تركت انطباعاً أول قوياً إذن.»

– «أجل، رغم أنني لم أقرر بعد ما إذا كان انطباعاً جيداً أم سيئاً.»

ارتجفت شفاتها بابتسامة خفيفة، من ذلك النوع الذي يجعل الرجل يلتفت فقط ليحظى بلمحة أخرى منها على أمل أن تكون موجهة إليه. وهذه الإيماءة الدقيقة والصغيرة وحدها تخبرني أنني لستُ أول من تدربت عليها معه.

تسللت يداي إلى جيوبي، وهزئتُ كتفيَّ بلامبالاة وأنا أستند إلى جدار الزقاق القذر.

– «لقد أمسكتُ بكِ قبل أن تسقطي، أليس كذلك؟»

ضحكت، وكان صوت ضحكتها دافئاً ولكنه حاد. مرحاً ولكنه ينطوي على ألم، وكأن السعادة ليست بالشيء المعتاد بالنسبة لها. أمالت رأسها للخلف قليلاً، ليتدلى شعرها الفضي المموج حتى خصرها تقريباً وهي تنظر إليّ، وعيناها متغضنتان من الضحك.

ملتُ نحوها قليلاً، مجازفاً بتقليص بعض المسافة بيننا.

– «ربما عليكِ وضع تلك التفصيلة في الاعتبار قبل أن تقرري يا عزيزتي.»

ومع تلك الكلمات، انتابني فضول مفاجئ؛ فضول لمعرفة أي قوة تمتلكها. لذا مددتُ حواسي نحو قدرتها مستخدماً قدرتي. لا شيء. لم أشعر بشيء.

تفرستُ في وجهها وأنا أحاول مراراً وتكراراً استشعار قوتها. في العادة، هذه هي اللحظة التي ألقى فيها الفتاة على كتفي وأحملها إلى الزنازين لمزيد من الاستجواب، أو أقتلها على الفور لمجرد الاشتباه في كونها من العاديين. ومع ذلك، لم أتحرك.

أنت مرهق. مصاب. قد يكون هذا مجرد خطأ.

وقبل أن يتسنى لي تحديد مصيرها، تراجعت خطوة نحو الزقاق المزدحم.

– «سأضع ذلك في الاعتبار يا عزيزي.»

منحتني ابتسامة صغيرة، محتفظة بتواصلنا البصري بينما واصلت تراجعها.

– «وشكراً لإنقاذني من أكل حجارة الرصيف. يبدو أنني ملعونة بالخرق.»

– «حسناً، خرقك قadak إليّ، لذا لا يمكنني وصفه باللعنة بأي حال.»

اتسعت ابتسامتي حين قلبت عينيها بضجر قبل أن تستدير على عقبيها وتتوجه عائدة نحو «حي النشّالين». سمحتُ لنفسي أخيراً بتمرير نظري عليها، متأملاً البنطال الأسود الضيق والصديري الزيتوني اللذين يغطيها الآن شعرها الفضي. لا شيء في طريقة مشيتها يعطيني الانطباع بأنها تنام في الشوارع، رغم أن ملابسها الممزقة وشفتها السفلية المجروحة تخبرني بعكس ذلك.

مررتُ يدي على وجهي، مدركاً أنني بقيتُ أهدق في أثرها لفترة أطول مما ينبغي. لذا، استدرتُ وبدأتُ أشق طريقي في زقاق صغير آخر، كان هادئاً الآن في ضوء الشمس الغاربة، وأفكاري مشغولة بحقيقة أنني ربما تركتُ للتو شخصاً من العاديين يرحل حراً طليقاً.

لكنني لم أكن مشتتاً لدرجة تمنعني من ملاحظة الظلال الأربعة الضخمة التي برزت على جدار الزقاق بجانبني.

— «اسمع،» قال صوت أجش يعود لأحد الرجال خلفي. «كل ما نريده هو كيس العملات الجميل المعلق بحزامك. سلمه لنا، ولن يضطر أحد للتأذي.» أطلقتُ زفرة متعبة، ضاغطاً بأسفل راحتيّ على عينيّ.

هذا اليوم يزداد سوءاً على سوء.

وحينها فقط أدركتُ الأمر.

مع انتباهي أخيراً إلى كيس العملات المعلق بجانبني، لاحظتُ فجأة مدى خفته مقارنة بما كان عليه سابقاً—

قبل أن ألتقي بها.

يا لتلك الـ—

تحرك ظل على الجدار، مندفعاً نحوي. استدرتُ بسرعة، متفادياً لكمة الرجل قبل أن أسدد لكمتي إلى معدته. وبهمهمة مكتومة، انحنى الرجل وهو يسعل، بينما أخذتُ أتفحص البقية.

اثنان من الأقوياء (براوني)، ومشتعل (بليزر)، وزاحف (كراولر).

لا يجد طريقهم إلى العشوائيات لضرب المتسولين من أجل بضع عملات يملكونها، سوى أكثر أفراد نخبة الدفاع والهجوم يأساً. ومع وضع ذلك في الاعتبار، سمحت لقوة المشتعل بالتسرب إلى عروقي، وباركتُ السنة اللهب لتتراقص فوق قبضتي.

اندفع القوي الآخر نحوي بابتسامة واثقة.

إنهم دائماً مغرورون. وهذه شهادة مني.

انخفضت قليلاً قبل أن يصطدم بي مباشرة، فدفعته قوة اندفاعه ليتدحرج فوق ظهري ويسقط بقوة على حجارة الرصيف. هوت قبضتي المشتعلة على فكه، فزكمت رائحة اللحم المحترق المقرزة أنفي.

رفعت نظري لأرى الزاحف يتسلق الجدار، قاصداً الانقراض عليّ لتثبيت جسدي بالأرض. وفي اللحظة التي قفز فيها من حيث كان يتشبث بالطوب، تخلّيت عن قوة المشتعل واستدعيتُ قوة القوي. التقت قبضتي – التي باتت الآن تتمتع بقوة خارقة – بمعدة الزاحف في منتصف الهواء، فقُذِف للخلف ليرتطم بالجدار قبل أن يسقط أرضاً بصوت مكتوم.

تقدم المشتعل نحوي بخطوات وئيدة، وفمه ملتوي في زمجرة غاضبة. قذف كرة من نار في اتجاهي، فقفزتُ جانباً لتفادها – لكنني لم أكن سريعاً بما فيه الكفاية. أطلقت سلسلة من اللعنات الملونة حين لسعت النار الجزء الخارجي من عضلة ذراعي، لتحرق لحمي وتبطئ حركتي من شدة الألم.

كان عقلي يتسابق بسرعة تكاد تضاهي سرعة نبضات قلبي. لا يمكنني الاقتراب منه طالما أنه يجبرني على اتخاذ موقف دفاعي وتفادي نيرانه، لكنني أعلم يقيناً أنني إن بدأتُ برد نيرانه، فسنحرق الشارع بأكمله لا محالة.

لستُ في مزاج يسمح لي بهذا.

سمحت لقوة الزاحف بالزحف حرفياً إلى السطح قبل أن أقبض عليها. ركضتُ على طول جدار الزقاق وعلى امتداد المبنى، متفادياً كرات النار في طريقي، حتى أصبحتُ بمحاذاة. وفي حركة واحدة سريعة، قفزتُ من على

الجدار، فطرحته أرضاً قبل أن أبدل قواي بسرعة لأرفع قبضة مشتعلة نحو وجهه.

– «أ- أنت الأمير كاي،» تلعثم قائلاً. «ال... المنفذ المستقبلي.» بعد أن أصبحنا بهذا القرب، تعرف أخيراً عليّ وعلى قدرتي، ومن الواضح أنه يندم الآن على قراره بالانقضاخ على الأمير.

– «لسوء حظك، أنا هو.» سحبتُ قبضتي المشتعلة للخلف و-

اخترق ألم حاد جمجمتي كسكين ثلم.

انطفأت قوة المشتعل، ووجدتُ نفسي عاجزاً عن فعل أي شيء سوى الإمساك برأسي النابض بالألم، لاهثاً من شدته. لقد ألفتُ التعذيب تماماً على مر السنين، لكن هذا الألم لا يشبه أي شيء كابدته من قبل.

عبر ضباب العذاب الذي أعمى بصيرتي، رأيتُ هيئة طويلة تخطو إلى الزقاق. كان يده مرفوعة نحوي، ووجهه متجهم، وشفتيه الرقيقتين مشدودتين في عبوس.

خامد (سايلنسر).

مستحيل.

تشئت أفكاري، ولم يبقَ لي سوى الألم لأتأمله.

الخامد يخنق قوتي. يخذمني. يمكنهم فعل ما هو أكثر بكثير من مجرد تجريديك من قدرتك، ليجعلوك مجرد إنسان من العاديين. إنه يشل حركتي. عقلي، قدرتي، وجسدي.

بدأت رؤيتي تتشوش، وبقع سوداء تسبح أمام عيني.

قاوم.

لا أستطيع. سأفقد الوعي. أو أموت. أو كليهما. وليس بيدي حيلة لإيقاف ذلك.

قاوم.

انهار جسدي على الأرض، وارتطم رأسي بالحجارة.

لو رأني والدي الآن...

كنتُ أتلاشى بسرعة. ورغم كل تدريباتي، لم أشعر يوماً بهذا القدر من الضعف، والعجز، وفقدان السيطرة. أُلقيتُ نظرة أخيرة على الرجل الذي كان يمتص قوتي. لم أدرك أننا جذبنا حشداً صغيراً حتى رأيتُ وجوهاً تسبح في مجال رؤيتي المشوش.

إنهم لا يدركون من أكون.

جمهور غافل يراقبني وأنا أنزلق نحو الظلام.

أو ربما الأسوأ، أنهم يدركون تماماً من أكون. ربما يحتفلون بمشهد الوحش الذي يتم إسقاطه أخيراً، وتخليصه من بؤسه.

وحينها فقط لمح طرف عيني شيئاً ما.

رمشتُ لأبعد الضبابية عن عينيّ لفترة تكفي لرؤية شيء يلتمع في الضوء خلف الخامد—الشمس تنعكس على خصلات من الشعر الفضي.



الفصل 7

بيكان

سوف تنهار أدينا من فرط الصدمة، ثم ستطلق صرخةً مدوية تجعلني أسدُّ أذنيَّ بكل تأكيد. فأنا لم يسبق لي قط أن سرقتُ هذا القدر من العملات من شخص واحد؛ ولم تكن الفرصة لتواتيني أصلاً، فنحن في «حي النشّالين» لا يملك أغلبنا أكثر من اثني عشر شلناً فضياً، فما بالك بمن يحملها معه بتبخر واستهتار.

كان عقلي يموج بالأفكار بينما أشقُّ طريقي ببطء عبر الزقاق الذي بدأت الظلال تبتلعه مع غياب الشمس خلف المباني المتداعية.

هزرتُ رأسي بذهول وأنا أتمشى في السوق، أسمح لنفسي بلذة الاستمتاع بإنجازي. كان بعض التجار قد شرعوا بالفعل في حزم بضائعهم وإغلاق متاجرهم لليل. والأطفال يتراكمون في الشوارع يطاردون بعضهم البعض، غير مباليين بالنظرات المحتقرة والصيحات الغاضبة من المتسوقين الذين لا يزالون يتجولون في المكان.

انعطفتُ في زقاق جانبي، قريباً من المكان الذي سلبتُ فيه ذلك الشاب الغافل نقوده، وبدأتُ أتوجه نحو الحصن.

أكاد أتخيل تعابير وجهه أحياناً ترى ما جلبته —



توقفتُ فجأةً، وعيناي معلقتان بحشدٍ صغيرٍ تجمع في نهاية الشارع.
لا بد أنه أحد المُخفيين (فيل).

فليس من الغريب أن تساعد قدرة التخفي صاحبها على ألعاب الخفة؛ إذ يستخدمون قدرتهم لجعل الأوراق تختفي بلمحة بصر بمجرد الإمساك بها.
لطالما أُعجبتُ بعروضهم الخادعة الصغيرة التي يجنون من ورائها بعض الشلنات.

كنتُ على وشك العودة من حيث أتيتُ حين سمعتُ شهقاتٍ تتردد من بين الحشود، صدىً يصطدم بالجدران المتهالكة. لم تكن تلك الصيحات المعتادة من الإعجاب والدهشة التي تصاحب ألعاب الخفة، بل كانت شهقات رعب وصدمة. وحين غلبني الفضول، وجدتُ نفسي أنسلُّ خلف الحشود، أحشر جسدي بين الأجساد المتصببة عرقاً وأدفع طريقي إلى الأمام. وحين رفعتُ عينيَّ لأرى المشهد، لجمتني الصدمة، ووضعتُ يدي على فمي دهولاً.
إنه هو.

لم يمضِ على رؤيتي له أكثر من عشر دقائق، ومع ذلك كان قميصه الآن يلتصق بجسده من العرق، وهو يهْمُ بضرب الرجل الملقى تحته بقبضةٍ تشتعل ناراً. ثلاث جثث أخرى كانت مبعثرة على الحجارة خلفه، يحاول أصحابها النهوض بترنح قبل أن يفروا هاربين.

كان ما حدث هنا واضحاً كالشمس؛ من الجلي أن هؤلاء الرجال راودتهم الفكرة ذاتها التي راودتني حين رأيتُ كيس النقود يتدلى من خصره. لكنهم اختاروا وسيلةً أكثر عنفاً للحصول على المال—أو ما تبقى منه على الأقل.
رأيتُ الغريب يتفوه بشيءٍ للرجل قبل أن يرفع قبضته النارية، مستعداً لتوجيه الضربة القاضية.

وفجأةً، حدث خطأ فظيع.

رأيتُ الغريب يقبض على رأسه بألم، وتعبيره الواثق يتهاوى ليحل محله عذابٌ مطلق، حين خطت هيئةً من بين الظلال. لم أستطع رؤية وجهه، فظهره

كان نحوي، لكنه كان طويلاً ونحيفاً، يرفع يداً هزيلة نحو الغريب الذي يتخبط وجعاً على أرض الزقاق.
هذا مستحيل.

بدا الحشد من حولي في حالة ذهول وارتباك تماثل حالتي. وبيده التي لا تزال ممدودة، بدأ الخامد (سايلنسر) يخطو خطواتٍ صغيرة نحو ذلك الرجل ذي الشعر الأسود المنهار على الأرض.
إنه يشلُّ قوته. إنه يحطمه.

رأيتُ الغريب لا يزال يحاول المقاومة، يحاول التشبث بوعيه. كان المشهد مألوفاً بشكلٍ مرعب، ومقززاً لدرجة أنني كدتُ أتعثر بالرجل الواقف بجانبني.
هذا الغريب والرجل الذي رباني لا يتشابهان في شيء، ومع ذلك، بدا مشهد المنهار على الأرض يمتزج بصورة والدي. شعرتُ فجأةً بأنني تلك الطفلة الصغيرة مرة أخرى، أقف عاجزةً بينما والدي يلفظ أنفاسه الأخيرة أمامي.

جالت عيناوي بين الحشود المكددة. لم يتحرك أحد. حتى مع قواهم الخارقة، لم يخطُ أحدٌ خطوةً واحدة للمساعدة؛ إما غارقين في خوفهم، أو قست قلوبهم فلم يعد فيها متسعٌ للرحمة.

أعرف كيف ينتهي هذا. لقد عشته من قبل.

وحين نظرتُ مجدداً إلى الغريب، لم أرَ سواه... رأيتُ والدي.
أخذتُ نفساً عميقاً، وخطوتُ للأمام.

لن أقف مكتوفة الأيدي مرة أخرى. لم أستطع إنقاذ والدي، لكنني سأكرم ذكراه الآن عبر إنقاذ شخصٍ آخر من العذاب ذاته الذي ذاقه.
سأندم على هذا على الأرجح.

تسللتُ إلى حافة الحشد وبدأتُ بالزحف خلف الخامد. شعرتُ بأنظار الجميع تتحول نحوي، تلك الجموع تراقبني في صمتٍ مطبق. انحنيتُ خلف الرجل، ورأيتُ حجراً كبيراً سائباً فوق الرصيف فاخطفته.

فليكن ما يكون.

انتصبتُ بكامل قامتي خلفه مباشرةً ورفعتُ الحجر بصمت، ناويةً تهشيم
جمجمته—

لكن الحظ لم يحالفني.

استدار فجأة، وعيناه السوداوان تخترقان عينيَّ. وبتحول انتباهه نحوي،
أفلتت قبضته الساحقة عن الغريب، وسمعتُ أنين الأخير وهو يستنشق الهواء
بصعوبة على الأرض.

رفع الخامد يده النحيلة نحوي، وشعره الذي يصل لكتفيه يتطاير مع
الريح. إنه يحاول إخمادي.
كدتُ أبتسم.
عبثًا تحاول.

لم يحدث شيء، بالطبع، فليس لدي قوةٌ ليخمدها. نظر إلى يده، ثم إليَّ
بذهول تام. كان المنظر مضحكًا لدرجةٍ تجعل الضحك واجبًا، وتلك اللحظة
الخاطفة من التردد كانت كل ما أحताجه.

قبضتُ على معصمه، لافّةً ذراعه بزاويةٍ غريبة قبل أن أغرس ركبتي في
معدته. سمعتُ صوت الهواء وهو يهرب من رئتيه بينما كان يقبض على ذراعه
المتألّمة. ومع ذلك، اشتعل الأدرينالين في عروقي، وتعطشتُ للقتال.

ذكرني هذا بكل تلك الليالي المتأخرة والصباحات الباكرة مع والدي؛
ساعات التدريب في الحلبة الترابية خلف منزلنا.

«عليك تدريب عقلك وجسدك على حدٍّ سواء. طوعيهما،» كان يقول ذلك
وأنا أتفادى لكلماته، بينما أجيب على عشرات الأسئلة التي يطرحها ليختبر دقة
ملاحظتي. تدربتُ على كل سلاح وقعت عليه أيدينا، بينما كان والدي يدرب كل
جزءٍ في كياني—عقلي، جسدي، وقدرتي كمتبصرة.

إلى أن جاء يومٌ لم يعد فيه موجودًا ليدرّبنني. لم يعد موجودًا ليحميني. لم
يعد موجودًا ليواصل تعليمي كيف أحمي نفسي.

استعاد الخامد توازنه بسرعة، مسددًا لكمةً بذراعه السليمة، مما أيقظني من أفكاري. انحنيتُ تحتها ووجهتُ لكمةً يمينية صلبة إلى فكه. ارتفع ساعده بسرعة ليصد ضربتي، مجبرًا ذراعي على الهبوط لأسفل قبل أن يمسك بها ويديرني ليصبح ظهري ملتصقًا ب صدره. وحينها، طوقتني ذراعه الأخرى في قبضةٍ تخنق أنفاسي.

نازعتُ من أجل الهواء، محاولةً الحفاظ على هدوئي. قاومتُ الرغبة في خمش ذراعه التي تسحق قسبة هوائي بلا جدوى، وبدلاً من ذلك، ضربتُ برأسي للخلف بكل قوتي، لتصطدم جمجمتي بأنفه، فسمعتُ صوت تهشمٍ مقرز تلاه صوت تدفق الدماء.

الدماء.

لقد كانت تغطي أرضية منزلنا الصغير الواقع بين شارع التاجر وشارع إلم. غطتني، وغطت والدي. لم أعد إلى هناك منذ تلك الليلة التي هربتُ فيها؛ تلك الليلة التي غرز فيها الملك سيفه في صدر والدي.

ارتخت قبضة الخامد حول عنقي وهو يترنح للخلف، قابضاً على أنفه. لكنني لم أنتهِ منه بعد. ليس بعد.

نزعتُ الخاتم من إبهامي ودسسته في إصبعي الأوسط قبل أن أغرس قبضتي في وجنة الخامد، متجاهلةً الألم في يدي. أفلت يديه عن أنفه النازف، وحاول تسديد ضربةٍ أخرى، لكنني كنتُ أعلم أنها قادمة.

إنه يخطو دائماًً بقدمه اليسرى قبل أن يلكم.

صدتُ الضربة وأمسكتُ بكتفيه بينما غرزتُ ركبتي في معدته مرة أخرى. وقبل أن يستعيد أنفاسه، كنتُ قد أمسكتُ برأسه بين يديّ، وأنزلتُ أنفه المهشم بالفعل على ركبتي المنتظرة.

كنتُ أصبُّ كل غضبي في كل ضربةٍ أوجهها.

غضبي على الملك الذي تسلل إلى مكتب والدي حيث كان يجلس على مقعده الوثير، يقرأ في ساعةٍ متأخرة من الليل.

لكمة يمينية أخرى لفك الخامد.

غضبي وأنا أتذكر بوضوح صوت صرخة والدي حين اخترق السيف صدره، مما أيقظني من نومي فزعة.

ركلة إلى ما بين ساقي الخامد.

غضبي وأنا أرى والدي ينزلق من مقعده المحبوب إلى الأرض، يغرق في دمائه.

انحنيتُ ومسحتُ ساقي في قوس واسع، موقعةً الخامد أرضاً.

غضبي وأنا أمسك يد والدي، أصرخ وأتوسل إليه أن يستيقظ.

جلستُ هناك طوال الليل، وسروالي مبللٌ بالدماء، أحاول أن أفهم ما الذي يمكن أن يبرر قتله. لكن الملك لا يحتاج إلى سببٍ للقتل، بل هو من يمنح الناس سبباً ليعيشوا.

انهلتُ بالضرب على الخامد، بالكاد أدرك ما أفعله بينما كان عقلي يموج بالذكريات.

كنتُ مخدرة. يدي تطبق على يد والدي الباردة، أهرُجسدي جيئةً وذهاباً، والشهقات تمزقني. مسحتُ شعره البني عن عينيه، وهندمتُ ملابسه الملطخة بالدماء، وهمستُ له بكل الذكريات التي جمعتنا بينما كنتُ أتوسل إليه أن يعود إليّ لنصنع المزيد.

كنتُ وحيدةً تماماً في هذا العالم.

وحين تسلل ضوء الشمس عبر النوافذ، كاشفاً عن ذلك المشهد المروع، لم أحتمل البقاء في منزلي— ناهيك عن أنني لم أكن أملك القدرة على الاحتفاظ بالمنزل وأنا في الثالثة عشرة من عمري.

حاولتُ دفنه. حاولتُ جاهدةً جره للخارج لأودعه وداعاً يليق به، لأمنحه الشرف الذي يستحقه. لكنني كنتُ صغيرةً جداً، وكان هو ضخماً، ثقيلاً، وميتاً. انزلقتُ وتعثرتُ في بركة دماء والدي، عاجزةً عن تحريك جسده. لذا، نزعتُ خاتم الزواج من إصبعه، ودفعته في إبهامي، وهربت.

الخاتم ذاته الذي أستخدمه الآن لأغرزَه في وجنة الخامد.

لو رأني والدي الآن...

كنتُ أحوم فوقه، وبدأ غضبي يتلاشى أخيراً حين اتسعت عيناه السوداوان. كانت الدماء تلتخ وجهه، تتدفق من فمه وأنفه ومن الجروح الأخرى المتفرقة التي أحدثتها فيه. سللتُ خنجري من حذائي بينما لمحتُ شيئاً يلمع في عينيه.
الخوف.

إنه يخشى ما لا يستطيع السيطرة عليه.

وفي هذه اللحظة بالذات، ذلك الشيء الذي لا يستطيع السيطرة عليه هو... أنا.

هويتُ بمقبض خنجري بقوة على صدغه، مما أفقده الوعي تماماً. وبينما كنتُ لا أزال جاثيةً فوقه، التقت نظرتي بتلك النظرة الرمادية المصوبة نحوي. توالى المشاعر على وجه الغريب وهو يتأملني، يتأمل ما فعلته. الصدمة، والإعجاب، والحيرة، والمرح—يا للعجب—كلها كانت تلمع على وجهه. انتزعتُ عينيَّ عنه، وأعدتُ خنجري إلى حذائي بينما ارتفعت همسات الدهول من الحشد. التفتُ، فذهلتُ لرؤية جموع الناس وهم يحدقون. تجار ونساء وأطفال يحدقون في المشهد، يتساررون ويشيرون إليّ. وفجأة، شق ثلاثة من جنود الإمبراطورية طريقهم عبر الحشد، وهم يدفعون الناس بعيداً بعنف.
تصلب جسدي، مستعدةً لأي نوعٍ من العقاب. ربما بضع جلادات أخرى تزين ظهري.

لكنهم مروا من جانبي مباشرة، وتجاوزوا الخامد الغائب عن الوعي، وجثوا على ركبهم أمام الغريب.
هذا... مثير للاهتمام.

ويبدو أنني لستُ الوحيدة التي تعتقد ذلك. إذ ارتفع طنين الهمسات من الحشد، مما مكنني من التقاط نتفٍ من محادثاتهم الخافتة.
— «...خامدٌ هنا في إيليا...»

— «...إنه الأمير كاي الذي قاتل أربعة رجال...»

– «...قاتل الخامد دون استخدام أي قوة!»

تجمدتُ في مكاني، وقلبي يخفق بشدة، وبالكاد أتنفس.
الأمير كاي.

لم يسبق لي أن رأيت الرجل. لم يخطر ببالي قط أنني سأفعل.
ولم يخطر ببالي قط أنني سأسرق منه.

لكنني سمعتُ الكثير عن سمعته. كيف أنه يُعدُّ أقوى أفراد النخبة منذ عقود. كيف أنه المنفذ المستقبلي، الذي يُقال عنه إنه قاسٍ وحاد الذكاء، ومع ذلك فهو جذاب وساحر حين يرغب في ذلك—حين يختار تمثيل الدور. سمعتُ كيف أنه مستحوذ (ويلدر) نادر وقوي، قادر على استشعار قوة الآخرين واستخدامها بنفسه طالما كانوا قريبين منه بما يكفي.
"حامل الموت"، هكذا يلقبونه.

عادةً ما يقبع الأمير في راحة قصره الوثير، لذا فمن المرجح ألا أحد قد ميز الغريب كشخصية ذات أهمية. وحين يغادر القلعة، حسناً، فإن الناس الذين يزورهم لا يعيشون عادةً ليسردوا الحكاية.

التفتُ ببطء نحو جنود الإمبراطورية المتجمعين حول الأمير، ورأيتُه وهو يزيحهم بعيداً، منزعاً من تملقهم. نبح بأمر ما، يطلب منهم اقتياد الخامد إلى الزنازين وتفريق الحشود من الشارع. كان الأمير يفيض بالسلطة والقوة مع كل خطوة، ومع كل كلمة. وهرع الجنود لإطاعته وهم يطوقون الغوغاء ويدفعونهم للعودة إلى «حي النشالين».

التقت عيناه بعيني.

ورغم إصاباته التي لا تُعد، سار نحوي بخطواتٍ ثابتة، مخفياً عرج مشيته. كأنه مفترس يطارد فريسته.

وهذه هي إشارتي للرحيل.

حاولتُ التسلل بين الحشود دون أن يلاحظني أحد، آملةً أن يجرفني تيار الأجساد بعيداً. آملةً أن ينسى أنني أنقذتُ حياته ويتركني أرحل بسلام.

لكن الحظ لم يحالفني.

أطبقت يدٌ خشنة على ذراعي قبل أن تديرني وتثبتني على جدار الزقاق. ضغط على معصمي بقوة فوق القرميد قبل أن يميل نحوي.

تلوّيتُ في قبضته، لكنه لم يتزحزح. لستُ متأكدةً مما كنتُ أتوقع منه أن يفعله، لكنه بالتأكيد لم يكن هذا. ربما كلمة شكرٍ مهذبة— لا استجوابًا على جدارٍ قذر.

ما كنتُ لأنقذه أبدًا لو كنتُ أعلم مَنْ هو. وما هو. وما يفعله.

زفرتُ بضيق، مما جعل شعري الفضي يتطاير أمام عيني ويحجب رؤيتي لنظرته الثاقبة.

— «أهذه هي الطريقة التي تعامل بها كل مَنْ ينقذ حياتك، أم أن هذا طقسٌ جديد تمارسه؟» قلتُ الكلمات من بين أسنانٍ مشدودة، محاكيةً كلماته الأولى التي وجهها إليّ.

— «لستُ أدري، فلم يسبق لأحدٍ أن أنقذني من قبل.»

لاحت شبح ابتسامة على وجهه، تمنحني لمحةً من تلك الغمازة المزعجة.

— «حسنًا، دعني أنور بصيرتك. حين ينقذ أحدهم حياتك، فإن كلمة

"شكرًا" مهذبة ستفي بالغرض.»

— «ربما،» تنهد ومال بجسده أكثر نحوي، «لكن ليس لمن يسرق مني.»

أعتقد أن قلبي توقف عن النبض. الأمير يعلم أنني سرقتُ منه.

الأمير. المنفذ المستقبلي. حامل الموت.

لقد هلكتُ لا محالة.

لكن سرعان ما استبدل خوفي بشعورٍ آخر كان أكثر ترحيبًا— الغضب.

غضبتُ من نفسي لأنني ساعدتُ الأمير الذي يقتل وكأن القتل لا شيء، ويلبي

رغبات والده وكأن والده هو كل شيء. غضبتُ لأنني لم أجده مقرزًا، بينما

المملكة ذاتها التي يدين لها بالولاء تصيبني بالغثيان بقيمها ومعتقداتها

الملتوية. إنه المنفذ المستقبلي، جلال الأبرياء، والعاديين، وأناسٍ مثلي.

- وبشعورٍ من التهور والشجاعة التي يمنحها قرب الموت، قلت:
- «إذن هو جميلٌ ويمتلك عقلاً أيضاً. لا بد أن السيدات يعشقنك.» كانت الابتسامة التي منحته إياها أبعد ما تكون عن الرقة. «تعلم، ربما كنت لتصبح لصاً جيداً لولا أنك خُدعت بسهولة من قبل واحدة.»
- كان يبتسم. مستمتعاً. متكبراً كما كان دائماً.
- «أنتِ تدركين مع مَنْ تتحدثين، أليس كذلك؟»
- «مع وغدٍ مغرور؟» قلْتُها ببراءة قبل أن أعضَّ على لساني.
- من الواضح أنني أبحث عن موتي.
- لكن لدهشتي، أmaal رأسه للخلف وأطلق ضحكةً صادقة، صوتها غنيٌّ كالشوكولاتة التي أسرقها أحياناً، وعميقٌ كبحر «المستنقعات».
- «لقد وُصفتُ بما هو أسوأ من ذلك،» همس بعد أن استعاد هدوءه، ولا تزال يدها مطبقتين على معصميَّ. ثم تلاشت معالم المرح من عينيه، ليحل محلها تفكيرٌ بارد. «رغم أنكِ سرقتي، أفترض أن عليَّ شكركِ على مساعدتك.»
- كدتُ أضحك عند سماع ذلك. يبدو أن إنقاذ حياته يُعادل "المساعدة" فحسب.
- «على أي حال، يراودني الفضول حيال السبب الذي جعل الخامد عاجزاً عن إخماد قوتكِ. كما أنني أعجز عن استشعار أي قوةٍ تنبع منك.» كان يرمقني بنظراته كما فعل في الزقاق حين سرقتُ منه. كأنني لغزٌ يحاول ترتيب قطعه.
- رمشتُ بعينيَّ وأنا أنظر إليه، بينما ارتطمت الحقيقة بذهني كالمطرقة.
- إنه يمتلك تلك القدرة النادرة على استشعار قوة الآخرين واستخدامها...
- لقد حاول استشعار قوتي في الزقاق.
- ليجد أنه لا يوجد شيء.
- لقد هلكتُ لا محالة.

نظرتُ إليه، محاولةً تصفية خوفي من تعابير وجهي رغم أفكاري المحمومة. هزرتُ كتفي المتصلبتين، آملةً أن تبدو الحركة عفويةً أكثر مما كانت عليه.

– «أنا من العاديين. متبصرة.»

– «متبصرة،» ردد الكلمة، والاستنكار يقطر من حروفها. «أخبريني، ما الذي تستطيعين فعله؟» صمت قليلاً، ثم هز كتفيه: «لم يسبق لي أن قابلت متبصرة من قبل. اعتبريه فضول.»

ابتلعتُ ضحكةً هستيرية كادت تفلت مني. المنفذ المستقبلي لا يدفعه الفضول، بل الحسابات الدقيقة. لكن لا بد أنه مستمتعٌ بي، وإلا لكنتُ جثةً الآن على الأرجح.

– «قوتي هي نوعٌ من... الحس،» قلتُها بسهولة، رددتُ تلك الجملة المحفوظة. «أستطيع فقط استشعار العواطف القوية لدى الآخرين، وأحصل على ومضات من المعلومات بسبب ذلك.»

نظرتُ في عينيه، متمنيةً أن يصدقني. آملةً أن يقبل الإجابة ويمضي في حال سبيله. آملةً أن يتركني أمضي في حال سبيلي. بدا وكأنه يغالب ابتسامة:

– «أحقاً هذا؟»

– «ولماذا قد يكون كذباً؟»

تنقلت عيناه بين عيني للحظةٍ طويلة.

– «لماذا إذن أعجز عن استشعار قوتك أو استخدامها؟»

ابتلعتُ ريقِي، محاولةً ألا أبدو وكأنني أنازع لابتكار كذبةٍ مقنعة.

– «قدرتي غير متوقعة. حتى أنا لا أستطيع التحكم فيما أراه أو متى أراه.

وهذا، بالإضافة إلى حقيقة أن قوتي ضئيلةٌ أصلاً، لا بد أنه السبب في عدم قدرتك أنت والخامد على التقاطها. إنها قدرةٌ عقلية.» هزرتُ كتفي: «لا بد أنني قادرةٌ على حماية عقلي ممن يحاولون اختراقه.»

حبستُ أنفاسي في انتظار إجابته.

لكنه لم يمنحني إجابة. ظلّ واقفاً هناك فحسب، يحدق فيّ. زفرتُ بضيق قبل أن أندفع قائلة:

- «تفضل. اسأل أي شخص في العشوائيات عني وعن قوتي. بل الأفضل من ذلك،» ملتُ للأمام قليلاً، «يمكنك سؤال جنودك. لقد أجريتُ حواراً لطيفاً مع أحدهم هذا الصباح فقط.»

ضاقت عيناه قليلاً قبل أن يرخي قبضته ببطء عن معصميّ ويتراجع خطوة للخلف.

- «ربما سأفعل.» ثم ابتسم ذلك الوجد: «لكنني لا أزال أرغب في رؤية قدراتك التبصيرية هذه بنفسي. أثبتني ذلك.»

لو كنتُ أملك شلناً مقابل كل مرة قال لي فيها أحدهم تلك الكلمات، لما كلفتُ نفسي عناء السرقة بعد الآن. عقد ذراعيه فوق صدره العريض، ورفع حاجبيه بترقب وهو يوضح:

- «اقرئيني. أو أياً كان ما تسمينه.» ثم مال نحوي، ونظرته تلمع بالمرح: «أبهرينا، يا عزيزتي.»

- «قوتي ليست لعبةً للتسلية في الحفلات، لكنني سأجاريك يا أمير.» منحته ابتسامةً ساخرة قبل أن تجول عينا في جسده. «لستُ متأكدةً حتى إن كنتُ سأتمكن من التقاط أي شيء، نظراً لعدم استقرار قدرتي.»

- «أهذا صحيح.»

تجاهلتُ نبرته الساخرة وفكرتُ في القشور الخشنة على كفيه وعشرات الندوب التي تشوه ذراعيه.

حسناً، من الواضح أنه مقاتل. لا تحتاج لأن تكون متبصراً لتدرك ذلك.

أعلم أنني بحاجة لإخباره بشيءٍ يستحق الذكر إذا كان هناك أي أمل في أن يصدقني. أي أمل في النجاة من هذا الحوار. فهو سيقتلني دون تفكيرٍ ثانٍ لمجرد الشك في أنني من العاديين (أورديناري).

– «هل تسمح لي برؤية يدك؟» كانت الكلمات أمراً متكرراً في زي سؤال. مددتُ كفي بترقب، وعينايتُ تنتقلان من وجهه إلى اليد الموجودة بجانبه. الأمير يستحق أفضل أداءٍ ممكن.

كان تعبير وجهه محايداً بشكلٍ مستفز، ولم يغض طرفه عني وهو يضع يده في يدي.

– «تعلمين، لم يسبق لي أن قابلتُ لصاً يمتلك ذرةً من الأدب. ويبدو أنك لستِ الاستثناء بالتأكيد.»

زفرتُ بضيق، وأحنيْتُ رأسي لأوجه انتباهي لليد الكبيرة الخشنة في يدي.

– «هل هناك سببٌ لإصرارك على الإمساك بيدي؟»

ارتفعت نظرتي لتقابل نظرتَه الباردة.

– «لا تقلق، سأحاول مقاومة الرغبة في تقبيل مفاصل أصابعك يا أمير.»

عند ذكر مفاصل أصابعه، جالت عينايتُ فوقها بينما كانت ضحكته

تغمرنني. كانت حمراء ومجروحة، ليس فقط من هذا القتال بل من قتالٍ سبقه.

كانت الدماء تسيل من أصابعه من جروحٍ انفتحت مجدداً، رغم أنه بدا غير مبالٍ بالأمر.

قلت:

– «لقد كنتُ في قتال، و—»

قاطعني بسخريته:

– «طلبتُ منك إبهاري، لا ذكر البديهيّات.»

– «أنا لا أتحدث عن هذا القتال،» تنهدتُ، وأفلتُ يده لأشير لما حولنا

بينما كنتُ أحارب الرغبة في لكم تلك الابتسامة الغبية عن وجهه. «أنا أتحدث

عن القتال الذي سبق هذا.» راقبته عن كثب، ملاحظة أن تعبير وجهه لم يشر إلى صدق كلامي أو كذبه.

يا للأقدار، لن يجعل هذا الأمر سهلاً عليّ.

هبطت نظرتي سريعاً إلى حذائه. من هذه المسافة القريبة، لم يبدُ لامعاً كما ظننتُ حين رأيتهُ عبر الزقاق. في الواقع، لم يكن لامعاً على الإطلاق. رمال.

حذاؤه الأسود الذي كان مصقولاً يوماً ما، مغطى الآن بطبقة رقيقة من الغبار الرملي، تكاد لا تُرى. كأنه كان يسير في... الاراضي المحرقة.

وهناك سببٌ واحدٌ فقط يجعل أميراً، وبالتحديد المنفذ المستقبلي، يضع قدمه في تلك الأراضي.

لقد نفى شخصاً ما. وهذا الشخص أبدى مقاومة.

تذكرتُ الجنديين الإمبراطوريين الغائبين عن المناوبة اليوم، وبدأت قطع اللغز تترب في ذهني.

الأمير يحتاج لحراس ليققادوا السجناء إلى الاراضي المحرقة.

بدأ شعور النصر يتفتح في صدري، لكنني كبحتُه.

ثمة شيءٌ غير منطقي.

عادةً، تظل المدينة تثرثر لأيامٍ عمن نُفي ولماذا. وكان المجرمون يُعرضوا في أرجاء المدينة، ليجتمع حشدٌ لمشاهدتهم وهم يسرون نحو حتفهم. لكنني لم أسمع كلمةً واحدةً قيلت عن هذا الأمر. غريب، نظراً لأنهم يتباهون عادةً بحالات النفي، ويستخدمونها كعبرة، ويعرضونها لتحذير المملكة مما يحدث حين تعادي الملك.

لم يكن يريد لأحد أن يعلم بالأمر.

في غضون ثوانٍ، أصبح لديّ كل المعلومات التي أحتاجها.

– «لقد كنت في مكانٍ ما... حار. رملي.» أغمضتُ عينيّ بقوة قبل أن

أضيف: «الاراضي المحرقة.» نظرتُ إليه لأجد عينيه تفتشان في وجهي. «لقد نفيت شخصاً ما. أو... مجموعة من الأشخاص.» عند هذه النقطة، تصلب

جسده، ولو بشكلٍ طفيف. وتصدع قناعه البارد. وفي هذا الفعل الصغير وحده، أكد لي صدق استنتاجي.

وأكد أنني ما كان ينبغي لي أن أعلم شيئاً من هذا.

– «لكن...» صمتٌ قليلاً. «أنت لا تريد لأحد أن يعلم بذلك، أليس كذلك؟» لم أستطع كبح ابتسامتي الصغيرة وهو ينظر إليّ، وقد بدا عليه الإعجاب والحيرة في آنٍ واحد.

سأل بهدوء:

– «ومن أي عاطفةٍ استشففتِ كل هذا؟»

زفرتُ الهواء قبل أن أخمن تخميناً جريئاً عما يمكن أن يشعر به المنفذ المستقبلي، هذا إن كان للرجل مشاعر أصلاً.

– «هل هو... الذنب ما أشعر به؟ القلق؟» بدا وكأنه سكن عند هذه الكلمة، مما منحني تأكيداً صامتاً بأنني أصبتُ الحقيقة جزئياً على الأقل. «هل كان هذا إثباتاً كافياً لك يا صاحب السمو؟»

أنا أدرك تماماً اللعبة الخطيرة التي ألعبها. ومع ذلك، لا أستطيع التخلي عن مشاعر الكراهية تجاهه وتجاه كل ما يمثله. لكن الابتسامة التي ارتسمت على شفتيه أخبرتني أنه يحب اللعبة أيضاً.

– «كاف جداً. حسناً،» زفر، ودس يديه في جيبه، «كما أشرتِ بلطفٍ منذ قليل، عليّ شكرُك، مرةً أخرى، على مساعدتكِ يا عزيزتي.»

– «بيدن.»

رفع حاجبيه الداكنين قليلاً متسائلاً.

– «اسمي بيدن، وليس عزيزتي.»

– «بيدن،» ردد الاسم بابتسامةٍ صغيرة، وكأنه يتذوق الكلمة. صوته العميق جعل اسمي يبدو غنياً، ملكياً، وكأنني أنا من يجري الدم الملكي في عروقه.

حدقنا في بعضنا البعض للحظة، وعيناه الجليديتان تجولان في وجهي المحتقن بالدماء ولم تفعل شيئاً لتهدئته.

– «تعلم، يمكنني تنوير بصيرتك بطريقةٍ أخرى لشكر شخصٍ أنقذ حياتك.» صمتُ، كابحةً ابتسامة. «ردُّ الدين.»
أمال رأسه للخلف وضحك ضحكةً مظلمة:

– «ألم تحسلي على ما يكفي من الفضة حين سرقتني في المرة الأولى؟» هزرتُ كتفيَّ بينما تابع ببرود: «هل أحتاج لتذكيرك بأنك قلتِ إن كلمة "شكراً" مهذبة ستفي بالغرض؟»

– «أجل، "شكراً" تفي بالغرض. لكنها لا ترضي الطموح. وحسنأ، كان ذلك أيضاً قبل أن أعلم مَنْ تكون.»

بدأً بالتراجع للخلف وهو يمد يده في كيسه ليخرج عملةً معدنية. وبحركةٍ من إصبعه، طارت العملة نحوي. وبالكاد كان لديَّ وقتٌ لمد يدي والتقاطها حين قال:

– «شيءٌ لتتذكريني به.»

صار الآن على بُعد عدة خطوات مني، ومع ذلك بقيت عيناه معلقتين بعينيَّ.

– «أوه، وعزيزتي؟»

– «بيدن.»

– «لقد كنتِ محقة.»

خطا خطوة أخرى للخلف.

زفرتُ بضيق:

– «لستُ متأكدةً إن كان عليَّ حتى الاستماع لما ستقوله، لأنك لم

تخاطبني باسمي الذي هو—»

– «بيدن،» صوت اسمي من بين شفثيه قاطعني، «السيدات يعشقنني

بالفعل.»

وبغمزةٍ من عينه، استدار وخرج بخطواتٍ واسعةٍ من الزقاق.



الفصل 8

بيكان

– «ها الذي... حدث... بحق... الطاعون؟!»

كانت أدينا تهزني بعنف من كتفي، حتى كادت أسناني تصطك. بمجرد عودتي إلى الحصن، مشوشةً من أحداث اليوم وراغبةً بشدة في النوم، انقضت أدينا عليّ وطالبتني بكل التفاصيل.

– «ماذا؟ كيف...؟» تعثرتُ في كلماتي، متسائلةً كيف أمكنها أن تعلم أن هذا اليوم كان مختلفاً عن مئات الأيام التي سبقتها.

قاطعتني، وعيناها متسعتان من الإثارة والأسئلة التي لم تجد جواباً بعد:

– «الجميع يتحدث عن الأمر! السوق كله يضج بخبر تلك الفتاة ذات الشعر الفضي التي هزمت خامداً!» حدقتُ فيها مذهولةً. تابعت هي كلامها بسرعة وبأنفاسٍ متهدجة: «والأمير؟» كادت تصرخ من الحماس: «لقد أنقذت الأمير؟!»

– «حسناً، لا يبدو أنه يريد الاعتراف بذلك، ولكن أجل، لقد أنقذت مؤخرة الأمير.» هذه المرة صرخت بالفعل. «لكن فقط بعد أن سرقت منه.»



انفغر فمها دهولاً. كان المنظر درامياً لدرجةٍ لم أستطع معها منع نفسي من الضحك.

– «فعلتِ ماذا؟»

– «دفاعاً عن نفسي»، قلتُ وأنا أرفع يديّ علامة البراءة، «لم أكن أعلم أنه هو.»

– «يا بيدن، الأمير...» غيم القلق على نظرتها، ورمشت بعينيها حوالي اثنتي عشرة مرة قبل أن تقول: «إنه مستحوز. هل أمكنه... هل أمكنه استشعار أنك لا تملكين قوة—؟»

قاطعتها قبل أن يهرب ما تبقى من دماء وجهها، وشرحتُ لها بسرعة أحداث النصف ساعة الماضية. كانت عينا أدينا متسعيتين، وغرثها المجعدة تلتصق برموشها وأنا أطلعها على كل شيء، من سرقة الأمير إلى قتال الخامد. وبعد أن علمت بالكذبة التي نسجتُها لـ المنفذ المستقبلي، تحدثنا بهدوء حتى ابتلع الظلام الزقاق المظلم.

– «حسناً، لكن هل هو حقاً وسيم كما يقول الجميع؟»

منحتها نظرةً جامدة، أشك في أنها رأتها ولكنني أعلم أنها شعرت بها.

– «هذا هو السؤال الذي تتحرقين شوقاً لطرحه بعد كل ما تحدثنا عنه؟»

– «هذا لم يكن جواباً»، قالتها بنبرة غنائية.

استلقيتُ فوق السجاد الخشن، كابتةً أنيني ببطانيةٍ خشنة. وكان صمتي هو كل الجواب الذي تحتاجه أدينا.

صرخت بابتهاج، وهذه المرة، أسكتُّها بالبطانية.



تسلل الفجر فوق الأسطح، فقلدته من الأسفل وسرتُ على أطراف أصابعي في الشوارع.

الاندماج في الفوضى المطلقة التي تحدث كل صباح في «حي النشالين»
ليس صعباً عليّ عادةً؛ إذ أنسلُّ دون أن يلحظني أحد وأنا أسرق الساعات من
معاصم المتسوقين، أو العملات من الجيوب غير المحروسة.

لكن ليس اليوم.

اليوم، لستُ خفية.

وهذا هو أسوأ كابوسٍ للص.

عيون. العشرات منها، كلها مصوبة نحوي وأنا أمر. أسمعهم يتهايمسون،
يشيرون إليّ ويحدقون بذهول.

بدأ البعض يصفق وأنا أسير في الممر بين عربات التجار، ينظرون إليّ
بإعجاب. كانت هناك عشرات الوجوه المألوفة وسط الحشد، فقد نشأتُ
محاطةً بهم ونحن جميعاً نصارع للبقاء. كلمة "صديق" قويةٌ جداً لتُطلق على
أي شخص غير أدينا، لكنني كنتُ أبني سمعتي كمتبصرة لسنوات، محصلةً
الاحترام وشهوداً على قدراتي.

بدا الحشد وكأنه ينقسم ليمر لي، تاركاً جداراً من الناس يراقبون على
الجانبين.

– «المنقذة الفضية»، سمعتُ رجلاً يهمس قبل أن يردد الآخرون كلماته.
توقفتُ، وكدتُ أتعثر حين تسمرت قدماي. هناك، حيث كانت تحجبها
المتاجر المتهاكة، تتدلى لافتةٌ أخرى أصبحت الآن واضحةً للعيان.

لقد اختار شعب إيليا

نقدم لكم المتسابقين في تصفيات التطهير السادسة:

كاي آزر

أندريا فوس

جاكس شيلدز

بلير آرتشر

آيس إلواي

براکستون هیل

هیرا کولت

سیدی نوکس

جالت عینای فی قائمۃ الأسماء بسرعة.

ثم سقط قلبي فی جوفي. ربما سقط ألف مرة.

لأن الاسم الأخير المخطوط بأحرفٍ كبيرة ليراه الجميع كان مألوفاً جداً.

بین جرای



الفصل 9

كاي

يتسرب الدم عبر قميصي. بعضه دمي، لكن معظمه يعود لي الخامد— وهو الاسم الذي لا أزال مضطراً لمناداته به بما أن ذلك الوجد يرفض حتى الإفصاح عن شيءٍ تافهٍ كاسمه.

رغم كل "الإقناع" الذي بذلته في أفعالي.

باختصار، لقد كنتُ أعذب الرجل لساعات. لم أحرز أي تقدم، وصبري الضئيل قد نفذ تماماً. يثير دهشتي المزعجة مدى قدرة هذا الرجل على تحمل العذاب، رغم أنني أفترضُ أن الألم يصبح شيئاً مألوفاً حين تمارسه باستمرار على الآخرين. تصبح مخدراً تجاهه.

بدأتُ أنا والخامد نبدو متشابهين جداً.

الزنازين تحت القلعة مظلمة، قذرة، وتفوح منها رائحة الموت— تتناقض تماماً مع القلعة المشرقة والمترفة في الأعلى. تصطف الزنازين على الجدران، بعضها يغص بالسجناء، وبعضها الآخر يمتلئ ببقايا سجناء سابقين.

مادة الأصم (ميوت) التي تبطن كل زنزانة هي السبب الوحيد في أنني لا أزال واقفاً أمام السجين، أذيقه نوعي الخاص من الألم الذي لا يُطاق. وبما أن المادة قد صُنعت بمساعدة الخامدين قبل التطهير، فقد أصبحت نادرة للغاية،



مما دفع الملك لاحتكارها. استخدم العلماء فئة الناقلين (ترانسفيرز) بقدرتهم على وضع القوة في الأشياء، فحبسوا قوة إخماد الخامدين داخل المواد. وعبر العقود، استُخدم هذا المخزون المحدود من الأصم لصنع الزنازين والأصفاد والدروع المحيطة بالمدرجات في حلبة الصحن.

بالإضافة لزنازة الأصم، يرافقني أيضاً الخامد المخلص لوالدي. فمن السخرية بمكان أن الخامدين يمكنهم إخماد بعضهم البعض، بافتراض أن أحدهم أقوى. لذا، أعمل بينما يقف الخامد الوقور جانباً، والرجل الذي تحت قدميَّ يصرخ.

لولا الحماية التي يوفرها الأصم والخامد، لكنتُ الآن أتلوى على الأرض عذاباً. مرة أخرى. لا يمكنني التوقف عن إعادة مشهد الزقاق في مخيلتي، متذكراً الألم الذي كان يشق جمجمتي. العجز التام وأنا مستلقٍ هناك، تحت رحمة مجرد رجل.

لكنها ظهرت حينها.

بيدن.

واحدة من العاديين. متبصرة، مقاتلة، ولصة. ومع ذلك، كانت الوحيدة المستعدة للمساعدة لأي سببٍ كان. والوحيدة القادرة على المساعدة. أو هكذا تدعي.

رغم أنني مرتاب، إلا أن استعراضها كان مبهراً. ما كان ينبغي لها أن تعلم بأمر الاراضي المُحرقة، أو النفي، أو القتال—أي شيءٍ من ذلك. وبما أنني لا أعلم شيئاً عن المتبصرين، ولم يسبق لي أن قابلتُ واحداً، فلا يمكنني إثبات كذبها. هناك عشرات القوى التي لم أشهدها بعد، معتبراً أن تدريبي تركز غالباً على القدرات الهجومية. فوالدي حرص على ألا أضيع وقتي أبداً، أو أنحدر لمستوى تعلم قوى ذوي الرتب الأدنى من النخبة.

ولكن حتى وسط ضباب الألم، كانت اللمحات التي التقطتها لقتالها تأسر الأبواب. كانت هي بحد ذاتها أسرة. نعم، كانت ماهرة، ولكن أكثر ما أثار

فضولي هو كم العاطفة التي كانت تصبُّها في كل ضربة. الشغف المحشور في كل لكمة؛ والغضب المتدفق منها.

ألقيتُ نظرةً أخيرةً على الرجل الملطخ بالدماء والمنهار في زاوية زنزانته قبل أن ألتفت لِخامد والدي:

– «لقد انتهيتُ هنا يا داميون. يمكنك الرحيل.»

مسحتُ يديَّ الملطختين بالدماء في قميصي الملطخ أصلاً، وخرجتُ من الزنزانة لأخطو في الممر الطويل للدجن، ماراً بالسجناء الذين يرمقونني بنظرات حاقدة. صعدتُ السلالم الحجرية المؤدية للطابق الرئيسي للقصر وأومأتُ لجنود الإمبراطورية المتمركزين بجانب الباب المعدني الثقيل في الأعلى.

سيكون الملك في انتظاري لإطلاعه على ما تعلمته من الاستجواب، والذي تصادف أنه لا شيء على الإطلاق. هيأتُ نفسي للحوار غير السار الذي نحن بصدد إجرائه.

وبعد وقتٍ قصيرٍ جداً، وجدتُ قدمي البساط المهترئ الذي يغطي أرضية مكتبه، ضحيةً لسنواتٍ من السير جيئةً وذهاباً. جالت عيناوي فوق المكتب الكبير والمقاعد الوثيرة قبل أن تستقر على الشخصين الجالسين قرب المدفأة الحجرية.

غمرني ارتياحٌ عند رؤية أخي. شعره الأشقر فوضوي، كأنه كان يمرر يده فيه لساعات، محاكياً مظهر والدي المنهك.

– «حسناً، يبدو أن أحدهم كان... يتسلى مع السجين لبعض الوقت الآن.» كانت نبرة كيت مظلمة، لكن عينيه أشرقتا حين وقعتا عليّ.

تنهدتُ قبل أن أستقر في مقعدي المعتاد بجانب والدي. عقدتُ كاحلي فوق ركبتي وقلتُ بلهجةٍ عابرة:

– «وبعد كل هذا الوقت، كنتَ لتظن أنني قد تعلمتُ شيئاً مفيداً.»

كان صوت ارتطام أوراق والدي بالطاولة هو الصوت الذي ربطته دائماً بخيبة الأمل.

– «ما هي المشكلة إذن؟»

– «إنه...» صمتٌ باحثاً عن الكلمة المناسبة، «صعب المراس.» كان هذا أفضل ما يمكنني قوله، مما استجلب شخيراً ساخراً من كيت.

بدا والدي أقل استمتاعاً. في الواقع، لم يبدُ مستمتعاً على الإطلاق، وهو نادراً ما يكون كذلك حين يتعلق الأمر بي.

– «إذن اجعله أقل صعوبة يا كاي.» ضغط بأصابعه على جسر أنفه وأغمض عينيه، وهو فعلٌ جعله يبدو أكبر سناً وأكثر تعباً. «إما أن تجعله يتحدث أو يقتله. ليس لدي رغبة في إبقاء الخامد حياً إذا لم يكن لديه ما يقدمه لنا.»

نظرتُ لـ كيت، كان وجهه واجماً، خالياً من مرحة المعتاد وهو يراقب والدي. فحين يكون الملك مضطرباً، يكون كيت محطماً.
زمجر والدي:

– «إنها تلك المقاومة اللعينة،» سقطت يده عن وجهه لتكشف عن ملامح متجهمة.

سأل كيت، والقلق يرتسم في التجاعيد حول عينيه:

– «هل تعتقد حقاً أن هذا الخامد ينتمي للمقاومة؟»

– «ولماذا قد يحاول خطف أمير؟ ابني؟» هزَّ الملك رأسه، وهو يحدق بفراغ في ألسنة اللهب المتراقصة في المدفأة. «إنهم يحاولون مهاجمتي بأي طريقةٍ ممكنة. ظننتُ أنني قد تخلصتُ منهم. طهرتُ القاتلين (فاتالز) حتى لا يتمكنوا من إيذائنا أو التغلب علينا.» أخذ نفساً عميقاً قبل أن يتابع: «يبدو أن ظني قد خاب. بعضهم لا يزال موجوداً، وقد انضموا إليهم.»

بصق والدي الكلمات قبل أن يجرع ما تبقى من الكحول في كأسه:

– «علينا وضع حدٍّ لهذه المقاومة الصغيرة. قد يرغبون في بقاء العاديين

على قيد الحياة، ولكن بفعلهم هذا، سيموت عرق النخبة وقوتهم في النهاية.

تطهير مملكتي من العاديين هو تضحية لا بد منها من أجل خير الشعب. لكنهم

أنانيون جداً لدرجة تمنعهم من رؤية ذلك. كاي،» كانت نظرتة ثاقبة حين وقعت عليّ، «اجعل هذا الخامد يتمنى الموت قبل أن تمنحه تلك الرحمة.»
- «أوه، كنتُ أخطط لذلك بالفعل يا والدي.»



أنا غارقٌ في العرق.

وهذا ليس بالأمر النادر أثناء التدريب.

قميصي الملطخ بالدماء قد ولى زمنه، والشمس تضرب ظهري بينما أدور أنا وكيت حول بعضنا في إحدى الحلبات الترابية. نمُرُ بروتينا المعتاد من تقييم بعضنا البعض ونثر السخافات قبل البدء فعلياً بالقتال. هذا النمط المألوف يهدئ روعي، ويسكن عقلي القلق في الوقت الحالي.

نتراقص حول الحلبة، والسيوف تلمع، نضحك حين أجرح وجنته بالطرف الحاد لنصلي، وهو فعلٌ يرده لي بالمثل. وسرعان ما استغنيننا عن السيوف، لتسود قوانا. كيت يصيب أهدافه بسهولة بكرات النار قبل أن يطفئ الخشب المحترق بالماء. أما أنا، فوجدتُ نفسي متردداً ومتمللاً؛ وهو مزيجٌ مريع.

تصفحتُ قدرات المحيطين بي، محاولاً اختيار واحدة لأتدرب بها. الحلبات تعج بالعشرات من النخبة، كلهم قدرون من القتال ومنهكون من المبارزة. انتقلتُ من قوة الوميض إلى قوة المُخفي قبل أن أنتقل لـ القشرة (شيل)، رغم أنني لم أحب أبداً شعور تحول جلدي إلى حجر.

أعجز عن التركيز وهذا لا يزيدني إلا إحباطاً.

سمعتُ صفير الهواء من خلفي قبل أن أشعر بموجة الحرارة المألوفة التي تنبعث نحو ظهري. ارتميتُ على الأرض، وبالكاد تفاديتُ دفقاً من النار كان ليحرق شعري.

- «ما الذي يشئت انتباهك هكذا؟» التفتُ لأرى كيت يبتسم لي بمكر. «مهلاً، كدتُ أصيبك هناك. لن تبدو وسيماً جداً لو احترقت كتلة الشعر تلك فوق رأسك، أليس كذلك؟»
- لا أستطيع أن أقرر ما إذا كنتُ أريد الضحك معه أو خنقه – وهي معضلة اعتدتُ أن أجد نفسي فيها.
- «أعتقد أن هزيمتك في الحلبة اليوم كانت سهلةً للغاية. الآن أنا أشعر بالملل.» هزرتُ كتفي والتقطتُ بعض سكاكين الرمي من رف الأسلحة قبل أن أبدأ برشقها على شجرة تبعد بضعة ياردات.
- دمدم كيت متمتماً. وحتى وظهري له، أستطيع سماع الابتسامة في صوته وهو يقول:
- «لا تستطيع التوقف عن التفكير في الفتاة التي أنقذت حياتك، هه؟»
- وكرّده مذهب، استدرتُ ورميتُ سكيناً على أخي. مرت السكين بالكاد بجانب رأسه، لتستقر في هدف خلفه بضربة قوية. رمش بعينه وهو ينظر إليّ:
- «موضوع حساس كما أرى؟»
- دفعته جانباً وانتزعتُ النصل من الخشب:
- «وما الذي قد يمنحك هذا الانطباع؟» هزرتُ كتفي بلامبالاة: «من الواضح أنها لا تريد أي علاقة بي.»
- أنا أحب التحدي.
- أضفتُ مطرداً الفكرة من رأسي:
- «وعلى أي حال، ليس الأمر وكأنني سأراها مرةً أخرى أبداً.»
- سرعان ما غرق ردُّ كيت وسط صوت مناداة أسمائنا من الجانب الآخر من الساحة. التفتنا معاً، لنرى صبيلاً نحيلاً يركض نحونا. لمحتُ وميض ابتسامة بيضاء على بشرة داكنة قبل أن يختفي، متلاشياً عن الأنظار ببساطة. وقبل أن أرمش، كان واقفاً أمامنا مباشرةً بابتسامة عريضة تشق وجهه. شتمتُ تحت أنفاسي:

– «لو ظهرت هكذا مرة أخرى، سأنفذ تهديدي وأغرسك في الأرض.»
 – «ما يقصده أخونا،» وجه كيت لي نظرة مستمتعة، «هو: "مرحباً يا جاكس، كيف حالك؟"»

الصبي الذي أمامي لا يتجاوز الخامسة عشرة من عمره وينمو بسرعة مذهلة. إنه هزيل، ومن الواضح أنه لا يزال يحاول اكتشاف كيفية التحكم بأطرافه الطويلة. لا أعرف متى بدأ يكبر فجأة، وبصراحة، لا يعجبني الأمر.

الصبي الصغير الذي فقد والديه في تحطم سفينة أصبح الآن الشاب الطويل الذي تبنيناه كأخ صغير لم نطلبه أبداً. ولكن بعد كل هذه السنوات، لم ينم جاكس في الطول فحسب— بل نما في قلوبنا.

– «أنا بخير يا كيت. من اللطيف منك أن تسأل!» اتسعت تلك الابتسامة حين نظر إليّ، وعيناه البنيتان ترمشان ببراءة. لففت ذراعي حول عنقه وسحبته لصدري لأفرك قبضي في شعره القصير. تتمم وهو يحاول الابتعاد عني بينما سألتّه:

– «ألن تسألني كيف حالي يا ج؟»

حين أطلقت سراحه أخيراً، التفت نحوي وهو يفرك رأسه بابتسامة:

– «خطئي. كيف حالك اليوم يا كاي؟» قال هذا كله بصدق زائف، ولم أستطع منع نفسي من الابتسام.

قاطعني كيت قبل أن أتمكن من مداعبته أكثر:

– «إنه في مزاج سيئ،» تنهد قبل أن يخفض صوته ليهمس: «احذر يا جاكس، فقد كان يلعب بالسكاكين مرة أخرى.»

مررتُ بجانبهما لألتقط سكاكين الرمي المذكورة، محتاجاً لفعل شيء بيديّ.

– «لست،» استدرتُ ورميتُ نصلاً في الهدف، «في مزاج سيئ.»

مال جاكس على كتف كيت وهو يهمس:

– «هذا ما يقوله دائماً حين يكون في مزاج سيئ.»

– «نقطة ممتازة يا ج.»

تمتت:

– «يا للأقدار، وجودكما معاً لا يُطاق.»

واصل الحديث بينما واصلتُ رشق الهدف بالسكاكين. هذا أفضل من رميها على شخصٍ ما، لذا من الواضح أنني لستُ في مزاجٍ مريعٍ حقاً. كنتُ على وشك إطلاق نصلٍ آخر حين لمحتُ وميضاً من اللون لفت نظري. لم ألاحظ حتى أن بلير كانت تتدرب في الطرف الآخر من الساحة، ولكنها كانت هناك، وشعرها الأرجواني يتطاير مع الريح بينما كانت تبارز سيدي. حسناً، دزينةً من سيدي، بما أنها ناسخة (كلونر).

دارتا حول بعضهما البعض قبل أن تُحاط بلير فجأةً بجدارٍ من الأجساد، كلهن طويلات وذوات شعر كستنائي. كانت فوضى عارمة. رمت بلير نسخةً من سيدي في الهواء بعقلها فقط لتثب أخرى على ظهرها، محاولةً إسقاطها أرضاً. كان المنظر مضحكاً تقريباً، لولا علمي اليقين بمدى فتك قواهما، وعلمي بشعور امتلاكها.

نظرتُ لـ جاكس وكيت، كانت عيونهما معلقة بالقتال بينما تحركتُ لأقف معهما. وبعد وقتٍ قصير، كانت بلير تتبختر بين الحلبات تتبعها سيدي. كانت بشرة بلير الشاحبة في تناقضٍ تام مع بشرة سيدي الداكنة، نقيضين في كل شيء.

ورغم أنهما نشأتا معاً، إلا أنهما ما كانتا لتكونا أكثر اختلافاً. فيما أن والد سيدي مستشارٌ للملك، تعيش عائلتها مع بقية النبلاء الذين يُعتبرون مهمين بما يكفي للإقامة في ذلك الجناح المخصص من القصر.

توقفتا أمامنا، وأمالت بلير رأسها وهي تقول:

– «أيها الفتية.»

لفّ كيت ذراعه حول كتف جاكس قبل أن يومئ لكل من الفتاتين:

– «بلير. سيدي.»

منحتنا سيدي ابتسامة صغيرة، صادقة ولكنها متحفظة كعادتها دائماً:

– «أردتُ تهنئتكما على التأهل للتصفيات.»

صحيح. لقد أعلنوا عن المتسابقين اليوم.

ليس غريباً أن أكون في التصفيات. فالمملكة وأنا نعلم قدري منذ أن كنتُ صبياً صغيراً. المنفذ المستقبلي يجب أن يثبت جدارته، والتصفيات تجبرني على فعل ذلك بالضبط. مهمتي التالية هي الفوز بالمسابقة، وإذا لم أفعل—

تجمدتُ مكاني، وقد بدأت كلمات سيدي تتغلغل في وعيي.

– «أردتُ تهنئتكما...»

وجهتُ نظرة حائرة لـ كيت، موقناً أن هذا لا بد أن يكون خطأ ما.

فالتصفيات كانت دائماً قدرتي أنا، لا قدره هو. فالملك المستقبلي نادراً ما يخطو خارج جدران القلعة، فما بالك بالدخول في حلبة دموية قد يختطفه الموت فيها. والدي لن يخاطر بحياة وريثه هكذا أبداً، ولكنه بالتأكيد لا يجد مشكلة في المخاطرة بي وبسمعتي.

قالت بلير بابتسامةٍ مأكرة، وعيناها تنتقلان مني إلى—

– «أجل، على الأقل اثنان من الإخوة سيكونان معاً،»

كلا. ليس هو.

– «م—ماذا؟»

كان صوته مليئاً بالذهول، وعيناها البنيتان متسعتان بالعجب.

جاكس.

نظر بيني وبين كيت، والابتسامة ترسم على وجهه:

– «لقد فعلتها! أنا في التصفيات!» كان يقفز حرفياً من الحماس، يقاوم الرغبة في الوميض حول الحلبات من فرط الابتهاج. التقيتُ بنظرة كيت، وكان عبوسه الواجم يطابق عبوسي تماماً.

هذا سيجعل التصفيات أصعب بكثير. الآن، لن أحمي نفسي فحسب، بل سأحمي أخاً صغيراً يكاد يغمى عليه عند رؤية الدم.

لكننا لم نقل شيئاً يحبط جاكس، بل رسمنا ابتسامات مزيفة لتغطي العبوس الذي يشد وجوهنا. فالمشاركة في التصفيات شرفٌ عظيم لا يُمنح إلا للقليل، وجاكس يستحق الاحتفال رغم ضغطنا المفاجئ من الموقف.

قالت بلير بابتسامةٍ مأكرة، تترك كلماتها تتغلغل فينا:

– «حسناً، يبدو أننا أصبحنا جميعاً متنافسين الآن.» لم تكن طريقةً بارعة لإخبارنا بأنها وسيدي ستشاركان أيضاً.

حدقنا جميعاً في بعضنا البعض، سيدي صامته وبلير تبتسم بمكر. تنحنح كيت، قاطعاً الصمت:

– «هل تعلمون من يتنافس أيضاً؟»

أومأت سيدي، وهي تسحب منشوراً مجدداً من أحد جيوبها. جالت عينا كيت في الأسماء بسرعة قبل أن يتنهد:

– «أجل. لا توجد سوى ثلاثة أسماء لا أعرفها. لا بد أنهم من ذوي القدرات الدفاعية أو العاديين من المدينة.»

سلمني المنشور، وسارعتُ بمسح القائمة بعيني.

تعثرت عينا بترتيبٍ معين للحروف قبل أن تتجمد أنفاسي في حنجرتي.

هناك، في أسفل القائمة، يقبع اسمٌ فكرتُ فيه أكثر مما أجرؤ على الاعتراف به.

إنها هي.



الفصل 10

بيدن

كنت لأقف هناك لساعات، أهدق بذهول في اللافتة التي تحمل اسمي بأحرف عملاقة، لولا حشود الناس الذين كانوا يحدقون بذهول... فيّ. لقد اختاروني.

أو بعبارة أخرى، لقد اختاروني لأموت.
وكل هذا لأنني أنقذت ذلك الوغد المتعجرف من أمير.
انتشلتني نقرة على كتفي من ذهولي.

تصلب جسدي إثر رائحة النشا المباغثة، وزفرتُ الهواء بضيق قبل أن أستدير ببطء لأواجه الجندي الإمبراطوري. كان شابًا يافعًا. تنقلت عيناوي بين شعره الأحمر الفوضوي وعينيّ البنيتين اللتين كانتا تثقبانني بنظراتهما، غير عابئٍ باشمئزازي الواضح من بني جنسه. رمقني بابتسامة صغيرة وخجولة. مثير للريبة.

طوال سنوات حياتي، لم أصادف قط جنديًا إمبراطوريًا ودودًا، وأشك أن يكون هذا الشاب هو الاستثناء.

– «أنتِ بيدن جراي، أليس كذلك؟»



قالها وهو يلوح بيده مشيرًا إلى اللافتة المعلقة فوقنا.
- «ومن يسأل؟»

اندفعت الكلمات من فمي بلا تفكير.

- «همم...» مسح مؤخرة عنقه وأردف، «الملك؟ أنا هنا لأرافك إلى القصر حيث ستقيمين حتى انتهاء التصفيات.»
تعلقت الكلمات غير المنطوقة في الهواء بيننا.
أو حتى تموتين.

- «الآن؟ في هذه اللحظة؟»

كرهتُ كيف بدا صوتي حادًا ومتهدجًا، لكنني لم أستطع كبح جماح الذعر الذي بدأ يزحف إلى حنجرتي.

- «لكن التصفيات لن تبدأ قبل أسبوعين.»

بدت على وجهه ملامح الاعتذار، وكرهتُ ذلك.

- «يتوجه المتسابقون دائمًا إلى القصر قبل أسبوعين من الموعد للتدريب، والمقابلات، وبالطبع... الحفل الراقص الأول.»

كيف أمكنني أن أنسى الجانب الاستعراضي البحت لهذه التصفيات؟
التفت برأسه يمنة ويسرة، وشعره الأحمر يتطاير كألسنة اللهب وهو يتفقد إن كان هناك من يراقبنا. ثم مال نحوي قليلًا، لتخرج كلماته التالية كهمس خافت:

- «لا يمكنني منحكِ سوى... همم، خمس دقائق تقريبًا قبل أن نضطر للمغادرة.»

لم أتردد لحظة قبل أن أطلق العنان لساقبي للركض بأقصى سرعة ممكنة في الشارع.
أدينا.

توقفت بانزلاق مفاجئ أمام زقاقنا الصغير، وابتلعتُ الغصة التي سدت حلقي حين رأيتهما جالسة خلف الحصن، تدندن لحنًا خافتًا وهي تخط.

تشربتُ كل تفصيلة في المشهد وأنا أخطو نحوها. كل قطعة خردة
جمعناها معاً لتقينا زمهرير الليل. كل قصاصة قماش مكدسة بجوارها وهي
تعمل. كل خصلة مجعدة تمردت على كعكة شعرها الفوضوية عند مؤخرة
عنقها. وحاجباها الداكنان المعقودان فوق عينيها العسليتين في تركيز عميق.

هل سأراها ثانيةً يا ترى؟

حاولتُ طرد الفكرة من رأسي وأنا أجتو على الأرض وأجذبها في عناق
ساحق. شهقت متفاجئة قبل أن تلقي بعملها جانباً وتضمني بقوة.

– «أنا أيضاً سعيدة برؤيتك؟» ضحكت ووجهها مدفون في شعري، ثم
ابتعدت قليلاً والقلق يرتسم على وجهها من فيض مشاعري المفاجئ. «هل
أنت... بخير؟»

التقيت بعينيها، حافظة كل بقعة ذهبية تتلأأ فيهما.

– «أنا راحلة يا أدينا.»

– «م-ماذا؟»

امتزج الخوف والشك على ملامحها في آن واحد.

– «سيرسلونني إلى التصفيات. يبدو أن الشعب يريدني هناك.»

بدأت أهذي بالكلمات.

– «لأغراض الترفيه بالطبع.»

رسمتُ على وجهي ابتسامة واهنة، لكن لم يفلح شيء في إيقاف زحف
الرعب على معالم وجهها.

رفعت يدها السمرء الناعمة إلى فمها وهي تهمس:

– «أوه، يا بيدن...»

تلاشت كلماتها، عاجزة عن إيجاد ما تقوله أو ما تفعله.

– «لكنك... أنت لا تملكين قدرة—»

– «سيكون كل شيء على ما يرام،»

قلتها محاولة إقناعها وإقناع نفسي.

- «سأكون -»

- «إياك أن تقولي إنك ستكونين بخير،»

زفرت بحدة وقد ابتلع الغضب خوفها مؤقتاً.

- «بيدن، التصفيات قاتلة بما فيه الكفاية، ولكن إن اكتشفوا حقيقتك

فإنهم سيد -»

- «سيقتلونني،» أكملت نيابة عنها. «أنا أعلم.»

عاد الخوف ليغرق عيني أدينا، وضربها بقوة أثارت قلقي من أن تنهار أمام عيني. لاحت على شفتي ابتسامة حزينة وصغيرة وأنا أتأملها. أنا أترك الإنسانية الوحيدة التي تعرفني حقاً، الوحيدة التي أثق بها ثقة عمياء. لقد كانت الثابت الوحيد في حياتي، المرسى الذي سأهيم على وجهي بدونه.

لكن هذا هو الخيار الأفضل. وجودها هنا بدوني أكثر أماناً لها.

- «أستطيع فعل هذا،»

قلتها بصوت خافت.

- «لقد خلقت لأفعل هذا.»

أومأت أدينا برأسها في خدر، فهي تدرك ذلك جيداً. تدرك كيف بدأ والدي بتدريبي حين أيقن أن طفلة الصغيرة مجرد عادية محكوم عليها بالموت.

هي تعلم كيف انقلبت حياتي رأساً على عقب في سن الخامسة، قبل أن تبدأ حتى. أجلسني والدي في حجره، وهمس لي بأنني مختلفة، وبأن علي ادعاء ما لست عليه إن أردت أن أكبر وهو بجانبني. قال إنها لعبتنا الصغيرة الخاصة. لعبة التظاهر. لعبة اختار لي فيها الدور المثالي لألعبه بقية حياتي.

- «ما هو المتبصر يا أبي؟»

لا يزال هذا السؤال محفوراً في ذاكرتي بوضوح، رغم مرور أكثر من ثلاثة عشر عاماً على طرحه.

اكتفى والدي بضحكة خافتة، صوت بسيط أتمنى لو كان بوسعي حفظه في ذاكرتي للأبد.

– «المتبصر يا بيدي، هي كلمة منمقة لشخص دقيق الملاحظة. قوة يمكن تزييفها بسنوات من التدريب. ليس بالضرورة أن تولدي بها، بل هي مهارة يمكنك تعلمها.»

عندها، نقر بطرف إصبعه على أرنبه أنفي وأضاف:
– «وأنا سأعلمك إياها. هكذا، سنتمكن من البقاء معًا دائمًا.»
ليت الموت يحترم الوعود.

انتُشلتُ فجأة نحو عناق خانق آخر.

– «عودي إليَّ يا بيدن. أرجوك؟»

خرج صوت أدينا مكتومًا في شعري.

– «أنتِ كل ما تبقى لي، كما تعلمين.»

تمنيتُ أكثر من أي شيء آخر لو لم تكن تلك الكلمات مرعبة بصدقها. حين سقطت والدتي أدينا طريحة الفراش، كان والدي –على الأرجح– هو من حاول علاجها. فالمعالجون عملة نادرة في العشوائيات، وكان الناس في أمس الحاجة إليه بقدر ما كانوا يحبونه. لكن حتى النخبة لهم حدودهم، بينما يبدو أن الموت لا يعترف بالحدود. وبما أن أدينا لم تعرف والدها قط، فربما كان هو التاجر ذو العينين العسليتين الذي سرقته هذا الصباح، من يدري.

أفلتت ضحكة متألمة من شفتي وقلت:

– «وأنتِ كل ما تبقى لي يا أدينا.»

– «جيد.» مسحت أنفها وتراجعت لتنظر في عيني. «إذن من الأفضل أن تجدي طريقة للعودة إليَّ. إن كان هناك من يستطيع النجاة من هذه التصفيات اللعينة في هذا المكان، فهو أنت.»

كانت النظرة التي رمتني بها مفعمة بتصميم متحدٍ.

– «في أسوأ الأحوال، تخسرين وتعودين إلى الوطن. وفي أفضل الأحوال، تفوزين بهذا الشيء اللعين.»

أطلقت ضحكة ساخرة على تلك الفكرة العبثية، وقلت:

– «سأبذل قصارى جهدي من أجلك يا أدينا.»

وبعد أن ابتلعت الغصة في حلقي، أضفت:

– «سأزورك. أعدك. سأجد طريقة. سأمشي إن لزم الأمر.»

ابتسمت ومنحتني عناقاً أخيراً قبل أن تلوح لي وأنا أتجه نحو نهاية الزقاق. وقفت على قدميها خلف الحصن وصرخت:

– «هذا ليس وداعاً، بل طريقة جيدة للقول إلى اللقاء حتى أراك في المرة القادمة!»

كانت نفس العبارة المبتذلة التي دأبت على ترديدها لسنوات، ومع ذلك، كانت هذه هي المرة الأولى التي تبدو فيها وكأنها وداع حقيقي.

– «أنتِ المفضلة لديّ يا أ!» صرخت رداً عليها، وصوتي ينكسر رغماً عني.

– «وأنتِ كذلك يا بيدن!»

ابتسمتُ، وأشحتُ بنظري عنها أخيراً لأهرول في «حي النشّالين»، تراودني فكرة الهرب من الإمبراطوري، من التصفيات، من كل شيء.

لكن الفكرة المتهورة تلاشت بالسرعة ذاتها التي كانت خطواتي تضرب بها حجارة الرصيف. سيطاردونني ويقتلونني إن هربت. على الأقل، بالذهاب إلى التصفيات، أمتلك فرصة للقتال من أجل البقاء. نوعاً ما.

وصلتُ ألث إلى الإمبراطوري الذي انضمت إليه الآن فتاة صغيرة تتفحصني بخجل.

– «هل أنتِ مستعدة للذهاب؟»

سأل وهو ينقل نظره بيننا. جاريته بالإيماء، رغم أنني لا أملك خياراً في الأمر.

مضينا في «حي النشّالين» بصمت، متجاوزين حشود الناس الذين كانوا يصفقون ويهتفون بتهانيهم لنا. ومع اقترابنا من نهاية الشارع الطويل، لمحتُ عربية داكنة تنتظرنا، يعتلي مقعد سائقها إمبراطوري يكاد زيه الأبيض يعمي الأبصار تحت أشعة الشمس.

فتح لنا الإمبراطوري الأصهب باب العربة قبل أن ينضم هو الآخر إلى الحارس على المقعد. تسلقت الفتاة للداخل وتبعته، مختلصةً نظرة أخيرة برأسي من الباب لتوديع «حي النشّالين» قبل أن تحبسني العربة في جوفها، وتفصلني عن حياتي السابقة.

كانت في انتظارنا مقاعد سوداء وثيرة، وكنتُ شبه غارقة في تأمل أفخم شيء رآته عيناى على الإطلاق، لدرجة أنني كدتُ لا ألاحظ الصبي الجالس قبالتنا. كان شعره البني مصفّفاً بعناية فوق عينيه الخضراوين الداكنتين اللتين كانتا مثبتتين عليّ. من هيئة ملابسه، أدركتُ أنه قادم من منطقة أرقى في العشوائيات، وأنه ينتمي على الأرجح إلى طبقة نخبة الدفاع.

اندفعت العربة للأمام، فتشبّثتُ بالجدار. أنا أكره الأماكن الضيقة بطبعي، فما بالك بالأماكن الضيقة المتحركة. انتظمتُ في تنفسي، وأجبرتُ نفسي على الهدوء قبل أن أعود للنظر إلى الصبي الذي بدا عليه الملل.

— «مرحباً،» قلتُ محاولةً لتلطيف الأجواء. «أنا باي—»

— «أنا أعرف من تكوينين،» قاطعني، مقررًا على الفور أن التحديق من النافذة أكثر إثارة للاهتمام من الحديث معي. «أنتِ الفتاة التي أنقذت الأمير كاي.»

أوحت نبرته بأن هذا ليس ما حدث بالضبط. وكأن العشرات من الناس لم يشهدوا الحادثة بأم أعينهم.

فتحتُ فمي، واندفعت الكلمات قبل أن يتسنى لي التفكير فيها.

— «صحيح. ومن الواضح أنك لا تملك سمعة تُذكر، وإلا لكنتُ قد سمعتُ بك الآن.»

ارتدت عيناى نحوي، وانتفخت منخراه غضبًا.

– «أنا آيس. آيس إلواي.»

قالها بفخر، وهو يعدل ياقة قميصه وتابع:

– «أنا من فئة صانعي الوهم. فئة نادرة. ولهذا أنا هنا.»

كانت ابتسامته باردة كعروق الجليد.

– «وسأكون بحاجة إلى تلك العشرين ألف شلن لأنتشل نفسي أخيراً من

هذه العشوائيات، لذا أنا واثق أنني سأصنع لنفسي سمعة مدوية قريباً جداً.»

لم يسبق لي أن واجهتُ صانع وهم، لكنني سمعتُ عنهم ما يكفي لأدرك مدى خطورته، حتى وإن كان من فئة نخبة الدفاع.

– «ومن أنت؟» سأل الفتاة الجالسة بجواري. «ما الذي يمكنك فعله؟»

تطلعت الفتاة بيننا، وبدت وكأنها تتمنى أن تختفي.

وكدتُ أضحك حين فعلت ذلك حقاً.

كانت هناك في لحظة، واختفت في اللحظة التي تلتها. حدثتُ في المقعد

الفارغ بجواري قبل أن يعاود طيفها الظهور، متجسدةً في غضون لحظات.

مُخفية (فيل).

– «أنا هيرا،» قالت بخجل. التقت عيناها البنيتان العميقتان بعيني وهي

تبعد خصلة من شعرها الأسود الحريري خلف أذنها. كان في حركتها شيء

مألوف، جعلني أتساءل إن كانت من المُخفيات الشهيرات اللاتي يؤدين ألعاب الخفة في الشوارع.

– «أنا بيدن،» قلتُ رافعةً صوتي فوق ضجيج العربة التي تتدحرج فوق

حجارة الرصيف غير المستوية.

– «ما هي قوتك؟» سألت بفضول.

– «متبصرة.» هزرتُ كتفيّ بلامبالاة. «في الغالب، أستشعر المشاعر

القوية التي تمنحني ومضات من المعلومات. ليس بالأمر الجلل، لكن هذا كل ما أملكه.»

كاذبة. أنت لا تملكين شيئاً.

– «حقاً؟» اتسعت عيناها، لربما مصدومة من أن شخصاً يمتلك قدرة عادية وضعيفة كهذه استطاع الوصول إلى التصفيات، ناهيك عن هزيمة خامد.

– «إنها قدرة عقلية لا يمكن التحكم بها، وهي السبب الوحيد الذي منع الخامد من اختراق عقلي حين أنقذت الأمير كاي.»
رمقت آيس بنظرة ذات مغزى.

– «أفترض أن هذا هو السبب الذي جعل الناس يرغبون في وجودي في هذه التصفيات أصلاً.»
شخر آيس الوغد بسخرية.

– «هم لا يريدونك في تصفيات التطهير إلا ليشاهدونك تموتين أيتها العادية.»

حدقت فيه، وبعد صمت طويل، تلاعبت ابتسامة صغيرة بشفتي.
– «أوه، بكل تأكيد. لكن على الأقل، سيكونون يشاهدونني في المقام الأول.»



الفصل 11

بيدك

كان الصمت هو الرفيق الوحيد فيما تبقى من الرحلة، لتصبح النافذة المجاورة لي ملاذي الأوحـد للتسلية.

مررنا بعشرات الشوارع المكتظة بغرباء تعلو الابتسامات وجوهمهم، يلوحون ويحدقون بذهول. تعالت هتافات البعض وهم يركضون بمحاذاة العربة، محاولين استراق النظر إلينا قبل أن نمضي نحو حتفنا.

وكلما اقتربنا من القصر، تعاظمت مساحات المنازل وازدادت فخامتها، واختفت من الشوارع أطراف المشردين الهائمين. لمحتُ قمم الأبراج المهيبة قبل أن يتكشف أمامي القصر المهيـب بأكمله قابلاً أسفلها. إنه هائل. ورغم حجارته الرمادية وواجهته الباردة، إلا أنه يسلب الأبواب. تلال تكسوها الخضرة وحدائق غناء تعج بزهور زاهية الألوان لم أكن أعلم بوجودها أصلاً، تطوق أسوار القلعة لتضفي لمسة من الرقة على ذلك البناء الرهيب.

تناهى إلى مسمعي وقع الحوافر وهي تقرر الحجارة الملساء حين ولجنا فناءً تتوسطه نافورة ضخمة، بينما تناثرت التماثيل البيضاء حول محيطها. وحين تباطأت العربة لتتوقف أخيراً، استرقتُ النظر عبر النافذة لأرى درجاً حجرياً عريضاً يقود إلى داخل القصر، وتحف به أحواض الزهور.



وثب جنود الإمبراطورية من مقاعدهم الوثيرة وشرعوا أبواب العربة، ليغمر ضوء الشمس الدافئ مقصورتنا الضيقة. كدتُ أتعثر وأنا أندفع خارجاً في عجلة من أمري هرباً من ضيق العربة ومن فيها. وما إن لامست قدمي الأرض الصلبة وغمرني الهواء الطلق، حتى أخذتُ نفساً عميقاً، أتشرب عبق الزهور العطر وأشعة الشمس.

ترنح الاثنان الآخرا ن ليقفا بجواري، وعيونهما متسعة من فرط الدهول. انتشلنا صوت من شرودنا حين تنحنح الجندي ذو الشعر الأحمر وقال: - «اتبعوني.»

صعدنا الدرجات الحجرية في صف واحد خلفه، متجاوزين العشرات من الجنود الذين اصطفوا على جانبي الدرج. وما إن بلغنا القمة، حتى تقدم حارسان آخرا ن لينضمّا إلى ذلك الجندي الأصهب الذي يقودنا، قبل أن نلج عبر الأبواب العملاقة.

إن كان الخارج فاتناً، فهو يتوارى خجلاً أمام هذا البهاء. تزدان كل جبهة بلوحات تتلألأ وتفاصيل جصية معقدة تتسلق الجدران لتعانق الأسقف. كل شيء يسطع ببياض مبهر، تتخلله ومضات زمردية متناثرة في الأروقة التي نقطعها، متوجة إياها بلون مملكة إيليا.

كنتُ مسلوبة الإرادة تماماً أمام فخامة هذا المكان وجماله، لدرجة أنني لم أدرك أن الجندي الأصهب كان يوجه حديثه إلينا نحن الثلاثة:

- «... الغُرف من هنا، في الجناح الشرقي للقصر.»

أشار إلى ممرات عديدة، افترضتُ أنها تغص بغُرف لا تقل زخرفة وبهاء. استدار فجأة على عقبيه ليواجهنا، مما أجبرني على التوقف بانزلاق مفاجئ قبل أن أرتطم بصدّره.

قال:

- «سيتألف الأسبوعان القادمان من تدريبات، ولقاءات مع بقية المتسابقين، ومقابلات، والحفل الراقص الأول. وسيكرر هذا الروتين في كل أسبوع يفصل بين تصفيات وأخرى. سيُخصّص لكل منكم جندي إمبراطوري

يرافقه طوال فترة إقامته هنا، ليصطحبكم من وإلى أي مكان تقصدونه حتى تألفوا أروقة القلعة.»

تقدم أحد الجنود الواقفين خلفنا ليقف بجوار هيرا، بينما أخذ الآخر مكانه بجانب آيس.

قال الجندي الشاب وهو يصفق بيديه متنهداً:

– «حسناً، سنريكم غرفكم ونترككم لتستقروا.»

وحين انعطفت هيرا وآيس عند نهاية الرواق، التفتُ نحو حارسي الشخصي.

سألتُه:

– «إذن، أنت من سيرا قبني؟»

ضحك خافتاً واستدار مشيراً لي باللاحق به:

– «يا لحظي السعيد. بالمناسبة، أدعى ليني.»

قلتُ وأنا أسرع الخطى لأجاري خطواته الواسعة، مطبقةً شفتي بقوة كي لا أتفوه بما لا يحمد عقباه:

– «لم أظن يوماً أنني سأقول هذا لجندي إمبراطوري، لكن سررتُ بلاقائك

يا ليني.»

مسح مؤخرة عنقه باحثاً عن الكلمة المناسبة:

– «أجل، حسناً، لا ألومك. أغلب جنود الإمبراطورية قد يكونون...»

غمغمتُ قبل أن أُمنع نفسي:

– «خنازير؟»

كتم ضحكته بتنحنح سريع وقال:

– «أجل، لهذا يוכלون إليّ الكثير من مهام التحدث هنا. أظن أنني لا أبدو

مخيفاً كفاية.»

رمقته بنظرة سريعة من قمته إلى أخمص قدميه، ولم أملك سوى أن أتفق معه. فشعره الأحمر الفوضوي، وانفجار النمش المتناثر من تحت قناعه، يبددان أي أمل في أن يبدو مهدداً. توقف أمام باب بالقرب من نهاية رواق طويل، ودفعه ليفتح مشيراً لي بالدخول.

عضضتُ على لساني لأكتم شهقة انبهار أمام أجمل غرفة وقعت عليها عيناى، تعج بخزائن الكتب، ومنضدة زينة أنيقة، ومكتب للكتابة، و... سرير.

سرير هائل. بعد خمس سنوات من النوم على حجارة الرصف الخشنة المدببة، كانت فكرة النوم هناك تفوق قدرتي على الاستيعاب. رمشتُ بذهول وأنا أخطو أخيراً للداخل. كان السجاد وثيراً أسفل قدمي، واستدرتُ لألمح حماماً يطل من خلف باب إلى اليسار. خطوتُ نحوه، مجاهدةً لكبح ابتسامتي حين رأيت حوض استحمام خزفياً ناصع البياض، يركز على قوائم ذهبية. مياه جارية وساخنة.

ومرحاض ومغسلة يضاهيانه لمعاناً يستقران على الأرضية الرخامية البيضاء ليكتملا المشهد. خطوتُ ببطء خارج الحمام، ولا تزال عيناى مسمرتين على غرفة النوم أمامي. بطرف عيني، لمحتُ ليني يراقبني، مستمتعاً بحالة الدهول التي تلبستني. سألني:

– «أتمنى أن تكون غرفتك... مرضية؟»

قلتُ والسخرية تقطر من حروفي وأنا أرتمي على سريري:

– «أوه، أظن أنها ستفي بالغرض.»

استدار ليخرج من الباب وهو يقول:

– «حسناً، سأتركك لترتاحي، بما أنكِ ستمضين وقتاً طويلاً هنا.»

– «ماذا تقصد بذلك؟»

مسح بيده على مؤخرة عنقه وتنهد:

– «ستكتشفين ذلك قريباً بما يكفي.»



كان ليني محقاً حين نصحني بأن أرتاح.

لقد بقيتُ حبيسة هذه الغرفة ليومين كاملين.

استحالت قفصي الذهبي الخاص، تقيّدي وسط الترف. لم يرَ الحراس المتمركزون خارج بابي أنني أستحق أكثر من تدمير بضع كلمات حول التزامهم بالأوامر لإبقائي محتجزة. لذا، مسحتُ كل شبر من الحجرة، أشغل نفسي بتقليب صفحات الكتب، والاسترخاء في حمامات ساخنة، والتهام وجبات شهية.

ومع ذلك، لم أشعر يوماً بقلق ينهشني كهذا القلق.

باطن خدي يؤلمني؛ نتيجة العض المستمر في محاولة يائسة لتهدئة أعصابي. ورغم نومي على سرير وثير للمرة الأولى منذ سنوات، إلا أنني أتقلب بأرق. لم أحدث أحداً منذ يومي الأول هنا، ولم يتفضل أحد حتى بإخباري بحق الجحيم عما يجري. تُركتُ لأذرع الأرضية المبطنة، تتآكلني الهواجس حول هوية خصومي وما يمتلكونه من قوى.

ألا عيب نفسية، هذا ما يحدث.

من المرجح أن الملك يجد في هذا تسلية. تروق له فكرة أن نكون قلقين، مضطربين، وحبيسي غرفنا حتى يأمر بغير ذلك. القصد من هذا هو استنزاف أعصابنا، وجعلنا على صفيح ساخن.

أوقفني طَرَقُ على الباب عن السير جيئةً وذهاباً.

أطل رأس ليني من إطار الباب، تعلو وجهه ابتسامة خجولة:

– «إذن... كيف حالك يا بيدن؟»

رمشتُ وعياني معلقتان به:

- «كيف حالي؟ كيف حالي؟»

تسلل أكثر إلى داخل الغرفة، وخرجت كلماته التالية ببطء:

- «حسناً، يراودني شعور بأنك لست... بأفضل حال.»

كانت ضحكتي مريرة:

- «يمكنك قول ذلك. لقد مر يومان. أين كنت بحق الجحيم؟»

أجاب بتصلب:

- «يروق للملك إبقاء المتسابقين في عزلة تامة خلال الأيام الأولى. ولكن،

الأخبار السارة هي أنك ستتناولين العشاء الليلة مع بقية المتسابقين، بصحبة الملك والملكة.»

ابتلعت ريقِي. بعد ثمان وأربعين ساعة من الأرق، سألتقي فجأة

بالمُتسابقين الذين احتلوا أفكارِي، وبالملك الذي احتل كوابيسي.

استدار ليني نحو الباب قائلاً:

- «سأعود بعد قليل لأرافقك إلى العشاء. إذا احتجت شيئاً، فقط

أصرخي. لن أكون بعيداً. أوه، وربما تودين تبديل ملابسكِ قبل العشاء.» ألقى عليّ نظرة من فوق كتفه.

بمجرد رحيله، انسلتُ إلى الحمام وعبثتُ بالمقابض المتنوعة لحوض

الاستحمام حتى تدفقت المياه الساخنة يتصاعد منها البخار. وفي غضون دقائق، كنتُ قد تجردتُ من ثيابي وغصتُ في المياه التي كستها الرغوة، بفضل الكمية المبالغ فيها من الصابون والأملاح التي سكبتُها. فركتُ شعري وجسدي بقوة، ليترك ذلك بشرتي محمرة ومنتعشة.

لم أشعر بمثل هذه النظافة منذ سنوات.

شرد ذهني نحو همومي الكثيرة، ولم تفلح المياه الدافئة في تبديدها.

التهمت التصفيات أفكارِي، تذكرني بالقوة التي أفتقر إليها والحماية الضئيلة التي أمتلكها. ناهيك عن أنه إذا لم تقتلني التصفيات، فإن اكتشاف حقيقتي كعادية سيفعل ذلك حتماً.

بقيتُ مسترخية في المياه ذات الفقاعات حتى بردت كالحمامات التي اعتدتُ عليها. وحين استجمعتُ أخيراً قواي لأجبر نفسي على الخروج من الحوض، كنتُ أرتجف وأنا أرتدي رداءً حريراً أخضر اللون.

عُدْتُ أدراجي إلى غرفتي، وفتحتُ الأبواب البيضاء لخزانة الملابس العملاقة المقابلة لسريري، لأحدق في عشرات الألوان والنقوش المعلقة بعناية على الرف. أزياء تناسب كل المناسبات تتدلى هناك، رهن إشارتي. كانت أدينا لتموت لو رأت هذا.

حدقتُ بجمود في الملابس، ثم هبطت نظرتي إلى ملابسي الرثة الملقاة والمنسية على الأرض. ليس لدي أدنى فكرة عما يليق ارتدائه في هذا العشاء، ولا أرغب في جعل نفسي أضحوكة قبل أن تبدأ التصفيات حتى.

تذكرتُ قول ليني بأن أصرخ إن احتجتُ شيئاً، وعقدتُ العزم على فعل ذلك. أنا واثقة أن الجندي الإمبراطوري قد شهد العديد من هذه المآدب وسيكون لديه فكرة عن الزي المتوقع.

خطوتُ بقوة نحو الباب وجذبتُه ليُفتح، ناظرةً لأسفل وأنا أحكم ربط حزام ردائي. وصرختُ بالفعل:

– «ليني، ما الذي يُفترض بي ارتداؤه بحق الجحيم...»
ثم رفعتُ نظري.

التقت عينايا بعينين خضراوين واسعتين وساطعتين. لم يسبق لي رؤية الرجل الواقف أمامي؛ وإلا لكنتُ تذكرته. بدا شعره الأشقر الداكن والفوضوي مبللاً بعض الشيء وكأنه هو الآخر قد خرج للتو من الحمام. يمتلك ملامح قوية ورقيقة في آن واحد، بأنفه المستقيم وشفتيه الناعمتين. كانت يده مرفوعة، لا تزال متخذة وضعية الاستعداد لطرق بابي.

استعاد رباطة جأشه أسرع مني وقال وابتسامة لعوب تلتوي على شفتيه:

– «مشاكل في اختيار الملابس؟»

كان في ابتسامته شيء مألوف للغاية، ومع ذلك، غريب تماماً.

قلتُ بابتسامة صغيرة:

– «من الواضح.»

جالت عيناه فوقى بسرعة، وحينها فقط تذكرتُ أنني لا أرتدي سوى رداء الاستحمام. أحكمتُ لفه حولي، مجاهدة لإخفاء حمرة خجلي.

تنحني وقال:

– «حسنًا، لا داعي للقلق. خادمك، إيلي، ستأتي قريبًا لمساعدتك في ارتداء ملابسك والتجهز للعشاء.»

كان يتحدث بهالة من السلطة، وكأنه معتاد على إلقاء الأوامر. ورغم ملابسه البسيطة – بنطال أسود ضيق وقميص أخضر مجسم يبرز بنيته الممشوقة – أدركتُ على الفور أن هذا الرجل ليس خادمًا.

متسابق؟

وعند فكرة أن تقوم خادمة على خدمتي، قلتُ بسرعة:

– «لن يكون ذلك ضروريًا. يمكنني تدبر أمري بنفسي، شكرًا لك.»

انتقلت نظرتي من شعري المتشابك الذي لا يزال يقطر ماءً، إلى الرداء الحريري الذي أتشبت بإغلاقه.

– «من الواضح،» قالها مقلداً ردي عليه قبل لحظات، وتلك الابتسامة المألوفة بشكل غريب تعتلي وجهه.

نظرتُ إلى نفسي وكدتُ أضحك:

– «حسنًا، ربما ستكون الخادمة ضرورية بعد كل شيء.»

ضحك بنعومة قبل أن يشير إلى الغرفة خلفي:

– «مررتُ فقط لأرى إن كان كل شيء مناسبًا؟»

وجدتُ نفسي على وشك الضحك مجددًا:

– «إذا كان هذا "مناسبًا"، فلا يسعني حتى تخيل ما يُعتبر "فاخرًا" هنا.»

بحثت عيناه في عيني:

– «إذن ذكريني بأن أريكِ الحقائق في وقت ما.» أوماً لي برأسه وتابع:
«أتطلع لرؤيتكِ في العشاء يا بيدن.»
رمشتُ وعيناوي معلقتان به.

قلتُ ببطء:

– «غريب... لا أذكر أنني أخبرتك باسمي.»

تلاعبت تلك الابتسامة الماكرة بشفتيه مرة أخرى وهو يقول:

– «أوه، لم تكوني بحاجة لذلك. أنا أجعل من صميم عملي معرفة كل
الفتيات الجميلات اللاتي ينقذن أخي الصغير.»
يا للأقدار، إنه—

– «أنا كيت بالمناسبة.» رمقني بابتسامة خاطفة قبل أن يستدير ويخطو
مبتعداً في الرواق، تاركاً إياي مصدومة ومحملة في أثره.
الأمير كيت. أعني كيت "ملك إيليا المستقبلي".
ما قصتي مع الاصطدام بأفراد العائلة المالكة؟

لم يسبق لي رؤية الملك المستقبلي من قبل، وبالتأكيد لم أظن يوماً أنني
سألتقيه وأنا أرتمي رداء استحمام. إنه وريث العرش، الحاكم القادم المستعد
لاقتفاء أثر والده الخبيث. بينه وبين أخيه—
أخوه.

لهذا بدت ابتسامته مألوفة.

لقد رأيتُ نسخة منها على وجه الأمير الآخر، رغم أن ابتسامة كيت كانت
مشرقة وصبيانية، بينما كانت ابتسامة كاي أكثر غروراً، وأكثر برودة.
راقبتُ فتاة صغيرة داكنة الشعر تقترب باستحياء من غرفتي، وعلى
شفتيها ابتسامة خجولة:

– «مساء الخير يا آنسة. سأكون خادمتكِ أثناء إقامتكِ هنا في القصر،
وسأساعدكِ في أي شيء قد تحتاجينه.»

كان صوتها ناعماً ورقيقاً، لكن كلماتها المحفوظة كانت ثابتة.

– «أرجوك، ناديني بيدن.»

نظرت إليّ بتوجس، لكنني أصررت:

– «بحق الطاعون، قبل بضع ساعات كنتُ أنام وسط القمامة، لذا

صدقيني حين أقول إنه لا ينبغي لك مناداتي بكلمة "آنسة".»

كافحت لتكتم ضحكتها عند سماع ذلك، وأومأت ببطء موافقة:

– «عظيم. الآن وقد اتفقنا على هذا، هل يمكنكِ مساعدتي في معرفة ما

يُفترض بي ارتداؤه الليلة؟»

ابتسمت لي بخجل، وبدأت مرتاحة:

– «أعتقد أنني أستطيع المساعدة في هذا.»

أمضينا النصف ساعة التالية في تصفية الأزياء قبل أن نستقر على شيء بسيط نسبياً بمعايير القصر، رغم أنه لا يزال أجمل ما ارتديته في حياتي.

وبعد أن أفرغنا نصف محتويات الخزانة على الأرض، استقر اختيارنا على سروال أسود ضيق ولامع، منسق مع بلوزة حريرية خضراء داكنة. كانت منخفضة نسبياً، ذات أكمام متدلّية أعلم مسبقاً أنها ستغوص في الطعام عن طريق الخطأ. دسستُ خنجرًا صغيرًا في الحزام الخلفي لسروالي، وكان النصل المسطح الملامس لظهري باردًا ويبعث على الطمأنينة.

بعد أن أحكمتُ ربط حذائي ذي الرقبة العالية، أشارت لي إيلي بالتوجه نحو منضدة الزينة حيث بدأت تعبت بشعري، محاولة جعل تلك الكتلة المبللة تبدو لائقة.

– «إذن يا آنسة...» تنحنحت وحاولت مجددًا: «إذن يا بيدن، هل لديك

أي فكرة عما ستكون عليه التصفيات؟» أكدت على اسمي بابتسامة صغيرة.

أجبتها بابتسامة متوسلة عبر المرأة:

– «ليس لدي أدنى فكرة. كنتُ آمل أن تكوني أنتِ من يعرف، بما أنني

واثقة أنك تسترقين السمع للكثير مما يدور في القصر؟»

كانت كلماتها التالية أشبه بالهمس:

- «كل ما أعرفه هو أن هذا العام يُفترض أن يكون... مختلفاً.»
رددتُ الكلمة:

- «مختلفاً؟ بأي طريقة؟»

هزت كتفيها، وهي تقبض على خصلات من شعري بيديها:

- «لا أدري. مجرد مختلف، بطريقة ما.»

حاولتُ جاهدة أن أتخيل كيف يمكن لتصفيات أن تكون مختلفة، طالما أن كل واحدة منها دموية ووحشية كسابقاتها. لكن هذه المعلومة الضئيلة جعلتني أشعر بعدم الاستعداد أكثر لما هو آتٍ، وحاولتُ ألا أستسلم للانقباض الذي يعتصر معدتي.

سرعان ما استسلمت إيلي محبطة في تصفيف شعري بزفرة متعبة، وقررت تركه ينسدل بخفة على ظهري. ثم نثرت بعض المسحوق على وجهي قبل أن تلتخ رموشي بالقليل من السواد.
قالت وهي تتأملني:

- «هكذا أفضل. لم تعودى تبدين وكأنكِ نمتِ في القمامة هذا الصباح.»
شخرتُ ضاحكة:

- «بحق الطاعون، ألم تخرجي من قوقعتكِ بالفعل.»

توردت وجنتاها خجلاً قبل أن يدفعها طرُقُ على الباب للهرولة لفتحه. نظر ليني إليها لأسفل وابتسم، مما زاد من حمرتها.

- «جاهزة للذهاب يا بيدن؟» سحب عينيه بصعوبة من إيلي ليلاقي عيني.

حين وافيته في الرواق، بدأنا مسيرنا عبر الممرات ذات الزخارف المعقدة. وبينما كنا نتعرج عبر المتاهة التي هي القلعة، بذلتُ قصارى جهدي لرسم خريطة ذهنية لتصميمها.

انعطاف اليسار، اثنان لليمين، وآخر لليसार...

سرعان ما عدنا إلى رواق المدخل الواسع الذي يمتد نحو الأبواب الأضخم التي دخلنا منها لأول مرة قبل يومين. قادني ليني نحو زوج آخر من الأبواب التي تمتد من الأرض إلى السقف، على مسافة أبعد قليلاً في الممر العريض، وهمس:

– «غرفة العرش. هنا ستتناولين وجباتك مع بقية المتسابقين.»

وقبل أن تسنح لي فرصة إبطاره بالأسئلة، أوماً للحراس الواقفين بالجوار، أمراً إياهم بصمت بدفع الباب المهيّب ليُفتح. في البداية، لم يلحظني أحد.

كانوا جميعاً يجلسون حول طاولة خشبية طويلة في قلب الأرضية الرخامية، في تناقض صارخ مع الجمال الرقيق لغرفة العرش. أما بالنسبة لأفراد النخبة المحيطين بها، فقد كانوا يتجاذبون أطراف الحديث بأريحية، ويبدو أن الكثير منهم قد نشأوا معاً.

أخذتُ نفساً عميقاً وبدأتُ أخطو ببطء نحو الطاولة. ارتدت ثمانية أزواج من العيون نحوي، تتفحصني من الأعلى للأسفل بينما أشق طريقي نحوهم. بالطبع أنا آخر من يحضر.

سحبتُ كرسيّاً في نهاية الطاولة بجوار آيس، ممانعةً الجلوس بجانبه، لكنني تنفستُ الصعداء لجلوسي حتى يكف الجميع عن التحديق.

إلا أنهم لم يفعلوا.

شعرتُ بنظراتهم تثقبنني، فرفعتُ بصري، ولم أستطع منع الكلمات من التدافع خارج فمي:

– «إذن، ماذا لدينا للعشاء؟»

أطلقتُ زفرة ارتياح حين شخرت الفتاة الجالسة على الجانب الآخر من آيس، وانحنت فوق الطاولة لتنظر إليّ. كان شعرها المقصوص بلون النبيذ الأحمر يلمع في ضوء شمس العصر المتأخر المتدفق عبر النافذة، منافساً لمعان الحلقة الفضية اللامعة في أنفها.

– «لا أفأأ أطرح السؤال ذاته!» بدت عيناها العسليتان تتلألآن بالمكر.
«أنا آندي.»

– «بيدن،» قلتُ وأنا أمنحها ابتسامة صغيرة.
انطلق صوت عميق من الطرف الآخر للطاولة:
– «حسنأً، بما أننا نتعارف، أنا براكستون.»
رفعتُ نظري لأرى فتىً ضخماً داكن البشرة يحني رأسه نحوي.
قوي (براوني).

أومأتُ له برأسي، بينما نادى صوت ذكوري أعلى طبقة:
– «أنا جاكس!»

نظرتُ أسفل الطاولة نحوه، متأملة ابتسامته الخجولة. بدأت الأسماء
تُداول عبر الطاولة. وبخلاف هيرا وآيس القادمين من العشوائيات، كان من
الجلي أن الجميع يعرفون بعضهم البعض جيداً.
– «أنا سيدي.»

التفتُ نحو مصدر الصوت لأرى فتاة ذات بشرة دافئة تتفحصني. كانت
نظرتها تقيمية وفضولية. أما الفتاة المجاورة لها، فقد رفعت ذقنها وتنحنحت،
لتجذب انتباهي نحوها.

– «بلير. سررتُ بلقائك يا بيدن.»

بصقت الكلمات وكأنها تترك طعاماً مقززاً في فمها، كل هذا وهي تنظر إليّ
وكانني شيء لزج عالق بأسفل حذاءها. انتابني انطباع فوري بأن هذه الفتاة لا
تود الانخراط مع العاديين في شيء، فما بالك بشخص يعتبر العشوائيات
وطنه. انسدل شعرها الأرجواني الفاتح على كتفيها، متناقضاً مع عينيها
البنيتين اللتين ترمقاني بحنق. إنها فاتنة، لكنها باردة بشكل مروع.

– «الشرف لي يا بلير،» قلتُها ببرود. النظرة الجائعة في عينيها أشعرتني
وكانني سأكون وجبتها التالية.

ومن ثم انبعث صوت عميق ومستمتع بشكل مستفز من نهاية الطاولة، في
مواجهتي تمامًا:

– «وأنا كاي. لكنك كنتِ تعلمين ذلك بالفعل.»



الفصل 12

كاي

إنها هنا.

انفجر كيت ضاحكاً بملء شذقيه حين اكتشف الهوية الحقيقية لـ بيدن جراي، رغم أن رمية خاطفة لأحد سكاكيني أسكته على الفور. ولكن حتى وهو يرفع يديه مستسلماً، لم يتوقف عن الثرثرة حول مدى سخرية الموقف برمته. وهو محق. إنه أمر مثير للسخرية فعلاً. الفتاة المتبصرة التي أنقذت، دون قصد، أميراً لا تعباً به البتة، تكافأ الآن بزجها في تصفيات قد تؤدي بحياتها. وها هي الآن تجلس أمامي مباشرة.

بعد أن غسلت عن جسدي العرق والدماء التي تخلفها الأيام الطويلة من التدريب والتعذيب، شققت طريقي نحو غرفة العرش. وما هي إلا لحظات حتى دخل براكستون متباطئاً، تلاه جاكس الذي لا يزال يتوثب من الحماس.

توافد باقي أفراد المجموعة المألوفة تبعاً، برفقة فتى وفتاة لم يسبق لي رؤيتهما – القادمان من العشوائيات. امتلأت المقاعد حول الطاولة، ولم يتبق سوى مقعدي الرأس للملك والملكة، ومقعد بجواري لـ كيت.

ولكن، ما إن استقر بنا المقام وبدأنا بتبادل الأحاديث العقيمة إياها التي لو كناها لسنوات، حتى حدث شيء.



لقد حدثت هي.

لقد دخلت الغرفة.

اتخذت مقعدها في مواجهتي، ودون أن تكلف نفسها عناء إلقاء نظرة باتجاهي، قالت:

– «إذن، ماذا لدينا للعشاء؟»

تحدث بثقة لا تتزعزع، حتى وأصابعها تعبت بتوتر مديرة الخاتم حول إبهامها.

مثير للاهتمام.

تم تبادل التعارف بسرعة بين آندي، وبراكستون، وجاكس، وسيدي، وبلير، والوافدين الجديدين آيس وهيرا. ومع ذلك، لم تتنازل حتى للنظر إليّ. هذا لن يجدي نفعًا.

– «وأنا كاي. لكنك كنتِ تعلمين ذلك بالفعل.»

هذا ما جذب انتباهها أخيرًا. اختلجت زاوية فمي بشبح ابتسامة حين التقت عيناها بعينيّ. رموشها الكثيفة المسودة بالكل تتناقض بشدة مع الزرقة الصارخة في نظرتها. خصلات فضية وناعمة تتهاوى على كتفها وتنسدل على وجهها، فاجتاحني رغبة مفاجئة ومزعجة في إبعاد تلك الخصلات عن عينيها، فقط لأتمكن من رؤيتهما بوضوح أكبر.

– «أجل، للأسف، كنتُ أعلم ذلك بالفعل.» كانت ابتسامتها الرقيقة في تناقض تام مع حدة نظرتها.

ارتدت أنظارنا نحو الأبواب الضخمة حين أنّت مفصلاتها وهي تُفتح، ليتركز انتباهي الآن على والدي ووالدتي وهما يخطوان للداخل. لا، الملك والملكة يخطوان للداخل، ويبدوان في أبهى حلة ملكية. كانا يتلألآن تحت أشعة الشمس المتدفقة من النوافذ العملاقة المحيطة بغرفة العرش، وينعكس الضوء على تيجانها ومجوهراتهما وهما يشقان طريقهما نحو الطاولة. لقد ألفتُ هذه الرسميات؛ الملك في بذلة فاخرة، بينما تشع الملكة في فستان أنيق. يبدو والدي صارمًا ومهيّبًا، في حين تبدو والدتي هادئة بابتسامتها المشرقة.

سار كيت خلفهما، متأنقاً ببساطة ولكنه يجسد الملك المستقبلي بكل تفاصيله. التقت نظراته بنظراتي قبل أن يرمق بيدن بابتسامة ذات مغزى على شفتيه. اتخذ مقعده بجواري بينما سحب الملك أحد الكراسي الخشبية الثقيلة لملكته.

دوى صوته عبر الطاولة:

– «مرحباً بكم في تصفيات التطهير السادسة في التاريخ.»
أزاحت والدتي خصلة من شعرها الأسود عن عينيها وقالت:
– «ومبارك لكم جميعاً وصولكم إلى هنا.»
قال والدي:

– «إنه لشرف عظيم أن يقع عليكم الاختيار. شرف لمملكتكم، ولعائلاتكم، ولأنفسكم.» كان يردد الكلمات التي حُفرت في عقلي منذ أن كنتُ طفلاً لا يفقه معناها. «أقترح أن تستغلوا وقتكم بحكمة للتجهز للتصفيات. فأنتم لا تدرون أبداً ما قد يُلقى في طريقكم.» استقرت عيناه عليّ، في تذكير صامت وبعيد عن اللباقة بمهمتي في تحقيق الفوز. «أحثكم على استغلال الوقت المتبقي قبل التصفية الأولى، وكل أسبوع بين التصفيات المتعاقبة، في التدريب.»
وفي مراقبة خصومكم وهم يتدربون.

أكاد أقرأ الكلمات غير المنطوقة في عينيه. فمعرفة أسلوب قتال خصومك، وتعلّم كيفية قراءة حركاتهم ومناوراتهم، قد يكون هو الفاصل بين الحياة والموت.

قالت والدتي بحرارة:

– «بالإضافة إلى التدريب على خطوات الرقص!» فهي لطالما استمتعت بالحفلات الراقصة أكثر بكثير من إراقة الدماء في التصفيات.
ابتسم والدي لزوجته. كانت إيماءة صادقة، من ذلك النوع الذي لا يمنحه إلا لها.

– «كفانا حديثاً عن التصفيات. دعونا نأكل.»

ومع تلك الكلمة، بدأ طابور الخدم في التقدم، يحملون صوان يتصاعد منها البخار نحو الطاولة. وُضعت أمامنا عشرات الأطباق المقدسة بالطعام. لحم ديك رومي متبل وأكوام من الفاصوليا تُغرف في الصحون. أحضرت جابل بنفسها صينية من لفائف القرفة اللزجة، ووضعتها أمامي أنا وكيت لإغاضتنا نحن الاثنان. غمزتُ لها بعيني سريعاً وهي تبتعد، فقلبت عينيها بضجر قبل أن تسرع خارج الغرفة.

تجاذبنا أنا وكيت أطراف الحديث ونحن نمرر صواني الطعام، ونلوح للخدم بالانصراف حين يعرضون تقديم الطعام لنا. كنتُ في منتصف غرف لحم الديك الرومي في طبقي حين تعلقت عينا ببيدن، الجالسة بتصلب في مواجهتي. كان فكها مشدوداً وكأنها تبذل قصارى جهدها كي لا يسقط فمها مفتوحاً. وبدافع الفضول، نظرتُ على امتداد الطاولة نحو هيرا التي كانت ترتدي نفس نظرة الذهول على وجهها. حتى آيس، الذي بدا الأوفر حظاً بين الثلاثة، لم يسعه سوى التحديق بصمت في كمية الطعام المصفوفة أمامنا.

انزلقت نظرتي عائدة نحو بيدن التي كانت مشغولة بالرمش المستمر بدلاً من تناول الطعام. لا يسعني سوى تخيل ما يدور في رأسها. على الأرجح شيء يتعلق بمدى اشمئزازها من كميات الطعام التي نهدرها، في حين أنها بالكاد تجد ما يبقّيها على قيد الحياة. وحين تأملتُ الغضب المكتوم المتنامي على ملامحها، أخبرني حدسي أنها تفضل المبيت جائعة الليلة.

وهذا لن يجدي نفعاً.

مجرد كوننا نتنافس وجهاً لوجه لا يعني أنني أبتغي هزيمتها غلابةً لمجرد أنها تتضور جوعاً. لذا، غرزتُ شوكتي في قطعة من لحم الديك الرومي، ومددتُ يدي عبر الطاولة، ثم ألقيتُ بها في طبقها.

ارتدت نظرتها نحوي كالبرق، واختلج وجهها بمزيج بين الحنق والذهول. سألتها بلهجة عابرة:

– «هل تحبين الفاصوليا؟»

وحين لم تجب، كومتُ كمية منها في طبقها على أي حال وتابعت:

– «حسناً، يبدو أنني سأكتشف ذلك بنفسي.»

ملتُ بجسدي فوق الطاولة، وأنا أضيف البطاطس إلى كومة الطعام المتنامية في طبقها، وهمستُ:

– «هل ستجبريني على إطعامك بملعقة أيضاً، أم أنك قادرة على تدبر أمرك بنفسك؟»

ومع تلك الكلمات، رمقتها بابتسامة كانت كفيلة – بلا أدنى شك – بجعلها ترغب في رشقي بالفاصوليا، وتوجيه لكمة محكمة إلى وجهي.

توقدت عيناها كألسنة لهب زرقاء، وكانت نظرتها توبخني بحدة وكأنها تنهال عليّ بالتقريع. لكن، وكما توقعتُ تماماً، التقطت شوكتها على مضض وبدأت تدفع ببعض الفاصوليا في فمها، بينما بقيت عيناها مسمرتين عليّ. اتكأت بظهري على الكرسي والابتسامة تعلو وجهي؛ فقد قرأتُ في عينيّ أنني سأقوم فعلياً بإطعامها بيدي إن لم تبدأ بالأكل، ولم تكن لتسمح بحدوث ذلك أبداً ولو انطبقت السماء على الأرض.

مرت الدقائق التالية وسط رنين الأواني الفضية ومنتف من أحاديث متفرقة. التفتت بلير نحوي ونحو كيت، وهي تثرثر حول شيء لا يعلمه إلا الطاعون. في المجمل، كيت رجل أفضل مني بمراحل، وتحديدًا في طريقة تعامله معها؛ فقد كان يتحدث بعفوية بينما صببتُ جلَّ اهتمامي على الطعام الذي أمامي.

فجأة، شق صوت والدي ضجيج الأحاديث الجانبية.

قال والدي وهو يرمق بيدن بنظرة يملؤها الفضول:

– «إذن، هذه هي الفتاة التي أنقذتك في الزقاق؟»

فقط بعد أن سرقنتني.

شعرتُ بأنظار الجميع ترتد نحونا، والكل يصيح السمع لمتابعة الحوار. وضعت بيدن شوكتها بهدوء، وحدقت في الملك بنظرة بلغت من الحدة مبلغاً جعلني أتذكر بلير للحظة. غيمت عينيها عاطفة معينة وهي تنظر إليه؛ عاطفة

كانت تجاهد لإخفائها. لم يسعفني الوقت لفك شيفرتها قبل أن تعيد ملامحها إلى جمودها المعتاد في طرفة عين.

قالت وهي تنقل بصرها نحوي، وقد تحولت ابتسامتها إلى تحدٍ سافر:
 - «أجل، لقد أنقذت حياتي بالفعل. أليس كذلك يا صاحب السمو؟»
 قلت والسخرية تغلف نبرتي بينما تلاعبت ابتسامتها على أطراف شفتي:
 - «إذن، أنتِ تدركين لقبي بعد كل شيء. لست متأكداً من ذلك، ففي الزقاق كنتِ تنادينني بشيء مختلف تماماً.»
 كانت ابتسامتها متكلفة وهي تظهر أسنانها:
 - «أنا واثقة أن ما نعتك به كان مستحقاً.»
 صمتت قليلاً ثم أضافت:
 - «ودقيقاً. وبمنتهى الجدارة.»
 وغد مغرور.

كان كل ما فيها - عيناها، وابتسامتها، ونبرتها - يصرخ بهاتين الكلمتين؛
 اللقب الذي خلعه عليّ.

- «وماذا كان لقبك أنتِ مجدداً؟ المنقذة الفضية؟»
 أطلقت ضحكة خافتة وتابعت:
 - «لقب ملائم. فأنا أعلم كم تعشقين الفضة والعملات الفضية.»
 تلاشت ابتسامتها بيدن الباردة أمام المعنى المبطن خلف كلماتي.
 هي مستشيطة غضباً، وأنا مستمتع للغاية.

يبدو أن مشاعر والدتي كانت تعكس مشاعر بيدن تماماً، فقد رمتني
 بنظرة حادة قبل أن تقول:

- «شكراً لك يا بيدن على مساعدة كاي. صنيعة لم يمر دون تقدير منا،
 ولا من الشعب، فهم من أرادوا وجودك في التصفيات.»

أحنت بيدن رأسها وابتسمت لها برقة، رغم أن الابتسامة لم تصل إلى عينيها.

عند سماع صوت والدي، اهتزت ابتسامتها.

قال الملك وهو ينظر إليها بارتياح:

– «يجب أن أعترف، لم يسبق لي مقابلة متبصرة من قبل. قواك... مثيرة للاهتمام.»

استرخت بيدن وأطلقت ضحكة قصيرة:

– «أجل، حسناً، كان والدي يقول إنها هبة نادرة، لكنها ضئيلة، لا يمتلكها الكثير من العاديين. وأعتقد أن الجزء الأكثر نفعاً في قدرتي هو أنني لا أتأثر بالخامدين، ولا بابنك، كما يبدو.»

سقطت خصلة من شعرها الفضي على عينيها، فأبعدتها خلف أذنها بعفوية بينما عاد بقية الحضور على الطاولة إلى أحاديثهم السابقة، بعد أن ملوا -على ما يبدو- من التنصت على هذا الحوار.

قال والدي بتفكر:

– «آه، نعم، والدك. لقد كان آدم جراي معالجاً فذاً، ورجلاً واسع المعرفة.»

تصلب جسد بيدن في مقعدها، وتنحنحت قائلة:

– «أنت... هل كنت تعرف والدي؟»

– «أجل، كنت أعرفه. كان يأتي إلى القصر في مواسم الحمى لمساعدة أطباء البلاط حين يزداد عدد المرضى عن الحد.»

أومأت بيدن برأسها:

– «نعم، أتذكر قيامه بذلك في كل شتاء.»

قُطعت محادثتهما حين عاد الخدم إلى الغرفة لرفع الأطباق. تغلغلوا حول الطاولة، يلتقطون الصحون والأواني الفضية قبل أن يتلاشوا مجدداً في الرواق، تاركين وراءهم طاولة لامعة.

نهض والدي ووالدتي كجسد واحد، وقال الملك كلمته الأخيرة:

– «نالوا قسطاً من الراحة أيها النخبة. تدريباتكم تبدأ غداً.»

ثم استدارا وخرجا بخطوات وئيدة عبر الأبواب الضخمة.

مرت لحظة من الصمت قبل أن يدوي رنين احتكاك الكراسي بالأرضية الرخامية، ونهض الجميع. تقدم ثلاثة من حرس الإمبراطورية نحو أعضاء النخبة الجدد، استعداداً لاقتيادهم إلى غرفهم.

راقبتُ حارساً شاباً صهّب الشعر وهو يتبختر نحو بيدن بابتسامة عريضة. وفجأة، وجدتُ نفسي أعترض طريقه قبل أن أمنع نفسي.

– «سأتولى الأمر من هنا.»

نظر إليّ بذهول:

– «سيدي، عليّ مرافقة—»

قاطعتُه بحدة:

– «أنا أعلم. وأنا قادر تماماً على ضمان وصولها إلى غرفتها، ألا تتفق

معي؟»

– «بلى، يا صاحب السمو.»

وبهذا، أحنى رأسه نحو بيدن قبل أن يخرج من الغرفة بخطوات واسعة.

رمقتها بنظرة، وكان الذهول المرتسم على وجهها مرآة لذهول الحارس الشاب. ثم استدرتُ وخرجتُ من الأبواب دون أن أنتظر لحاقها بي. زفرت بضيق قبل أن يبدأ وقع حذائها ذي الكعب العالي يتردد خلفي.

قالت بجفاء من خلفي:

– «ما سر هذه الرغبة المفاجئة في لعب دور الرجل النبيل؟»

توقفتُ واستدرتُ على عقبي، مراقباً إياها وهي تقترب مني، وجالت نظرتي فوقها للحظة.

قلت مع ابتسامة مأكرة:

– «لا تعتادي على الأمر. تصادف أن غرفتي تقع مقابل غرفتك تماماً، لذا قلتُ لنفسي لا بأس بأن أكون نبيلاً لهذه المرة فقط.»

دسستُ يديَّ في جيبِي بينما بدأنا السير مجدداً، وهي إلى جانبي هذه المرة.

سألتني:

– «ولماذا يقيم أمير في جناح المتسابقين بالقصر؟»

– «حسناً، في حال لم تلاحظي، أنا أيضاً متسابق في هذه التصفيات.»
أطلقت ضحكة فاترة خالية من المرح:

– «أجل، لاحظتُ ذلك فعلاً. لكنني ظننتُ أن من المفترض أن يمتلك الأمير غرفة فخمة تكتظ بالخدم الذين يلبون طلباته إشارةً بإشارة؟»

كانت سؤالها اتهامياً، كلمات معسولة مغموسة بالسم.

أجبتُ ببرود، وأنا أسمع صوت تذررها الساخر بجانبِي:

– «أوه، لا تقلقي، فأنا أمتلك غرفة كهذه أيضاً.»

كانت محقة جزئياً؛ فأنا أمتلك جناحاً فخماً، لكنني أرفض أن يخدمني أحد. وتابعتُ:

– «على جميع المتسابقين أن يحظوا بنفس ظروف المعيشة قبل وأثناء التصفيات. بهذه الطريقة، لا يمكن لأحد اتهام الآخر بالمحاباة أو بامتلاك أفضلية عليه.»

توقفنا خارج غرفتها حيث استدارت لتواجهني بكامل جسدها. بدت وكأنها على وشك الضحك مجدداً، لكن حين تحدثت، كانت كلماتها مفعمة بالمرارة:

– «مجرد كوننا نقيم في غرف متشابهة، لا يعني أن الآخرين لا يملكون الأفضلية.»

لزمتُ الصمت وأنا أتأملها للحظة. لو كنتُ مكانها، شخصاً "عادياً" قُذف به في تصفيات يواجه فيها أعتى القدرات التي يمكن لأفراد النخبة امتلاكها، لما

اختلف شعوري عن شعورها. فقوتها ليست شيئاً يمكنها استخدامه كسلاح مثل بقيتنا؛ هي مجبرة على الاعتماد على قوتها الذاتية بدلاً من قوة القدرة. فكرتُ فجأة في قتالها ضد الخامد؛ كيف كانت بارعة وواثقة من نفسها. ربما تملك فرصة للنجاة في هذه الألعاب تفوق ما تظنه هي عن نفسها. راقبتُ نظرتها وهي تنزل من فوق كتفي نحو الباب الذي كنتُ أسده. فتحت فمها لتقول شيئاً، مما لفت انتباهي إلى الجرح الشاحب في شفتها السفلية الذي بدأ يلتئم.

وبدافع لم أستطع تجاهله، التقطت أصابعي ذقنها ورفعت وجهها نحوي. كانت مذهولة لدرجة منعها من الحركة، فاستغللت الموقف.

– «كنتُ أظن أن بإمكانك تفادي ضربة مباشرة كهذه. يبدو أنك لست مقاتلة بارعة كما توهمت.»

هزرتُ كتفي وأملتُ رأسها نحو الضوء، أتفحص الجرح الملتهب في شفتها ببرود.

لكنها لم تبق واقفة هناك مذهولة أو ساكنة.

في حركة واحدة خاطفة، قبضت على معصمي من تحت ذقنها ولوثته للخارج بنفضة مفاجئة، مما أرسل ألماً حاداً في ذراعي. ثم قبضت على قميصي ودفعتنني بقوة نحو الجدار. انسلقت يدها الحرة نحو الخنجر المثبت عند خصري وسلّته، لتضع النصل الحاد على حنجرتي.

قالت وهي تنظر إليّ ببرود، بينما تراقص المرح في عينيها إزاء الموقف الذي وضعتني فيه:

– «هل تود اكتشاف مدى براعتي كمقاتلة فعلاً؟»

بدا أنها تعشق منظر الأمير وهو مثبت على الجدار. وليس أي أمير، بل المنفذ المستقبلي.

اتكأتُ على الحجر البارد، وأنا أطلق ضحكة مظلمة بينما دسستُ يدي في جيبتي بمنتهى الهدوء. لم يزد لها ذلك إلا إصراراً، فضغطت بالنصل بقوة أكبر على حنجرتي، مهددة بجرح الجلد.

يا لها من مخلوقة شرسة، أليس كذلك؟

– «على رسلك يا صاحب السمو. لا أود أن أريق دماء ملكية.»

كانت تسخر مني، وكانت محاولتها مستفزة لدرجة محبة.

ملت نحوها، تاركاً الفولاذ الحاد لخنجري يغرز في حنجرتي، مخلّفاً خطأ ربيعاً من الدماء الحارة.

– «على رسلك أنت يا عزيزتي. لقد نسيت أن إراقة الدماء هي أكثر ما أبرع فيه.»

حدقنا في بعضنا البعض.

كانت ترمقني بتعبير لم أستطع فك رموز تماماً، لكنها استعادت رباطة جأشها بسرعة، وحولت مسار الحديث بخفة:

– «أحد جنودك هو من فعل بي هذا.»

أفلتت قبضة يدها عن قميصي وأشارت إلى شفتها، وتابعت:

– «بالمناسبة، هل سألته عني؟ أنا واثقة أن لديه الكثير ليقوله.»

لقد سألته بالفعل، وكان لديه الكثير ليقوله. فبعد الحديث مع كل جندي إمبراطوري كان في مناوبة الصباح، ذكر أحدهم لقاءه الأخير بـ المتبصرة. كان احتقار الرجل لـ بيدن جلياً وهو يسرد ما استشعرته منه.

ومع ذلك، فقد سها عن ذكر أنه ضربها.

ربما عليّ حرمانه من إحدى يديه، لكيلا يجرؤ على لمس امرأة مرة أخرى. قلتُ بهدوء:

– «تحدثتُ معه، أجل. رغم أنه يبدو أننا سنجري حواراً آخر في القريب العاجل.»

جالت عيناها في وجهي، مما جعلني أشعر بقلق غريب ومزعج تحت نظراتها. تنحنحتُ ونظرتُ نحو الخنجر الذي لا تزال تثبته بثبات نحو عنقي.

– «ألم نتفق على أنك تعرفين من أكون، أليس كذلك؟»

التوى طرف شفتي بابتسامة وأنا أقولها، متذكراً لقاءنا في الزقاق، حين كنتُ أنا من يثبتها على الجدار.

قالت وهي قريبة مني الآن لدرجة مكننتني من تأمل كل تدرجات اللون الأزرق في عينيها:

– «بلى، أعرف. لقد قلتُها من قبل، وسأقولها مجدداً. وغد مغرور؟» ضحكتُ، مما جعل الخنجر يغوص أكثر في لحمي.

تابعت قائلة:

– «فضلاً عن ذلك، لا يهم من تكون.»

هبطت نظرتها نحو الأرض للحظة قبل أن تعاود تثبيتها عليّ:

– «نحن نتنافس ضد بعضنا الآن. لا محاباة، أتذكر؟ أنت بنفسك من قال ذلك.»

حسناً. سأجاريها في لعبتها.

أخرجتُ يدي من جيبِي ومددتُها خلف ظهرها، ببطء، وعيناَي معلقتان بعينيها طوال الوقت. نظرت إليّ والذهول يرتسم على وجهها، رغم أن قبضتها على الخنجر ظلت محكمة. كلانا يعلم أنها لن تنحر عنقي فعلياً، لذا لم أشعر بذرة قلق وأنا أواصل لفّ ذراعي خلفها حتى لامست أصابعي المقبض البارد لخنجر مدسوس في خصر بنطالها.

كنتُ أعلم بوجوده هناك؛ رأيتُ الشمس تلمع على المقبض الفضي حين نهضت عن طاولة العشاء وأعطتني ظهرها.

ابتسمتُ لها وأنا أسلُ الخنجر ببطء، ولا مست أصابعي أسفل ظهرها لثانية خاطفة. خُيِّل إليّ أنني سمعتُ شهقة خافتة تفلت من بين شفتيها وأنا أضع خنجرها الخاص على حنجرتها، محاكياً ما تفعله بي.

– «أنتِ محقة. نحن نتنافس ضد بعضنا الآن.»

ضحكتُ بخفوت وتابعتُ:

– «يبدو أن عليّ البدء بالمحاولة إذن.»

تبادلنا النظرات للحظة طويلة. كانت نظرتها ثابتة لا تتزعزع، ذكرتني بسكون المحيط، ذلك الهدوء الذي يسبق العاصفة.

– «احفظ كلماتي جيداً أيها الأمير؛ سأكون أنا هلاكك.»

ملتُ نحوها، متجاهلاً الخنجر المصوب نحو حنجرتي، وهمستُ:

– «أوه، يا عزيزتي، أنا أتطلع لذلك بشوق.»

مر وقت طويل جداً.

ثم—

ببطء، وبشكل مفاجئ، أنزلت الخنجر عن حنجرتي.

أنا أيضاً أنزلت خنجرها ووضعتَه في يدها الممدودة والمنتظرة. تحركت لتنسحب، لتتركني وتنتهي هذا الحوار، لكنني أمسكتُ بمعصمها. سكنت تحت لمستي، والتقت عيناها بعينيها وأنا أقود يدها—والخنجر المقبوض فيها—نحو صدري. لامس النصل الملطخ بدمائي قماش قميصي، ولامست مفاصل أصابعها صدري وأنا أمسح خنجرها ليصبح نظيفاً.

تنهدتُ قائلاً:

– «ضاعت سدى محاولات عدم إراقة دماء ملكية.»

زفرت ببطء:

– «كان الأمر سيحدث عاجلاً أم آجلاً.»

– «إذن، هل عليّ الاعتياد على هذا؟»

– «بل عليك توقع هذا.»

ابتسمتُ وقلت:

– «إذن، أتطلع إلى لقائنا القادم.»

غمزتُ لها بعيني، فقلبت عينيها بضجر قبل أن تدس خنجري في غمده وتعيد خنجرها إلى خصر بنطالها. ثم مرت بجانب متجهة نحو باب غرفتها.

قلت وأنا أتجه نحو غرفتي المقابلة في الرواق:

- «كان من دواعي سروري دائماً.»
- «للأسف، أخشى أنني لا أستطيع قول الشيء نفسه.»
لمحتُ وميض ابتسامة قبل أن تدخل غرفتها وتوصد الباب خلفها.
بمجرد أن أصبحت داخل غرفتي، بدأت أزرع المكان جيئة وذهاباً. مالت
أصابعي نحو عنقي، أتحمس لزوجة دمائي الدافئة هناك.
هذه الفتاة قد تكون نهايتي... حرفياً.



الفصل 13

بيكان

ينحدر العرق على جبهتي ليتشبث برموشي.

أنا أفقر للياقة البدنية بشكل مريع.

بعد ثلاثة أيام متواصلة من التدريب الشاق، بات جسدي يؤلمني ويصرخ مطالباً إياي بالتوقف. سنوات العيش في الشوارع تركت بصمتها الثقيلة، مخلفة إياي أضعف مما أدركت، رغم ركضي الدائم هرباً من جنود الإمبراطورية وتسلي فوق المداخل.

أحنيّ رأسي ورفعتُ طرف قميصي الملطخ بالتراب نحو عينيّ، زافرةً الهواء بقوة وأنا أمسح قطرات العرق عن وجهي. أنا قذرة تمامًا. وللأسف، هذا هو أكثر شعور بالألفة راودني منذ أن وطأت قدمي القصر.

تنتصب أمامي شجرة طويلة مبطنة، ولا تزال آثار ضربات قبضتي غائرة في الوسائد الخشنة التي تلف جذعها. أمضيتُ ساعات في ساحة التدريب حتى الآن، جنباً إلى جنب مع بقية المتسابقين المنخرطين في تمارين متنوعة أو مبارزات ثنائية.

لا تمت هذه الساحة بصلة لتلك الحلبة الطينية البدائية التي نشأت أتدرب فيها. استدرتُ وأسندتُ ظهري إلى الشجرة المبطنة، مجيلةً بصري في الحلبات



الاثنتي عشرة الكبيرة المتناثرة في الساحة العشبية، حيث يتدرب الآن معظم منافسي.

تحاذي كل حلبة رفوف خشبية عريضة تن تحت وطأة أسلحة ودروع، كلها جديدة وتنتظر من يشهرها. لم يسبق لي أن رأيت شيئاً كهذا. كمية هائلة من الأسلحة رهن إشارتي، وكمية هائلة منها تُهدر بلا طائل.

مرت عيناى على ساحة التدريب. أينما نظرت، أرى رفاقي المتنافسين يمارسون التمارين، ويتمددون، ويتبارزون، وكلهم قدرون وغارقون في العرق مثلي تماماً. ويبدو أنهم جميعاً يتجنبون التدريب باستخدام قدراتهم في الوقت الحالي، مفضلين على الأرجح تأجيل استعراض قواهم حتى يحين موعد المقابلات.

مجرد التفكير في الأمر يجعلني أدير الخاتم حول إبهامي بتوتر. في مثل هذا الوقت من الغد، سنكون محط أنظار مملكة إيليا بأكملها، نسعى جاهدين لكسب رضاهم. ومن خلال النذر اليسير الذي استخلصته من إيلي، علمتُ أن المقابلات هي الوسيلة التي يختار بها الشعب من يودون دعمه في التصفيات. إنها فرصتنا نحن النخبة لاستعراض قوتنا، وتلميع صورتنا، ومحاولة انتزاع أصوات الجماهير.

وهذا بالضبط ما يتوجب عليّ فعله: كسب ود الشعب. فهم يلعبون دوراً حيوياً في هذه الألعاب الملتوية، وكلما زادت أصوات المتسابق، تعزز رصيده من النقاط.

تنهدتُ واستنشقتُ الهواء الرطب، مشبعاً بعبق العشب الندي، والتراب، ورائحة العرق اللاذعة. شعرتُ بالراحة لأنني أتدرب، لأنني أشغل يديّ بشيء يمنع عقلي من الانجراف نحو أفكار مهلكة خطيرة. كالتفكير في التصفيات، واحتمالية... بل حتمية موتى الوشيك.

انتزعتُ من شرودي حين وقعت عيناى على بشرة سمراء تلوح في الأفق. فمع شمس الظهيرة الحارقة التي تضربنا بلا هوادة، تخطى الفتية منذ وقت طويل عن قمصانهم المتعرقة. وكان المنظر... يشئت الانتباه بشكل مزعج، على أقل تقدير.

يدور كيت وكاي حول بعضهما في الحلبة، تكسو الابتسامات وجهيهما وهما يتبادلان الحديث، وكأنهما يتبارزان بالكلمات قبل أن يشرعا في المباراة الجسدية. يبدو الأخوان في غاية الارتياح والرضا بهذه اللحظة التي تجمعهما. ورغم أن الملك المستقبلي ليس متسابقاً في التصفيات، إلا أن ذلك لم يثنه عن التدريب وتناول الطعام معنا وكأنه واحد منا. حرصتُ على إبقاء مسافة بيني وبين الأخوين وبقية المتنافسين، رغم أن التوتر بيننا جميعاً يتفاقم مع كل يوم يمر.

انساق بصري مجدداً نحو الأخوين، متتبعاً ذلك الوشم الداكن المتطابق الذي يتلوى فوق قلبيهما. حتى من هذه المسافة، أستطيع تمييز رمز قوة إيليا المحفور على جلديهما.

الشعار بحد ذاته بسيط، يتألف من تموجات سميكة تتشابك لتشكّل ماسة مائلة. يُقال إنه يجسد القوى المختلفة وكيفية تآزرها، كما يرمز إلى المعالم الأربعة التي تطوق إيليا. هناك جبل "الانحدار" في الشمال، وبحر «المستنقعات» في الغرب، والاراضي المُحرّقة في الشرق، وغابة «الهمسات» في الجنوب — تتضافر جميعها لتشكّل ماسة حول المدينة.

رمشتُ وانتزعتُ نظري عن الأخوين، ثم استدرتُ عائداً نحو الشجرة، مجتاحةً برغبة مفاجئة في ضرب شيء ما مجدداً. استدرتُ وسددتُ ركلة قوية إلى الوسائد السميكة، ليتردد صدى ارتطام مكتوم ومُرضٍ. تدفق العرق على جسدي في مسارات دقيقة، حتى بعد أن تجردتُ من كل شيء عدا قميصي الرقيق، الذي أصبح الآن رطباً وملتصقاً بي بشكل مزعج. بات سروالي الأسود الضيق ساخناً تحت أشعة الشمس اللافتة، فشمرته حتى ركبتني تقريباً، وأنا أكافح رغبة عارمة في تمزيقه.

انهلتُ بالضربات على الشجرة المبطنة حتى احمرّت مفاصل أصابعي وتورمت، قبل أن أسند جبهتي المتعركة إلى الوسادة وأنا ألهث قليلاً. كتمت الوسادة أنيني قبل أن أجبر نفسي على التوجه نحو أقرب رف للأسلحة. تراقصت أصابعي فوق سكاكين الرمي البديعة القابعة ببراءة على الرف. نعومة هذه السكاكين وحدتها البالغة جعلتني أتحرق شوقاً لرميها. وجهتُ

انتباهي نحو الهدف الذي يبعد عني عشر ياردات، وبدأتُ في غرس عدة
سكاكين عميقاً في الخشب الخشن. اندمجتُ في إيقاع منتظم، تاركةً جسدي
يسترخي مع كل سكين أطلقه في الهواء. شعرتُ بالتركيز. شعرتُ بالنشوة.
لقد افتقدتُ هذا.

تركتُ عقلي يشرد، وأنا أراقب السكاكين وهي تعانق أهدافها.
وفجأة، وجدتُ نفسي واقفة في فناء منزلنا الخلفي مرة أخرى، أرمي
شفرات صغيرة وبسيطة نحو اللحاء الخشن لشجرة. ووالدي يذرع المكان
خلفي جيئةً وزهاًباً، يمطرني بالأسئلة. أسئلة حول محيطي، حول أشياء ينبغي
لي ملاحظتها في غضون ثوانٍ، حتى وعقلي منصبٌّ على الشفرات التي تغوص
في هدفها.

أكاد أسمع وقع خطوات والدي على التراب خلفي.
صفير سكين مألوف يشق الهواء جعلني أنحني غريزياً، لأشعر بحفيف
الشفرة وهي تمر فوق رأسي، قبل أن أنظر للأعلى في الوقت المناسب لأراها
تغوص في الهدف.
رمية بديعة.

لكنني كنتُ أشد غضباً من أن أتوقف لإبداء إعجابي. انتصبتُ بكامل
قامتي واستدرتُ على عقبي، لتلتقي عينايا بتلك العينين الرماديتين على بُعد
ياردات قليلة.

كان يبدو صورة مثالية للبراءة: يداه مستقرتان في جيبه، شعره يتطاير
مع النسيم، وابتسامة كسولة تلوح على شفتيه:

– «ردود فعل ممتازة يا جراي.»

يا له من ابن..... مغرور.

– «ما خطبك بحق الجحيم؟» اندفعتُ نحو كاي، أطوي المسافة بيننا في
ثوانٍ معدودة. «ماذا لو لم أنح، هاه؟»
هز كتفيه. هز كتفيه ببرود:

- «حينها، كان سيقبل عدد المنافسين الذين عليّ القلق بشأنهم.»
- «إذن، أنت تعترف بأنني أشكل تهديداً لك؟»
- «لم أقل ذلك أبداً.»
- «لكنك ألمحت إليه.»
- «لا تتملقي نفسك.»

ارتفع صدري وهبط بسرعة وأنا أحرق في عيني. لاحت غمازة واحدة حين نظر إليّ من أعلى، وقد التوت زاوية فمه بابتسامة مستمتعة. ومع تلك الابتسامة، تعاظمت رغبتني في ضربه.

- «كنت أعلم أنك ستنحنين يا جراي،» همس، واختلجت شفاته وهو يستخدم اسم عائلتي. سرت قشعريرة في عمودي الفقري رغم حرارة الشمس التي تضرب ظهري، حين انحنى أكثر ليهمس بشيء في أذني. لكنني لم أعرف أبداً ما الذي أراد قوله.

وخزة ألم مباغته ثقت أذني، فانتفضت مصدومة. سمعت صوت ارتطام سكين بالهدف خلفنا، ونظرت من فوق كتف كاي لأرى بلير، ويدها ممدودة. ابتسامة خبيثة تلتوي على شفتيها الحمراءوين، لكن عينيها الداكنتين كانتا تتنقلان بيني وبين كاي.

رفعت يدي نحو صوان أذني، لتتخضب أصابعي سريعاً بالدم اللزج. لقد أرسلت السكين ليطير نحو الهدف، ولكن ليس قبل أن يترك بصمته عليّ. لقد جرحتنني. عن قصد.

ارتعشت عضلة في فك كاي، الإشارة الوحيدة إلى غضبه. ظل يحوم فوقني، رافضاً الالتفات نحو بلير، ونصف جسده يحجبني عنها.

- «أنت حريصة على ممتلكاتك يا بلير، أليس كذلك؟» قلتها وأنا أنقل بصري بين كاي ونظرتها المشتعلة. من الواضح أنها لم ترق لها حقيقة أن الأمير كان يمنح انتباهه لشخص آخر، حتى لو كان هذا الانتباه يتمثل في رمي سكين نحو رأسي.

ربما يروق لها هذا النوع من الاهتمام.

تجاهلت سؤالي، وجاء صوتها مشبعًا بالغرور:

– «فكرتُ فقط أن أعلم هدفي قبل أن تبدأ التصفيات.»

ثم استدارت على عقبيها وتبخترت مبتعدة، تاركة إياي أحرق في أثرها. ابتلعتُ ريقِي، وشعرتُ بأنني أصغر وأضعف من أي وقت مضى. كان استعراض بلير تذكيرًا قاسيًا بمدى السهولة التي يمكن لأي من هؤلاء النخبة أن ينهي بها حياتي العادية. لقد علّمتني.

– «الدم يلوث شعركِ يا عزيزتي.»

ارتدت عيناوي نحو كاي الذي لا يزال يحوم فوقِي، يتفحص جرحي بنظرته الثاقبة. رفعتُ يدي لأدس الشعر خلف أذني الدامية، لكن يده أمسكت بمعصمي.

تنهد وهو يسحب يدي أمام وجهي، مسلطًا نظره على أصابعي الملطخة بالدماء، والخشونة في كفه تحتك ببشرتي:

– «لا تفعلي، إلا إذا كنتِ ترغبين في تلطيخ شعركِ بالمزيد من الدماء؟» حاولتُ ألا أحرق فيه بذهول، مما جعل ابتسامته تتسع أكثر. – «لماذا تتصرف ك...؟»

أكمل عني، متنهدًا وكأنه هو نفسه لا يملك إجابة واضحة:

– «كرجل نبيل؟ دعينا نقول إنني أدرك مدى صعوبة غسل الدم من الشعر، لذا أنا لا أحسدك على موقفك الحالي.» جالت عيناوي فوق جرحي النازف والدم الذي أشعر به يقطر منه. ثم أفلت معصمي وقام بدس الشعر برفق خلف أذني، متممًا:

– «أنتِ تثيرين الفوضى يا جراي.»

رمشتُ وأنا أنظر إليه، متسائلة في قرارة نفسي ما إذا كان جرح بهذا العمق السطحي قد أفقدني ما يكفي من الدماء لأبدأ في الهلوسة. لا بد أن هناك

خطباً ما، ف المنفذ المستقبلي للتو قد أزاح شعري برفق خلف أذني لكيلا يتلخخ
بالدماء أكثر مما هو عليه.

– «استديري.»

أعادني الأمر الصارم إلى أرض الواقع.

ها هو المنفذ المستقبلي اللطيف يعود للظهور.

رفع حاجبيه بترقب، منتظراً أن أطيع أمره. بدلاً من ذلك، كانت الكلمات
التي اندفعت من فمي هي:

– «ولماذا قد أفعل ذلك؟»

جاء صوته خالياً من أي تعبير:

– «لأنني أمرتك بذلك.»

– «وهل يفترض أن يعني ذلك شيئاً لي؟»

أنا أَلعب لعبة في غاية، غاية الخطورة.

شقت ابتسامة طريقها إلى وجهه وقال:

– «حسناً.» ثم خطى فجأة ليقف خلفي، متمتماً:

– «عنيدة، أيتها الصغيرة.»

لامست أصابعه الخشنة مؤخرة عنقي.

حبست أنفاسي حين جمع شعري بين يديه ببراعة، مسرحاً الخصلات
بعيداً عن وجهي وعن أذني الدامية.

– «ما الذي تفعله –؟» توقفت فجأة، شاعرةً بالنمط الذي كان ينسجه

برقة. «هل أنت... تجدل شعري؟»

سأل ببساطة، غافلاً عن أن فمي كان مفتوحاً من شدة الصدمة:

– «لماذا تبدين متفاجئة هكذا؟» كان صوته مشبعاً بذلك التحدي

المغرور وهو يضيف: «ماذا، هل تحتاجين أن أعلمك كيف تفعلين ذلك؟»

– «لا، لا أحتاج أن تعلمني –» توقفتُ وأخذتُ نفساً. «كيف تعرف أصلاً كيف تجدل الشعر؟»

أطلق ضحكة خافتة حركت الشعر في مؤخرة عنقي:
– «تقولين ذلك وكأنه أمر صعب.»

صمتنا للحظة، وحركة أصابعه التي تنزلق إلى أسفل ظهري جعلتني أتجمد في مكاني. تنحنحتُ وقلت:

– «ظننتك قلت لي ألا أعتاد على تصرفك كرجل نبيل؟»

أكاد أسمع الابتسامة الماكرة في صوته وهو يجيب:

– «ولا زلتُ متمسكاً بذلك القول.»

– «إذن لماذا تفعل هذا؟»

أطلق زفرة عميقة. هبطت أصابعه إلى ذراعي، وكدتُ أقفز لملامسة قشوره الخشنة المفاجئة. توقفتُ أصابعه عند الرباط الملتف حول معصمي، فنزعه ليبدأ في تثبيت شعري به.

– «هكذا أفضل،» قالها وهو يلتف ليقف أمامي، ثم ألقى الضفيرة الطويلة فوق كتفي. جذبها برفق متأملاً صنيع يديه بابتسامة أظهرت غمازتيه. نظرتُ إلى أسفل نحو الضفيرة وكتمتُ ضحكة حين رأيتُ عدة خصلات ناتئة منها.

– «ظننتُ أن هذا ليس بالأمر الصعب عليك؟» ضحكتُ وأنا أقول: «أنت تعلم أن كل الشعر يجب أن يدخل في الضفيرة، أليس كذلك؟»

– «طريقة غريبة لقول 'شكرًا'، لكنني أفترض أن هذا أقصى ما سأحصل عليه منك.» مال نحوي أكثر، وشفتيه تلتويان بابتسامة ساخرة: «ربما إذا كنت ترفضين أن أعلمك كيفية التجديل، قد تفكرين في السماح لي بتعليمك بعض الأدب.»

كدتُ أختنق بضحكتي الساخرة عند فكرة أن يعلمني المنفذ المستقبلي
الأدب. مرّت عيناه على أذني قبل أن يتراجع خطوة للوراء ويدس يديه في
جيبه.

قال بلهجة عابرة وهو يومئ نحو جرحي:

– «عليك معالجة هذا قبل المقابلات غداً. لا نريد أن تترك بصمة بلير
عليك ندبة.»

الحدة المفاجئة في تلك الكلمات أصابتني بالذهول للحظة وأنا أتأمل في
الصمت المتنامي. أخيراً تمكنتُ من القول:
– «لا، لا نريد ذلك.»

مرّر نظره عليّ مجدداً قبل أن يستدير، ملقياً بابتسامة مأكرة من فوق
كتفه:

– «حظاً موفقاً غداً يا جراي.»

لم أكلف نفسي عناء إخفاء ابتسامتي.

– «لو كنتُ أتحدى بأي قدر من الأدب، لتمنيتُ لك التوفيق أيضاً أيها
الأمير. لكنك أعلمتني للتو بأنني أفقر إليه.»

ضحك، وتسلسل صوته أسفل عمودي الفقري وهو يواصل سيره مبتعداً.
وبغيا به الذي كان يشئت انتباهي، عاد الألم يلسع أذني بشدة بينما بدأتُ طريق
العودة إلى القلعة، وفكرة واحدة تسيطر على عقلي:
لقد تهرب من إجابتي ولم يجب على سؤالي قط.



الفصل 14

بيكان

لم يفلح الفولان البارد لخاتم والدي في بعث أي طمأنينة في نفسي وأنا أديره حول إبهامي.

كانت أصابع رقيقة تنساب عبر شعري، تثبت الخصلات الفوضوية وتشدها بخفة. وبين لمسات إيلي المهدئة ومقعد الزينة الوثير الذي أرتمي عليه الآن، كادت جفوني المتثاقلة تسحبني مجدداً إلى ذلك النوم المتقطع، رغم عقلي الذي لا يكف عن الدوران. لا بد أن إيلي قد قرأت القلق والإرهاق المحفورين على وجهي، فمنحتني ابتسامة متعاطفة عبر المرأة.

– «كيف تشعرين؟ أعني، حيال المقابلات؟»

لم يتوقف دوران الخاتم المستمر، كما لم تهدأ أعصابي قط.

– «حسناً، ليس لدي أدنى فكرة عما ينتظرني. وإذا ساءت الأمور...»

صمتُ حين أومأت إيلي لي في المرأة، غنية عن تكملة الفكرة.

– «لا تبالغي في التفكير. ستكونين بخير،» طمأننتني وهي تواصل تثبيت

شعري. «علاوة على ذلك، لا يكف الناس عن الحديث عن المنقذة الفضية.»

المنقذة الفضية.



كدتُ أضحك سخرية من اللقب الذي خُلع عليّ. لو علموا حقاً سبب تمكني من إيقاف الخامد، لما نعتوني بالمنقذة بعد الآن. في الواقع، لن ينعتوني بأي شيء على الإطلاق، لأنني سأصبح مجرد جثة أخرى لا عادية لا تستحق اسماً، ولا لقباً، ولا ذكرى.

استقرت كعكة أنيقة ومنخفضة عند مؤخرة عنقي حين انتهت إيلي، وثبتتها دبائيس متألئة في مكانها، بينما أحاطت تموجات فضية بوجهي المكسو بالمسحوق ورموشي الداكنة.

وبعد مداولات مطولة، استقر اختيارنا على فستان أزرق فاتح بلا أكمام. أنيق، ولكنه ليس مبهرجاً أكثر من اللازم.

– «سترغبين في ترك انطباع جيد، وأعتقد أن هذا سيفي بالغرض،» قالت إيلي بابتسامة. وبمجرد أن انزلقتُ داخله، سحبتنني نحو المرأة لتتأمل صنيع يديها. بين التسريحة، والمكياج، والثوب الأزرق الذي يعانق جسدي، كدتُ أبدو وكأنني أنتمي لهذا المكان. وكأنني لم أكن أفترش الشوارع طيلة السنوات الخمس الماضية من حياتي.

طَرَقُ على الباب أفزعني وجعلني أتوقف عن التحديق في انعكاسي.

– «هل أنتِ جاهزة بالداخل؟»

كان ليني ينتظر خارج الباب حين دفعتني إيلي نحو الرواق، واسترق نظرة خجولة إليها قبل أن تتراجع عائدة إلى غرفتي. منحني ابتسامة مريحة قبل أن يقودنا عائدين نحو الأبواب الرئيسية الضخمة للقلعة، وإلى الفناء المشمس خارجها.

لم نكن وحدنا. كان معظم المتسابقين الآخرين يتجولون بتوتر، بينما توافد الباقيون ببطء من القلعة. وسرعان ما بدأ جنود الإمبراطورية يتقاطرون، لينضموا إلى مجموعتنا الواقفة بكسل.

همستُ لـ ليني الذي لا يزال يقف بجواري:

– «ما الذي يجري؟»

أشار إلى زملائه من الجنود وقال:

– «نحن، نرافقكم جميعاً إلى الصحن.»

انساق بصري نحو ذلك البناء المهيب القابع ببراءة في الجوار. لم يسبق لي قط حضور أي من مقابلات المتسابقين، لذا لم أحظَ بشرف التكدس في مدرجات الحلبة جنباً إلى جنب مع آلاف الإيليين الآخرين. لقد مُنح هذا الاسم المفترق للإبداع بسبب الشكل المنحدر، الشبيه بالصحن، لذلك الملعب الضخم الذي لم أظن يوماً أنني سأطأه بقدمي.

سارت المجموعة بخطى متمهلة ونحن نشق طريقنا نحو الصحن، بينما يحيط بنا الجنود من كل جانب. كانت المسافة لا تتجاوز الميل من القصر، وكنتُ راضية تماماً بتأمل محيطي ونحن نسير على الممر الحصوي.

أشجار ملتوية ومتدلّية تظللنا، تسحر الأبواب بطريقة غريبة حين تتخلل أشعة الشمس أوراقها لتلقي بظلال مبرقشة على الأرض تحتها. أزهار بيضاء وزهرية فاتحة تنبض بالحياة تزين الأغصان، بينما يتساقط بعضها، منثرًا بتلاته على طول الممر.

تركتُ نفسي أتراجع إلى مؤخرة المجموعة، أراقب منافسيّ وهم يتبخثرون أمامي. ارتدى جميع الفتية سراويل ضيقة وقمصاناً ملونة بأزوار، بينما ارتدت الفتيات فساتين أنيقة وبسيطة.

براكستون وسيدي يتهامسان بابتسامات مترددة، بينما لا تنفك آندي تمد قدمها لتُعثر كاحل جاكس، وتجعله يترنح بينما تضحك بخبث. جالت عيناى نحو هيرا، هادئة وهي تتلفت بذهول نحو نفق الأشجار الذي يطوق الممر. أما آيس، من ناحية أخرى، فقد رفع أنفه عالياً في الهواء لدرجة أشك معها أنه قادر على رؤية ما أمامه.

أخيراً، استقرت نظرتي على الهيئتين الطويلتين اللتين تتقدمان المجموعة. كيت وكاي يضحكان بخفوت، وهو مشهد يبدو مألوفاً حين يجتمع الاثنان. ومرة أخرى، يندمج الملك المستقبلي مع المتسابقين، مما جعلني أتساءل للحظة عما إذا كان يتمنى لو كان جزءاً من هذه التصفيات الملتوية.

حشرت بلير نفسها بين الأخوين، تضحك على شيء قاله أحدهما. كان شعرها الأرجواني وثوبها الكحلي اللامع يتألقان في الشمس، مما يضيفي وهماً بوجود بقعة ضوء دائمة تلاحقها. تستغل أي ذريعة للمس الفتية، مما يجعل نواياها أبعد ما تكون عن الخفاء. إنها تدرك ما تريد، ومن الواضح أنه أحدهما. كدتُ أعجب بإصرارها.

مشيتُ بصمت وأنا أراقب البتلات الوردية تتساقط من الأشجار، وتنجرف نحو الأرض مع نسيم عليل—

— «أرى أنك وجدت شيئاً لترتيديه.»

الصوت العميق بجواري جعلني أقفز فزعاً، وشتمتُ تحت أنفاسي حين تفاجأتُ برؤية الملك المستقبلي بجانبني. كان يضحك على نظرة الدهول التي ارتسمت على وجهي، وقاومتُ رغبة عارمة في دفعه لأنه أفرعني هكذا. أخذتُ نفساً عميقاً قبل أن ألقى نظرتي الخضراء، اللون الذي يطابق أوراق الأشجار المعلقة فوقنا— والذي يطابق لون عيني والده.

عينا الملك.

الاستيعاب المفاجئ جعلني أتعثر. أجبرتُ نفسي على ابتلاع اشمئزازي تجاه هذا الرجل والمملكة الفاسدة التي سيحكمها على خطي والده. أخذتُ نفساً عميقاً، وذكرتُ نفسي بأن أكون مهذبة ولبقة.

العبي الدور.

— «أجل، لكن الفضل لا يعود لي وحدي.» نظرتُ إلى أسفل نحو فستاني الأزرق الفاتح الذي يتموج مع النسيم الرقيق. «أدين بالشكر لـ إيلي على هذا.»

— «آه، أجل.» كانت ابتسامة الملك المستقبلي لعباً، مما فاجأني. «إيلي، الخادمة التي أصررتِ على أنك لست بحاجة إليها؟»

— «هي بعينها،» أجبتُ بجفاء. «تعلم، ظننتُ أنها تكنّ لي المودة، لكن يبدو أنها ترغب في تعذيبني بهذه الأحذية.» أكاد أشعر ببداية ظهور البثور في قدمي بسبب الحذاء ذي الأربطة الضيقة الذي أصررتِ إيلي على أن أرتديه.

ضحك مجدداً، ضحكة مشرقة ومعدية نجحت في جعلني أشعر بعدم الارتياح.

– «لا أحسدك أنت ولا البثور التي ستعانيتها على الأرجح.» رسمت ابتسامة صغيرة على شفتيه وهو يشير إليّ: «لكنه مع ذلك يليق بك.»
– «شكراً لك...» خرجت الكلمات وكأنها سؤال أكثر مما قصدت.

لطالما افترضت أن الملك المستقبلي سيكون بارداً ومحسباً—أشبه بأخيه على أقل تقدير. لكن كيت يبدو النقيض تماماً، مما يربكني، بالنظر إلى هوية والده وما يخبئه له مستقبله.

غارقة في أفكار، رفعت نظري لأرى الصورة الظلية العملاقة لـ الصحن تقترب أكثر، بانتظارنا عند نهاية نفق الأشجار. إنه هائل. باستثناء القلعة، لم يسبق لي أن رأيت بناءً بهذا الحجم.

شعرت بشيء يهبط على قمة رأسي وكدت أقفز من جلدي فزعاً. أطلق كيت ضحكة عالية وهو يمد يده ويلتقط الشيء من شعري، مما جعلني أجفل. لم يمر رد فعلي مرور الكرام، فتجدد حاجباه قلقاً.
أنا لا ألعب دوري ببراعة كافية.

مسحت وجهي من القلق الذي أنا واثقة أنه كان محفوراً عليه، وحاولت رسم ابتسامة باهتة وأنا أنظر إلى الزهرة الوردية التي يداعبها الآن بين أصابعه. استرقت نظرة للأعلى، لألمح عدة بتلات عالقة في شعر كيت الفوضوي.

قال بنعومة وهو يعيد الزهرة إلى قمة رأسي:

– «تعلمين، هذه أيضاً تليق بك.»

أخذت نفساً عميقاً وأجبرت نفسي على رسم ابتسامة أقوى:

– «يمكنني قول الشيء نفسه عنك،» قلتها وأنا أشير إلى شعره الأشقر المليء بالبتلات. بادلني الابتسامة وهو يمرر يده فيه، دون أن يفلح كثيراً في تخليص شعره من الزهور التي شكلت تاجاً فوق رأسه.

– «حسناً، نحن الآن متطابقان،» قالها ببساطة، وعيناه تراقباني بحذر. أشحتُ بنظري، ولا أزال أشعر بنظراته تتجول على وجهي بينما أبذل قصارى جهدي لأبدو هادئة ومتماسكة.

– «أنتِ تبدين...» صمت قليلاً، باحثاً عن الكلمة المناسبة. «قلقة.»

ذهب الهدوء والتماسك أدراج الرياح.

منحته ابتسامة سريعة لم تصل إلى عيني.

– «حسناً، فلنأمل أن يليق بي القلق أيضاً.»

– «هل المقابلات هي ما يثير توترك، أم شيء آخر؟» جاءت كلماته ناعمة، وفضولية.

مُقلقة.

انزلت نظرتي لتلاقي نظراته قبل أن أشيخ بوجهي سريعاً عند رؤية عيني الملك تحديقاً بي.

– «فقط المقابلات، واحتمالية أن أجعل من نفسي أضحوكة.»

– «ستكونين بخير. خاصة بعد... الحادثة التي وقعت بينك وبين أخي في «حي النشأين».» منحني تلك الابتسامة الساحرة الخاصة به. «أنتِ تعلمين أن الناس لا يزالون يتحدثون عنك.»

كنتُ على وشك الرد حين غمرني ضوء الشمس فجأة. لم أدرك أن نفق الأشجار قد انتهى، لأجد نفسي أرمش بعيني سريعاً أمام الضوء الساطع الذي يكاد يعمي الأبصار.

لكن الشمس غابت بالسرعة ذاتها التي ظهرت بها. خيم الصمت على المجموعة حين خطونا في الظل الذي تلقى حلبة الصحن. شققنا طريقنا إلى داخل أحد الأنفاق الأسمنتية الكبيرة التي تقود إلى الحلبة، وراحت أصداؤنا خطواتنا تتردد على الجدران الحجرية الباردة حتى قُذف بنا إلى المستوى الأدنى من الملعب.

جالت عيناى يمىة ويسرة؁ واتسعت حدقتاى وأنا أستوعب المشهد بأسره. عشرات الصفوف العريضة المغطاة بمقاعد خرسانية تطوق الحلبة البيضاوية بأكملها؁ متسلقة جوانب الصحن. مررتُ بناظري على الزجاج السميك الذي يغلف كل قسم من المدرجات.

لا؁ ليس زجاجًا.

بل الأصم (ميوت).

لم أتعلم سوى النزر اليسير عن هذه المادة النادرة التي ابتكرها العلماء؁ فما بالك برؤيتها بعيني. وبطرق أعقد من أن أستوعبها؁ يمنع هذا الشبيه بالزجاج أفراد النخبة المتواجدين في المدرجات من استخدام قواهم؁ كي لا يتدخلوا في مجريات التصفيات.

انتزعتُ نظري عن هذه الظاهرة العجيبة وواصلتُ تفحص الصحن بنظرة واسعة. ورغم أننا نقف على مستوى الأرض بجوار الصف السفلي من المقاعد؁ إلا أن الحلبة المكسوة بالرمال تقبع أسفلنا. مشيتُ نحو الحاجز المعدني السميك عند حافة الممر ونظرتُ للأسفل. كان ارتفاعه يبلغ بسهولة خمسة عشر قدمًا حتى أرضية الحلبة المكسوة بالرمال تحتنا.

الحفرة.

وهناك ستجري أحداث التصفيات بينما يراقبنا المئات من أهل إيليا من المدرجات التي تطوقنا.

بدأ جنود الإمبراطورية يسوقوننا عبر الممر حتى توقفنا بجوار غرفة واسعة تبرز نحو الممر؁ محاطة بزجاج سميك. اختلستُ النظر للداخل؁ فرأيتُ ثلاثة كراسي ضخمة وفاخرة؁ تستقر جميعها على أرضية خشبية مصقولة؁ لتبدو في تناقض صارخ مع الخرسانة الرمادية الباردة التي تغطي بقية الصحن.

مقصورة الملك.

هنا يجلس بكل أريحية ليراقبنا ونحن نموت إذن.

ومما أثار دهشتي، بدأ الجنود بدفعنا إلى داخل الغرفة الزجاجية، واحداً تلو الآخر. انتظمتنا جميعاً في صف وراقبنا كاي وهو يخطو بخطوات واسعة نحو الزاوية القصوى. لويتُ عنقي لأراه يرفع مزلاجاً مخفياً من الأرض، ويفتح باباً مسحوراً قبل أن يقفز للأسفل بخفة.

دفعتنني يد استقرت على كتفي للأمام.

إلى أين نحن ناهبون؟

عبرتُ الغرفة الخانقة وشققتُ طريقي نحو الفتحة في الأرضية التي تنتظرني. كانت الغرفة السفلية غارقة في الظلال، مما استحال معه رؤية مدى عمق الأرضية.

أطلقتُ تنهيدة قبل أن أخطو عن الحافة نحو الظلام.

اصطدمت قدماي بالأرض ب ارتطام خفيف. وبعد أن قدرتُ أن مسافة السقوط تقارب السبعة أقدام، حمدتُ الله على أن الأرض أسفل صندلي كانت وثيرة. ولكن مع البساط المتحرك تحتي وركبتيّ المثنيتين لتخفيف حدة السقوط، لم أستطع منع نفسي من التعثر للأمام والارتطام بشيء صلب. لا. ليس بشيء. بل شخص.

طوقتني ذراعان قويتان قبل أن أشعر بزمجرة ضحكة عميقة تنبعث من الصدر العريض الذي ارتطمتُ به. استقرت يدان كبيرتان بثبات على خصري، ومع تكيف عينيّ مع الظلام، بالكاد استطعتُ تمييز الانحناء المألوف لابتسامة كاي الماكرة وهو ينظر إليّ للأسفل.

– «خطواتك غير متزنة يا جراي. سأكره أن أكون شريكك على حلبة

الرقص.»

دفعتُ صدره براحتي، فأطلقني على مضض وهو يضحك بظلمة.

– «حسناً، إذن الشعور متبادل.» كنتُ مرتبكة وأكره ذلك. «ولديّ خطوات رائعة، شكراً جزيلاً—» تنحنحتُ، وأشحتُ بنظري قبل أن أضيف بهدوء، «—أثناء القتال.»

كان محقاً، مرة أخرى. ومرة أخرى، كرهتُ ذلك. أنا راقصة كارثية. قد أكون قادرة على التراقص في عراق، لكن تلك المهارة لا تمتد إلى قاعة الرقص. ضحك مجدداً، ولكن قبل أن تسنح له الفرصة لإلقاء تعليق خبيث كنتُ سأجعله يندم عليه بالتأكيد، قفز كيت للأسفل بجانبني.

– «تتلاعب بـ منافسيك يا أخي؟» استطعتُ تمييز المرح في صوته وهو يمشي نحو رافعة ضخمة على الجدار ويجذبها لأعلى بحدة. تومض الأضواء فوقنا وتهدر لتدب فيها الحياة، فتذكرني بوجع بمنزلي والمصابيح القليلة الطنانة التي تتناثر في «حي النشالين».

أجاب كاي بهزة كتف مبالاة:

– «لا يسعني سوى التلاعب بالمنافسين الذين يمتعني اللعب معهم.»

كنتُ على وشك التفوّه بشيء كان من الأجدر بي ألا أقوله، حين توقف حديثنا مع سقوط بقية أفراد النخبة – حرفياً – في الغرفة.

جالت عينا في المكان، فوجدته يعج بكراسي وأرائك وثيرة، إلى جانب تشكيلة من الوجبات الخفيفة المتناثرة على طاولة طويلة، مما يوضح أننا سننتظر هنا حتى تبدأ المقابلات.

تفرق الجميع في الغرفة، وارتموا على الكراسي والتقطوا الطعام. شعرتُ بلمسة يد على كتفي فجفلت، واستدرتُ لألتقي بعينين عسليتين مرحتين تختبئان خلف خصلات من الشعر بلون النبيذ الأحمر.

رفعت أندي حاجبها وقالت:

– «متوترة، أليس كذلك؟»

– «أجل، حسناً، ظننتكِ كاي وكنتُ أستعد لكسر أنفك.»

شخرت ضاحكة بصوت عالٍ.

– «مفهوم. ابن عمي وغد. نوعاً ما.» أومأت برأسها نحو كاي، لكن الابتسامة لم تفارق وجهها.

– «ابن...» رمشتُ بذهول. «عمك؟»

– «أجل. إنه محظوظ بما يكفي ليكون قريبتي.» ابتسمت بمكر، ولمعت حلقة أنفها في الضوء الخافت. «كلاهما كذلك، رغم أنني نصف-ابنة عم لـ كيت فقط، على ما أعتقد.»

– «إذن، لقد نشأت في القصر أيضاً؟ معهما؟» أومأت برأسي نحو الشابين اللذين كانا يسخران من جاكس بلا رحمة.

– «أجل، للأسف.» هزت رأسها وضحكت. «عدد الشجارات التي خاضها بسبب الطعام...» خفت صوتها وهي تبتسم لنفسها. «على أي حال، أنا ما يُسمونه "حرفي" في القصر. أنا ووالدي نصلح أي شيء يحتاج للإصلاح في القلعة، وصدقيني، هذان الاثنان حطما الكثير على مر السنين.»

أخيراً، وجدنا طريقنا إلى إحدى الأرائك وارتمينا عليها، نتبادل أطراف الحديث بتردد. كنا مهذبتين مع بعضنا البعض، ومكتفيتين بخوض محادثة راقية بينما لا نزال ندرك تماماً أننا متنافستان.

صوت الهدير الناتج عن مئات الأقدام التي تضرب الأرض أسكتنا جميعاً. ملأ الدوي الحلبة في الأعلى، مما جعل معدتي تتقلص. لقد وصلوا.

مئات من أهل إيليا— بل آلاف. جميعهم هنا لمشاهدة المقابلات، العرض. هنا لاختيار من يريدون دعمه، من يريدون له أن يعيش.

لست متأكدة من الوقت الذي استغرقه طابور الخطوات التي تتسلق الصفوف حتى يهدأ. لكن الأصوات لم تهدأ. كانوا يهتفون ويغنون، بانتظار ظهور المتسابقين. أشار لنا جنود الإمبراطورية بالعودة نحو الباب المسحور حيث وجدت نفسي فجأة في صف آخر، أنتظر دوري لأسحب نفسي من الغرفة وأعود إلى الصندوق الزجاجي فوقنا.

لم ألحظ حتى وجود الملك المستقبلي بجانبني حتى مدَّ يده ليسحب شيئاً من شعري. لم يسعفني الوقت حتى للجفول قبل أن يحمل زهرة أمام وجهي— تلك التي نسيْتُ أنها متشابكة في خصلاتتي الفضية.

– «رغم أنني أعتقد أنها تناسبك، إلا أنه ربما لا ينبغي لك إجراء المقابلة وهذا الشيء على رأسك.» أشار إلى الزهرة بابتسامة. «قد تجذبين الكثير من الاهتمام. خاصة من النحل.»

العبى الدور.

هذا ما يجب أن أظل أردده لنفسي. لأنه في كل مرة أنظر إليه، لا أرى سوى والده، والرجل الذي سيحكم يوماً ما مملكة فاسدة. ومع ذلك، ورغم اشمئزائي، أجبرتُ ابتسامة على الظهور على وجهي.

– «شكراً لك. لإنقاذي من الإحراج ومن النحل على حد سواء.»

وقف براكستون تحت المخرج، وكنتُ شاكرة لهذه الحجة لأشبح بنظري عن الملك المستقبلي. لم يحتج القوي (براوني) حتى للقفز للإمساك بالحافة قبل أن يسحب نفسه بسهولة من الأرض وعبر الباب المسحور. واحداً تلو الآخر، ساعد الفتیان أنفسهم للوصول إلى الغرفة في الأعلى حتى لم يتبق سوى الأميرين.

ساعدت الفتيات في الصعود بسهولة، وكادا أن يرفعا هيرا حرفياً عبر الفتحة. استغللت بلير الموقف، متخذة إياه ذريعة لتجعل أيدي الفتیان تلمس جسدها كله. وبعد أن طلبت سيدي المساعدة بأدب، بقيت وحدي مع الأخوين. نظرتُ لأعلى عبر الباب المسحور، أقيّم قفزتي، حين وقف كاي خلفي، حانياً رأسه حتى كاد ذقنه أن يستقر على كتفي.

– «أكثر عناداً من أن تطلبي مساعدتي يا جراي؟»

قلتُ ببرود:

– «لا، بل أقوى من أن أحتاجها.»

كانت كلماته التالية همسة قريبة من أذني.

– «هذا ما أحب سماعه.»

تلاشت حرارة جسده حين تنحى جانباً، مشيراً إلى الباب المسحور في الأعلى بابتسامة تلتوي على شفتيه.

قفزتُ، وتشبّثتُ أصابعي بحافة الفتحة بينما تدليتُ في الهواء للحظة. لم أكن يوماً ممتنة للسنوات العديدة التي أمضيتها في التدريب على تسلق المباني كما أنا الآن. سحبتُ نفسي لأعلى، مستعدة لأرجحة ساقيّ—

زفرتُ بضيق:

— «هذا الفستان اللعين.»

كان قاسياً، والقماش الذي يعانق وركيَّ جعل من المستحيل التحرك بحرية.

— «هيا.» كان صوت كاي الساخر من خلفي. «اطلبي مساعدتي يا جراي.»

قلبتُ عينيَّ نحو الجدار أمامي.

— «عنيدة، أتذكر؟»

سمعتُ ضحكة كيت المكتومة قبل أن أشعر بأيِّ تمسح على ساقيّ. نظرتُ لأسفل بخضة، لتستقر عينااي على رأسٍ منحنيٍّ بشعرٍ أسودٍ مموج وفوضوي. كان كاي يمسك بالحافة السفلية لفستاني، وعيناها تنظران لأعلى لتلاقيا عينيّ.

— «هل تسمحين لي؟» كان صوته ناعماً، ونبرته مرحة.

ابتلعتُ ريقِي، وقلبتُ عينيَّ مرةً أخرى، وأومأتُ رغم معارضة عقلي.

ثم قام بتمزيق فستاني.

مزق القماش بسهولة، محدثاً شقاً على جانب فخذي، ليحررني من القيود الضيقة للقماش. لامستُ أصابعه الخشنة بشرتي للحظة وجيزة وهو يقول:

— «أنا أكثر من مستعد لتمزيق فساتينكِ من أجلك يا جراي. للمساعدة

بالطبع.»

شخر كيت ضاحكاً بينما ابتسم كاي بمكر.

— «عليكِ فقط أن تطلبي.»

— «ولماذا أطلب وأنت تواق جداً لتقديمها؟»

رافقتني ضحكة كاي وأنا أسحب نفسي أخيراً لأعلى، وذراعي تحترقان من الجهد. حين وقفتُ على قدمي داخل الصندوق الزجاجي، شعرتُ بالارتياح لرؤية الكراسي لا تزال فارغة. فكرة رؤية الملك بعد الطريقة التي تحدث بها عن والدي باستهتار وكأنه ليس قاتله، تجعل دمي يغلي. قبل ذلك العشاء، لم أضطر يوماً لمقاومة الرغبة في غرس شوكة في الوريد الوداجي لأحد.

أخذتُ نفساً عميقاً قبل أن أخطو إلى الممر.

زأر الحشد.

لقد حانت اللحظة.

قادنا جنود الإمبراطورية إلى فتحة صغيرة في الحاجز المقابل للمقصورة، حيث وُضعت سلالم لنا لننزل إلى الحفرة بالأسفل. لامست قدماي الرمال الصلبة للحلبة بينما هتف الحشد، وبدا الصوت وكأن التصفيات قد بدأت بالفعل.

مشينا عبر الأرضية الواسعة للحفرة، وتوقفنا في المنتصف حيث ترتفع منصة مؤقتة بضعة أقدام عن الأرض. اصطفت عشرة كراسي وثيرة في الخلف بينما يتوسط كرسيين آخرين المقدمة. قادنا الجنود إلى المنصة حيث جلسنا. التقت نظرتي بنظرة ليني، فأوماً لي برأسه مطمئناً قبل أن يصطف مع باقي جنود الإمبراطورية.

– «مرحباً بكم، يا إخوتي أهل إيليا، في تصفيات التطهير السادسة في التاريخ!»

زأر الحشد بينما التفتُ بسرعة نحو الصوت النسائي العالي. استدارت لتواجهنا، وكانت عيناها البنيتان تشعان بالحماس، وشفتيها الحمراوين الممتلئتين منفرجتين عن ابتسامة وهي تتأملنا.

تياللا.

من المفارقة أن شعرها الفيروزي الزاهي يطابق اسمها ("تيل" تعني الفيروزي). لم يسبق لي أن رأيت الشابة التي أجرت المقابلات في التصفيات السابقة، لكنني سمعتُ الكثير عن مظهرها الفريد لأتعرف عليها.

– «أوه، لكن هذه ليست تصفيات عادية!» ابتسمت للحشد بابتسامة عريضة كاشفة عن أسنانها البيضاء. «لأول مرة في تاريخ تصفيات التطهير، لدينا منفذ مستقبلي يتنافس.»

أكاد أشعر بآلاف العيون تتجه نحو كاي. كان من الواضح أنه معتاد على هذا الاهتمام، وبدا مسترخياً تماماً وهو يستند إلى كرسيه. تابعت تيالاً:

– «وبسبب ذلك، ستبدو تصفيات هذا العام... مختلفة قليلاً.»
جنّ جنون الحشد.

ترددت كلمات إيلي في رأسي، تعكس الكلمات التي نطقت بها تيالاً للتو. مختلفة.

كل هذا لأن هناك دماء ملكية تتنافس؟ كل هذا لجعل الأمور أكثر صعوبة على المنفذ المستقبلي؟

لم يسعفني الوقت للتفكير في الأمر أكثر قبل أن تقول تيالاً:
– «هل أنتم مستعدون لمقابلة نخبكم؟»

بسطت يدها على صدرها وهي تتحدث، مما جعل كلماتها تتردد عبر الحلبة. قدرتها ك مكبرة صوت تسمح لها بتضخيم صوتها، وكذلك أصوات الآخرين، طالما أنها تلمسهم. قوة خاصة ب العاديين، لكنها مفيدة في هذا المجال.

هتف الحشد وضربوا بأقدامهم الأرض، مقلدين هدير الرعد.

– «لم لا نتعرف على جاكس أولاً؟ جاكس يا عزيزي، هلا تفضلت بالجلوس هنا معي؟»

ارتمت جاكس في الكرسي المائل نحو تيالاً في مقدمة المنصة بابتسامة خجولة على وجهه. تمللم، وكانت إحدى ساقيه الطويلتين ترتد على الأرض بينما أمطرته بأسئلة عابرة عن حياته والتصفيات.

– «آه، أحب التدريب مع كيت. في الغالب لأنه يدعني أفوز أحياناً. أما كاي... فليس كذلك.»

انفجر الحشد بالضحك على إجابة جاكس عما يحبه أكثر في التدريب للتصفيات. ابتسم بخجل لـ تيالا، واتسعت ابتسامته حين تحرك في مقعده ليرى هزة كتف كاي السريعة.

– «أليس لطيفاً جداً؟» وجهت تيالا ابتسامة للحشد قبل أن تسأل: «أخبرني يا جاكس، كم عمرك مرة أخرى؟» استقرت يد تيالا على كتفه، لتضخم إجابته. – «خمسة عشر.»

يا للأقدار، إنه صغير جداً.

– «خمسة عشر عاماً ونال بالفعل شرف التنافس في التصفيات!» صاحت تيالا، باحثة عن استحسان الحشد الذي عبروا عنه بضرب الأقدام والهتاف. «وهلا ذكرتنا مرة أخرى بقوتك؟» تنحنح وقال:

– «أنا من الـ وامضين (بليتك).»

– «كم هذا مذهل! أخبرنا المزيد لأولئك الذين لم يشهدوا هذه القدرة من قبل.»

– «حسناً،» اعتدل في مقعده، «يمكنني الانتقال الآن إلى أي مكان أستطيع رؤيته، في... حسناً، في ومضة عين.» ابتسم بينما ضحك الجمهور. – «حسناً يا جاكس، سؤال واحد أخير قبل أن ترينا ما يمكنك فعله.» بدت تيالا جادة فجأة وهي تقول: «ماذا تتوقع من التصفيات؟» أمال جاكس رأسه للجانب بتفكير.

– «حسناً، لست متأكداً مما ستتألف منه التصفيات، لكن مهما كان الأمر، أتوقع أن أشرف مملكتي، وعائلتي...» صمت وألقى نظرة سريعة نحو كاي. «ونفسي.»

انفجر الملعب بالتصفيق عند سماع شعار تصفيات التطهير. وقفت تيالاً وقادت جاكس أسفل درجات المنصة وإلى الرمال المكتظة في الحفرة أمامنا. - «الساحة كلها لك يا جاكس!»

في لحظة كان جاكس يبتسم للجمهور، وفي اللحظة التالية اختفى. استدرت في مقعدي لأرى أين ذهب، لأجده يقف خلف كاي مباشرة، وابتسامة مشاكسة تعلو وجهه. بعثر شعر الأمير قبل أن يتلاشى، تاركاً إياه يدمدم بغضب.

واصل جاكس استعراضه الصغير، يومض من مكان إلى آخر، مما دفع الحشد للشهيق في دهشة عند كل مكان جديد يظهر فيه. وبعد بضع دقائق، ومض عائداً إلى مقعده الأصلي، بين كاي وبراكستون تماماً، حيث لم يتردد الأول في الإيقاع به في خنق وبعثرة شعره بلا رحمة.

واصلت تيالاً روتينها الخاص بطرح الأسئلة على المتسابقين قبل إطلاق العنان لهم لاستعراض قدراتهم، متبعة نفس النمط.

لم يكن الأمر سوى عرض للمواهب. استعراض لمن هو الأقوى.

حطم براكستون التماثيل الحجرية التي نُثرت في الملعب من أجله وقذفها بعيداً. وبعد مقابلة آيس، حيث تحدث وكأنه فاز بالتصفيات بالفعل، نزل إلى الحفرة بخطوات واسعة، مغروراً كعادته. بدت الأوهام التي يلقيها حقيقية جداً، ومن السهل جداً الخلط بينها وبين الواقع. جعل النار تشتعل، وتحرق الرمال في مسار من اللهب، وحتى أنه جعل رائحة الدخان تفوح. ثم تلاشت في ومضة بالسرعة التي ظهرت بها، ولم تترك شيئاً وراءها.

استعرضت سيدي، لكونها ناسخة، قوتها بخلق عشر نسخ من نفسها وجعلتهن يسرن عبر المدرجات. لوّحت كل نسخة للجمهور بسرعة قبل أن تعدن إلى مقاعدهن.

أعقبت بلير مقابلة سيدي، وكانت لطيفة بشكل مستفز تجاه تيالاً والجمهور، رغم أنني لم أخطئ في ملاحظة الحدة التي عادت إلى صوتها عند الحديث عن الفوز بالتصفيات. خرجت إلى الرمال المكتظة ورفعت تيالاً بلطف

عن الأرض باستخدام قوتها في التحريك الذهني، مما أبلغني أن قوتها تكمن عقلياً وليس جسدياً. في الواقع، النصل الذي جرح أذني يوم أمس كان من المرجح أن تكون قوتها هي من ألقته، وليس يدها.

كانت هيرا خجولة، تتلوى في مقعدها ولا تتحدث إلا عند الضرورة. كنت أكاد أراها تتنفس الصعداء عندما أصبحت حرة أخيراً لاستعراض قدرتها وتجنب التحدث إلى الجمهور. تلاشت، وبعد لحظة، تلاشت تيالا أيضاً. صفق الحشد، وظلوا يحدقون في الهواء الفارغ حيث وقفنا.

كانت آندي الأكثر إمتاعاً بفارق كبير، تروي بلا خجل قصصاً محرجة عن طفولتها مع كيت وكاي. أحبها الحشد، وضحكوا على كل كلمة قالتها. لكن عندما خطت إلى أرضية الحفرة لاستعراض قوتها، ابتلعت الجماهير شهقتي. أمام عيني مباشرة، تحولت إلى نمر. ثم إلى صقر. ثم إلى ذئب. وكلها تحمل نفس لون النبيذ الأحمر لشعرها. ثم، وبعد التبديل العفوي بين عدة حيوانات، تحولت عائدة إلى هيئتها البشرية، وبدا فستانها الأرجواني الفاتح سليماً تماماً بطريقة ما.

اختارت تيالا كاي بعد ذلك، تاركة إياي للأخير.
عظيم.

ومع ابتسامة كاي لها، بدت تيالا محمرة الوجه ومرتبكة. من الواضح أنه ارتدى قناعه الساحر وهو يمازح الجمهور ويتفاعل معهم. عندما سألته تيالا عما يتوقعه من التصفيات، كانت إجابته هي نفس إجابة جميع المتسابقين الآخرين قبله: أن أُشرف مملكتي، وعائلتي، ونفسي.

وعندما انتهى الأمير أخيراً، رمق تيالا المحمرة بابتسامة سريعة قبل أن ينزل من المنصة لاستعراض قوته. حسناً، قوى الجميع. مر على صف المتسابقين واحداً تلو الآخر، مستخدماً قدرات كل منهم ومبهرراً الجمهور بها. بدت قواهم سهلة بالنسبة له، مألوفة، وهي نتيجة سنوات عديدة من التدريب. وعندما وصل إلى نهاية الصف، التقت عيناه بعيني. أمال رأسه للجانب قليلاً وهو يتأملني، وجالت نظرتة الرمادية على وجهي. لا أستطيع أن أتخيل

مدى انزعاجه من عدم قدرته على استخدام قدرتي، وتلك الفكرة جلبت
ابتسامة صغيرة على شفتي وأنا أنظر إليه.

ثم عاد كاي إلى مقعده، وكنتُ أخطو نحو هلاكي.

– «وأخيراً، لدينا بيدن جراي!»

تردد صدى صوت تياللا في الحُلبة وهي تربت على المقعد بجانبها منتظرة.
العبى الدور.



حلبة "الصحن"



الفصل 15

بيد

راحتاي تتصببان عرقاً. أجلس في المقعد بجوار تيّالا وأملس تنورة ثوبي، فقط لأجد عذراً لمسح كفيّ المبللتين بالحرير الناعم. أرفع بصري نحو الجمهور، فتُحبس أنفاسي. يخالجنني الخجل لأنني لم ألاحظهم من قبل، لكن الآن، يبدو أنني لا أستطيع أن أشيح بنظري عنهم.

الملك والملكة و...

كيت.

يحدّقون بي من مقصورتهم الزجاجية الدافئة. يجلس الملك ووريثه متجاورين، والتطابق بينهما يصفعني كضربة في الصدر. شعرهما الرملي وعيونهما الزمردية مرآة لبعضهما البعض، يتشابهان إلى حد أن كراهيتي لأحدهما بدأت تتسرب إلى الآخر.

قالت تيّالا بصوت عالٍ:

– «إذاً، بيدن، حدّثينا عن واقعتك مع الأمير كاي!»

تنساب عيناى عائدةً إلى عيني تيّالا، ويكاد بياض أسنانها الساطع وشعرها الزاهي يعميانني. تميل نحوي وتضع يداً ناعمة على كتفي، لتوصل صوتي إلى الجميع.



– «حسناً، حسبما قال الأمير كاي، ليس هناك الكثير مما يُحكى. لكن إن سألتني، فأظن أنه محرجٌ قليلاً لأن فتاة من العشوائيات اضطرت لإنقاذه.»
تتدحرج الكلمات من فمي قبل أن أتمكن من لجمها.
بحق الطاعون، أنا بحاجة لأن أستميل الناس، والسخرية من أميرهم ليست أفضل طريقة لذلك على الأرجح...
ضحكات.

لدهشتي، ومن حسن حظي، وجد الجمهور في كلامي طرافة. أختلس نظرة من فوق كتفي إلى كاي، فألمح شبح ابتسامة يرتسم على ملامحه.
إذاً، ربما يمكنني أن أنال من أميرهم بعد كل شيء. يمكنني استغلال هذا.
ضحكت تيالا بهدوء قبل أن تنتقل إلى السؤال التالي – الذي أنا متأكدة أن الكثيرين يتساءلون عنه – وقالت:

– «إذاً، أخبرينا مرة أخرى، كيف تمكنت من صد الخامد (السايلنسر)؟ أعني، من الواضح أنكِ قادرة على الصمود في قتال جسدي، ولكن كيف لم يؤثر عليك؟»

أخذ نفساً عميقاً، وأنا أدرك أن هذه التفصيـلة مهمة جداً كي يفهمها الجميع، كي يصدقوها.

– «حسناً يا تيالا، أنا متبصرة. إنها قدرة ذهنية تسمح لي باستشعار المشاعر القوية لدى الآخرين وتلقي ومضات من المعلومات. وبسبب ذلك، أملك القدرة على حماية عقلي، وإبقائه آمناً من أشخاص مثل الخامدين (السايلنسر).»

أبتسم ابتسامة خفيفة قبل أن أضيف:

– «ويبدو أنني آمنة أيضاً من أمثال الأمير كاي، بما أنه لا يستطيع استخدام قدرتي الصغيرة أو استشعارها.»

– «كم هذا مذهل! يجب أن أعترف، لم أقابل متبصرة من قبل!»

اتسعت عيناها، وبدا عليها الانبهار الشديد بي، كما هو حال بقية الحشد بالتأكيد.

– «أجل، حسناً، رغم أنها قدرة عادية، تبدو نادرة جداً.»

أبتسم ابتسامة عريضة وكأنني لا أكذب كذباً بواحاً بأسنان مصقولة أظهرها لها.

– «حسناً، بيدن، حدثينا عن حياتك في...»

تلعثمت، وكادت أن تقول العشوائيات قبل أن تختار كلمة أخرى:

– «...في إيليا؟»

أفكر في الكذب أكثر، في أن أقول إن الأمر لم يكن بذلك السوء، وإن العيش في العشوائيات كان سهلاً. لكن يبدو أن رغبة مفاجئة في قول الصدق قد تملكنتني.

– «تقصدين، الحياة في العشوائيات؟»

رمشت عيناها نحوي، متفاجئة من تصحيحي الفج.

– «ليس هناك الكثير مما يُحكى. الحياة في الشوارع ليست حياة على

الإطلاق.»

أحدّق في عينيها مباشرة قبل أن ألتفت لمواجهة الحشد الصامت.

– «خلال السنوات القليلة الماضية، كان الجوع والبرد هما الثابت الوحيد

في حياتي. لكن الأمر لا يقتصر عليّ. هناك العشرات غيري ممن ينامون على الحصى الصلب نفسه الذي نمت عليه. عشرات غيري سيفعلون أي شيء مقابل شلن واحد.»

أتوقف قليلاً وألتقط أنفاسي.

– «العيش في العشوائيات هو صراع البقاء للأقوى. لذا، بطريقة ما، أنا

أكثر استعداداً لهذه التصفيات من أي شخص آخر.»

حدّقت تيالاً في وجهي بصدمة، من الواضح أنها لم تكن تتوقع تلك الإجابة. ثم لمع في عينيها البنيتين شيء يشبه الشفقة. أكره ذلك. لا أريد شفقتها أو شفقة الجمهور. أريد التغيير.

انتقلت بسرعة إلى أسئلة أكثر خفة حول التدريب وزملائي المتسابقين.
- «من تعتقدين أنه سيكون أكبر منافسيك؟»

- «همم...»

أدسّ خصلة شعر خلف أذني، وأنا أفكر في إجابتي.
عرضت تيالاً قائلة:

- «ربما الأمير كاي؟ بما أنه يمتلك القدرة على استخدام أي قوة؟»

- «ليس قدرتي، أتذكرين؟»

أضحك بخفة، فتضحك هي أيضاً.

- «لن يمثل مشكلة. في الواقع، سنرى إلى أي مدى سيصل في هذه التصفيات بدوني لإنقاذه.»

أبتسم ابتسامة لطيفة بينما يزمجر الحشد بالضحك، وأكاد أشعر بعيني كاي تحرقان ثقباً في مؤخرة رأسي.

- «حسناً يا بيدن، سؤال أخير. ماذا تتوقعين أن تحسلي عليه من

التصفيات؟»

ينفتح فمي، وأنا أعتزم أن أتقياً الشعار المتدرب عليه لتصفيات التطهير كما فعل الجميع قبلي. كما يُفترض بي أن أفعل. ولكن عندما تتلاقى عينا مع المقصورة الزجاجية فوق، وتستقران على الملك الحالي والمتوقع، تسقط الكلمات من فمي قبل أن أعصّ على لساني.

الكلمات الخاطئة.

- «البقاء. أتوقع أن أبقى على قيد الحياة.»

أشعر بآلاف العيون مثبتة عليّ.

تمكّنت تيّالا من أن ترمش ببطء بينما هبّ نسيم عليل مداعباً خصلات شعرها الفيروزية على وجهها. أخيراً، تنحنحت ووقفت متصلة لتقودني إلى أسفل المسرح.

– «حسناً إذن.»

حاولت التصرف بطبيعية وهي تقول:

– «أرينا ما يمكنك فعله!»

الآن، أنا من يرمش في وجهها.

بحق الجحيم، كيف يُفترض بي أن أفعل ذلك؟

– «امم...»

أنظر حولي في الملعب وأنا أقول:

– «لم لا تختارين شخصاً عشوائياً من الجمهور، وسوف... سوف أقرأه.»

بحق الطاعون، ما الذي أهذي به؟

ابتسمت تيّالا وأومأت برأسها، سعيدة بوضوح لأنها ستفعل شيئاً.

شاهدتها وهي تصعد درجات الخروج من الحفرة وبدأت تسير بين صفوف الناس، تبتسم وتلّوَح وهي تمضي. بعد بضع دقائق من التفكير، أشارت أخيراً إلى فتاة صغيرة تجلس في صفٍّ أعلى ببضعة صفوف.

بدت الفتاة المسكينة مرتبكة بشكل مقلق، لكنها وقفت بحذر قبل أن تشق طريقها نزولاً إلى الحفرة، مسترشدة بتيّالا.

عندما اقتربت مني بحذر، أدركت أنها لا يمكن أن تكون أكبر مني سنّاً بكثير. شعرها البني القصير مع النمش المتناثر على وجهها منحها مظهر براءة دائماً. ابتسمت ومددت يدي لأمسك بيديها، راغبة في تقديم عرضٍ من هذا.

– «لا تقلقي. لن أعضّك.»

قلت بهدوء عندما تراجعـت خطوة صغيرة إلى الوراء. قدمت لها ما أرجو أن تكون ابتسامة دافئة، وبذلك، مدت يديها السـمراوين نحوي ببطء. أمسكتهما برفق في يدي، وراقبتها بسرعة قبل أن أغـمض عيني بإحكام. لدي كل ما أحتاجه.

أفكر في السلسلة الباهتة حول عنقها، مع الخاتم الكبير الباهت المعلق بها والذي كان بالكاد مرئياً خلف طيات قميصها. لقد احتفظت بخاتم والدي بعد وفاته أيضاً، لكنني أرـتدي خاتمي في إبهامي.

– «أشعر... بالحزن. أنت...»

أضـغط على يديها الدافئتين، وآخذ نفساً عميقاً.

– «...لقد فقدت رجلاً كان قريباً جداً منك. منذ فترة. والدك؟»

فتحت عيني لأرى فمها فاغراً. قالت بصوت خفيض، رغم أن يد تـيالا كانت على كتفها ليرتفع صوتها:

– «أجل، لقد توفي قبل أربع سنوات.»

– «يؤسفني جداً ما حدث لك. أعرف ما يعنيه أن تفقـدي والدًا.»

أبقيت عيني مثبتتين على عينيها، رغم أنني كنت أرغب بشدة في أن أرمق الملك في مقصورته اللامعة بنظرة حارقة.

دوت شهقة جماعية في أرجاء الحشد، مندهشين من أنني استطعت معرفة تفصيل شخصي كهذا.

وأرادوا المزيد.

راحت تـيالا تختار شخصاً تلو الآخر لينزلوا إلى الحفرة، وكان كل واحد منهم أكثر حماساً من سابقه لأن أقرأه. كنت أطلق عبارات عشوائية وشخصية عنهم، أشياء لا يُفترض بغريب أن يعرفها.

– «لقد اكتشفت للتو أنك حامل...»

– «والدك حداد...»

– «لقد سـرقت الحذاء الذي ترتدينه...»

في كل مرة، كان كل من الشخص الذي أقرأه والجمهور فوقنا في حالة من الدهول. كانوا يشهقون ويصفقون ويهتفون - جمهورٌ مسحورٌ بالكامل.

بحق الطاعون، لو كنت أعلم أن الناس يحبون هذا كثيرًا، لكنت تقاضيتُ أجرًا مقابل القراءات في الشارع.

وقف أمامي الآن شاب ممشوق القامة، وقد أشرقت على وجهه ابتسامة عريضة وهو يحدق بي بترقب. أغمضتُ عيني، واستحضرتُ حلقة الأتربة الخفيفة التي كانت عالقة بركبته اليمنى وهو يسير نحوي. ذلك، بالإضافة إلى المخطط الخفي لصندوق صغير في جيب معطفه، والتوهج السعيد على وجهه، جعلني أصل إلى استنتاجي في غضون ثوانٍ.

- «أستشعر فرحًا. لأنك...»

أفلتتُ إحدى يديه لأضغط بأصابعي على صدغي.

- «...لقد خطبتَ للتو. اليوم.»

فتحتُ عيني في الوقت المناسب تمامًا لأرى فمه يتدلى مفتوحًا.

- «أجل! إنها على حق! لقد طلبت يدها للزواج قبل أقل من ساعتين!»

استدار ليواجه الجمهور، وابتسامة عريضة تعلو وجهه بينما جن جنون الحاضرين.

- «مبارك!»

ابتلع الهتاف العالي صرختي وهو يكاد يقفز على الدرج عائدًا إلى مقعده. مع ذلك، استدرتُ على عقبي وعدتُ إلى مقعدي، دون أن أنتظر شخصًا آخر يهبط لكي أقرأه.

- «إليكم،»

قالت تيانا وهي تلوح بذراعها خلفها، مشيرة إلينا،

- «...متسابقو تصفيات التطهير السادسة!»

تردد صوتها في أرجاء الملعب ليطنى عليه صخب الجمهور سريعًا.

وقف المتسابقون من حولي، ففعلتُ مثلهم. لوّحنا وابتسمنا للحشد،
ونحن نراقبهم يهتفون ويضربون بأقدامهم الأرض ويلوحون بقبضاتهم في
الهواء.

أشعر بالغثيان.

أشعر أنني مُستغلة.

كل هذا مجرد لعبة بالنسبة لهم.

ولكن إذا أردتُ أن أبقى على قيد الحياة، عليّ أن أؤدي دوري. عليّ أن
أؤدي ألا عيبهم.

أن أكون بيدقاً في لعبتهم هو الثمن الذي يجب أن أدفعه لأنجو. أجعلهم
يصدقون أنني أحب هذا، وفي المقابل، سيحبونني.

لذا استقممتُ، ورفعتُ رأسي أعلى قليلاً وابتسمتُ ابتسامة أكثر إشراقاً.
أنا لستُ بيدقاً في يد أحد.



الفصل 16

كاي

تشبث الدماء بيديّ، بثيابي، فتصبغ كل شيء بلون أحمر مقزز. فالتعذيب مهنة قدرة بطبعها، ورغم سنوات الممارسة التي قضيتها، لا يبدو أنها تصبح أسهل أو أنظف أبداً.

على عكس كيت، الذي تدرب منذ طفولته ليكون متزناً وعادلاً وملكياً، كان تدريبي يتألف من أعمال عملية أكثر. استراتيجيات المعارك، والاغتيالات، وفن التعذيب، شكّلت جزءاً كبيراً من تعليمي. وبفضل هذا التدريب الفريد والمكثف الذي تلقّيته، أنا بارع جداً في ما أفعله.

إلا، كما يبدو، عندما يتعلق الأمر بالخامد (السايلنسر) الذي يجثو مرتجفاً على أرضية الدجن أمامي. لقد مرت أيام. لقد ضربتُ هذا الرجل حتى أصبح كتلة دامية، وماذا عرفت منه في المقابل؟

لا شيء.

أن أقول إنني غاضب سيكون بخساً للأمر. الكلمة المفيدة الوحيدة التي جعلته يتفوه بها، إلى جانب الصرخات الممزقة والتوسلات، هي ما أفترض أنه اسمه.

ميكاه.



تنهدتُ، وانحنيت لأحوم فوق جسده المكسور والدامي. شعره الطويل، المتلبد بالدماء، ينسدل على عينيه البنيتين الغامقتين. اتسعتا عندما التقتا بعيني، مما جعله يبدو شابًا جدًا. لا يمكن أن يكون أكبر مني ببضع سنوات. - «الآن، صحّ لي إن كنت مخطئًا،»

قلت بصوت ناعم خادع،

- «...لكني لا أعتقد أنك أبكم.»

أمسكتُ فكه وفتحته عنوة ليكشف عن بركة الدم في فمه، فوق لسانه، التي تصبغ أسنانه باللون القرمزي.

- «ولكن يمكنني بسهولة أن أجعل ذلك يحدث. يمكنني أن أقتلع لسانك.»

أسقطتُ رأسه على الأرضية الحجرية ونهضت لأغادر، مدركًا أنني قد تأخرت بالفعل عن العشاء. أغلقتُ باب الزنزانة خلفي بقوة، وأومأت إيماءة مقتضبة لداميون. فانحنى برأسه ببطء في المقابل قبل أن يتبعني في الممر الطويل المليء بالزننازين.

تردد صدى خطواتنا على الجدران الحجرية ونحن نصعد الدرج إلى الممر المشرق المغمور بالشمس فوق الدجن. توجهت بخفة إلى قاعة العرش بينما كان عقلي شاردًا.

التصفيات تقترب بسرعة، ولا يفصلنا عن أول لعبة مميتة سوى أربعة أيام. لقد اتبعت الأيام القليلة الماضية الروتين نفسه من التدريب والأكل والحديث والتعذيب. وحسنًا، التلاعب ببیدن. لقد كانت مصدر تسلّيتي الرئيسي مؤخرًا. إنها مسلية. بذكائها وعنادها وانزعاجها الواضح مني... توقف.

أطرد أفكار بيدن من عقلي وأنا أخطو عبر الأبواب الكبيرة لقاعة العرش. وجدت يداي طريقهما إلى جيبِي، في حركة عفوية رغم أنني أعني تمامًا أن قميصي الكحلي الملطخ بالدماء لا يناسب تمامًا قواعد اللباس للعشاء.

كان الخدم قد أحضروا الطعام بالفعل إلى المائدة، وكان كل من يجلس حولها يستمتع به بشراهة. التفتت الرؤوس عندما سمعوا صوت حذائي على الأرضية المصقولة، وانتقلت عدة أزواج من العيون من وجهي إلى الدم المتشبث بملابسي. تجاهلت نظراتهم، فقد كنت متعباً جداً من أن أغير ملابسني وجائعاً جداً من أن أهتم.

– «آه، كاي. يسعدني أنك تمكنت من الحضور.»
بدا صوت والدي منزعجاً، كالعادة، وأنا أأخذ مقعدي.
– «عزيزي،»

قالت أُمي بهدوء وهي تميل نحوي،
– «تبدو... حسناً، ملطخاً بالدماء قليلاً.»
ارتعشت وهي تتفحصني بعينيها، مقيمةً ابنها.
– «مخاطر مهنية يا أُمي.»

أهديتها ابتسامة صغيرة، تلك الابتسامة اللطيفة التي أحتفظ بها لها وحدها. أومأت برأسها بتردد قبل أن تحاول الاسترخاء مرة أخرى في كرسيها. بالكاد كنت أستمع إلى الثرثرة الهادئة التي تدور حولي. كنتُ أنهي آخر حبات الفاصوليا عندما جعلني نقر متواصل أرفع نظري.

كانت خصلات شعر بيدن الفضية تنسدل حول وجهها في تجعيدات فضفاضة، وبقية شعرها مربوط في عقدة فوضوية عند مؤخرة عنقها. كانت عيناها مثبتتين على طبقها، وإبهامها وخاتمها الفضي ينقران إيقاعاً ثابتاً على الطاولة الخشبية.

ثم انزلت تلك العيون المحيطية نحو عيني.
أملتُ رأسي نحو إبهامها الذي يقرع.

– «هل هناك ما يشغل بالك يا جراي؟»
تفحصتني وكأنها تلاحظ وجودي للمرة الأولى.
– «هل هناك شيء على قميصك يا آزر؟»

مرّت عيناها على ملابسي قبل أن تتسع قليلاً.

– «هل هذا... دم؟»

أنا متأكد من أنني تخيلت وميض القلق على وجهها، ونظرة الاهتمام عندما ظنت أنه قد يكون دمي هو الذي يلطخ القميص.

– «احذري يا عزيزتي. تبدين وكأنك تهتمين تقريبا.»

أهديتها ابتسامة كسولة، فأهدتني لفة عين كسولة.

انتقلت نظرتي إلى أُمي عندما اخترق صوتها اللطيف أفكارني:

– «آمل أن تكونوا جميعاً قد بدأتُم في تكوين ثنائيات لأول حفل راقص!»

ألقيتُ نظرة حول المائدة. فقط الثلاثة الذين لم يعيشوا في القلعة من قبل بدوا مرتبكين قليلاً. هيرا وآيس وبيدن لم يكبروا وهم يشاهدون هذه الحفلات، بل لم يحضروا حفلاً راقصاً من قبل. أحسدهم.

– «كما جرت العادة،»

تابعت أُمي،

– «سيشكل المتسابقون ثنائيات للحفلات الراقصة التي تُقام قبل كل

تصفية. وبما أن عددكم فردي، فمن لا يجد شريكاً سيتم إقرانه بشخص ما، لا تقلقوا.»

اتسعت ابتسامتها أكثر وهي تقول:

– «لذا اختاروا شركاءكم وابدأوا في التدريب على خطوات الرقص.»

تحرك كيت بجانبني، ورأيتَه يلقي نظرة سريعة في اتجاه بيدن. مررت يدي عبر شعري قبل أن أعيد انتباهي إلى طعامي، محتاجاً إلى التركيز على شيء ما.

بما أن عدد الفتيات يفوق عدد الفتيان، فمن المرجح أن يتم إقران كيت بمن لا شريك لها. لكن هذا لن يمنعه من دعوة إحداهن إذا رغب في ذلك.

من الواضح أن بيدن تثير فضوله. ولكن حتى لو لم يكن كيت سيدعو بيدن لمرافقته إلى الحفل، وهو ما لا أشك فيه، فهي لا تريدني.

أنا أحب التحدي.

لكنها أوضحت بجلاء ما ترغب في أن تكونه: منافسين. أعداء.
والأهم من ذلك، لماذا ليس هذا ما أريده أنا أيضاً؟



أستيقظ في صباح اليوم التالي وأنا غارق في العرق.

ليس هذا أمراً غير مألوف، ليس مع الكوابيس التي تميل إلى مطاردة
نومي. لكن اليوم مختلف. اليوم الجو حار لدرجة الغليان في الخارج. لا يزال
الوقت فجرًا، وغرفتي لزجة بالرطوبة بالفعل.

أنهض من السرير وأتوجه إلى الحمام حيث أرش الماء البارد على وجهي
الرطب بالفعل. لا يستغرقني الأمر وقتاً طويلاً لأستعد، مرغماً نفسي على
ارتداء قميص قطني أبيض قبل أن أخرج من الباب و...
وها هي هناك.

تخرج من غرفتها ورأسها منحنٍ، وتغلق الباب بهدوء قبل أن ترفع نظرها
وتقفز عملياً من مكانها عند رؤيتي.

– «بحق الطاعون يا كاي، لا تخفني هكذا!»
رمشتُ.

إنها المرة الأولى التي تنادينني فيها باسمي، وأدرك حينها أنني قد أعتاد
على سماع وقع اسمي يتدحرج من على لسانها.

يبدو أنها لاحظت ما قالت فتنحنحت قبل أن تبدأ في السير في الممر.
– «ألسـت مستيقظاً باكراً بالنسبة لأمير؟»

نادت من فوق كتفها.

– «ماذا، ألم تجد فطورك في السرير؟»

لحقت بها بسهولة، خطوت ثلاث خطوات تقريباً قبل أن أسير بجانبها.
- «إذا لم تحسلي أنتِ على فطور في السرير، فلن أحصل عليه أنا أيضاً.
أنا مجرد متسابق عادي، أتذكرين؟ لم أعد أميراً ساحراً في الوقت الحالي.»
- «لم تكن كذلك أصلاً.»

ضحكتُ ونحن نعبّر الزاوية، ونلمح المطبخ يلوح في الأفق. رائحة
البسكويت والبيض المنبعثة من الداخل كانت كافية لتجعلني أغير مساري.
- «إذا...»

قالت بيدن، ربما بداية تعليق ساخر لن أحظى أبداً بمتعة سماعه لأنني
أمسكت معصمها وسحبته نحو أبواب المطبخ. أنا متأكد من أنها جائعة مثلي
تماماً، ولن يُقدّم الإفطار قبل ساعة تقريباً.
أنا أقدم معروفاً لكلينا.

على ما يبدو، بيدن لا تشاركني رأيي. ثبتت قدميها في الأرض عند عتبة
أبواب المطبخ، وعيناها تنتقلان بين عيني.
- «ماذا تف...»

بدأت، وهي ترمقني بتلك النظرة القاتلة التي ألفتها بالفعل.
- «ششش.»

ضغطت بإصبعي على شفتيها برفق فماتت الكلمات في حلقها.
- «أفترض أن وظيفتي ستكون إطعامك إلى الأبد الآن، هم، يا جراي؟»
جعلني تعبيرها المرتبك أضحك بهدوء قبل أن أسمع صوت احتكاك
أحذية، فسحبت نظري كارهاً من عينيها الواسعتين. لقد جذبنا جمهوراً لا بأس
به. وقف العديد من الخدم يحدقون بنا، يتأملون المشهد أمامهم. لكنهم
أسرعوا بالابتعاد، وهم يضحكون خلسة ويحاولون إشغال أنفسهم.
- «مرحباً يا سيدات،»

ناديت، وأنا أنظر حول الغرفة إلى الخدم المحمرّين خجلاً.
- «لقد أحضرت ضيفاً أكثر إثارة للاهتمام اليوم من كيت.»

وضعت يداً لطيفة على أسفل ظهر بيدن، ودفعتها إلى الأمام.

إنه سؤال، اختبار مبدئي، استفسار بريء.

هل هذا مقبول؟

أتساءل للحظة ما إذا كانت تفكر في كسر معصمي، ربما تفكر في وضع
خنجر على حنجرتي...

ثم استرخت، وتهاونت مع لمستتي.

إجابة على سؤالي دون أن تنطق بكلمة.

نعم.

قدتها نحو وسط المطبخ حيث لمحتُ جايل، منحنية حالياً فوق الموقد.

– «صباح الخير يا جايل.»

استدارت، وأشرق وجهها عندما رأتنِي.

– «تبدين رائعة كالعادة.»

ارتعشت زاوية فمي وقفزت لأجلس على الطاولة بجانب المكان الذي كانت
تقلب فيه قطع اللحم المقعد المقرمشة فوق الموقد.

– «أنت متملق كبير يا كاي،»

قالت مازحة، وهي تلوّح بمنشفة في اتجاهي بخفة. استقرت عيناها على
بيدن فاستقامت، وأومأت برأسها باقتضاب.

– «آه، آنسة بيدن. يسعدني لقاءك.»

– «من فضلك،»

تنهدت بيدن بابتسامة صغيرة،

– «لا آنسة. فقط بيدن.»

كاد بإمكانني رؤية جايل تسترخي، وربما تشكر الطاعون على أن
الرسميات ليست ضرورية.

– «الآن، ما الذي تفعله فتاة لطيفة مثلك تتسكع مع وغد مثله؟»

أشارت جايل بإبهامها في اتجاهي بينما خطفتُ شريحة لحم مقدد من المقلاة خلف ظهرها المستدير.
أطلقتُ ضحكة منخفضة.

– «أوه، لطيفة ليست الكلمة التي أستخدمها لوصفها يا جايل. لقد وضعت سكيناً على حنجرتي قبل بضعة أيام فقط.»
– «لقد استحق ذلك،»

قالت بيدن ببساطة، وهي تهز كتفها قليلاً.
– «أوه، أنا متأكدة من أنه فعل،»

ردت جايل، وهي تبتسم لها.
– «ربما كنت سأفعل الشيء نفسه.»
ألقت نظرة نحوي، مشيرة برأسها نحو بيدن.
– «تعجبني هذه الفتاة.»

أمالت بيدن رأسها إلى الخلف وضحكت. تجمد جسدي وأنا أستمع إلى صوت ضحكتها يملأ المطبخ. دافئ جداً، مشرق جداً. ثم، بسرعة كبيرة، تمالكت نفسها، وتنحنحت، والتفتت نحوي.
– «إذاً، أنت وكيث مقربان من جايل؟»

أملتُ رأسي إلى الجانب ونظرت إليها من الأعلى، وعيناي لا تفارقان عينيها وأنا أقول:

– «لا نفترق، أليس كذلك يا جايل؟»
انفلتت شهقة عالية من الطاهية.

– «لا نفترق بالفعل. الأميران لا يتركانني وشأني.»
لمعت عيناها بالفخر عندما التقتا بعيني.

– «أنا السبب الوحيد في أن كليهما ليسا نحيلين كالعصا.»
– «آه، أجل،»

تنهدتُ،

– «يجب أن نشكر كعكات جايل اللزجة على تسميننا.»

بعد أن أسعدت جايل بيدن ببعض القصص المخرجة من طفولتي، تحدثنا بشكل عفوي، وهو روتين معتاد بالنسبة لي وللطاهية. سألت عن ابنها، الذي يخدم كحارس بالقرب من الأراضي المحروقة، كل ذلك بينما كنت أختلس قطعاً من الطعام وهي تضرب يدي. التقطت نظرتي بيدن من حيث كانت تراقبني بفضول، وكأنها تحاول حل لغزي.

مضحك، عادةً أنا من يرمقها بتلك النظرة.

قفزت من على الطاولة وقبّلت جايل على خدها.

– «لا تشتاقني إليّ كثيراً.»

ثم التفتُ نحو بيدن التي كانت تتكئ بعفوية على الطاولة، وابتسامة صغيرة ترسم على شفثيها. خطوت خطوة بطيئة نحوها. ارتفع رأسها لتنظر في عيني وأنا أضيق المسافة بيننا، قريباً جداً لدرجة أنني أستطيع شم رائحة الخزامى العالقة ببشرتها. مددتُ يدي حول ظهرها، وأصابعي تلامس قميصها الخفيف.

انحبس نفسها وشعرت بشفتي ترتفعان إلى الأعلى. عندما فتحت فمها لتوبخني، سحبت يدي ببطء، ممسكاً بتفاحة أمام وجهها.

– «أطعمك دائماً، أتذكرين؟»

حدقت في الفاكهة قبل أن تخطفها من يدي، وهي تتأفف بانزعاج. ثم ابتسمت، وذلك الفعل المبهر أضاء وجهها وهي تمسح التفاحة على قميصي، فوق قلبي تماماً.

قضمت قضمة، وعيناها مثبتتان في عيني.

– «وقلت إنك لست رجلاً نبيلًا.»



بحلول الوقت الذي وصلنا فيه إلى ساحات التدريب، كنت غارقاً في العرق مرة أخرى.

في حركة شبه متزامنة، خلع العديد منا قمصانهم، غير قادرين على تحمل الحرارة أكثر. انطلقت أنا وكيت في الركض حول الساحة بوتيرة سهلة. شاهدت المتسابقين يتوزعون في أزواج للنزال أو يذهبون في طرق منفصلة للتدريب. كانت آندي حالياً في هيئة فهد أحمر، تدور حول عدة نسخ من سيدي في إحدى حلقات التدريب الترابية. وبشكل غير مفاجئ، كان براكستون على الأرض يمارس تمرينات الضغط بينما كان جاكس يشغل نفسه برمي الحجارة لأبعد مسافة ممكنة فقط لكي يومض ويلتقطها قبل أن تصل إلى الأرض.

أخيراً، انزلت عيناى الخائنتان نحو وميض من الشعر الفضي. إنها تضرب تلك الشجرة المبطنة، كالعادة. تفعل هذا دائماً. حركاتها سريعة، ومتحكم بها، وتعبر عن شعور لا أستطيع تحديده. استدارت فجأة، وارتفع ذراعها قبل أن أرى معصمها ينثني. رمشتُ، فغاصت سكين في عمق شجرة على بعد عشر ياردات.

ممارسة. هادفة. دقيقة.

لكنني لست الوحيد الذي يراقب. كانت نظرات كيت مثبتة عليها، بفضول تقريباً. تنحنحت ورفعت من وتيرتنا.

– «إذا، كيف تشعر؟»

التفت رأس كيت نحوي بحدة.

– «في هذه اللحظة؟ متعب.»

ضحكت من ذلك، وضربته بخفة في بطنه.

– «نعم، لقد بدأت تفقد لياقتك يا كيتي.»

دفعني عند ذكر لقب طفولته.

– «حسناً، ليس لدي سبب لأكون في حالة جيدة، أليس كذلك؟»

رغم أنه قال هذا مازحاً، لم تفتني النبرة المرة في صوته. تنهدتُ، وأنا أعرف بالفعل ما يدور حوله هذا الأمر.

– «أنت تعرف لماذا لا يمكنك ذلك.»

– «ليس لدي أي فكرة عما تتحدث عنه.»

– «كلا، بل لديك،»

تمتتُ.

– «كيت، أنت ملك إيليا القادم. نحن نحتاجك حياً. التصفيات ليست

مكاناً لك.»

اللعنة.

بمجرد أن خرجت الكلمات من فمي، علمت أنها أصابته كضربة جسيمة.

– «هل مملكتي نفسها ليست مكاناً لي أيضاً؟»

ضحكته خلت من أي مرح.

– «بحق الجحيم، هل أي مكان خارج القلعة ليس آمناً بما يكفي للوريث؟»

– «كيت...»

– «أعرف،»

قاطعني، وأخذ نفساً عميقاً.

– «أعرف أن واجباتنا مختلفة. وستظل كذلك دائماً. أتمنى فقط لو لم تكن

واجباتي مملة إلى هذا الحد.»

مع ذلك، أطلق ابتسامة واهنة في محاولة لتلطيف الجو.

راقبته، منتظراً لأرى ما إذا كان سيقول ما نعرف كلانا أنه يريد قوله.

منتظراً لأرى ما إذا كان سيخبرني أنه يشعر بأنه محاصر، وأنه يشعر وكأنه

يحاول باستمرار إثبات نفسه، وأنه يتمنى لو كان في التصفيات ليفعل ذلك

تماماً.

لكنه لم يقل شيئاً من هذا القبيل، كانت ابتسامته نداءً صامتاً للعودة إلى كونهما أخوين فقط وليس الملك المستقبلي ومنفذه.

لذا، من أجله، أرغمت نفسي على رسم ابتسامة عريضة على وجهي.

– «حسناً، على الأقل يمكنني الاعتماد على صوتك في التصفيات.»

بدا التوتر وكأنه يذوب من جسد كيت، وابتسامته تعرض مشاعره كما كانت تفعل دائماً. تنهد بارتياح لتغير الموضوع قبل أن يقول:

– «أوه، لا أعرف ما إذا كان يمكنك الاعتماد على تصويتك بعد أن

وصفتني بالبدين قبل بضع دقائق يا كاي باي.»

أكره هذا اللقب، والوغد يعرف ذلك. لذا، مدت قدمي، وأرسلت ملك إيليا القادم ليتمدد على الأرض قبل أن يجرنى معه.

أنهينا جولتنا، ونحن نتصبب عرقاً والشمس تضربنا. تمددت بسرعة قبل أن أتوجه إلى الحلبة مع كيت. رقصنا حول بعضنا البعض، مستخدمين كلاً من قوانا وأجسادنا للقتال. دخلت في إيقاع مألوف، وتركت نفسي أفكر فيما قاله كيت، وغرقت في أفكار.

انقلب العالم.

لا. أنا انقلبت.

ثم وجدت نفسي متمدداً على ظهري، أحاول سحب الهواء إلى رئتي الصارختين.

اللعة. فقدت تركيزي.

– «أسقطتك أرضاً يا كاي.»

ابتسم كيت وهو ينظر إليّ.

– «لقد مرت بضع سنوات منذ أن حدث ذلك آخر مرة، هاه؟»

أستطيع أن أقول إنه على وشك الاستمرار في التباهي، لذا لا أمنحه الفرصة.

تحركت ساقي، وعلقت بكاحليه وأرسلته ليتمدد على الأرض بجانب.

– «لا تعتد على ذلك،»

قلت، وأنا أريح رأسي على الأرض وأبتسم للسماء.
بمجرد أن التقط أنفاسه، انطلق في ضحكة مدوية.

– «كان يجب أن أتوقع ذلك...»

تلاشت كلماته وأنا أقف على قدمي كارهاً وأنفض الغبار بكسل عن
ملابسي قبل أن أقدم له يد المساعدة.

افترقنا، ذهب كيت للنزال مع بلير المصرة، بينما توجهت أنا إلى الأهداف.
أمسكت بالسكاكين الرفيعة من الرف بجانبتي وقلبت واحدة في يدي قبل أن
أطلقها في الهواء.

أسلحة. قتال. قتل.

هذا ما تربيت عليه. هذا هو السبب في أنني سأكون المنفذ والشخص الذي
يقا تل في التصفيات، وليس كيت.

سمعت دوي القبضات واللهاث الخافت على بعد ياردات قليلة إلى
يساري، حيث تحيط الأشجار المبطنة بساحات التدريب.

لقد عادت إلى ذلك.

مرة أخرى، كانت تسدد ضربات قوية إلى الشجرة. أو ربما لم تتوقف
أصلاً. بدت محبطة، غاضبة – وفوضوية. كانت لكلماتها أضعف، ووقفتها أقل
تحكماً بكثير. كانت متعبة ووقفتها تعاني بسبب ذلك.

قلبت سكيناً في يدي بلا وعي، وهزرت رأسي نحو السماء لما أنا على
وشك فعله. أرسلت نصلتي تخترق الهواء نحو الهدف قبل أن أتجول نحوها،
قادمًا من خلفها بينما استمرت في ضرب الوسائد. أقف الآن خلف ظهرها...

استدارت في حركة واحدة سريعة، وأرسلت مرفقاً يطير نحو وجهي.
بالكاد كان لدي ما يكفي من الوقت لتفاديه قبل أن أمسك بذراعها، وأوقفه في
الهواء. استدار رأسها بحدة، وخصلات شعرها الفضية تلتصق بوجهها، الذي
أصبح الآن لامعاً بالعرق.

ارتعشت شفتاي في ابتسامة.

– «يجب أن تستمري في التدريب قبل أن تحاولي ضربي.»

شخرت.

– «في حال نسيت كيف أنقذتك، أنا أعرف كيف أقاتل. لست بحاجة إلى محاولة ضربك يا أمير.»

سحبت ذراعها من قبضتي وعادت نحو الشجرة، متجاهلة إياي عمداً.
حسناً، هذا لن يجدي نفعاً.

– «بهذه الوقفة، ستحتاجين إلى المحاولة يا جراي.»

– «أوه، حقاً؟»

لا أستطيع أن أحدد ما إذا كانت مستمتعة أم تفكر في محاولة ضربي في هذه اللحظة بالذات. ربما كلاهما.

– «نعم، حقاً. أنتِ فوضوية. هذا لا يشبهك،»

قلت، مما جعلها تشخر بازدياء.

مرة أخرى، عادت إلى الشجرة وبدأت في توجيه المزيد من اللكمات، وقد قررت إنهاء محادثتنا. كانت مفاصل أصابعها حمراء، مجروحة، وتكاد تنزف.

لماذا تفعل هذا بنفسها؟

هززت رأسي، وأنا أعرف الإجابة بالفعل. لأنني فعلت ذلك من قبل. لقد ضربت الوسائد، والجدران، أي شيء حتى تقاطر الدم من قبضتي. كل ذلك لأجد متنفساً للغضب، للإحباط، الذي كان مكبوتاً في داخلي.

وهذا بالضبط ما تفعله بيدن.

ما زالت تتأرجح كثيراً بذراعيها، بدلاً من استخدام جسدها بالكامل كقوة دافعة. إنها عادة ما تكون تقنية للغاية عندما يتعلق الأمر بالقتال، مما يجعل هذا الأمر غريباً عليها بشكل خاص. لكنها متعبة ومحبطة. ورغم أنني أعرف كل هذا، لا أستطيع مقاومة الرغبة في التلاعب بها.

أخطو مقترباً أكثر من ظهرها وأضع يديّ على وركيها، أدير جسدها وهي تسدد لكمة أخرى. تنتفض فجأة وتتعثّر لترتطم بي، وينحني رأسها إلى الخلف ليستقر على صدري العاري.

– «توقفي عن التآرجح بذراعيك وتأرجحي بجسدك كله،»

قلت، وأنا أحنّي رأسي لأكون قريباً من أذنها. شهقت عندما مرت يدي على بطنها، وهمس أصابعي يراقص قميصها الخفيف.

– «استخدمي جذعك يا جراي.»

اهتز صدرها. ثم خطت خطوة إلى الأمام، وغادرت حرارة جسدها جسدي. ما زالت يداي مثبتتين على وركيها عندما أدارت رأسها لترمقني بنظرة غاضبة.

إنها تعرف أنني على حق. وهي تكره ذلك.

لقد تكاسلت ولم تدرك ذلك حتى الآن، كانت شديدة التركيز والإحباط لدرجة أنها لم تلاحظ. جعلتني الفكرة أبتسم لها وهي تتأفف، وتنفخ خصلة شعر بعيداً عن عينيها قبل أن تعود نحو الشجرة.

– «الآن، سدي لكمة،»

تمتّت، مائلاً لأضيف،

– «...بشكل صحيح.»

بشكل مفاجئ، لم تجادل، ومن المرجح أنها أدركت أن ذلك لن يجديها نفعاً. استقامت بكتفيها ووثبت على أطراف أصابعها. ثم سدّدت لكمة، وطارَت قبضتها نحو الوسادة بينما أدارت وركيها بالتزامن مع اللكمة. كان هناك زخم أكبر بكثير خلفها، وأستطيع أن أرى كم أصبحت أقوى في وقتها القصير هنا مع الوجبات المنتظمة والتدريب. عندما غاصت مفاصل أصابعها في الوسادة، كانت العضلات النحيلة في ظهرها وذراعيها واضحة.

– «أفضل بكثير،»

قلت ببرود، رغم انبهاري. بعد لحظة كانت أطول من اللازم بالتأكيد،
أسقطت يدي أخيرًا من على وركيها.

– «الآن، افعليها بنفسك. فقط للتأكد من أنك كنت منتبهة.»

تجمدت، وهي تواجه الشجرة.

ثم كان هناك وميض من الشعر الفضي وهي تستدير، موجهة لكمة رائعة
إلى وجهي.



الفصل 17

كاي

كدت لا أتفادى الضربة في الوقت المناسب. وحدها سنوات القتال هي ما سمحت لردود أفعالي أن تستجيب بهذه السرعة الخاطفة.

قالت بنبرة عذبة، وهي تومض بتلك الابتسامة المذهلة في وجهي:
- «كيف كانت تلك؟»

انفلتت مني ضحكة متقطعة.

- «ماذا لو لم أنحنِ يا جراي؟»

- «كنتُ أعرف أنك ستنحني يا آزر.»

اقتربت من وجهي الآن، وابتسامة خبيثة تتقوس على شفثيها وهي تكرر العبارة ذاتها التي قلتها لها بعد أن ألقيت سكيناً في اتجاهها.

- «يبدو أن أحدهم يتوق للقتال.»

صعدتُ نظري على جسدها، آخذاً وقتي. مستوعباً وقفتها على أطراف أصابعها، ويديها المرفوعتين قليلاً، وكل خيط من ملابسها يلتصق بجسدها بينهما.

- «كنتُ أنتظر عذراً لأمحو تلك الابتسامة المتعجرفة عن وجهك بلكمة.»



لوّحت بذراعها نحوي مرة أخرى، وهي تعلم أنني سأنحني تحتها. إنها تتلاعب بي.

– «لن تكوني أول من يقول لي ذلك،»

قلت ونحن ندور حول بعضنا البعض. لقد تراجعنا إلى فسحة صغيرة بين الأهداف ورف الأسلحة المقابل لها. أريتها راحتني، مستسلماً قبل أن يبدأ القتال حتى.

– «أنت لا تريدين هذا حقاً، وأنا كذلك. خاصة لأنني لا أرغب في إفساد وجهك الجميل ذاك يا عزيزتي.»

كادت أن تدير عينيها في وجهي.

– «هذا مضحك، لأنني لن أتردد في إفساد وجهك الجميل.»
ابتسمت ابتسامة جانبية.

– «كنت أعرف أنكِ تظنينني وسيماً.»

عند ذلك، وجهت لكمة أخرى إلى وجهي تفاديتها بسهولة. واصلنا الدوران حول بعضنا البعض، ببطء. التصق الشعر الرطب بجبيني فمررت أصابعي من خلاله، مبعداً إياه عن بشرتي اللزجة.

– «أنت تعلمين أن لدي ثمانى قوى تحت تصرفي الآن، وأي واحدة منها يمكنها أن تسقطك أرضاً.»

ابتسمت وأنا أقول ذلك، مراقباً عينيها تضيقان.

– «لا أريد قتال قواك، أريد قتالك أنت. أنت وحدك.»

لم تتركني نظرتها الثاقبة وهي تقول ذلك، حتى عندما التفت أفراد النخبة الآخرون نحونا، واجدين هذا القتال أكثر إثارة للاهتمام من تدريبهم.

– «إذاً، أنت تريدني أنا فقط؟ بلا قوى؟»

– «أجل. أريدك أنت فقط،»

قالت بنفَسٍ متقطع، متضايقه مني.

التوى فمي في ابتسامة معوجة.

– «كنت أعرف أنك تريدني يا جراي.»

ومع ذلك التعليق الصغير، انطلقت ركلة عالية نحو وجهي.

صددتها بيديّ ودفعت ساقها إلى الأسفل، مندهشاً مرة أخرى من قوتها. وقبل أن أتمكن من التقاط نفس آخر، توجهت لكمة مباشرة متقنة نحو وجهي، هذه المرة كانت تهدف إلى إصابة هدفها، بقوة.

انحنيت تحتها قبل أن أمسك بمعصمها الممدود وأسحبها إلى الخلف لتلتصق بصدري بينما ألوي ذراعها تحت لوح كتفها.

– «سيكون عليك أن تفعلي ما هو أفضل من ذلك يا جراي،» همست في أذنها، مبتسماً.

تأوهت ودفعت مرفق ذراعها الحرة في معدتي. انطلق الهواء من رئتيّ، فاستغلت هي الفرصة. استدارت، ولوحت بمرفقها عاليًا نحو وجهي، مما جعل رأسي يلتفت إلى الجانب عندما ارتطم بفكيّ. ارتخت قبضتي على ذراعها، فدارت خارجة من قبضتي قبل أن توجه لكمة يمينية مباشرة إلى نفس البقعة تمامًا على فكيّ. اللعنة.

أبقيت رأسي ملتفتاً إلى الجانب، ولساني يتجول داخل خدي بينما بدأ فمي يمتلئ بالدماء. ثم انزلت نظرتي ببطء إليها. كانت تقف على أطراف أصابعها، ويداها ما زالتا مرفوعتين في وضع قتالي وهي تحقق بي. ثم ابتسمت، مما شتت انتباهي للحظات.

ضحكت ضحكة عميقة وهادئة قبل أن أبصق الدم على الأرض.

– «أفضل بكثير يا جراي.»

ابتسمت وأنا أدور حولها، وقبضتاي ترتفعان بشكل غريزي.

– «قد أحتاج فعلاً إلى الرد.»

تلاشت ابتسامتها قبل أن تسقط فجأة على الأرض وتكتسح بساقها في قوس واسع، عازمة على طرحي أرضاً. قفزت فوقها بسرعة لكنها عادت إلى

قدميها في جزء من الثانية، موجهة مزيجاً من اللكمات. أمطرتني بسلسلة من اللكمات الصاعدة والمباشرة والخطافية، لكنني بقيت في وضع الدفاع، أصد قبضاتها. بحركاتها السريعة، تمكنت أخيراً من توجيه ضربة حادة إلى معدتي، سارقة أنفاسي.

حسناً. إذا كانت تريد مني أن أقاتل، فسأقاتل.

لن أؤذيها... كثيراً.

في الواقع، إنها ماهرة جداً، ورغم سخريتي، فهي مقاتلة جيدة. ولكن مع فكّي ومعدتي اللذين بدأ يتكلمان الآن، فقد انتهيت من اللعب.

انحنت قبل أن تلتقي قبضتي بالهواء حيث كان رأسها. ثم ركلت بساقها، ملوحة بها نحو أضلعي. أمسكت بكاحلها قبل أن يرتطم بجانبها مباشرة وسحبته إلى الأمام. تعثرت نحوي، فأمسكت فخذها بقوة بجانبها بيد واحدة، بينما سدّدت الأخرى ضربة إلى عظمة وجنتها. كانت ضربة أخف، لكنها قوية بما يكفي لجعل رأسها يلتفت إلى الجانب.

أفلتُ ساقها في اللحظة نفسها التي لففت فيها قدمي خلف كاحلها الذي ما زال مزروعاً على الأرض، وأعطيته سحبة قوية. سقطت، بقوة. هزت جسدها نوبات سعال عنيفة بمجرد أن ارتطم ظهرها بالتراب وهي تحاول سحب الهواء مرة أخرى إلى رئتيها.

حُمتُ فوقها بابتسامة، مفترضاً أن النزال قد انتهى.

كنت مخطئاً.

ركلتنِي في أصل الفخذ. بقوة.

انحنيت على نفسي، وأطلقت ضحكة متألّمة.

– «ضربة رخيصة يا عزيزتي.»

– «نعم، لكنها فعالة.»

قفزت على قدميها، تلهث رغم ابتسامتها الماكرة. كانت يداها مرفوعتين، تغطيان وجهها، بينما كان بقية جسدها مغطى بالتراب. ثم بدأنا نتبادل

الضربات والصدّات ونحن نتلاعب ببعضنا البعض. كان الأمر أشبه برقصة، وكانت هي شريكة شرسة.

ولكن لسبب ما، رفضت أن ألقى بكامل ثقلي خلف لکماتي. ألجمت نفسي. ليس بما يكفي لمنعي من الرد، ولكن بما يكفي لإبقائها سليمة في الغالب. رغم أنها من الواضح أنها لم تكن تفعل الشيء نفسه. كانت تضرب بقوة، تهاجم بلا هوادة، تريد إيذائي.

في دقيقة نكون نغازل بعضنا، وفي التالية نتقاتل – وربما كلاهما في نفس الوقت. لا يبدو أنني أستطيع فهم هذه الفتاة الشرسة.

بعد دقائق من الصد وتوجيه الضربات، كنا كلانا نلهث في الحرارة التي لا تطاق. تدرج العرق على جبيني ولسع عينيّ بينما كان الجمع المحيط بنا يهتف ويتأوه في كل مرة يتلقى أحداً ضربة. سددت لها مزيجاً من اللكمات، ووجدت لکمتي الصاعدة هدفها تحت فكها فارتفع رأسها. أتبعتها بلكمة مباشرة كسولة تفادتها، وأمسكت بذراعي الممدودة بيد واحدة، وكنتفي المواجهة بالأخرى. ثم اقتربت مني، ودفعت ركبتيها في معدتي.

لكنها تركت الذراع التي تمسك بکنتفي مفتوحة ومكشوفة، فاستغللت ذلك. استخدمت كلتا يدي للإمساك بساعدها ومعصمها قبل أن أستدير حتى أصبح ظهري مواجهاً لصدرها. ثم استخدمت قوة اندفاعي لرفعها عن الأرض، وألقيتها فوق كتفي على التراب محدثةً دويًا.

كانت على ظهرها، تلهث من أثر ارتطامها بالأرض الصلبة وأنا أهدق بها، آملاً أنها قد استسلمت أخيراً. مخطئ مرة أخرى. بسرعة مذهشة، أمسكت بمؤخرة كاحليّ بيديها وسحبت بقوتها تلك. وبسبب مباغتتها، تمكنت من سحب قدمي من تحتي، مرسله الأرض لتطير نحو ظهري.

نهضت وكانت فوقني في ثانية، قافزة عملياً فوق صدري، ووضعت ركبتيها على جانبيّ. ثم رفعت قبضة دامية إلى الخلف، وابتسامتها منتصرة.

تأملتها، دامية وتعتليني.

– «لولا وضعي الحالي،»

ألقيت نظرة على قبضتها التي ما زالت مستعدة للضرب،
- «لكن هذا أكثر متعة بكثير،»

قلت بهدوء، وأنا أنظر إليها من أعلى إلى أسفل قبل أن أحقق في تلك
العينين الزرقاوين وهما تتسعان.
تشتت تركيزها للحظة.

مثالي.

أمسكت بخصرها وقلبتنا. الآن أنا فوقها، أثبتت معصمها في التراب
بجانب رأسها. كانت تلهث تحتي، وتحقق في وجهي. كانت مغطاة بالتراب،
وأنا متأكد من أنني لا أبدو مختلفاً. بدأت كدمة داكنة تتفتح بالفعل على عظمة
وجنتها، والدم يتسرب من أنفها وفمها.
- «أحسنتِ صنعاً يا جراي،»

قلتُ، قريباً من وجهها. تقلبت في قبضتي، لكن ذلك لم يفعل شيئاً لتخفيف
إحكامي.

- «لدي بعض الانتقادات.»

تجمدت، وشاهدت ابتسامة بطيئة تنتشر على شفتيها.

- «بما أنك المنفذ المستقبلي، لم أكن متأكدة مما إذا كنت قادراً على
إظهار الرحمة. من الواضح أنك كذلك.»

حدقت بها، وتصلبت ملامحي كقناع بارد عند كلماتها. ثم رفعت رأسها
عن الأرض حتى لم يفصلنا سوى بضع بوصات وهي تتنفس:
- «أعرف أنك تساهلت معي.»

هل كان الأمر واضحاً إلى هذا الحد أم أن قدراتها كمتبصرة أخبرتها
بذلك؟

تجولت نظرتي على وجهها، وتوقفت عند التراب والدم الذي يلطخ
بشرتها، ويخفي غبار النمش الخفيف الذي أعرف أنه يغطي أنفها.
- «وما الذي يجعلك تظنين ذلك؟»

اقترب وجهها بشكل مستحيل، ورفرفت رموشها، والتوت شفتها في ابتسامة قريبة بشكل خطير من شفتي. كان صوتها لاهثاً، بالكاد مسموعاً وهي تهمس:

– «لأنك لو لم تكن تتساهل معي، لما تمكنت من فعل هذا.»

بالكاد كان لدي وقت لأشعر بالارتباك قبل أن تنطحني برأسها.

عندما التقى تاج رأسها بأنفي، رأيت النجوم. كسرت قبضتي على معصمها واستخدمت كلتا ساقها لدفعي بعيداً عنها. أحاطت بي سحابة من الغبار وأنا مستلق في التراب، أرمش مبعداً الألم النابض. كانت الضربة قوية ولكن ليست قوية بما يكفي لمنعي من الترنح على قدمي ومواجهتها، والدم يتدفق من أنفي المكسور.

لم تضع لحظة واحدة.

كانت ذراعاها حول رقبتني، وركبتها تضرب معدتي مراراً وتكراراً. قبل أن يتسنى لي الوقت للرد، استخدمت ساقي المنحنية كدرجة، وألقت بساقها فوق كتفي في حركة واحدة سريعة. باستخدام قوة اندفاعها وأطرافها الملفوفة حولي، ألقت بنا كلانا على الأرض. تمددت في التراب بينما تدحرجت هي، ولم تضيع وقتاً قبل أن تنقض عليّ. ثم تم تثبيت ذراعيّ تحت ركبتها مرة أخرى.

– «كيف كانت وقفتي أيها الأمير؟»

قالت لاهثة، وشفتيها داميتان.

– «أي انتقادات الآن؟»

ضغط وزنها عليّ فأطلقت ضحكة متقطعة.

– «لدي بعض الملاحظات.»

– «وأنا كذلك.»

أومضت يدها إلى حذائها، وسحبت نصلاً رقيقاً من الجلد البالي.

– «بدايةً، لا أقدر أن يتساهل خصومي معي.»

مررت طرف النصل برفق على عظمة وجنتي، مدغدغة بشرتي.

ابتسمت ابتسامة جانبية رغم النصل الذي تجره على وجهي، ونظرتي تحترق في نظرتها. ثم انتقلت عيناى إلى الدم الذي يسيل على وجهها، ويتسرب من الجروح والخدوش العديدة التي سببتها لها.

– «يبدو أنني أفسدت وجهك الجميل بعد كل شيء، رغم كل جهودي.»

– «أوه، هذا لا شيء.»

ضحكت بنفَسٍ متقطع.

– «يجب أن ترى الضرر الذي ألحقته بوجهك الجميل.»

ارتسمت ابتسامة على شفتيّ ورفعت رأسي نحو رأسها.

– «أوه، يا عزيزتي، طالما أنك ما زلتِ تظنينني وسيماً، فلا يهمني أبداً كيف أبدو.»

رمشت تلك العينان الزرقاوان في وجهي بصدمة قبل أن تدورا في انزعاج. بتأفف، تحركت ووقفت على قدميها. تبعتها، وأنا أنفض الغبار عن جسدي كما فعلت هي.

قبل أن تتمكن من الاستدارة والمغادرة، قلت:

– «أنتِ أكثر متعة في النزال من كيت. يجب أن نفعل ذلك مرة أخرى في وقت ما.»

أمالت رأسها قليلاً إلى الجانب، وابتسامتها ماكرة.

– «لن أفوت أبداً فرصة ركل مؤخرتك أيها الأمير.»

ومع ذلك، ابتعدت بخطوات واسعة وأنا أراقب هيئتها المنسحبة.

– «أوه، وكاي؟»

نادت، وصوتها عادي.

وفي اللحظة التالية، كنت أنحني.

استدارت، وألقت السكين فجأة لدرجة أنني بالكاد تمكنت من تفاديها قبل أن تغوص في الهدف الخشبي على بعد أقدام قليلة خلفي.

– «لا أريد رحمتك. في المرة القادمة التي نتقاتل فيها،»
أستطيع أن أرى عينيها الزرقاوين تشتعلان من حيث أقف،
– «أبهرني.»

انطلق صفير خافت من الحشد – إنه كيت، بالطبع. تجاهلته، وهزرت
رأسي، مبتسماً لها وهي تبتعد عني.
مخلوقة صغيرة شرسة، حقاً.



الفصل 18

بيكان

يكاد يوقن قلبي أنني لست من العاديين؛ فربما تكمن قوتي الحقيقية في القدرة على الكذب ببراعة لا تُضاهى. أكذب بشأن حقيقتي، وبشأن من أمنحهم ثقتي، وبشأن مقدار سعادتي بوجودي هنا.

أجل، إن التصفيات سلسلة من الألعاب البدنية، لكنها لا تقل فتكاً حين يتعلق الأمر بالألاعيب النفسية. لا بد لي من كسب قلوب الجماهير، وإقناعهم بأنني أعشق هذه التصفيات بقدر عشقهم لها. أرغب في أصواتهم كي أبقى على قيد الحياة، لكنني أحتاج إليها بشدة إن كنت أطمح للفوز في هذه اللعبة الدموية.

أجيل بصري حول مائدة العشاء، متأملةً الأكتاف المتصلبة والأحاديث المقتضبة. كاد التوتر المشحون في الغرفة أن يخنق أنفاسنا، ليُغرقنا في صمت محرج لا يقطعه سوى أصوات المضغ. يمكن القول بثقة إننا أصبحنا في غاية التوتر والقلق مؤخراً؛ لدرجة أن شجاراً اندلع بين آيس وبراكستون في ساحة التدريب، وهو شجار بدأه الأول بطبيعة الحال. لا يسعني تخيل ما فعله آيس ليكسر جليد هدوء براكستون، لكن العراك تطلب تدخل قرابة أربعة من جنود الإمبراطورية لفضّه، حيث تكدسوا تقريباً فوق المتسابقين.



تنزلق عيناى ببطء فوق وجوه خصومي، لتتوقفا عند نظرة خضراء كانت ترمقني بالفعل. أسحب نفساً عميقاً، محصنةً نفسي ضد موجة الغضب العارمة التي تجتاحني كلما نظرت إلى الملك... لا، ليس الملك.

كان كيت يبادلني النظرات بعينين تشبهان عيني والده إلى حد جعلني أرمش بقوة لأطرد صورة الملك من مخيلتي، مجبرةً نفسي على التركيز على الفتى المائل أمامي. ابتسامته دافئة، وعيناها تتجولان بتأنٍ على ملامح وجهي. بادلتها النظرة ذاتها قبل أن أُشبح بوجهي سريعاً، في محاولة يائسة للهروب من نظراته، لتصطدم عيناى فجأة بزوج مألوف من العيون.

ابتلعتني فجأة عاصفة نظراته الرمادية الفولاذية، المحاطة بأهداب داكنة. أمال كاي رأسه قليلاً، ورسم على شفثيه ابتسامة جعلتني أدير الخاتم حول إبهامي بتوتر.

أتمنى أن يكون قد جُنَّ جنونه وهو يحاول فك طلاسمي، تماماً كما أفعل أنا معه.

انتقلت نظرات كاي الخاطفة إلى إبهامي، وإلى الخاتم الذي أديره الآن. التمعت عيناها ببريق خفي حين انحنى عبر المائدة نحوي. قال كاي:

– «هل ثمة ما يثير توترك يا جراي؟»

بحق الطاعون، كيف يمكن لشخص واحد أن يجمع بين إثارة الحنق وسلب اللب بهذا القدر المتساوي؟ قلت:

– «وما الذي قد يمنحك الانطباع بأنني متوترة؟»

همهم وهو يمرر يده على فكه الخشن:

– «هممم، هل أبداً بحقيقة أنكِ تديرين ذلك الخاتم، أم بالحقيقة الأوضح وهي أنكِ تقبضين على سكين؟»

رمشتُ ناظرةً إليه قبل أن أخفض بصري. كان هناك، في الواقع، سكين لحم مقبوضاً في قبضتي، رغم أنني لست متأكدة متى وجد طريقه إلى هناك. حدقتُ فيه، وأفلتت مني ضحكة خافتة قبل أن أبسط أصابعي عن المقبض. وحين التقت نظراتي بنظراته أخيراً، كانت عيناه تتفحصانني، أرق من ذي قبل. وما يثير الأعصاب، أنني كنت أبادله النظرة ذاتها، رغم أننا نرى أشياء مختلفة تماماً.

أرى فتىً يجمع بين الإرباك والجاذبية، والغرور والدهاء. لكن مع كل تفصيل جديد أكتشفه عنه، أدرك كم أجهله. يحمل في قلبه رقة لا تظهر إلا لمن يحبهم بصدق، هذا أمرٌ جليّ. لكنه شيد أسواراً حول نفسه، وتدرّع بالتحفظ، وتخفى خلف أقنعة شتى، ما جعله لغزاً يصعب فك طلاسمه على نحوٍ مستفز. شرد ذهني في قتالنا، في ملمس يديه عليّ، ثابتتين وقويتين. مراقبته وهو يقاتل تشبه مراقبة راقص؛ راقص يشعر بالموسيقى في روحه، في صميم عظامه. لقد وُلد للمعركة. ورُبّي ليقتل. ويجب أن أبقى ذلك نصب عيني.

انتفضتُ مخرجةً نفسي من شرودي حين مدّ خادم يده ليأخذ طبقي. وبدافع الغريزة البحتة، حكنتي أصابعي لاختطاف لفافة خبز أو اثنتين قبل أن تُسحب من أمامي. ما زلت غير معتادة على تناول وجبات منتظمة، فضلاً عن كونها مغذية كل يوم، وأجد نفسي في صراع دائم مع غرائزي اللصوصية حين تصرخ في داخلي لأنتزع أي طعام تقع عليه يداي.

احتكت الكراسي بالأرضية الرخامية مصدرة صريراً حين نهض من حولي للمغادرة. ارتفع صوت رقيق وخفيف فوق جلبة المكان، فتوقفنا جميعاً لنلتفت نحو مصدره. كانت الملكة تطوي يديها بأناقة أمامها، وتشبكهما فوق ثوبها الكحلي النقي الذي يتلألأ تحت أشعة الشمس الغاربة.

ابتسمت لنا، والبريق في عينيها ذكّرني على نحوٍ خفي بـ كاي.
قالت الملكة:

– «أيام قليلة تفصلنا عن الحفل الراقص الأول! أيتها السيدات، أثق بأنكن جميعاً قد اخترتن أثوابكن، أو تحدثتن مع خادما تكن لتجهيز واحد.»
لم أفعل أيّاً من هذين الأمرين بعد بكل تأكيد.

أضافت الملكة بابتسامة:

– «آه، ولا تنسين التدرّب على الرقص، أثق بأنكن ترغبن في ترك انطباع جيد لدى الناس.»

أوه، سأترك انطباعاً بالتأكيد.

صرفتني بإيماءة، فتوجّهتُ بخطى حثيثة نحو الباب، عاقدة العزم على التسلّل عائدة إلى غرفتي لطلب مشورة إيلي بشأن ثوبي.

– «بيدن.»

تعثرت خطواتي، متباطئةً حتى توقفت. الدفء الكامن في ذلك الصوت، ومناداته باسمي، يخبرانني أن من يقف خلفي ليس كاي.
لا، إنه شقيقه.

استدّرتُ على عقبي، ووقفت أراقب كيت وهو يخطو نحوي متمهلاً، بشعره الأشقر المبعثر وابتسامته الساحرة. ابتلعتُ ريقِي حين اقترب مني، وحين رمقني بتلك العينين الزمرديتين اللتين يشاركه فيهما قاتل.
قال بنبرة دافئة:

– «مرحباً، هل تمانعين أن أرافقكِ في طريقكِ إلى غرفتك؟»
أجل.

سمعتُ نفسي أقول من بين أسناني التي كشفتُ عنها بابتسامة متكلفة:
– «على الإطلاق.»

بدأنا السير في الردهة، قاصدين جناح المتسابقين في القلعة. قال بمسحة من الفخر في صوته:

– «لم أهنئك بعد على مقابلتك، ألم أقل لك إنكِ ستبلين بلاءً حسناً؟»

عاد بي التفكير إلى المقابلات، حين نجحت بجدارة في إفساد الشيء الوحيد الذي كان يُتوقع مني قوله.

النجاة. أتوقع النجاة من هذا.

كدت أضحك على الفكرة، فقلت:

– «حسنًا، من الجيد أن أعرف أن ملك إيليا المستقبلي لن يطيح برأسي لأنني أفسدتُ شعار مملكته.»

عضضتُ على لساني، لكن الأوان كان قد فات لإيقاف الكلمات التي تعثرت واندفعت من فمي. ضحك.

كان صوته غنيًا، وغمرني بالارتياح. مسح بيده على مؤخرة عنقه، وهو لا يزال يضحك بخفة قائلاً:

– «في الواقع، كان ذلك الجزء المفضل لدي.»

رمقته بنظرة حائرة:

– «أحقًا؟»

قال وتلاشت الضحكة من صوته حين توقف لينظر إليّ، موقفًا إيانا في منتصف الردهة:

– «أجل، لقد كان أكثر شيء حقيقي قاله أي شخص على الإطلاق في تلك المقابلات.»

تفحّصتُ وجهه، محاولةً تجاهل طيف والده الذي أراه فيه:

– «تقصد أنه كان أغبى شيء قاله أي شخص على الإطلاق في تلك المقابلات.»

تردد صدى ضحكته الدافئة على الجدران مرة أخرى، قبل أن يقول:

– «ربما.»

صمت لبرهة ناظرًا إليّ من أعلى، ثم أردف:

– «لكن، إن كان هذا سيجعلك تشعرين بتحسن، فلا أعتقد أنك كنت مخطئة حين قلت إنك تتوقعين النجاة من هذا، وأنا معجب بك لتعبيرك عما تشعرين به حقاً.»

أذهلني صدق كلماته لدرجة أنني أطلقت ضحكة قصيرة:

– «إذن لا بد أنك تعجب بي كثيراً؛ لأنني أميل إلى التحدث بما يجول في خاطري أكثر بكثير مما ينبغي.»
أنا أعجب بك كثيراً بالفعل.

بدت عيناه وكأنهما تنطقان بتلك الكلمات وهو يطيل النظر في عيني، ليفصح عن شيء لم ينو قط البوح به. وكانت تلك المرة الأولى التي أتمكن فيها من مبادلة نظراته دون أن أرى الملك ينظر إليّ في المقابل.

تنحنحت، واستدردت مواصلة السير في الردهة مرة أخرى. كان كيت بجانبني حين توقفنا أمام غرفتي، وكنت أدفع الباب لأفتحه حين قلت:

– «شكراً لأنك رافقتني.»

توقفت لأمنحه ابتسامة صغيرة من فوق كتفي:

– «الآن يمكنني القول إنني حظيت بمرافقة ملك المستقبل.»

كنت أخطو عبر إطار الباب حين اندفعت الكلمات منه بلهفة:

– «أجل، وإن سمحت لي، سأفعلها مجدداً.»

استدردت، لأجده فجأة خلفي مباشرة:

– «ماذا؟»

انفرجت أسارير وجهه عن ابتسامة بدت خجولة جداً على أن يرتديها فرد من العائلة المالكة:

– «آنسة جراي، هل تقبلين أن تكوني شريكتي في الحفلات الراقصة؟»

كدت أغصّ بأنفاسي التي سحبتها. ومع ذلك، وبدلاً من إجابة سؤاله، أفلت مني سؤال لا طائل منه مصحوباً بضحكة لاهثة:

– «منذ متى وأنا الآنسة جراي؟»

حلت ابتسامه ماكرة محل ابتسامته الخجولة، مذكرةً إياي لبرهة بشقيقه:
 - «منذ أن بدأت في الإشارة إليّ ب (ملك المستقبل).»
 - «وهل يزعجك هذا؟ أعني مناداتي لك بملك المستقبل.»
 دفعني الفضول لطرح السؤال، إذ افترضت أنه شديد التعلق باللقب
 والسلطة المرافقة له.

أجاب ببساطة:

- «أفضل ألا أنادي بلقب لم أستحقه أو أكن على قدره بعد.»
 - «لهذا السبب دعوتك بملك المستقبل.»
 ابتسم، راضياً بترك الصمت يمتد بيننا قبل أن يقول أخيراً:
 - «لم تجيبي على سؤالي قط يا آنسة جراي.»
 أسمع العرض في نبرته، وأرى السؤال الصامت في تلك العينين اللتين
 أوصل تجنّبهما. إن قلتُ نعم على أن أكون شريكته، فسنكون ببساطة كيت
 وبيدن. وإن قلتُ لا، فستبقى الألقاب حاضرة.
 إن قلتُ نعم، فسألعّب الدور المنوط بي.
 إن قلتُ لا، فسأفوّت فرصة إرضاء الناس.
 فكرة التعلق بذراع ملك المستقبل والنظر إلى ذلك الوجه الذي يحمل
 شبهاً بقاتل والدي ليست محبذة لي على الصعيد الشخصي، لكنها ستكون
 كذلك بالنسبة لشعب إيليا. سأحظى بانتباههم دون شك —، وهي فكرة
 مربعة لكنها مغرية.

ارتسمت ابتسامه على شفّتيّ عند تخيل صورة فتاة سابقة من
 العشوائيات وحاكم المستقبل يمشيان يداً بيد، وهي الصورة المثالية لقطبين
 متنافرين.

أقوى رجل بصحبة أضعف امرأة.
 قلت بنبرة خافتة، وأنا أبتسم قليلاً:
 - «سيكون شرفاً لي أن أكون شريكك يا كيت.»

العبى الدور.

ضحك كيت بخفة، وقد بدا عليه الارتياح:
- «كنت آمل أن تقولي ذلك يا بيدن.»



- «إيلي. ساعديني. أرجوك.»

كنت أهدق في خزانة ملابسي، أصاب بالجنون وأنا أنظر إلى كل الألوان وأنماط الفساتين المعلقة بالداخل:

- «أي واحد يجب أن أرتديه في الحفل الراقص؟ أحتاج لترك انطباع جيد
«—»

قاطعتني إيلي بضحكة ناعمة:

- «أجل، تحتاجين لذلك، ولن تنجحي في ذلك بأي من هذه الفساتين.»
رددت رأسي إلى الخلف وأطلقت تأوهاً ممتعضاً:

- «ما العيب في واحد من هؤلاء؟»

أشرت إلى الفساتين المتألئة المتعددة المتاحة لي.

قالت وهي تشير إلى الخزانة:

- «تلك، ليست فساتين حفلات. ومع ذلك، من المؤكد أنك ستتركين

انطباعاً إذا ارتديت أحدها. لكنه لن يكون انطباعاً جيداً.»

لم أستطع كبح جماح الانزعاج الذي اعتمر بداخلي:

- «وما العمل الآن إذن؟»

من الواضح أن إيلي لاحظت ذلك لأنها قالت برقة:

– «سنحتاج لتفصيل فستان لكِ. حالياً. أعرف عدة خياطات ممتازات قادرات على تجهيز ثوب جميل لكِ في وقت قصير، ستحتاجين فقط إلى اختيار التصميم ودرجة اللون الأخضر.»

من الواضح أنه من المتعارف عليه أن النساء يملن إلى ارتداء الفساتين الخضراء في هذه الحفلات، نظراً لأن اللون الزمردى هو لون مملكة إيليا. إنها ليست قاعدة صارمة، بل مجرد أمر يفعله الجميع فحسب. أمر نمطي. تقليد. شيء مرهق.

واصلت إيلي حديثها عن الخياطات اللاتي تعرفهن، وعن مدى روعة عملهن.

وهنا، ضربتني الفكرة. أنا أعرف خياطة، ولقد عشت مع واحدة. سُحقتُ فجأة تحت وطأة ما فعلته. لا، بل ما لم أفعله. أدينا.

تردد صدى الوعد الذي قطعته لها في رأسي، ليكون بمثابة تذكير قاطع بكيفية نسياني لها. أقسمتُ على زيارتها، ومع ذلك، لم أتذكر فعل ذلك إلا عندما صار الأمر ملائماً لمصلحتي.

تملكني الشعور بالذنب، وكاد يخنقني بقبضته المحكمة حول حنجرتي. ابتلعت ريقِي، وأنا ألعن نفسي بصمت على أنايتي.

لكن هذه لم تكن المرة الأولى التي أكون فيها أنانية عندما يتعلق الأمر بأدينا.

كنت أنانية في تلك الليلة التي وجدتني فيها على سطح أحد المتاجر قبل عامين، مجروحة وفي حالة هستيرية، أرجو أن يفهمني أحد فحسب. كان المطر ينحدر على وجهي وأنا أتأمل النجوم، ممتزجاً بدموعي ليلذع الجروح الغائرة التي أصابني بها أحد الإمبراطورين في ذلك الصباح. سحبت أدينا نفسها متجاوزة حافة السطح قبل أن تخبرني وهي تلهث كيف أنها كانت واثقة من أنها ستجدني هناك، تماماً كما كانت واثقة من أنها لن تتسلق متجراً مرة أخرى.

لكن ابتسامتها تلاشت عندما انزلت عيناها نحوي وأنا أرتجف تحت المطر المنهمر، أعانق ركبتي. كنت متعبة. متعبة من محاولة أن أكون شيئاً لسته بينما لا أحد يعرف حقيقتي.

لذا قررت أن أتأمل السماء في تلك الليلة، محاولة اكتشاف أوجه الشبه بيننا. كنت وحيدة بالطريقة ذاتها التي أتخيل أن النجوم تشعر بها؛ يراقبها الجميع، لكنها بعيدة جداً بحيث لا يمكن رؤيتها على حقيقتها.

ولمرة واحدة، أردت أن يراني أحد على حقيقتي.

كان من الأنانية مني أن أخبر أدينا عن ماضي وحاضري وكل ما بينهما. فمجرد معرفتها بحقيقتي تضعها في دائرة الخطر، ومع ذلك، لم نزد إلا تقارباً رغم كل شيء.

لقد صدقتني. أصغت إليّ والصدق يتدفق مني مصحوباً بشهقات البكاء، وبقيت بجانبني حتى بعد أن عرفت حقيقتي.

ولم أشعر قط بارتياح أكبر تجاه لحظة ضعف كما شعرت حينها. قلت ببطء وتعمد:

– «إيلي، ماذا لو كنت أعرف خيطة؟»

فكرت للحظة قبل أن تجيب وهي تهز كتفها:

– «سيكون هذا جيداً. هل التقيت بشخص ما هنا؟ في القصر؟»

رمقتني إيلي بنظرة متشككة، لكنني اندفعت في الكلام:

– «لا، إنها من «حي النشالين». إنها مذهلة. يمكنني أن أضمن لك أنها ستصنع لي أروع فستان رآته إيليا على الإطلاق.»

– «حسناً، أعتقد أنه يمكنني التحدث إلى ليني ليرافقك إلى هناك

لإحضارها.»

أضافت بسرعة:

– «طالما أنه يُسمح له بذلك.»

قطبت حاجبي:

- «إحضارها؟»

- «آه أجل. إن حصلتِ على التصريح بالذهاب، فستعود معكِ وتُوظَّف هنا كخياطتك الخاصة حتى انتهاء التصفيات. أو حتى...»
وتلاشى صوتها.

غرقت بقية كلماتها في ضجيج الدماء التي تدق في أذنيّ، وكان قلبي يتسارع بشدة حتى شعرت وكأنني في خضم قتال.
أدينا ستعيش هنا. معي.

ستحصل على الطعام والأجر. سأتمكن من رؤيتها. ستكون في أمان.
غمرني شعور بالارتياح، في محاولة ضعيفة ليحل محل الذنب الذي لا زلت أشعر به.

وعدتني إيلي بأنها ستتحدث إليّ ليني بشأن اصطحابي إلى «حي النشألين»، قبل أن تتمنى لي ليلة سعيدة وتنسل خارجة من الباب.
ارتفيت على سريرتي، أهدق في الزخارف المعقدة المنقوشة على السقف.
لست متأكدة كم مضى من الوقت وأنا مستلقية هناك، تاركةً الأمل والسعادة يغمرانني لمجرد التفكير في رؤية أدينا سالمة معافاة.
ومن ثم، أدت طريقة خفيفة على الباب إلى تحطيم أفكاري وتشتيتها.



الفصل 19

بيكان

لا بد أننا قاربنا منتصف الليل، فمن بحق الطاعون يكون هذا؟

قبضتُ على مقبض خنجري وسحبته من تحت وسادتي، ممسكةً به بخفة إلى جانبي بينما كنت أتسلل حافيةً عبر الغرفة. وحين فتحتُ الباب، التقت عينايا بزواج من العيون الرمادية على الجانب الآخر.

انخفض بصر كاي نحو الخنجري في يدي قبل أن يعود إلى وجهي، متأملًا كدمة وجنتي وشفتي المشقوقة اللتين أهداني إياهما بكرم بالغ في قتالنا هذا الصباح. لم يسمح لي كبريائي بأن أدع المعالجين (هيلرز) يداوون جروحي، وكما هو متوقع، يبدو أن الأمير عانى من المشكلة ذاتها؛ إذ تفتحت كدمات باهتة على طول فكه، لتكون تذكيرًا بكل ضربة سددتها إليه.

ارتعشت شفتا كاي بابتسامة وهو يميل برأسه نحو الخنجر المقبوض في قبضتي:

– «هل تخططين للضغط بهذا على حنجرتي مجددًا؟»

– «لا تستفزني،» قلت ممررةً أصابعي على نصل الشفرة الأملس والمسطح. «هل جئت من أجل جولة إعادة؟»



دسّ يديه في جيبى سرواله الداكن الضيق قبل أن يشبك كاحليه مستنداً إلى إطار الباب:

– «لا تستفزيني أنتِ.»

انسدل شعره الفاحم على جبهته، جاعلاً عينيه الرماديتين تبرزان بوضوح وسط تلك الأمواج الحبرية. كان من الجليّ أنه لم يحلق ذقنه، تاركاً ظلاً من النبت الخشن يكسوفكه الحاد، ولم يزدّه بروزاً سوى تلك الكدمات الداكنة التي تركتها هناك.

– «ماذا تريد يا آزر؟»

قال كاي، وهو يلتقط شيئاً بلامبالاة من قميصه الرقيق الذي يشئت الانتباه:

– «اشتقت إليك أنا أيضاً يا جراي.»

ثم التقت نظراته فجأة بنظراتي، برموشه الطويلة التي تتناقض تماماً مع لون عينيه الفاتح، وأردف:

– «أنا هنا من أجل درسك.»

سخرت قائلة:

– «عفوًا، من أجل ماذا؟»

أمال برأسه إلى الجانب، في حيرة مصطنعة ومسلية:

– «درسك. أنتِ متبصرة، ألم تشعرى بقدوم هذا؟»

قلت بنبرة مزجت بين الانزعاج والحيرة:

– «هذا ليس كيف تسير الأمور، وأنت تعرف ذلك، عمّ تتحدث —»

– «إذن، كنتِ ستذهبين حقاً إلى الحفل الراقص وتدوسين على أصابع قدمي أخي إذن؟»

أفلتت منه ضحكة ساخرة وهو يضيف:

– «أنتِ مليئة بالمفاجآت، أليس كذلك؟»

– «لا، لم أكن لأدوس على أصابع قدميه. ربما أتعثر بأصابعي أنا، لكن...»

تلاشى صوتي وأنا أراقب اتساع ابتسامته. كانت غمازته تسخر مني، وتغريني باستخدام الخنجر القابع بصبر في راحة يدي. وحينها فقط استوعبت كلماته.

أطلقت ضحكة لاهثة، ظانة أنه يمازحني:

– «دروس رقص؟ ألهذا السبب أنت هنا؟»

دفع نفسه عن إطار الباب مقترباً خطوة:

– «استغرق الأمر وقتاً طويلاً لتفهمي. هيا بنا، ليس لدينا الليل بطوله.» ثم ابتسم بخبث:

– «إلا إذا كنت ترغبين في أن نبقي بالخارج طوال الليل.» لم أتزحزح.

– «لا. مستحيل. لا أريد مساعدتك ولا أحتاجها.» منحته ابتسامة ساخرة وأضفت:

– «لكن من الجيد أن أعرف أنك دائماً متلهف لتقديمها.»

أمسكت بحافة الباب وشرعت في إغلاقه في وجهه حين حشر حذاءه اللامع داخل غرفتي. وبكل سهولة، دفع الباب ليفتحه من جديد بفضل ذراعيه القويتين رغم كل محاولاتي لصدّه. وبقيت يده مسطحة على الخشب وهو ينحني ليقترّب بما يكفي ليهمس:

– «كما هي عادتك دائماً، أنت أعند من أن تعترفي بحاجتك إلي مساعدتي.»

– «ما أحتاجه هو أن تخرج من غرفتي.»

كنت أبتسم له، لكنها كانت ابتسامة كشرت عن أنيابي.

ومع ذلك، ومع كل كلمة تنطق بعكس ذلك، كنت أعلم أنه محق. كنت أعلم أنه يجدر بي قبول عرضه والتدرّب لأتجنب جعل نفسي أضحوكة بجوار ملك إيليا المستقبلي. لكني لا أحب أن يمتلك هذا الفضل عليّ، لا أحب أن يكون هو من يساعدني. مجددًا.

غمرتني رائحة الصنوبر حين أحنى رأسه قريبًا من رأسي، مجبرًا إياي على مبادلتها النظرات:

– «ما تحتاجين إليه وما ترغبين فيه شيئان مختلفان تمامًا. هيا يا جراي، أنت أذكى من هذا. تعلمين أنك بحاجة لترك انطباع جيد في هذا الحفل. وبوقوفك بجوار أخي، ستتركز عليك عيون أكثر بكثير مما هي عليه في المعتاد.»

بدا وكأنه قرأ أفكارني، ولخصها، ثم بصقها في وجهي. رمقته بنظرة حارقة. أعلم أنه محق، وهو يعلم ذلك أيضًا.

لا بد أنه رأى المقاومة تتلاشى من عينيّ لأن ابتسامة لوت شفتيه:

– «من الجيد أن أرى أنك قد ثبتت إلى رشدك. فلنذهب إذن.»

مررت متجاوزة كتفه ورأسي مرفوع بشموخ. لقد اخترت القيام بذلك بنفسني، ولم يجبرني هو، وعليه أن يتذكر ذلك.

– «إلى أين نحن ذاهبان؟»

سألته وهو يبدأ في قيادتي عبر الردهة. في نهاية الردهة، صعدنا سلمًا حلزونياً عريضًا تكسوه سجادة مخملية بلون الزمرد.

استقر طيف ابتسامة على وجهه:

– «إلى مكان يتسع بما يكفي لتتعثري وتتخطي في كل زواياه.»

حين بلغنا قمة الدرج، قادني عبر رواق عريض تصطف على جانبيه لوحات فنية، ويزين جدرانها وسقفها قوالب جصية لأولوية اللون. مسحت بعينيّ طبقة الغبار الرقيقة التي تغطي الإطارات المتناثرة على الجدار.

لقد مر وقت طويل منذ أن صعد أحد إلى هنا.

يُعد هذا الطابق من الطوابق القليلة التي لم أستكشفها بعد، بالنظر إلى أنني تسللت من غرفتي مرات عدة في جوف الليل لأحفظ تخطيط القلعة ومخارجها المحتملة. سمّ ذلك طبيعة في شخصيتي أو جنون ارتياب، لكن الجهل بمحيطي يخيفني تقريباً بقدر ما تخيفني التصفيات.

بما أن ليني لا يحرس بابي، فلا يمكنني مقاومة الرغبة في التلصص. في الواقع، أنا لا أرى الإمبراطوري المخصص لي كثيراً، ومما يثير دهشتي، أن هذا الخاطر يبعث في نفسي وخزة مفاجئة من الحزن. يصدمني مقدار استمتاعي الصادق برفقته، ويصدمني أكثر أن تخطر لي مثل هذه الأفكار بشأن إمبراطوري.

تعثرت قدمي بطرف سجادة غير مستوية، لتندفع الأرض نحو وجهي. كنت على وشك أن أنبسط أرضاً فوق السجادة ذات النقوش الحلزونية حين انزلت ذراع حول خصري، ذراع صلبة وذات ملمس مألوف على نحو مزعج.

قال كاي ونبرة السخرية واضحة في صوته:

– «ها هي تلك الخطوات الخرقاء التي نحاول تخليصك منها.»

أوقفني على قدمي، مثبتاً إياي بيد دفعتها بعيداً عني، وأنا مرتبكة وأشعر بالحاجة الماسة لوضع مسافة بيننا.

رفع يديه مستسلماً وتراجع خطوة ساخرة للوراء، قبل أن يستدير ليواصل السير في الرواق. وبينما تابعنا سيرنا، انزلق أخيراً السؤال الذي كنت أتحرق شوقاً لطرحه من بين شفتي:

– «لماذا تفعل هذا؟»

توقف كاي أمامي. واستدار ببطء، وبدا وكأنه مستمتع بالسؤال:

– «الأمر بسيط حقاً. أنت ستحضرين هذا الحفل بصحبة أخي، وهو بحاجة لأن يظهر بأبهى صورة ممكنة.»

تفحصت وجهه، وحدثتُ بينما انشقت شظية من قناعه، لتكشف عن كل الحب والتفاني الذي يكنّه لأخيه، وعن كل ما هو مستعد لفعله من أجله. بدا

الأمر وكأن لديه واجباً ليؤديه، وكأنه أصبح بالفعل المنفذ، وأن الأمر برمته أعمق بكثير من مجرد منعي من الدوس على أصابع قدمي أخيه.

وفجأة عاد قناعه ليحكم إغلاقه، ووجدتني أهدق في ذلك الوجه البارد مجدداً، خالياً من أي عاطفة كانت تعتريه قبل لحظة. وحين عجزت عن إيجاد رد، واصلت السير ببساطة. انعطفنا يميناً عبر ممر أضيق وتوجهنا نحو الباب الأخير على اليسار. أمسك بالمقبض ودفعه ليفتح، كاشفاً عن غرفة نوم خلفه، لا يضيئها سوى ضوء القمر المتسلل عبر النافذة.

إن كنت أظن غرفتي فخمة، فإنها تبدو باهتة مقارنة بهذه. إنها بسهولة ضعف مساحة غرفتي، ما يجعلها تبدو أشبه بمنزل لا بمجرد غرفة نوم منفردة. ورغم أنها تضم سريرًا ذو أربعة أعمدة، وخزانة، ومكتباً – تماماً كغرفتي – إلا أن هذه الغرفة تبدو مأهولة بالحياة. الرف يفيض بما عليه، والكتب مكدسة بزوايا غريبة لتتسع. وأغلقتها المهترئة تخبرني أنها تتناول مواضيع الاستراتيجية، والقتال، و... الشعر.

مثير للاهتمام.

كل ما يملأ الغرفة أجمل مما أملك، ولكنه مستخدم وبالٍ. هذه غرفته – غرفته الحقيقية.

المكتب مغطى ببقع حبر داكنة، ودروع قتالية مكدسة في الزاوية. مسحت عيناى الشقوق الكبيرة التي تغطي أعمدة السرير، حيث غابت قطع من الخشب الداكن.

ضربات سيف.

لقد هوى بسيف غير حاد على أعمدة السرير. مرات عدة.

أفترض أن ذلك أفضل من أعمال السيف في أجساد البشر، رغم أنني واثقة من أنه يفعل ذلك أيضاً. أخيراً، عاد بصري ليستقر على كاي. كان مستنداً إلى إطار الباب، يراقبني بفضول وأنا أقف في منتصف غرفته، مع أنني لا أتذكر أنني توغلت كل هذه المسافة في الداخل.

أومأت برأسي نحو الأعمدة الخشبية المتشظية لسريره الضخم، إذ لم أدر ما أقول تحت وطأة تحديقه:

– «طريقة مثيرة للاهتمام للتنفيس عن التوتر.»

منحني ابتسامة باهتة وهو يتمشى عبر الغرفة متوجهاً إلى مكتبه، ويدها في جيوبه:

– «وكذلك لكم وسادة تدريب حتى تدمى قبضتاك.»

ثم شرع يعبث بالآلة الموضوععة فوقه – آلة عرفتُها.

كان لدى والدي مشغل أسطوانات، بوقه النحاسي الواسع كنت أدس فيه رأسي وأنا طفلة. كان يجني مالاً معقولاً بصفته المعالج المحترم في العشوائيات، لكن مشغل الأسطوانات ظل أثنى ما نملك. قبل سنوات خلت، كان يضع قدمي فوق قدميه لنتراقص حول المطبخ. حسناً، كان هو من يرقص، بينما كنت أنا مجرد مرافقة في الجولة. لكنه لم يحظَ قط بفرصة لتعليمي حقاً كيف أرقص دون أن أدوس فعلياً على قدمي أحد.

كانت فرقة الإبرة حين تلامس الأسطوانة مألوفة، أما لحن الفالس السلس الذي تلاها فلم يكن كذلك. استدار كاي، وفك أزرار نصف قميصه بلامبالاة، ليدفع عيني للبحث عن أي شيء أحرق فيه غير صدره الأسمر ووشمه الملتف.

ثم فجأة، بات يقف أمامي، يتفحصني من الرأس إلى القدمين بابتسامة خفيفة تبرز غمازته العميقة على خده الأيمن. كانت نظراته أشبه بلمسة حانية، وقد أخذ وقته فيها. رفضت التملل تحت تلك النظرة الثاقبة، لعلمي بمدى استمتاعه بمشاهدتي وأنا أتملّل.

ولكيلا أتفوق، مررت عيني على ملامح وجهه القوية وجسده الأقوى تحتها. كل ما فيه قاتل. تلك الابتسامة. وتلك العينان. وذلك العقل الماكر الذي يمتلكه.

قاطعني صوته المباغت، فعادت عيناى لترتطما بعينيّه:

– «هل أنت متأكدة من أنك ستتمكنين من التركيز على الرقص، أم سأكون مشتتاً لك أكثر من اللازم يا عزيزتي؟»
تأففت قائلة:

– «أعتقد أنني سأتدبر أمري، شكراً.»
رمقني بنظرة تشكيك:

– «أظن أننا سنكتشف ذلك، أليس كذلك؟»
توقعتُ منه أن يمد يده ويسحبني إلى الرقص، وتلك الفكرة جعلت قلبي يخفق بشدة، مهيئَةً إياي للشعور بيديه على جسدي.
لكنه لم يتحرك، لم يحاول تقليص المسافة بيننا.
جيد.
قال:

– «في الوقت الحالي، ستبدئين بتعلم خطوات الفالس العادي فحسب. والسبب الرئيسي هو أنني لا أريدك أن تدوسي على أصابع قدمي.»
بينما ظلت يده في جيوبه، بدأ كاي يخطو للداخل والخارج، ومن جانب لآخر، ليريني الأساسيات. كان رشيقيًا، أنيقًا، وبدا كل شيء طبيعيًا لديه.
القتال. القتال أيضًا رقصة بالنسبة له.

شعرت بالتعب وبانعدام ثقة مفاجئ في نفسي. ورغم أن يديه لا تزالان في جيوبه، فقد تمكن كاي بسهولة من الخطو بالتزامن معي، رغم أنه لم يجرؤ على الاقتراب بما يكفي ليتعرض للسحق تحت وطأة خطواتي الخرقاء.
تنهدت، منزعة من نفسي ومن الأمير الذي يبتسم بسخرية أمامي.
همس كاي من الجهة المقابلة بنبرة طفحت بالدعابة:

– «استرخي. أنت تفكرين أكثر من اللازم. لا تحسبي الخطوات، تحركي مع الموسيقى فحسب.»

رفعت بصري لأجده ينظر إليّ بابتسامة عريضة وأردف:

– «كما تعلمين، هذه رقصة، أليس كذلك؟ لذا لا حاجة لاتخاذ وضعية قتالية.»

حينها فقط لاحظت كم كان جسدي متوترًا ومستعدًا، ويدي مرفوعتان قليلاً وكأنني أستعد لتوجيه ضربة. اعتدلتُ ومررت يدي عبر خصلات الشعر المتساقطة من ضفيري الرخوة. كنت متوترة... بشكل غريب. وكان ذلك مزعجاً حد الجنون.

سيكون هذا أسهل بكثير لو لم يكن يحدق بي هكذا.

انتهت رقصة الفالس، لتحل محلها نغمة بطيئة هادئة. كان رأسي منخفضاً، وبعض خصلات شعري تتدلى على وجهي وأنا أراقب قدمي تخطوان مع إيقاع الموسيقى.

جعلني ضغط مباغت على خصري أنتفض.

وكرد فعل لا إرادي، تشنجت يدي نحو السكين الذي غمدته تحت طيات فستاني، لكن يداً خشنة قبضت على معصمي.

قال كاي بضحكة خفيفة:

– «السكاكين أيضاً ليست ضرورية للرقص.»

وبينما ظل محتفظاً بنظراته معلقة بعيني، انزلت أصابعه الخشنة ببطء من معصمي إلى راحة يدي، قبل أن يطوي يده حول يدي، ويرفعها في الهواء. لكن يده الأخرى هي ما استحوذ على انتباهي؛ تلك التي استقرت بأريحية على أسفل ظهري. تلك التي تجذبني نحوه. عبر القماش الرقيق للفرسان الذي ارتديته بسرعة من أجل العشاء، أمكنني الشعور بدفء راحة يده يتسرب إلى أسفل ظهري.

حدقتُ فيه وهو يسحبني إليه. لم يكن الأمر وكأنني أجهل أن هذا سيحدث لا محالة، بل لم أكن أتوقعه بهذه المباغته. نظر إليّ بتعبير مترقب قبل أن يضحك بخفوت ويسحب يده عن ظهري، ليتركني أشعر ببرودة مفاجئة في غيابها. أمسك بيدي الأخرى ورفعها إلى كتفه، تاركاً كفي تستقر فوق قميصه

الرقيق. أمكنني الشعور بكل عضلة تتحرك تحتها حين أعاد يده إلى ظهري، ضاغطاً بها بقوة ضد فستاني.

– «لنر ما تعلمته إذن،» قالها بصوت خافت بينما بدأت قدماه تتحركان مع إيقاع الموسيقى. تعثرتُ في محاولة اللحاق به، مدبرةً أمري في محاكاة خطواته. كان يقود الرقصة ببراعة، ويوجهني بثقة عبر الخطوات.

مسحت عيناى الغرفة هبوطاً نحو قدمي، أعد مع كل خطوة. اختفى الضغط على ظهري فجأة حين أمسكت أصابع بذقني، ورفعت رأسي لأعلى.

– «لن تتعلمي أبداً إن واصلت مراقبة قدميك يا جراي. عيناك عليّ.»

ابتسم وهو يعيد يده إلى ظهري وتابع:

– «لا ينبغي أن يكون ذلك صعباً جداً.»

قلبت عيني سأمًا، وفتحت فمي لألقي تعليقاً، لكنني بدلاً من ذلك سألته:

– «كيف عرفت أن كيت طلب مني مرافقته إلى الحفل الراقص؟»

جاءت ضحكة كاي خالية من الدعابة ومجوفة:

– «أنا لست متبصرًا، لكن لم يكن من الصعب تجميع قطع الأحجية.»

وحين اكتفيت بالتحديق فيه، تنهد وواصل:

– «أنا أعرف أخي، ولهذا السبب، كنت أعلم أنه سيطلب منك ذلك.»

قلت ببساطة:

– «كانت تلك إجابة مروعة.»

– «وأنت لا تزالين راقصة مروعة، لذا فإن عملي بعيد كل البعد عن

الانتهاء.»

شخرتُ بسخرية.

– «آه،» أضاف كاي بلامبالاة: «وربما يكون قد ذكر لي أيضاً أنه طلب

منك ذلك.»

أفلتت مني ضحكة أخرى قبل أن أتمكن من كبحها، وزممت شفتي لأكتم الصوت. هبطت عيناى إلى صدره الذي كان قريباً منى أكثر مما ينبغى، لىذكرنى بأننا قريبان جداً بالنسبة لمتنافسين، وبالأحرى لأعداء فى هذه التصفيات.

ومع ذلك، ها أنا ذا، أرقص معه فى غرفة نومه. وحدنا. فى الظلام. إن كان ذلك ممكناً، فقد أصبحت فجأة أكثر تيبساً مما كنت عليه من قبل. شعر كاي بتصلبى فى عناقه فانحنى ليصبح أقرب بشكل يفوق الاحتمال: - «أنت متخشبة كلوح خشب يا جراى. استرخى قليلاً.» هذا. لا. يساعد.

حاولتُ وفشلتُ فى الذوبان فى عناقه كما يفترض بأى شريك فى الرقص أن يفعل. أنا حالة ميئوس منها. غارقة فى ورطة لا أمل فيها. لكن الأمير لا يستسلم بهذه السهولة. لا، فقد لف ذراعه بالكامل حول خصرى وجذبني نحوه. جررت قدمي، رافضةً تقليص المسافة الضئيلة المتبقية بيننا.

أطلت غمازة مستفزة ناظرة إليّ، بالكاد مرئية فى الضوء الخافت. - «إذن، ماذا تعلمنا اليوم؟» سألنى بتلك النبرة المستمتعة المزعجة كالمعتاد. «أولاً، السكاكين ليست ضرورية للرقص، وثانياً، يجب أن تكونى قريبة فعلياً من شريكِ أثناء الرقص. والمثير للدهشة، أنك تبدين أكثر معاناة مع الأمر الثانى.»

- «هل تفضل أن أعانى مع الأول وأضع خنجرًا على حنجرتك؟» توقفتُ لبرهة. «مجدداً.»

- «متوقعة جداً.» قهقهه، فغمرنى صوت ضحكته قبل أن يغمغم: «دائماً ما تكونين شرسة ومتلهفة لطعنى.»

إنه قريب منى جداً. قريب أكثر مما ينبغى.

ولأنني كنت مشتتة تمامًا بهذه الحقيقة، هبطت قدمي فوق قدمه، فتعثرتُ مندفعَةً للأمام لأصطدم بجسده الصلب. التفت كلتا يديه حول خصري لترسيخ وقفتي، قبل أن أستعيد حواسي وأدفع نفسي بعيداً عنه. انبعثت ضحكة عميقة من صدره، رافقتها ابتسامة صادقة؛ وتلك الابتسامة لم أرها تعلو وجهه سوى في حضور شقيقه.
مميتة.

– «كيف لمقاتلة أن تملك حركة أقدام سيئة هكذا؟» تراقصت عيناه بين عيني: «أنت مليئة بالمفاجآت.»

قلت ببرود، وأنا أستدير للإفلات من قبضته:

– «حسنًا، مفاجأة، لقد اكتفيت من هذا الدرس.»

وليتهُ ظهري حين اختطف معصمي وجذبني بحركة سريعة ليعيدني إليه.

– «لكنك لا تزالين مدينة لي برقصة أخرى.»

تدلى شعره المتموج على حاجبه، والنظرة في عينيه تكاد تتوسل إليّ لأجاريه في لعبه.

قلت مجاريةً إياه:

– «حسنًا، رقصة أخرى مقابل الإجابة على سؤال.»

ارتفع حاجباه:

– «هل هذه رشوة يا جراي؟»

– «هذه هي شروطي. اقبلها أو اتركها أيها الأمير.»

لم يكن رده سوى قهقهة خفيفة. أدار رأسه بعيداً عني مفكرًا، قبل أن يعود ليقابل نظراتي أخيرًا.

وببطء، رفع يدي في الهواء مرة أخرى وأراح يده الأخرى براحة على أسفل ظهري من جديد:

– «اتفقنا.»

بدأ لحن فالس بطيء آخر، ليشغلني بالموسيقى والخطوات، ويغرقني في الرقصة. وحين عجزتُ عن تجاهل شعور عينيه اللتين تراقباني باهتمام شديد، قابلت أخيرًا نظراته.

سألني كاي وهو يقودني عبر الرقصة:

– «حسنًا، ما الذي تتوقين لمعرفة لدرجة الموت؟»

ليس لدي أدنى فكرة.

نظر إليّ، بل تخللني بنظراته، منتظرًا إجابتي. كانت عيناه الرماديتان كرقائق الجليد، أو كشظايا الزجاج. ومثل كليهما، كانت نظراته ثاقبة وموجهة. باردة لكنها آسرة. جميلة بالطريقة التي لا تتقنها إلا الأشياء المميّنة.

وهكذا، وببساطة، عجزت فجأة عن التفكير في شيء واحد أرغب في سؤاله إياه. عصرتُ ذهني بحثًا عن سؤال، لكنني لم أجد سوى أول ما تبادر إلى فكري ليندفع من فمي.

– «هل تتمنى لو كنت أنت؟»

رمش، ورفرفت رموشه الداكنة.

– «هل تتمنى لو كنت أنت ملك إيليا المستقبلي؟ الوريث؟»

لم يكن هذا السؤال الذي تخيلت أنني سأطرحه على الإطلاق، لكن ها نحن ذا.

قال ببساطة وهو يحتفظ بنظراته معلقة بعينيّ:

– «لا.»

رفعتُ حاجبيّ في سؤال صامت. وحين لم يكمل كلامه، قلت:

– «هذا كل شيء؟ <لا>؟»

– «حصلتِ على إجابتك، وحصلتُ أنا على رقصتي. هذا كان اتفاقنا يا

عزيزتي.»



بالكار استطعت التقاط أنفاسي.

كانت ذراعا أدينا النحيلتان تلتفان بقوة حول عنقي حتى بدأت أرى بقعاً سوداء أمام عيني. لقد صرخت وزغردت فرحاً حين لمحتني أنتظر بجوار الحصن.

صديقتي المفضلة. شريكتي في الجرائم بالمعنى الحرفي للكلمة. سالمة معافاة. جميلة ومفعمة بالحياة كعادتها.

وصل ليني إلى غرفتي في وقت مبكر من هذا الصباح، جاهزاً لاصطحابي إلى «حي النشأين» لإحضار خيَّاطتي الجديدة. ويبدو أنه حصل على الموافقة لفعل ذلك، رغم أنني كنت أكثر حماساً من أن أكلف نفسي عناء سؤاله عن التفاصيل. حتى إنني ربما أكون قد صرخت فرحاً أنا أيضاً.

شهقت أدينا بذهول:

– «سأكون ماذا؟!»

تنهدت، رغم أن الأمر خرج أقرب إلى ضحكة:

– «خيَّاطتي الخاصة.»

كنت قد أخبرتها بالتفاصيل لثلاث مرات حتى الآن، فأضفت:

– «أقصد، إلا إذا كنت لا تريدين الوظيفة...»

– «هل جُننت؟! بالطبع أريد الوظيفة يا بيدن!»

كانت تقفز عملياً ونحن نشق طريقنا إلى العربة المنتظرة في الطرف الأقصى من «حي النشأين».

مسحت بنظري السوق والزقاق الواسع أمامي. بدا وطني باهتاً وكئيّباً كما كان حين غادرته. تركت أصوات الشتائم والمساومات، ورائحة السمك والتوابل تغمرني. كل شيء مألوف. كل شيء على حاله.

فتح ليّني باب العربة، واستقرينا أنا وأدينا بالداخل قبل أن ننطلق متدحرجين فوق الشارع المرصوف بالحصى غير المستوي، متوجهين نحو القصر.

قالت أدينا بذهول وهي تنظر من النافذة الصغيرة:

– «لا أصدق أن هذا يحدث.»

التفتت إليّ بعينين واسعتين، متأملةً الفستان البسيط الذي أجبرتني إليّ على ارتدائه وأردفت:

– «لا أصدق هذا.»

نقلت بصرها من وجهي إلى الفستان قبل أن تلتقط حافة التنورة لتتفحصها.

قلت وأنا أشير إلى الفستان:

– «لا تعتادي على... هذا. أنا أرتدي السراويل عادةً في النهار، لكن إليّ أصرت على أن أرتدي فستاناً لترك انطباع جيد لدى الناس الذين رأوني في <حي النشالين>.»

وبالفعل كان هناك حشد كبير من الناس. فرغم الوقت المبكر، كان السوق يعج بالرجال والنساء والأطفال، وجميعهم كانوا يحدقون بي بذهول أثناء مروري.

لست متأكدة من الانطباع الذي تركته لديهم، لكنني بالتأكيد تركت واحداً على أي حال.

قالت أدينا بابتسامة مشرقة:

– «يبدو أنني وإيلي سننسجم تماماً.»

ضحكتُ قبل أن أواصل:

– «آه، أنا واثقة من ذلك. وستحصلين على أجر، وطعام، وسرير حقيقي تنامين عليه في الليل. قيل لي إن هناك غرفة خياطة ستمضين فيها معظم وقتك، مليئة بكل أنواع الأقمشة التي قد تحلمين بها يوماً.»
التمعت عينا أدينا بمجرد التفكير في الأمر:
– «الجنة. سأكون في الجنة.»

أطلعتها على كل شيء – التدريب، المقابلات، المتسابقين. وبادلتني هي بالمثل، وأخبرتني عن أيامها في «حي النشالين» أثناء غيابي.
قالت أدينا بضحكة وهي ترفض الفكرة:
– «كنت قد بدأت أظن أنك نسيتني! والآن، ها أنت ذا، تأخذيني للعودة معك!»

اصطدمت بي موجة من الشعور بالذنب، مهددة بإغراقي.
ابتلعت ريتي قبل أن أفتح فمي لأتوسل الغفران، لأخبرها أنني آسفة، لـ

– «لا يمكنني أن أنساك أبداً يا أدينا.»
لن يحدث ذلك أبداً بعد الآن.

أشرق وجهها بابتسامة واسعة، بينما كان قلبي ينبض بعنف بين ضلوعي. إنها طيبة للغاية، وأنا مذنبه للغاية. أقرّ بضعفي لإخفاء الحقيقة عنها، لكن مع كل نبضة من قلبي، أقسمت ألا أفعل ذلك مجدداً.
اخترق سؤال أدينا الحاد طبقة أفكاري المشوشة:

– «أوه، لحظة! مع من ستذهبين إلى الحفل الراقص؟»

بالطبع كانت أدينا لتعرف هذه التفصيلة عن التصفيات، وكيف يتوجب علينا جميعاً أن نتشارك في الحفلات الراقصة. إنها تعشق هذا النوع من الأشياء. مررتُ يدي عبر شعري لأبعده عن وجهي وأجبت:

– «حسناً... سأذهب مع كيت.»

رمشت أدينا. ثم أطلقت صرخة حادة.

– « كيت؟ تقصدين، الوريث؟ »

كانت تلهث تقريباً وهي تهوي على وجهها بيديها.

حاولت تهدئتها قائلة:

– « ليس الأمر جلاً يا أدينا. عدا أنني بحاجة لأن أبدو بمظهر لائق. »

قالت بثقة:

– « حسناً، لقد لجأت إلى الفتاة المناسبة إذن. واو، حسناً، يجب أن تبدي

مذهلة حقاً. » مسحت غرتها المجعدة التي تدلت على عينيها: « حسناً، هناك

عدة درجات جميلة من اللون الأخضر يمكننا الاختيار من بينها. يمكننا أن

نُلبسكِ لوناً زمردياً، أو مريمياً — »

رفعتُ يدي مقاطعةً إياها، وابتسامة ترتسم على شفتي:

– « في الواقع، أفكر في لون مختلف. »



الفصل 20

كاي

أقف وسط بحر من السواد المتموج؛ سترات، وربطات عنق، وأحذية، يكسوها جميعاً لون فاحم. كحبرٍ مسكوب، ينساب الرجال الذين يغصّ بهم حفل الرقص فوق الأرضيات الرخامية البيضاء، أشبه بكلمات خُطّت على عجل فوق ورقة لامعة من الرق.

يتراقص الخدم في أرجاء القاعة، يتخللون الحشود بخفة رغم غياب الموسيقى التي تضبط إيقاع خطواتهم. يطوفون بلا كلل، حاملين كؤوس النبيذ والشمبانيا، وأصنافاً فاخرة من المقبلات مرصوصة فوق أطباق تفيض بذخاً.

بالنظر إلى أن التصفيات مختلفة هذا العام – بفضل اختبار المنفذ المستقبلي – لم يكن مستغرباً أن تخرج هذه الحفلات عن المألوف أيضاً. في العادة، حفلات التصفيات ليست سوى ذلك: مجرد حفلات رقص. تتألف من ساعات طوال من الرقص والأحاديث الجانبية المملة، وكلاهما يتطلب كميات مفرطة من الكحول لاحتমاله.

غير أن الحفل الأول لتصفيات هذا العام يُفتتح بوليمة.

تتناثر الأجساد المتشحة بالسواد في أرجاء القاعة، رجال من مختلف الأعمار يطوفون في الأنحاء؛ أي أولئك الرجال الذين ينتمون إلى النبلاء، أو



العائلة المالكة، أو مَنْ أفلحوا بطريقة ما في اقتناص دعوة لحضور الحفل الأول من تصفيات التطهير.

بعد ساعة قضيتها أتنقل بين جموع الرجال، منخرطاً في أحاديث فارغة مع الشباب والشيوخ، مع الأصدقاء والخصوم على حد سواء، تملكني التملل والضجر في أحسن الأحوال. انسحبتُ أنا وكيت لنستقر عند إحدى الطاولات البديعة المصطفة على حواف قاعة الرقص، والمثقلة بكؤوس الشراب.

أزجيتُ الوقت بتأمل غرفتي المفضلة في القلعة، مستوعباً تفاصيلها للمرة المائة. أعمدتها الرخامية ونوافذها الشاهقة الممتدة من السقف إلى الأرض تضفي عليها طابعاً أثرياً ساحراً. تتدلى الثريات من السقف، تقطر ببريق الألماس والأناقة. درجتان متقابلتان ومكسوتان بسجاد زمردني تهبطان من الشرفة العلوية نحو الأرضية الرخامية في تناظر بديع. تُفتح أبواب ذهبية متقنة الزخارف على منصة نصف دائرية تطل على حلبة الرقص شديدة اللعان، لدرجة أنني أستطيع رؤية انعكاس وجهي الضجر على سطحها. ارتشف من كأس النبيذ الثاني، متمنياً لو أن بيدي شراباً أقوى. في أي لحظة الآن.

تدب الحياة في أوتار الأوركسترا الصغيرة القابعة في الزاوية القصية من قاعة الرقص الأنيقة، تزامناً مع انفراج الأبواب اللامعة أعلى الشرفة. تتقدم امرأة فاتنة، تتدثر بحرير زمردني، نحو السياج وتلقي بنظرة على الحشود بالأسفل. أمي.

تتهلل أساريرها، وتكاد تشرق توهجاً. ثم تشرع في الهبوط بخفة ورشاقة عبر الدرج الأيمن، بخطوات مدروسة ورقيقة. أحياناً أنسى أنها هي الأخرى مقاتلة، بقدرتها الكهربائية التي تمكنها من التلاعب بالتيار، والتي يمكن توظيفها بسهولة في سبل مميتة إن أرادت ذلك.

يتردد صدى نقر كعبيها على الأرضية الرخامية وهي تشق طريقها عبر القاعة. يتنحى الرجال جانباً، خالقين لها ممراً ريثما تتجه نحو والدي الجالس في الطرف الأقصى من القاعة.

يبتسم الملك - يبتسم لها بحق - إنه تعبير نادر على محياه، لا يبدو أنه يُظهره إلا في حضورها. ينهض من مجلسه، ويلتقي بها في منتصف القاعة قبل أن يتأبط ذراعها.

يُجبل الملك بصره في الأنحاء، متفحصاً الرجال الذين يراقبونه، ثم يهتف:

- «فليبدأ الحفل الأول من تصفيات التطهير!»

يتهلل الرجال هتافاً، بينما يسير الملك والملكة معاً، يتبادلان الحديث ويرحبان بمن يمران بهم. وهكذا بدأ الأمر.

بدأت النساء، شابات وعجائز، يتدفقن عبر تلك الأبواب الذهبية، واحدة تلو الأخرى. وجرياً على العادة، يدخل الرجال دائماً قاعة الرقص أولاً وينتظرون وصول النساء، تكريماً للملكة التي تأخرت بأناقة عن الحفل الذي التقت فيه بوالدي لأول مرة، حيث تعلقت بها كل الأبصار لحظة دخولها. ومنذ ذلك الحين، مُنحت كل امرأة الفرصة لتسجيل حضورها كي تحظى بمشاهدة وإعجاب الجميع.

تهبط العشرات منهن عبر السلالم، وقد ارتدين أثواباً تتدرج في مختلف درجات اللون الأخضر. وما إن تطأ أقدامهن الأرضية، حتى يتلقفهن مرافقوهن لاقتيادهن نحو مقاعدهن عند إحدى الطاولات الكثيرة المتناثرة في الجانب البعيد من القاعة.

نراقب - أنا وكيت - موكب النساء ونحن نرتشف النبيذ، مبدئين إعجابنا من بعيد. يتوافدن دون ترتيب معين، فلا رتبة ولا مكانة تحدد من ستعبر الباب تالياً. أراقب ابنة عمي وهي تتهاذى للداخل، مرتدية فستاناً أخضر بلون النعناع يتناقض بجمال مع خصلات شعرها الحمراء بلون النبيذ. تبتسم آندي لـ

جاكس الذي يقف منتظراً إياها عند أسفل الدرج، تعلق وجهه ابتسامة بلهاء. تسحبه خلفها نحو الطاولة الكبيرة المخصصة للمتسابقين، والتي تتوسط بقية الطاولات لتمنح الضيوف رؤية مثالية لنا. عشاء وعرض ترفيهي في آنٍ واحد. أراقبهما وهما يجلسان قبل أن أحول انتباهي مجدداً نحو الشرفة، لأجد أن التدفق المستمر للنساء قد بدأ يتباطأ. ألمح هيرا وآيس يشقان طريقهما عبر الحشد، ولا يبدو على أي منهما السعادة لاقتترانه بالآخر. تندفع عيناى عائدتين إلى الأبواب حين تدخل سيدي، ببشرتها السمراء التي تتلألأ في مواجهة فستانها الأخضر الفاتح، وهي تنزل الدرج باتجاه براكستون الذي ينتظرها. يخطف بريق أرجواني بصري، كاشفاً عن بلير الواقفة أعلى الدرج، تطل من فوق السياج. قماش أخضر بلون الغابة يعانق خصرها وقوامها، قبل أن ينسدل بتموج عند قدميها. رُفع شعرها ولُف بعيداً عن وجهها، وابتسامة ماكرة بدأت تتسع على ثغرها بمجرد أن لمحتني.

يغمغم كيت:

– «حظاً موفقاً يا أخي.»

ولم تفتني نبرة التسلية المبطنة في صوته.

بعد أن حاصرتني قبل العشاء بليالٍ قليلة، أصرت بلير على أن نحضر الحفل معاً. ولأنني لم أملك خياراً آخر في هذا الشأن، كانت موافقة على مضض هي الإجابة الوحيدة التي استطعت تقديمها.

أحشر كأس النبيذ في يد كيت متنهداً بانزعاج، وأومئ برأسي نحو الكأس الذي يقبض عليه الآن قائلاً:

– «احتفظ بهذا، سأحتاجه بالتأكيد.»

تلاحقني ضحكة كيت العميقة وأنا أشق طريقي إلى أسفل الدرج، لألتقي ببلير هناك في الوقت المناسب. أمد لها ذراعي لتتشبث بها بشراهة. أقول بنبرة هادئة:

– «تبدين فاتنة يا بلير.»

وقد كانت كذلك حقاً، بأسلوب بارد وحاد.

ردت بتأمل، وهي تخفض أهدابها الداكنة لتتفحص هندامي وشعري ووجهي:

– «أوه، شكرًا لك يا كاي، وأنت كذلك.»

قدتها نحو الطاولة التي باتت ممتلئة تقريبًا بالمتسابقين الجالسين حولها بتصلب. وما إن اتخذت مقعدي بجوار جاكس، حتى رمقني بتلك الابتسامة المشرقة التي لا تفشل أبدًا في إجباري على مبادلتها إياها.

قلت وأنا أتفحص بدلته الأنيقة وسرواله الداكن الذي بدا – للمرة واحدة – طويلًا بما يكفي ليغطي كاحليه:

– «انظر لنفسك يا جيه، تبدو في غاية الأناقة. لا أحد قد يخمن أنني أبرحتك ضربًا في الحلبة هذا الصباح.»

سمعتُ آندي تطلق شخيرًا ساخرًا من الجانب الآخر لجاكس، قبل أن تميل نحونا وتضيف:

– «لست الوحيد الذي فعل ذلك.»

قلب جاكس عينيه ضيقًا من سخریتنا، لكن الابتسامة لم تفارق وجهه قط. تساءل:

– «أين كيت؟ إنه الوحيد اللطيف معي بينكم.»

وضعت آندي يدها على صدرها مدعية الشعور بالإهانة، بينما لم أكلف نفسي حتى عناء إنكار أنه محق. بل اكتفيت بالقول:

– «صحيح، لكنك تعلم أنني أكثر متعة بكثير.»

فتح جاكس فمه ليرد، لكن صوتًا أنثويًا باردًا قاطعه:

– «حقًا؟ لأنني أشعر بالملل.»

استدرت ببطء لأواجه بلير، فقد نسيت وجودها من الأساس. أنا رفيق موعد سيئ بلا شك، لكنني أفترض أنها كانت تدرك ما تورطت فيه عندما طلبت مني مرافقتها، لذا لن أضيع وقتي في الشعور بالذنب حيال الأمر.

قلت:

– «أنا في غاية الأسف لأنني لا أمتعك يا بلير.»
سمعت آندي تكتم ضحكتها مجدداً قبل أن أضيف:
– «كيف حالك هذا المساء؟»

ابتسمت، وبدا عليها الرضا لأنني منحتها انتباهي الكامل أخيراً. وكان هذا كل ما تحتاجه لتبدأ التذمر من الدبابيس المزعجة في شعرها، قبل أن تنتقل للثرثرة عن قماش فستانها، مصرّة على أن ألمسه لأرى كم هو ناعم. طوال هذا الوقت، كان جاكس يضحك بخفوت بجواري، عاجزاً عن كتم قهقهاته في كل مرة أتمتم فيها موافقاً أو أومئ برأسي ردّاً على كلمات لا أصغي إليها حقاً. لكنني انتشلت من شرودي الممل فجأة حين وُضع كأس أمامي. قال صوت مألوف:

– «ظننت أنك قد ترغب في استعادة هذا يا أخي.»
أدّرت رأسي لأجد كيت واقفاً خلف مقعدي، قبل أن تنزلق عيناها نحو تلك التي تتلأأ بجواره.
كانت تجسّداً حياً للقب المنقذة الفضية.

قماش فضي لامع يعانق جسدها. أشرطة رفيعة تلتف حول كتفها لتثبت الفستان بفتحة صدره العميقة، كاشفة عن بشرتها السمراء وعظمتي ترقوتها البارزتين. ينسدل القماش ليلتحم بخصرها ووركها كعملات معدنية منصهرة، مما ذكرني بتلك الفضيات التي سرقتها حين التقينا لأول مرة.

رمقتني بيدن بأهدابها المظلمة كالبحر بينما كنت أمتص تفاصيلها. كان شعرها كستارة تسدل على فستانها، مما يجعل من الصعب التمييز بين نهاية خصلاتها الفضية وبداية الفستان اللامع. يتسع القماش حول كاحليها، مبرزاً شقاً طويلاً يمتد على طول ساقها، يحاكي تماماً ذلك الشق الذي مزقته في فستانها يوم المقابلات. وهناك، مثبتاً على فخذها، يقبع خنجر فضي معروضاً ليراه الجميع. جاهدت لكتم ابتسامتي عند رؤية سلاحها المميت مقترناً بزيها المذهل – فاتنة للحد الذي يسلب العقل، وقاتلة للحد الذي يسلب الروح.

كل إنش فيها كان مكسوّاً باللون الفضي.

ليس الأخضر. لم تكن متوقعة.

فاتنة، جريئة، وترفض الانصياع للقطيع.

كانت إعلاناً صريحاً. تذكيراً بماهيتها وبما فعلته.

لم يكن مفروضاً بالضرورة على النساء ارتداء اللون الأخضر في هذه الحفلات، ويبدو أن بيدن استغلت هذه الثغرة الصغيرة ببراعة.

تلاقت عيناها للحظة بعيني قبل أن يقودها كيت إلى الجانب الآخر من الطاولة. وكان ذلك كافياً لأتجرع كأساً دفعه واحدة، متمنياً بيأس أن تنتهي هذه الليلة. رفعت بصري ليلتقي بنظرات بيدن عبر الطاولة حيث تجلس الآن. حافظت على التواصل البصري، ولم تقطعه إلا حين همس كيت بشيء بجوارها، لتصرف انتباهها عني وتثبت تلك العينين المحيطيتين عليه.

راقبتُهما يتفاعلا بوقاحة، غير آبه بمن يراني أطيل النظر. بدت بيدن متوترة وهما يتحدثان بخفوت، وعيناها تشردان باستمرار نحو ياقة قميصه بدلاً من النظر في عينيه. راقبتها وهي تدير ذلك الخاتم ببطء في إبهامها، وكدت أبتسم لرؤيته منسجماً مع فستانها. أومأت برأسها بينما بادلها كيت الإيماءة، وكانا بلا شك يدركان تماماً عشرات العيون التي تراقبهما من الطاولات المجاورة.

بدأ الخدم يتدفقون إلى قاعة الرقص، يحملون صواني مكدسة بأطباق الطعام الساخن المتصاعد منه البخار. ولم يمضِ وقت طويل حتى بدأنا نتناول سمك السلمون المتبل ونبات الهليون المغطى بالزبدة في صمت، ولم يكسر هدوءنا سوى صرير الشوك وثرثرة الضيوف من حولنا.

وكم وددت لو استمرت الأمور على هذا المنوال، لربما استمتعت بحفل راقص لمرة واحدة لو تمكنا من الجلوس هناك وترك الصمت يبتلعنا. لكن بدلاً من ذلك، قررت مرافقتي أن تفتح فمها.

قالت بلير بنبرة ساخرة وفمها يلتوي بابتسامة متغطرة:

– «فستانك جميل جداً يا بيدن.»

تنهدت رافعاً نظري عن طبقي لأرى بيدن تبتسم بخفة.

قالت وعيناها تمسحان بلير وزيتها الأخضر:

– «أوه، شكرًا لك. وفستانك يبدو... فريدًا للغاية.»

قالتها وهي تلقي نظرة ذات مغزى على بقية القاعة والنساء اللواتي يرتدين درجات ألوان مشابهة تمامًا.

ضاقت عينا بلير، لترد بنبرة لاذعة:

– «لا أدري إن كانوا قد علّموك هذا في العشوائيات، لذا دعيني أنير بصيرتك. لون مملكة إيليا هو الأخضر، وليس الفضي.»

تصلب جسدي من الطريقة التي بصقت بها كلمة العشوائيات، مما لفت انتباه حتى سيدي وبراكستون وأخرجهما من محادثتهما الهادئة ليلقيا نظرات حذرة حول الطاولة. بدا وكأننا جميعًا نحبس أنفاسنا، نترقب رد بيدن. وكعادتها، لم تخبب الآمال قط.

بعد أن أخذت رشفة بطيئة من كأسها، التقت بنظرة بلير المشتعلة. سألتها ببرود:

– «هممم. وهل العيش في القصر علّمك كيف تكونين عاهرة؟»

فقدت بلير صوابها. وقبل أن أرمش، كان السكين الموضوع بجوار طبق بيدن قد ارتفع أمام صدرها، مشيرًا بنصله الحاد مباشرة نحو قلبها. أرسل المشهد صدمة من الغضب في عروقي، لكن صوتي خرج أبرد بكثير من حنقي المفاجئ حين قلت:

– «على رسلكما يا سيدات.»

وباستعارة قدرة التحريك الذهني، دفعت السكين ليعود إلى الطاولة محدثًا صليلاً، متجاهلاً النظرة الغاضبة التي رمقتني بها بلير. أضفت:

– «لست في العادة من يفضّ النزاعات، لكن دعونا لا نحاول قتل بعضنا البعض قبل أن تبدأ التصفيات حتى.»

تعالَت همهمات الضيوف من حولنا، يراقبون متسابقهم بتعابير متلهفة.
لا يمكنني حتى تخيل مدى متعة هذا المشهد بالنسبة لهم؛ رؤية محاولتنا
البائسة لنكون متحضرين مع بعضنا البعض، في حين أننا سنكون أبعد ما
يكون عن ذلك بحلول الغد.

ضحك آيس بصلف، ضحكة خالية من أي مرح.

– «هل هذا ما تنوي فعله يا كاي؟ أن تقتلنا؟»

حين تنازلت أخيراً ونظرت إليه، لم تفتني تلك اللمعة في عينيه التي رافقت
نبرة التحدي في صوته.

رمقته بنظرة ثابتة وأجبتة:

– «أنوي أن أفوز.»

أجاب آيس قبل أن يمرر يده على شعره المصفف بالزيت، وهو يضحك
بخفوت:

– «كما ننوي جميعاً. حسناً، جميعنا باستثناء بيدن، التي تنوي النجاة
فحسب.»

كان يسخر من إجابتها في المقابلات.

تململت هيرا في مقعدها بجوار آيس، وبدا انزعاجها واضحاً كبقية
الجالسين على الطاولة. وما كنت على وشك قوله سيجعل الأمور أسوأ بكثير.

– «يكفي.»

شق صوت كيت التوتر السائد، ليلتفت الجميع إليه. لكن عينيه كانتا
مسلطتين على شخص واحد فقط؛ فتاة واحدة ترتدي الفستان المتألئ
بجواره، حين قال لها:

– «هل ترقصين معي؟ أرجوك؟»

ترددت بيدن للحظة واحدة قبل أن تومئ برأسها موافقة. وبعدها وجدت
نفسي أحرق في أثرهما وهما يخطوان نحو حلبة الرقص، حيث بدأ العديد من
الأزواج الآخرين يدورون على إيقاع الموسيقى.

فجأة، قالت بلير شيئاً لي، ثم جذبتني لأقف على قدمي قبل أن تسحبني إلى حلبة الرقص. لا أتذكر متى بدأنا الرقص حقاً. فجأة، وجدتُها بين ذراعيّ، ونحن ندور عبر الأرضية الرخامية. كان ملمسها غريباً عليّ بعد الليالي التي قضيتها وبيدن بين ذراعيّ. تلك الليالي التي لم أخبركِت عنها بعد.

كنت أسدي له صنيعاً.

تجولت عيناى عبر حلبة الرقص، لتستقرا على أخي والفتاة التي بين ذراعيه. لم أكن أرتدي اللون الأخضر، لكنني شعرت به رغم ذلك. غرز الحسد مخالفه في صدري وأنا أراقبهما يخطوان على نفس إيقاع الفالس الذي راقصت عليه بيدن الليلة الماضية فقط. كانت تبدو أنيقة، ومغرية، وفاتنة تسلب الأبواب.

بحق الجحيم، ما خطبي؟

أشحت بنظري عن جسديهما الدائرين، غاضباً من نفسي لأنني أشعر؛ أشعر بالغيرة وحب التملك تجاه الفتاة الوحيدة التي أوضحت لي جلياً أنه لا ينبغي لي ذلك.

لذا، شتت انتباهي. رقصت مع بلير ونساء جميلات أخريات سحبني إلى حلبة الرقص. غازلتهم وعبثت معهن، مركزاً على الفتيات أمامي بدلاً من تلك التي ترقص على مقربة مع أخي.

لمحتها تراقبني وتلاقت أعيننا، لترقص الشرارات بيننا. إنها التجسيد الحي للقرار الخاطئ. توأم الخطر والرغبة. الخيط الرفيع الفاصل بين ما هو مميت وما هو مقدس.

وأستطيع أن أشعر بنفسى وأنا أغرق.



الفصل 21

بيكان

يدور العالم من حولي، ليتلاشى الأخضر والأسود في مزيج باهت. أشهق مأخوذة على حين غرة من هذه الدورة المفاجئة، قبل أن أُسحب بغتةً إلى ذراعين قويتين، لتغمرنني رائحة باهتة من التوابل وصدى ضحكة عميقة. ضحك كيت بخفوت، وعيناها الخضراوان تتحدياني للنظر إليهما:

– «عذراً، ظننتك مستعدة لذلك.»

قلتُ بابتسامة صغيرة، وعيناي تجولان في أرجاء القاعة بدلاً من التلاقي بعينيها:

– «راقصة أفضل مني كانت لتكون كذلك.»

قاعة الرقص هذه لا تشبه أي شيء رأيته من قبل؛ بنوافذها، وأعمدتها، ونقوشها البديعة. أنا مذهولة حقاً من الحجم الهائل والأناقة المطلقة التي تحيط بي.

ينسجم الحاضرون الذين يملأون المكان تماماً مع محيطهم، فجميعهم يتألقون بهندام متقن وحضور رشيق. يتسربل الرجال بسواد حالك، بينما تتوشح النساء بكل درجات اللون الأخضر.



حسنًا، كل النساء... باستثنائي أنا.

أُجمت أدينا بالصمت لأول مرة في حياتها حين أخبرتها أنني أريد فستاناً فضياً. كان عليّ أن أبرز. كان عليّ أن أذكر الناس بـ المنقذة الفضية. وبما أنه لا توجد قاعدة تفرض على النساء ارتداء اللون الأخضر، فإن الخطر الوحيد في ظهوري باللون الفضي كان جذب المزيد من الانتباه إليّ في حال تعثرت وسقطت على حلبة الرقص.

عيون كثيرة، وأشخاص لا حصر لهم يراقبونني وأنا أهبط الدرج. نظرات تتفرس في جسدي، وتنساب فوق الفستان المشقوق والخنجر القابع تحته. وحتى الآن، ما زلت تحت المراقبة. ينظرون إليّ جميعاً بدرجات متفاوتة من الفضول؛ بعضهم بشغف، وآخرون بتفحص دقيق. لست واثقة من أنني سأكسب أصوات هؤلاء القوم الليلة، لكنني بالتأكيد أجعل نسياني أمراً بالغ الصعوبة.

رفعت بصري نحو كيت، فشعره الأشقر يبدو أفتح لوناً مقارنة ببديلته الداكنة المفصلة بعناية على مقاسه. إنه يبدو... وسيماً. وساحراً. إنه يشبه والده. يشبه والده تماماً.

سألني بنبرة خافتة، وهو لا يزال يدور بي ببطء:

– «هل أنت مستعدة للغد؟»

اندفعت عيناى لتلتقي بعينيهِ طواعيةً:

– «وهل يُفترض بي أن أكون كذلك؟»

كاد يضحك، لكنه قال بدلاً من ذلك:

– «لا. لست كذلك.»

اندفعت الكلمات من فمي قبل أن أتمكن من إيقافها:

– «وهل يبدو لك هذا عادلاً؟ هذه التصفيات؟»

انتهت الأغنية، وانتهت معها رقصتنا. شعرت بنظراته تتجول على وجهي حتى بعد أن أشحت بنظري، وكأنه يبحث عن الإجابة هناك. ثم تنهد قائلاً:

– «ما رأيك أن أحضر لنا شيئاً لنشربه؟»

رمشتُ بتعجب. ورغم تهربه من سُؤالي، أومأت برأسي إجابةً لطلبه. نظر حوله إلى الرجال المحتشدين في حلبة الرقص، والذين كان العديد منهم يحدقون فجأة في اتجاهنا.

ابتسم قبل أن يحني رأسه قليلاً مردفاً:

– «وأفترض أنني سأشاركك مع الجميع، ولو لبضع رقصات فقط.»
ثم استدار ومضى مبتعداً.

وما إن ولى ملك إيليا المستقبلي ظهره، حتى تقدّم نحوي شاب طويل في حلبة الرقص وانحنى لي باحترام. قبلت دعوته للرقص بتهذيب، ولم أملك حتى الوقت لأشعر بالتوتر قبل أن تحيط بي ذراعاها. لم يسعني إلا أن أشعر بوخزة من الفخر لمدى مجاراتي لخطواته الواسعة، وتبادلنا أطراف الحديث العابر بينما كنا ندور عبر الحلبة.

وما إن بدأت ألحان فالس جديدة تصدح بالحياة، حتى اختطفني شريك جديد. وجدت نفسي فجأة بين ذراعي شاب، يبدو في مثل سني، يصف شعره الأزرق الباهت بعناية فائقة فوق رأسه.

قال وعيناه تتجولان بنهم صعوداً وهبوطاً على جسدي:

– «لم أكن لأخمن أبداً، من مظهرك، أنك مجرد واحدة من العاديين من العشوائيات.»

تململت بانزعاج من قبضته المحكمة حول خصري، شاعرة بوزن خنجري المطمئن المثبت على فخذي. لولا حاجتي لكسب تأييد هؤلاء الناس، لكان تعليقه السخيف هذا قد كلفه لكمة على وجهه.
انخفض صوته أكثر من ذي قبل وهو يضيف:

– «أنتِ فاتنة.»

– «إنها كذلك، أليس كذلك؟»

تخطى قلبي نبضة. كان الصوت القادم من خلف كتفي باردًا لدرجة أنني كدت أرتجف. لامس كاي ذراعي وهو يلتف حولي، ليواجه الفتى المذهول الذي لا يزال يتشبث بي.

قال كاي ببساطة، مدركًا تمامًا مدى وقاحة المقاطعة في منتصف الرقصة:

– «سأسرقها الآن.»

ولكن، مرة أخرى، إنه الأمير، والمنفذ المستقبلي، وغد متغطرس. سقطت يد الرجل ببطء عن خصري، ومرت عيناه عليّ للمرة الأخيرة قبل أن ينحني انحناءً سريعة لـ كاي ويبتعد. لم يضيّع الأمير لحظة واحدة؛ كنت بين ذراعيه قبل حتى أن ينهي العازفون نغمتهم الأخيرة. إنه مألوف للغاية.

ننسجم معًا بشكل مثالي، كقطع أحجية تستقر في مكانها. لم يكن ينبغي لي أن أسمح لنفسي بالاسترخاء تحت لمسته. لم يكن ينبغي لي أن أدع التوتر يتسرب من جسدي حين يضمّني. لكنني لا أملك حيلة لإيقاف ذلك. أنا عاجزة تمامًا وبشكل مطلق.

كانت راحة يده مبسوطة وثابتة على ظهري المكشوف، وخشونة يده تلامس بشرتي المحمرة.

قال كاي، ولمحت طيف ابتسامته الماكرة قبل أن يديرني:

– «بدا وكأنك بحاجة للإنقاذ.»

تنهدت قائلة:

– «لمرة واحدة، سأضطر للاتفاق معك.»

– «أنا واثق من أنني أستطيع التفكير في أشياء أخرى نتفق عليها.»

– «أوه حقًا؟ وما عساها أن تكون هذه الأشياء؟»

قال كاي بنبرة خافتة:

– «أنه كان محققًا. أنتِ فاتنة. أنا واثق من أننا نتفق على ذلك.»

ابتلعت ريقى، وبدأ قلبي يخفق بنبضات متسارعة اخترت تجاهلها.
وبسبب حيرتي فيما يجب قوله، سألته بدلاً من ذلك:

– «وما الأشياء الأخرى التي نتفق عليها؟»

همهم شاردًا وهو يمرر عينيه على وجهي:

– «هممم، هل تقضين وقتًا ممتعًا الليلة؟»

رمشت في وجهه:

– «حسنًا...»

– «انطقي بها يا جراي.»

زفرت بحنق:

– «حسنًا، ليس تحديدًا، لا.»

ارتسمت على وجهه ابتسامة:

– «إذن نحن نتفق على أن هذه الحفلات الراقصة مملة بشكل لا يطاق.»

لم أتمالك نفسي من الضحك:

– «وماذا لو كنت أنت السبب في أنني لا أقضي وقتًا ممتعًا؟»

قال بابتسامة عريضة:

– «لو كان الأمر كذلك، لكنت قد دعست على أصابع قدمي أو أشهرت

خنجرًا في وجهي لتهربي مني الآن.»

– «لا توح لي بأي أفكار أيها الأمير.»

ضحك بخفوت:

– «أنت محقة. سأكره أن ألطخ بدلتى بالدماء.»

واصلنا الدوران عبر حلبة الرقص، بينما تجاهلت مدى التصاق جسده

بجسدي، وأخذت أتأمل القاعة المكتظة التي تضج بالثرثرة والضحكات

والموسيقى. لمحت آندي تضحك مع جاكس وهما يتعثران في خطواتهما على

الأرضية، ولم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً للعثور على بقية المتسابقين وسط الحشود.

حين استقر بصري على كيت، تفاجأت بكونه يراقبني بالفعل. كان محاطاً بمجموعة من الفتيات المتملقات، لكن عينيه كانتا مسطتين عليّ وعلى كاي ونحن نرقص، دون أن يحرك ساكناً لمقاطعة أخيه واستعادة رفيقته. وهناك، كان يقبض بيده على كأسين، أحدهما ممتلئ بينما الآخر شبه فارغ.

كنت على وشك إعادة نظري إلى شريكي حين تعلق عيناى بأحد الخدم. كانت خصلات شعر الفتى الداكنة والمجعدة تتنطط فوق رأسه مع كل خطوة يخطوها، وهو يحمل صينية مليئة بالمشروبات الفوارة عبر الحشد. جالت عيناه البنيتان في أرجاء القاعة وكأنه يبحث عن شيء أو شخص ما.

الفتى من حي النشالين. الفتى ذو الجلد. الفتى الذي سرقتة. الفتى صاحب الرسالة الموجهة إلى منزلي.

اجتاحت عقلي موجة عاتية من الأسئلة. لماذا هو هنا؟ ظننت أنه متدرب وليس خادماً. هل يبحث عني، هل يبحث عن الورقة التي سرقتها منه؟ انتُشلت من أفكاري حين أدارني كاي، فاندفعت عيناى لتلتقي بعينه دون إرادتي. خطأ.

ينسدل شعره بلون منتصف الليل على جبهته في تموجات حريرية فوضوية. التقت عيناه الرماديتان الدخانيتان بعيني، آثرتين، ومخيفة في آن. ارتخى فكه المشدود، لتنفرج شفتاه عن ابتسامة متغطرة وهو يراقبني أتأمله. غمازتان. وكلتاها تسخران مني.

سألني بنبرة مغازلة، وهو يعلم أن ذلك سيستفزني:

– «هل يعجبك ما ترينه يا جراي؟»

زفرت بضيق، وأشحت بوجهي عنه لأقاوم حمرة الخجل التي بدأت تشق طريقها إلى وجنتي. انزلقت أصابعه الخشنة من ظهري لتقبض على ذقني، موجهة وجهي برفق ليعود إليه وهو يغمغم:

– «تفضلي، واصلي تأملك. لن أحرم نفسي أبداً من فرصة رؤيتك وأنت تراقبينني.»

سألته بلامبالاة مصطنعة لم أشعر بها قط:

– «ولماذا ذلك؟»

كانت ابتسامته خبيثة:

– «لأنه من الممتع بكثير أن أتأمل حينما يكون الفعل متبادلاً.»

كدت أختنق بضحكتي.

تلعثت محاولة التظاهر بأنني لم أكن أفعل ذلك بالذات:

– «لا تفرط في إطراء نفسك أيها الأمير. أنا لا أتأملك أنت أو غمازتيك

الغبيتين.»

لكن ابتسامته اتسعت أكثر، مما جعل غمازتيه تتعمقان بشكل يشئت

الانتباه.

– «كاذبة.»

تسرب مني صوت محبط وأنا أرمقه بحنق، رافضة منحه متعة التهرب من

نظراته الثاقبة. واصلنا الرقص على النغم الهادئ، وتباطأت حركاتنا بدورها

حين سألني كاي:

– «إذن، كم النتيجة الآن؟»

تقلصت حاجباي في تساؤل إزاء هذا التغيير المفاجئ في الموضوع، رغم

شعوري بالارتياح مع ذلك:

– «ماذا؟»

تفحصت عيناه وجهي باهتمام:

– «لقد ساعدتك، كم، ثلاث مرات؟ ربما أربع الآن؟ إذن النتيجة تصبح

أربعة مقابل واحد.»

أطلقت ضحكة ساخرة:

– «أولاً، أنا لم أساعدك. لقد أنقذتك، هل تذكر؟»

رفعت حاجبي نحوه متابعة:

– «من المؤكد أن هذا يُحسب بأكثر من مجرد نقطة واحدة. علاوة على ذلك، لم أكن أدرك أننا نحتفظ بالنتيجة.»

هز كتفيه بخفة:

– «منطقي. ما رأيك أن نقول إن النتيجة هي اثنان مقابل أربعة إذن؟ هذا سخيف مني.»

أضأت عيناها:

– «انظر إلى هذا. أخيراً اعترف الأمير بأنني أنقذته.»

ضحك، وزمجر الصوت في صدره ليجمع زاويتي عينيه:

– «أنا لم أقل أبداً...»

طغت صرخات مدوية شقت الأجواء على كلماته.

أُصبت بالذهول للحظة، ولم أنتزع من صدمتي إلا حين مزق الألم ساعدي الأيسر. أجبرتني الرعشة المفاجئة على خفض عيني لأرى اللحم الممزق والملطخ بالدماء هناك.

سكين رمي.

فجأة، هويت أرتطم بالأرض، وهبط جسد صلب وقوي فوقي. لا، بل جسد صلب وقوي يغطيني. دوت الانفجارات في أنحاء القاعة، وطنت أذناي من شدة الصدمة. شعرت بموجة من الحرارة ترافقها أدخنة وكتل حجرية تتطاير حولنا.

كان هيكل كاي الضخم يحلق فوقي، ويده تحتضن مؤخرة رأسي كي لا تنصدع جمجمتي على الرخام الصلب حين ألقى بنا على الأرض. كان يحمي جسدي من الحطام والسكاكين المتطايرة في أرجاء القاعة. استعدت سمعي ببطء، وتضخمت كل صرخة بينما فرقت أذناي وعادتا للحياة. سمعت دوي الرعب ووقع الأقدام المتدافعة من حولنا، رجال ونساء يندفعون نحو المخارج، محاولين الهرب من هذا الجنون.

انتزعني كاي لأقف على قدمي، وانحنى منخفضاً وهو يجرنى نصف جر نحو الجدار، محاولاً إخراجنا من المنطقة المكشوفة.

صرخت وسط دوي الانفجارات وصدى الصرخات:

– «ما الذي يحدث؟!»

لكن كاي كان مشغولاً بزمجرة الأوامر للحراس والأشخاص من حولنا، يخبرهم بما يجب فعله وكيفية فعله. كان يجسد حقاً المنفذ المستقبلي بكل تفاصيله.

استحالت قاعة الرقص إلى فوضى عارمة. تناثر حطام الانفجارات على الأرضيات التي كانت نقية منذ لحظات. ولمعت سكاكين الرمي وهي تشق الهواء بأزيزها، تُلقي من قبل بضع شخصيات فارة ترتدي شرائط جلدية سوداء تغطي النصف العلوي فقط من وجوهها. يقلدون أقنعة الإمبراطورين.

من هؤلاء الناس؟

تناثرت بضع جثث على الأرض، بعضها غارق في الدماء، وأخرى سُحقت تحت كتل الحجارة الضخمة المقذوفة من الانفجارات وهي تكافح لتحرير نفسها. لكن عنصر المفاجأة قد زال، وأفراد النخبة الذين كانوا يرقصون بمرح قبل دقائق فقط بدأوا الآن في الرد على هجوم المقنعين. تدفق الحراس إلى القاعة، بعضهم من الوامضين (فلاشز)، وآخرون من المشتعلين (بليزرز) أو الأقوياء (براوني).

نشر بضعة من صانعي دروع الطاقة (شيلدن) مجالات قوة أرجوانية في أنحاء القاعة، لحماية من حولهم من الهجوم بينما ارتدت الأسلحة بلا ضرر عن القباب المتوهجة. ودون تفكير ثانٍ، استعار كاي قدرة دروع الطاقة ليُقيم حقله الخاص حولنا.

اتسعت عيناه، وكان هذا هو الدليل الوحيد على قلقه:

– «لا وقت للشرح. ما مدى سوء إصابتك؟»

مد يده نحوي، لكنني تراجعته خطوة للوراء، ليصطدم ظهري بالجدار الصلب خلفي. صعق الألم ذراعي، لكنني صررت على أسناني وتجاهلته.

– «أنا بخير، ولكن ما...»

قاطعني:

– «أحتاجك أن تذهبي إلى إحدى الغرف الآمنة. سيأخذك الحراس...»

– «كاي، لن أغادر.»

سحقني بالكامل ضد الجدار، محاصرًا إياي بذراعيه على جانبي رأسي. كانت عيناه هائجتين، كدخان يتصاعد من نار مستعرة.

– «إذن لا تظني أنني لن أليك على كتفي اللعين وأحملك خارج هنا بنفسني. هل هذا ما تريدينه؟»

أعلم أنه سيفعل ذلك حقًا. كاي ليس من يطلق التهديدات الجوفاء. نظرت من فوق كتفه إلى الشخصيات المقنعة القليلة التي تحاول الفرار وشق طريقها للخارج بالقتال. بدوا غير مستعدين، يستخدمون أسلحة بدلاً من القوى، ويلحقون ضررًا طفيفًا مقارنة بالقدرات السحرية المستخدمة ضدهم.

راقبت الفوضى التي تلت ذلك، والارتباك يعصف بأفكاري. أين المشتعلين (إجنايتس) الذين تسببوا في الانفجارات؟ مسحت عينايا القاعة، لتتوقف عند جسم زجاجي دائري يموج بسائل داكن، يقبض عليه أحد المقنعين بيده.

قنابل يدوية الصنع.

حينها أدركت الأمر.

إنهم لا يستخدمون القوى السحرية لأنهم لا يملكونها.

لأنهم من العاديين.

همست وعينايا تتوسلان كاي:

– «دعني أساعد.»

أحتاج للاقترب أكثر. أحتاج لمعرفة من يكون هؤلاء الناس ومن أين جاؤوا.

– «لا.»

– «أستطيع الاعتناء بنفسى.»

كانت ضحكته جافة:

– «إذن أثبتى ذلك. اذهبي بهدوء إلى الغرفة الآمنة. الآن.»

زمجرت بالكلمات في وجهه من بين أسناني المصرة:

– «لا يمكنك أن تجبرنى على ذلك.»

الشيء الخاطئ لقوله.

أشاح بنظره وزفر بقوة وهو يهز رأسه:

– «أنتِ عنيدة للغاية بما لا يخدم مصلحتك يا جراي.»

ثم انقلب العالم رأساً على عقب.

كانت يده تطوق الجزء الخلفى من ركبتيّ، وتدلى نصفي العلوي فوق كتفه، ليتدلى على ظهره. تلوّيت محاولة الإفلات من قبضته، لكن إمساكه كان محكمًا. شعرت وكأنني طفلة صغيرة تصاب بنوبة غضب، ولم أهتم لذلك على الإطلاق.

– «أنزلنى. الآن.»

كانت نبرتي تتوعد بموت بطيء ومؤلم، لكنه تجاهلني رغم ذلك.

قال كاي ببرود:

– «لو كنتِ تعرفين كيف تتبعين الأوامر، لما اضطررت لرميكِ هكذا

كدمية قماشية.»

تلمست طريقي نحو خنجري، وقد استبد بي غضب خطير:

– «كاي، سأطعنك حرفياً في ظهرك إذا لم...»

– «إذا كنتِ تظنين أن طعنة ستوقفني، فأنتِ تقللين من شأن قدراتي بشدة يا عزيزتي.»

عبر ستارة الشعر الفضية التي انسدت برخاوة فوق رأسي، توقفت عن المقاومة لفترة كافية لأراقب بقية المقنعين يمرون مسرعين كأطياف ضبابية خارج فقاعة درعنا الواقى. ثم تسمرت عيناى على أحدهم ذي خصلات داكنة ومجعدة تتساقط على جبهته.

إنه هو.

كان قناعه يلتصق بوجهه كجلد ثانٍ، وحين التقت نظراته بنظراتي، أخذت نفساً بطيئاً. توقف مكانه، يراقبني كما أراقبه.

إنه واحد منهم. وقد تعرف عليّ.

الرسالة. مكان اللقاء.

الجلد.

بالتأكيد، كل واحد منهم كان متدثراً بسترات وأقنعة جلدية.

دروع. كان يصنع لهم دروعاً.

فجأة، وجدنا أنفسنا نقف بالقرب من حلقة من الإمبراطوريين يحيطون بشيء ما، محاولين احتواءه. شق كاي طريقه وسط الحشد، ولمحت كيت بطرف عيني، يقاتل ويتلوى للإفلات من الحراس الذين يقيدونه.

كان صوت كاي عميقاً وقاتلاً:

– «ظننت أنني أمرتكم بإخراجه من هنا.»

بدأ أحد الإمبراطوريين مبرراً:

– «سيدي، لقد رفض...»

قبل أن يقاطعه كيت، والذي بدا عدوانياً أكثر مما رأيته في حياتي.

– «لن أختبئ من هذا يا كاي. هذه مملكتي أنا أيضاً.»

كان صوته صارماً، وعلى وشك الصراخ في وجه أخيه.

رد كاي بنبرة باردة كالصقيع:

– «حسناً، لن تكون هناك مملكة لتحكمها إذا مت يا كيت. عليك أن تبقى متوارياً عن الأنظار حتى يتم تنظيف هذه الفوضى. قد تكون هذه محاولة لاغتيالك.»

زأركيت:

– «لن أترك هذا القتال!»

– «إذن أنت تخاطر بهلاكنا جميعاً!»

أخيراً، تشقق قناع كاي البارد، ليرسل شظايا من الغضب الأبيض المستعر تتدفق في الهواء. تنهد محاولاً ضبط أنفاسه:

– «نحن نحتاجك حياً يا كيت. أنا أحتاجك حياً. فقط...»

توقف لبرهة، يستجمع شتات نفسه وهو يعيد تركيب قناعه البارد مجدداً:

– «ابق خارج هذه المعركة. من أجل المملكة. من أجلي.»

تبادلا النظرات، يتواصلان بصمت بالطريقة التي لا يتقنها سوى أخوان مقربان مثلهما. انتابني شعور مفاجئ بأن هذا الشجار معتاد بينهما، معركة إرادات تتكرر باستمرار.

راقبت وجه كيت يتقلص، وحصونه تنهار. راقبته وهو يستسلم.

– «حسناً. يبدو أن قدرتي هو البقاء دائماً خارج هذه المعارك، أليس

كذلك؟»

لم يُجب كاي، وبدلاً من ذلك أنزلني برفق على الأرض أمامه. ودون أن يلقي نظرة واحدة في اتجاهي، أمر الحراس:

– «خذوهما إلى غرفة آمنة مع الباقيين.»

ثم ركض عائداً إلى قلب المعركة، وعشرات القوى تومض على بشرته قبل أن يستقر على واحدة.

النار.



الفصل 22

بيكان

لم يتوقف كيت عن الذرع جيئةً وذهاباً منذ اللحظة التي دُفعنا فيها إلى هذه الغرفة الآمنة الخائقة. أقاوم رغبتي الملحة في طرحه أرضاً، وإجباره على أن يشرح لي ما يجري. وبدلاً من ذلك، راقبته وهو يتمتم ويدور في أرجاء الغرفة طوال الساعة الماضية. راقبت أصابعه وهي تشتعل كشموع متراقصة كلما تسرب منه غضبه المستعر، مستعرضاً قدرته المزدوجة (ديوال).

كست جسدي طبقة رقيقة من العرق، مما جعلني على الأرجح أبدو ككعكة محلاة لزجة. أجلس متكومة على أرضية الغرفة الآمنة المحاطة بالحجارة، ولم يكن الجدار البارد الملامس لظهري المكشوف سوى المتنفس الوحيد من حرارة الغرفة التي تسببت فيها عشرات الأجساد المتراسة معاً، والتي ترتدي جميعها فساتين ثقيلة وبدلات رسمية متصلبة.

أُحکم إغلاق الغرفة الآمنة بباب معدني ضخم، تحرسه عيون من الجانبين، ليحبس الرطوبة الخائقة هنا معنا. حُشرتُ أنا وكيت في ذات الغرفة التي يشغلها الملك والملكة، بالإضافة إلى معظم المتسابقين الآخرين وأي ضيوف آخرين تمكنوا من الوصول إلى هنا. إنها غرفة فسيحة نوعاً ما، وخالية من الزينة، ومكتظة بالبشر.



من بين هذا الحشد الغفير، لم يتواجد سوى اثنين من المعالجين (هيلرز) في هذه الغرفة المكتظة. كانا يتنقلان بنشاط، يعتنيان بالجرحى والمصابين بعد التأكد من سلامة الملك والملكة وكيث. وبعد فترة، تمايلت نحوي أخيراً سيدة بدينة ترتدي فستاناً أخضر داكناً، ولم تنبس ببنت شفة وهي تعالج جرح السكين في ذراعي. انعقد حاجباها بتركيز بينما شعرت بموجة من الدفء تتسرب إلى الشق، ونظرت لأسفل لأرى الجرح وقد اختفى تقريباً، ولم يتبق منه سوى ندبة وردية رقيقة.

لكن قلبي هو ما يؤلمني أكثر مما فعل الجرح، أشعر به ممزقاً ومقطعاً أكثر مما تعرض له جسدي في أي وقت مضى. لطالما راقبت والدي وهو يفعل الشيء ذاته لعدد لا يحصى من الناس. راقبته وهو ينقذ الأرواح. يداوي الجروح. يداوي جروحي أنا. كم أتمنى لو كان هنا ليداوي هذا الشيء المحطم والمشوه الذي بات عليه قلبي الآن. القلب الذي انكسر حين رحل وتركني. حين قُتل على يد الرجل الجالس في هذه الغرفة بالذات.

اندفعت عيناى نحو الملك والملكة، يتحدثان بنبرات خافتة ومستعجلة مع بعضهما البعض ومع قلة من المستشارين الموثوقين من حولهم. بلا شك يناقشون بحق الطاعون ما حدث بالخارج وما يجب فعله حياله. استُدعي كيت إلى جانب والده مرات لا تحصى ليتحدث بصمت مع المستشارين، لكنه بعد ذلك يجد طريقه دائماً للعودة إلى الذرع في أرجاء الغرفة.

انتزعت نفسي من بين جاكس وآندي اللذين كانا يتصببان عرقاً على جانبي، واعترضت طريق كيت.

قلت بغباء، لعجزي عن التفكير في مقدمة أفضل:

– «مرحباً.»

كاد يبتسم قبل أن يتنهد:

– «مرحباً.»

إذا أردت منه أن يتحدث إليّ، فيجب أن ألعب الدور ببراعة.

أخذت نفساً عميقاً قبل أن أضع يدي على ذراعه المكشوفة؛ فقد تخطى عن سترة بدلتها منذ فترة طويلة، وطوى أكمام قميصه البيضاء حتى مرفقيه. كانت بشرته حارقة، فخطفت يدي مصدرة فحيحاً خافتاً بينما انخفضت عيناى لأرى السنة اللهب الباهتة تلعق مفاصل أصابعه.

رمشت، فاخفتت النار، ولم تترك خلفها سوى بشرة خشنة.

اندفع كيت قائلاً وملامح الفرع تعلو وجهه:

– «هل حرقتك؟»

مد يده نحوي لكنه تراجع عن الفكرة، وتمرر أصابعه في شعره الفوضوي بدلاً من ذلك. غمغم وهو يولي وجهه شطري:

– «لا أستطيع حتى إبقاء قوتي اللعينة تحت السيطرة.»

قلت:

– «لا... لا، أنا بخير.»

لكنه رفض النظر إليّ. كانت يداه تعبثان بشعره وتنزلقان على وجهه.

تابعت:

– «مهلاً.»

لكن كلماتي وقعت على آذان صماء. وكان على وشك العودة لذرع الغرفة مجدداً.

أحتاجه أن يركز.

وبدافع مفاجئ، رفعت يديّ وكوّرت وجهه بين راحتيّ، ولم أشعر سوى بالدفع الطبيعي لبشرته تحتها. هيات نفسي لمواجهة تلك العينين، مدركة أنني بحاجة لفعل ذلك مقابل الحصول على إجابة. التقت نظراته بنظراتي؛ خضراء ونضرة كقطرات ندى تتشبث بعشب مقصوص حديثاً. كورقة برسيم رباعية جالبة للحظ، كزمردة تتلألأ تحت أشعة الشمس.

كعيني قاتل. عيني الملك.

تعثرت الكلمات خارج فمي، لتبدو كأمر أكثر مما قصدت:

- «تحدث معي.»

لذا تداركت نفسي مضيفة بسرعة:

- «أرجوك.»

تنهد وخفض رأسه قبل أن يمسك معصميّ برفق وينزلهما عن وجهه. ثم قادني نحو الزاوية الأقل ازدحامًا في الغرفة، ويداه الدافئتان تسحبانني لأجلس على الأرض بجواره قبل أن يسند ذراعيه على ركبتيه المرفوعتين.

قال كيت أخيرًا:

- «أنا آسف لأنني... مضطرب هكذا.»

لم أره يومًا بهذه الجدية، بهذه الصرامة، بهذه الهيبة الملكية.

تابع وهو يلفظ الكلمات كمن يمقت طعمها في فمه:

- «لا أحب أن يخوض الآخرون معاركي نيابة عني.»

قلت بصوت خافت:

- «أظن أن هذا شيء سيتعين عليك التعود عليه عندما تصبح ملكًا.»

أطلق سخرية مريرة:

- «تقصدين، أن أعود على مخاطرة أخي بحياته باستمرار بينما أجلس

أنا هنا متفرجًا؟»

بدا وكأن الحرارة تتموج من جسده، وتساءلت فجأة عما إذا كان هو

المسؤول جزئيًا عن هذا الجو الخانق في الغرفة.

رأيت ذلك حينها، خضرة عينيه التي تضاهي غيرته، وحسده. أمكنني

رؤية ذلك الجزء منه الذي يتمنى لو يندفع نحو المعركة وينقذ الموقف كأخيه.

يتمنى لو يكسب رضا والده بالقوة العضلية لا بالذكاء. يتمنى لو يكون هو

البطل، بدلًا من أن يكون الشخص الذي يحميه البطل.

ومع ذلك، لم أشعر بأي شفقة تجاه الفتى الماثل أمامي. فأنا تحسد كاي

يعني أن تحسد قاتلاً.

العبى الدور. تلاعبى به.

قلت ببطء:

– «ما أقصده، هو أن لك واجباتك، ولكاي واجباته. كلاكما تقاتلان من أجل مملكتكما، ولكن بطرق مختلفة.»

أدركت أنه لم يقتنع، لكنه منحني ابتسامة على أي حال، ابتسامة كادت أن تلامس عينيه.

قال:

– «ستكونين مستشارة بارعة، هل تعلمين ذلك؟»

– «حسنًا، ربما إذا نجوت من هذه التصفيات، يمكنك توظيفي.»

ضحك بخفوت على ذلك، فبادلته ابتسامة صغيرة.

تنهدت وأضفت:

– «رغم أن المستشارين يُفترض بهم معرفة ما يجري، وأنا بحق الجحيم لا أعرف شيئًا.»

هيا. أخبرني. ثق بي.

تنهد كيت قائلاً:

– «ماكرة. حسنًا، تستحقين معرفة ما يجري، خاصة وأن أحدهم كاد أن يقطع ذراعك.»

مرر إبهامه فوق الندبة الرفيعة على ذراعي المكشوفة، وعيناه تتتبعان أثرها. انكمشت مبتعدة عن لمستته، ولم تمر حركتي تلك دون أن يلاحظها.

تنحني كيت ومال مبتعداً عني.

قال بصوت خفيض وثابت، قاصداً أن أسمعه أنا فقط:

– «يطلقون على أنفسهم اسم المقاومة. إنهم مجموعة من العاديين الذين ظلوا يتجمعون لسنوات. يقاتلون ضد الملك والمملكة بسبب ما اقترُف بحق

بني جنسهم.»

بني جنسهم. بني جنسي.

أجبرت نفسي على ابتلاع اشمئزازي والإصغاء إليه وهو يتابع:
 - «في البداية، لم يشكوا بالكاد أي تهديد، كانوا مجرد أضحوكة لثورة.
 لقد أبقينا أمر هذه المجموعة الصغيرة سرًا، وأخفيناها عن الشعب لبضع
 سنوات حتى الآن. لم يكن الأمر صعبًا حتى الآونة الأخيرة. لكن من الواضح
 أنهم باتوا أكبر وأقوى من ذي قبل.»
 أعتقد أنني توقفت عن التنفس. لم أعد أسمع سوى دويّ الدم في أذني وأنا
 أستوعب ثقل كلماته.

مجموعة من العاديين يقاتلون ضد الملك والمملكة.
 خرجت الكلمة مبحوحة، وكادت تضيع وسط ثرثرة الغرفة:
 - «كيف؟ كيف توجد مجموعة بهذا الحجم من العاديين؟ كيف باتوا
 يشكلون مثل هذا التهديد الآن؟»
 أجاب مطلقاً تنهيدة ثقيلة:

- «على ما يبدو، كان هناك عدد أكبر بكثير من العاديين يختبئون في إيليا
 مما كان متوقعًا بعد نفيهم، وطالما أنهم يتكاثرون هنا في المملكة، فإن أعدادهم
 ستستمر في التزايد. لكن يبدو أن المقاومة تمثل قضية أكثر من كونها مجرد
 مجموعة. إنهم منتشرون في جميع أنحاء المدينة، يختبئون على مرأى من
 الجميع. مما يجعل الأمور أكثر صعوبة بكثير نظرًا لأنهم غير مجتمعين في
 مكان واحد. وما هو أسوأ، أننا لا نعتقد أنهم يعملون بمفردهم.»

رفعت حاجبي متسائلة، فتابع:

- «لديهم أفراد من النخبة يعملون معهم. أفراد أقوياء. أفراد حانقون
 أيضًا على والدي، وعلى المملكة.»
 تجعدت جبهتي في حيرة، محاولة فهم ما يعنيه. ثم اتضحت الصورة،
 تمامًا حين نطق كيت بما استنتجته للتو.

- «القاتلين (فاتالز). الخامدين (سايلنسرز)، وقراء العقول (مايند
 ريدرز)، والمتحكمين (كونترولرز). لقد نفاهم والدي جنبًا إلى جنب مع
 العاديين خلال التطهير بسبب مدى خطورتهم، حتى على أفراد النخبة

الآخرين، وهو لا يحتفظ سوى بواحد من كل فئة في بلاطه ممن يدينون بالولاء له. لكن لا يزال هناك بعضهم في الخارج، ولدينا حالياً واحد في الدجن أسفلنا.»

أوماً إلي بابتسامة صغيرة وأضاف:

– «يعود الفضل لك في ذلك.»

الخامد.

قلت ببطء وأنا أحاول تجميع خيوط اللغز:

– «مهلاً، إذا كان القاتلين (فاتالز) يعملون حقاً مع المقاومة، فلماذا لم

يشاركوا في الهجوم؟ كانوا سيُلحقون دماراً أكبر بكثير لو فعلوا ذلك.»

مرر كيت يده في شعره:

– «لسنا متأكدين. ربما لم يكونوا ينوون الهجوم. لقد كانوا غير

مستعدين وأقل عدداً بشكل هائل، مما يجعلني أتساءل عن سبب مجيئهم إلى

هنا في المقام الأول.»

سقطت الكلمات من فمي، ولم يسعني فعل شيء لإيقافها:

– «وما رأيك أنت في هذه المقاومة؟»

– «ما رأيي في هؤلاء المجرمين؟»

زفر من أنفه وهز رأسه.

– «أنا... أنا أتفهم الأمر. أعتقد أنه خطأ، لكنني أتفهم لماذا يفعلون ذلك.»

نظر مباشرة في عيني.

– «لكن إذا سُمح لهم بالعيش، فإن عرق النخبة سيموت ببطء. من يدري

كم عدد أفراد النخبة الذين أُصيبوا بالعدوى بالفعل بسبب العاديين المختبئين

بينهم؟ أنا واثق من أن الناس قد بدأوا بالفعل في الشعور بالآثار، بضعف

قواهم.»

توقف لبرهة متنهداً:

– «تضحية العاديين ضرورية من أجل الصالح العام للمملكة.»

صحيح. لقد نسيت أنني حامله للمرض.

تأملته، ممتصة ملامح وجهه القوية التي حُفر عليها الآن التوتر والإرهاق. سألته:

– «وهل هذا ما تؤمن به؟»

أعلم أنه كان ينبغي لي أن أطبق فمي، أن أومئ برأسي موافقة بدلاً من المخاطرة بالتفوه بالخيانة. لكن شيئاً ما في هذا الفتى يستحضر طيشي، حاجة ملحة لأريه كم هو مخطئ، وكم هي ملتوية مملكته.

قال بهدوء وهو ينظر في عيني حتى أشحت بنظري بعيداً، لعجزي عن تجاهل صورة قاتل والدي فيهما:

– «هذا ما أعرفه.»

– «ومع ذلك، يمكنك أن تعرف شيئاً ولا تؤمن به.»

بدا صوتي مهتزاً، و تمنيت أن يظن أن ذلك نابع من الخوف وليس الغضب.

– «لديك خيار يا كيت. لديك خيار دائماً.»

ضحك، لكنها كانت ضحكة خالية من أي مرح.

– «لو كان لدي خيار دائماً، لما كنت في هذه الغرفة الآمنة. لكنت

بالخارج، أقاتل جنباً إلى جنب مع أخي.»

سقطت عيناوي على السنة اللهب المتراقصة فوق أصابعه، والتي فضحت إحباطه. رفعت رأسي وأخذت نفساً قبل أن أنظر في عينيه:

– «ألا تريد أن تكون ملكاً؟»

لم يتردد قائلاً:

– «أنا لا أريد أن أكون جباناً.»

أجبرت نفسي على مبادلة النظرات، ورأيت كل الحيرة والتفكير ينعكسان فيها.

تابع:

– «لم يسألني أحد هذا السؤال من قبل.»

قلت وأنا أشيخ بنظري عنه:

– «نعم، حسنًا، ستكتشف أنني غالبًا ما أطرح أسئلة لا ينبغي لي طرحها.»

قال بسرعة وهدوء:

– «لا تتوقفي.»

انزلت نظراتي عائدة إليه لتستقر على الزر العلوي لقميصه.

– «أسئلتك، أفكارك، تناقضاتك – أريد أن أسمعها كلها.»

فتحت فمي لأرد حين هبت لفحة من الهواء البارد على وجهي، وانفتح الباب المعدني السميكة محدثًا صليلاً مدويًا. التفتُ بسرعة نحو حفنة الإمبراطوريين الذين تدفقوا إلى الغرفة، متوجهين نحو الملك والملكة. قال الحارس بصوت أجش، ورأسه منحني تجاه الملك الذي أومأ باقتضاب:

– «تم تأمين قاعة الرقص يا صاحب الجلالة.»

لو أردت النظر في عينيه، فأنا واثقة من أنني سأرى كل الأسئلة تسبح فيهما. أسئلة حول عدد القتلى، وعدد العاديين الذين أُسروا، وحجم الأضرار. لكنه لا يجرؤ على البوح بأفكاره، ليس أمام الحضور، وخصوصًا عندما لا يزال يحاول إخفاء حقيقة ما يجري.

نهض الملك من كرسيه الخشبي الكبير وتنحني، ليُسكت الغرفة التي كانت هادئة بالفعل.

قال:

– «ما حدث اليوم كان مؤسفًا، وأؤكد لكم أنه لن يتكرر.»

كدت أطلق شخيرًا ساخرًا من هذا الوعد الأجوف.

– «لكننا لن ندع هذا الحادث يخيفنا، أو يشلنا، أو يتحكم بنا. ولهذا السبب، ستستمر التصفيات كما هو مقرر.»

عند ذلك، سرت همهمات مصدومة بين الحشود، رغم أنني لا أستطيع القول إنني متفاجئة. إنه بحاجة للحفاظ على واجهته القوية، وألا يُظهر أي خوف.

توقف الملك، ومسح الغرفة المكتظة بتلك النظرة الخضراء التي أتجنبها: – «نحن أفراد النخبة. نحن القوة. «الشرف لمملكته، لعائلته، ولنفسك.»»

رددت جموع الناس من حولي كلماته، يتلون شعار إيليا. تحركت شفطاي معهم، ألعب دور المتسابقة، تلك التي تتشرف بوجودها هنا. تلك التي تُعد من أفراد النخبة مثلهم تمامًا.

بدأ الحراس في توجيه الضيوف والنبلاء خارج الغرفة الخانقة، وكدت أسحق تحت الكعوب المدببة والأحذية اللامعة من حيث كنت لا أزال جالسة على الأرض قبل أن أهرع للوقوف على قدمي. كان صوت كيت متوترًا ومرهقًا:

– «أتمنى لو كان بإمكانني مرافقتك إلى غرفتك، لكن للأسف، سأستبدل هذه الغرفة الخانقة بأخرى. من المرجح أن يعقد والدي اجتماعات معي ومع كاي حتى بدء التصفية الأولى، لمناقشة الأحداث التي وقعت الليلة.»

– «لكن الحراس سيتأكدون من وصولك بسلام إلى غرفتك، ليس وكأن هناك أي تهديد حقيقي الآن.»

انزلقت عيناه نحو الخنجر الذي يعانق فخذي، والمعرض ليراه الجميع. – «وحتى لو كان هناك تهديد، فأنا واثق من أنك قادرة على حماية نفسك جيدًا.»

منحني ابتسامة بالكاد تمكنت من مبادلتها.

شردت عيناه عني لتستقرا على شيء آخر بالقرب من مؤخرة الغرفة.
تتبع نظراته لأجد أن الملك والملكة يحدقان بي مباشرة. كان الملك يراقبني
بعينين ضيقتين، وتطلب الأمر كل قوتي وتدريب لي لا أرمقه بنفس النظرة.

اخترق صوت كيت أفكاري:

– «سأراك بعد التصفية.»

وكرر:

– «سأراك بعد التصفية. أنت تتوقعين النجاة من هذا، أتذكرين؟»

خففت رأسي وابتسمت رغماً عني.

إذا خرجت من هذه التصفية الأولى حية، فأنا أعرف تمامًا ما سأفعله.
سأعثر على المقاومة.

وبفضل الفتى ذي الشعر المجعد والرسالة التي نشتها منه، أعرف تمامًا
أين سيكونون.

قلت لذلك الزر العلوي في قميصه قبل أن ألتقي بعينه للحظة وجيزة:

– «أراك حينها.»

كانتا تحملان دفناً وقلقاً معينين، وتبدوان أقل شبهاً بعيني والده مع كل
رمشة.

دُفعت نحو الباب وسط تيار من الأجساد البشرية وأجثت إلى الردهة.
كانت الممرات تعج بالحراس والضيوف، يهرولون جميعاً من مكان إلى آخر.
سُقت عبر الردهة، وابتلعني بحر من البشر حولي. مررنا بالأبواب المشققة
لقاعة الرقص، ومن خلالها، أمكنني رؤية الحطام واللون الأحمر يلطخ
الأرضيات.

يرفض فضولي تحرير من براثنه.

لم يكن من الصعب التسلسل بعيداً عن الإمبراطوريين، وعن المجموعة. لقد
أتقنت فن التخفي والمرور دون أن يلاحظني أحد. وسرعان ما كنت أدفع أبواب
قاعة الرقص، بينما كان الحراس غافلين تمامًا وسط هذه الفوضى.

استقبلتني الدماء. أو بالأحرى، بقاياها. لا تزال بقع الدم الداكنة تلتخ أجزاء من الأرضية، وقد نُظف معظمها بالفعل بنوافير المياه من قبل المائين (هايدرون) الذين يجولون في المكان، ولم يتركوا في أعقابهم سوى الحجر اللؤلؤي. كان المحركون ذهنياً (تيليز) يخلون قاعة الرقص من قطع الحطام الثقيلة، بينما تلاعب العاصفون (جاستس) بالهواء من حولهم لينفثوا كل الركام والغبار من الأرضية. في لمح البصر، سيتم إصلاح الغرفة، وإعادتها إلى حالتها الأصلية النظيفة. وكأن شيئاً لم يحدث.

كنت على وشك التسلل عائدة عبر الباب حين لفتت انتباهي كتلة من الشعر الأسود الفوضوي. كان جالساً - لا، بل متكوماً - على لوح حجري ضخم بالقرب من الطرف البعيد لقاعة الرقص، متسخاً ومترنحاً في الدماء. طرق قلبي بعنف ضد قفصي الصدري.

إنه مصاب. والأهم من ذلك، لماذا أهتم؟

تعثرت وأنا أنزل الدرج، متخطية درجتين في كل خطوة. كدت ألتوي كاحلي في تلك الآلة القاتلة التي تدعى كعبي العالي قبل أن أركل حذائي عن قدمي بافتقار للأناقة، تاركة إياه يتدحرج أسفل الدرج قبل أن أوشك على فعل الشيء نفسه.

فجأة، وجدت نفسي أمامه، بعد أن عبرت قاعة الرقص في غضون ثوانٍ. جثوت على ركبتيّ، ناظرة إلى وجهه الملطخ بالدماء والملطخ بالتراب. بدت عيناه الرماديتان مندهشتين للحظة واحدة فقط قبل أن تبدأ في تفحصي، باحثة في جسدي عن أي إصابات كما كنت أفعل أنا معه تماماً.

اندفعت الكلمات من فمي:

- «ماذا حدث؟ أين أصبت؟»

نظرت حولي، ماسحة الغرفة:

- «وأين هم هؤلاء المعالجون اللعناء؟»

- «آه يا جراي. أنت بالضبط الشخص الذي أردت رؤيته.»

طحن الكلمات من بين أسنانه المصروفة، رغم أنه لا يزال يتصرف بهدوئه ورباطة جأشه المعتادة.

– «ماذا حدث؟»

طالبت بإجابة، وأنا أتأمل ملابسه الممزقة وصدره المكشوف تحتها، والذي بات الآن مغطى بالشقوق. كانت يداه ومعظم جسده مغطاة بالدماء، رغم أنني واثقة من أن معظمها لا يخصه حتى.

– «قبل أن نصل إلى ذلك...»

قال وهو يكافح لمنع تجهم الألم من احتلال ملامحه:

– «هل وصل إليك معالج (هيلر)؟»

أصبح جدياً فجأة، ناسياً ألمه بينما مسحت عيناه جسدي مرة أخرى. كنت في حيرة وانزعاج منه في آن واحد – وهو أمر شائع الحدوث، على ما يبدو.

– «ماذا؟ نعم. أنا بخير.»

تجاهلت سؤاله واقتربت منه أكثر، ويدي ممدودتان قليلاً:

– «لكن من الواضح أنك لست كذلك.»

– «وها أنا ذا أظن أنك تكرهينني وتكرهين غمازتي الغبيتين. أنا متأثر

لأنك تهتمين بصحتي إلى هذا الحد يا جراي.»

حتى وهو يتألم بوضوح، لا يزال يجد طريقة للابتسام بخبث. إلى جانب كونه وغداً من الطراز الأول.

– «أوه، لا تسيء فهم دوافعي أيها الأمير. أنا فقط أريد إبقاءك حياً لفترة

كافية لأتمكن من لكم تلك الابتسامة الماكرة عن وجهك. مرة أخرى.»

لم يكن في كلماتي سوى القليل من الحدة، فأطلق ضحكة وهو يغير جلسته على الحجر، كاشفاً لي عن المزيد من ظهره.

شهقت فزعة:

– «بحق الجحيم، ما خطبك؟!»

– «عزيزتي، هذا سؤال معقد للغاية.»

تجاهلت تعليقه، عاجزة عن إشاحة نظري عن سكين الرمي المدفون بعمق في لحم لوح كتفه الأيمن.

تلعثمت قائلة:

– «كان لديك سكين مغروز في ظهرك طوال هذا الوقت وتركتني أثرثر وحسب؟»

ظهرت غمازة مرافقة لابتسامته الملتوية:

– «أوه، لكن صوتك كان تشتيتاً مرحباً به للغاية عن الألم.»

مرة أخرى، تجاهلته قبل أن أقف على قدمي لأتفحص السكين المقطع بعمق في ظهره.

تنهدت وغمغمت:

– «أجل، حسناً، الآن يتسنى لك سماعي وأنا أخبرك بأنك أحمق تماماً.»

قال بسلاسة، وكأنه غير منزعج على الإطلاق من قطعة المعدن التي تخترق جسده:

– «لا يزال هذا من ألطف الأشياء التي قلتها لي، لذا سأقبله.»

لا أستطيع حتى تخيل حجم الألم الذي مر به ليجعل هذا الجرح يبدو محتملاً إلى هذا الحد.

قلت ببطء:

– «حسناً، أخبرني ماذا أفعل.»

كانت ضحكته مجعدة:

– «تقولين ذلك وكأنك ستستمعين إليّ حقاً لمرة واحدة.»

– «كاي، أنا على وشك غرز سكين آخر في ظهرك إذا لم...»

– «أحتاجك فقط أن تسحبني.»

رمشت بصدمة. قالها ببساطة لدرجة أنني كدت أظن أنه يمزح.
- «إذن نحن بحاجة إلى معالج (هيلر) هنا، مستعد لالتئامه بمجرد خروج
السكين.»

أطلق ضحكة متوترة، وتحركت العضلات تحت قميصه الممزق.
- «أشعر بالإهانة لأنك تشكين في قدراتي إلى هذا الحد. هناك معالج
ليس ببعيد عني. يمكنني استشعار قوته. سأعالج نفسي.»
- «صحيح. حسناً.»

أخذت نفساً عميقاً وقبضت على مقبض السكين.
- «هذا سيؤولم.»
قال:

- «تعلمين، من المؤسف أننا لم نتمكن من إنهاء رقصتنا قط. كانت المرة
الأولى التي أتمكن فيها حقاً من التركيز عليك بدلاً من تفادي دعسات
قدميك...»

انتزعت السكين في حركة واحدة سلسة. تأوه وانثنى جسده على الحجر.
ابتسمت بخفة، بعد أن انتقمت منه لما قاله عن رقصي، مهما بلغت صحة
ادعائه.

تخطيت الأنقاض وجثوث أمامه، ووجهي قريب من وجهه وأنا أراقب الألم
يكتسح ملامحه الوسيمة. قلبت السكين في يدي، والذي كان لا يزال زلماً
بدمائه.

- «أخبرني، هل آلمك ذلك بقدر دعسات قدمي؟»

كانت ضحكته خشنة ومتألّمة. وقفت على قدمي وراقبته وهو يمد يده حول
كتفه، ضاعطاً إياها فوق الجرح الذي ينزف دمًا بغزارة الآن. حدقت مذهولة
والجلد الممزق يخيظ نفسه من جديد. حدقت واللحم والعضلات تتشكل من
جديد أمام عيني، ولم يتبق سوى ندبة مسننة لتنضم إلى الندوب الأخرى
المتناثرة على ظهره.

تسرّب التوتر من كتفيه المتصلبتين وتنهد بارتياح:

– «أفضل بكثير. شكرًا لك.»

كنت أتساءل عن مدى ندرة خروج هاتين الكلمتين الأخيرتين من فمه حين ارتفعت زاوية شفّتيه، وانتصب واقفًا على قدميه.

– «من كان ليعلم أنك ستكونين من يسحب سكينًا من ظهري، ولست من يغرسه فيه.»

– «لا يزال هناك متسع من الوقت لذلك، لا تقلق.»

ابتسم، لتومض أسنانه البيضاء وسط ملامحه الملطخة بالأوساخ. ثم أدار رقبته وتمدد، متصرفًا وكأنه لم يكن مخترقًا بنصل معدني منذ لحظات قليلة.

امتدت راحة يده فجأة نحوي بتوقع، وحدقت في مسامير يده الخشنة بفرغ. وحين لم أبد أي حركة، خفض يده ببطء نحو يدي المتدلّية بجانبه، وأطبقت أصابعه الخشنة حول معصمي.

تسارعت نبضات قلبي ولعنت هذا العضو الغبي. سحب ذراعي، يدي، نحوه – اليد التي لا تزال تقبض على سكين الرمي. ثم مرر يده الأخرى على راحة يدي، منتزعًا المقبض برفق من بين أصابعي.

قال بنبرة خافتة، ويده لا تزال ملتفة حول معصمي حيث يمكنه على الأرجح الشعور بنبضي الغبي المتلعثم تحت أصابعه:

– «لديك ما يكفي من هذه لغرسها في ظهري، ألا تعتقدين ذلك؟ لذا، أعتقد أنني سأحتفظ بهذا.»

تراجعت عن قبضته، لشعوري بالحاجة إلى وضع بعض المسافة بيننا.

سألته ببساطة لأنني لم أستطع التفكير في أي شيء آخر لقوله:

– «أليس لديك اجتماع مهم يُفترض أن تكون فيه الآن؟»

– «ربما.»

تنهد ممرًا يده في شعره:

– «أفترض أن كيت أطلعك على الأمر.»

أومأت برأسي قبل أن يضيف:

- «سيستمر والدي في إجراء التصفيات. خطوة لاستعراض القوة بالطبع. وسيحتاج أخيراً إلى إبلاغ الشعب بما يجري. لا يمكنه إخفاء ماهية المقاومة وهويتها بعد الليلة.»

تنفست بصعوبة قبل أن أشعر بالانزعاج المفاجئ منه حين تذكرت ما فعله.

- «ماذا حدث؟ ماذا حدث بعد أن حملتني جسدياً وأخرجتني من هذه الغرفة كوغد، رغم أنه كان بإمكانني المساعدة؟»
انفجر ضاحكاً في وجهي:

- «يبدو أنك تستمرين في نسيان من أكون يا جراي.»

- «أعتذر يا صاحب السمو. ماذا حدث بعد أن حملتني جسدياً وأخرجتني من هذه الغرفة كوغد ملكي؟»
- «حسناً، هذا تقدم على ما أظن.»

ابتسم وهو يتفحصني مجدداً بتلك النظرة الثاقبة:

- «وللإجابة على سؤالك، لم تكن تلك معركتك. ناهيك عن أنني لم أستطع المخاطرة بموت متسابقة قبل أن تبدأ التصفية الأولى حتى.»
كانت ضحكتي مريرة:

- «أنت تعلم جيداً أنني أستطيع الاعتناء بنفسى...»
قاطعني:

- «وأنت تعلمين جيداً أنني استطعت الاعتناء بالأمر، بنفسى.»
- «لقد طُعنْتَ، أتنذكر؟»
- «مخاطر المهنة.»

حدقنا في بعضنا البعض، ووجوهنا متقاربة. كان بإمكانني شم رائحة العرق، والدم، والأوساخ عليه، إلى جانب رائحة الصنوبر الخفية التي لا تزال

عالقة ببشرته. كنت أتنفس بصعوبة، وبعد لحظة طالت أكثر من اللازم، أخذت أخيراً خطوة مبتعدة عنه.

سألته ببطء:

– «كم عدد الضحايا؟»

أشاح بنظره عني، وسحب نفساً عميقاً قبل أن يقول:

– «لقي اثنان فقط من أفراد النخبة حتفهما، وأصيب كثيرون. قُتل أربعة من العاديين، وأسر اثنان فقط.»

عادت عيناه لتلتقي بعيني وهو يضيف:

– «كان هناك أقل من دزينة من العاديين في البداية، مما يجعلني أتساءل عن مهمتهم الحقيقية لأنني لا أصدق أنها كانت مهاجمة قاعة رقص تعج بأفراد النخبة.»

أومأت برأسي شاردة الذهن، وأنا أستوعب المعلومات:

– «إذن، هرب بعضهم؟»

ارتعشت عضلة في فكه:

– «لسوء الحظ.»

ومع ذلك، بدأ يتراجع مبتعداً عني، وعيناه لا تفارقان عيني قط:

– «سأراك غداً يا جراي.»

– «أراك غداً يا آزر.»

استدار أخيراً، وشق طريقه عبر قاعة الرقص بينما كنت أراقب هيئته المبتعدة.

ثم نادى من فوق كتفه:

– «أسدي لي صنيعاً يا عزيزتي؟»

– «وما هو؟»

– «عديني بأن تبقي على قيد الحياة لفترة كافية لتطعنيني في ظهري؟»

ضحكت بصوت عالٍ:
- «لقد كان هذا هدفي طوال الوقت أيها الأمير.»



الفصل 23

كاي

كدت أبتلع ملء فمي من التراب الرطب. ترفرفت عيناى لتنتفتحا، وسعلت في التربة المبللة تحتي، والتي بللت ملابسي وجعلتها تلتصق بجسدي على نحو مزعج. تدرجت على ظهري، ساحقاً تحتي الطحالب والأغصان والحجارة، بينما أرمش في وجه أشعة الشمس المتسللة عبر الأشجار الشاهقة المتطاولة.

بحق الطاعون، أين أنا؟

أيقظني لحن زقزقة العصافير من سباتي الثقيل والعميق. سبات مخدر. تتزاحم الأشجار في كبد السماء الزرقاء الزاهية فوقى، ومعظمها أشجار صنوبر شاهقة ومنذرة بالشؤم، تمد أصابعها المورقة عالياً لتعانق السحب – وأنا أستطيع تمييزها في أي مكان. فالمرء يألف الأشجار التي يُجبر على تسلقها مرات لا تحصى ليتغلب على خوفه من المرتفعات.

غابة «الهمسات».

أنا في الغابة اللعينة.

نهضت على قدمي، شاعراً بالدوار، والإنهاك، وتأثير المخدر. دفعني ضغط غريب على ساعدي الأيمن للنظر لأسفل، لأرى شريطاً جليداً رقيقاً يلتف



حوله، وقد لُحمت نهايته معاً بإحكام. لو كان أضيق قليلاً لقطع الدورة الدموية تماماً، ولجعل ذراعي بلا فائدة تُذكر.

تلفحني الشمس بحرارتها بينما أدور ببطء في مكاني، ماسحاً محيطي. لا يوجد شيء ولا أحد سوى الأشجار، والصخور، وأرض الغابة الوعرة تحتي، تحاصرني بأوراقها.

بحق الجحيم، لماذا أنا في غابة «الهمسات»؟

من الواضح أنني كنت أعلم أن التصفيات لا تزال مستمرة. فذلك، بالإضافة إلى المقاومة، كان كل ما تحدثنا عنه لساعات الليلة الماضية. قاعة العرش هي المكان الذي أمضيت فيه مسائي وساعات الصباح الباكر، برفقة كيت، والملك، ومستشاريه.

حلقي مبحوح ومحتقن من الساعات الطويلة التي قضيناها في الجدل ومناقشة أفضل مسار للتعامل مع هذه المقاومة، مع هذا التهديد. والآن، أكثر من أي وقت مضى، أنيطت بي وبرجالي مهمة العثور على أفراد هذه المقاومة والقضاء عليهم.

حاولت نفخ كتل التراب التي لا تزال عالقة بملابسي وأنا أتأمل هذا المكان المألوف، والمخيف في آن. غابة «الهمسات» ليست غابة خيالية وديعة؛ فوحوش مميتة تتربص في أراضيها الشاسعة، ونباتات أشد فتكاً تنبت من تربتها. وأنا أدرك ذلك جيداً، إذ أمضيت ليالي طوالياً أتدرب هنا بينما ينبح والدي بالأوامر وكأنني جندي من جنوده، لا ابنه.

ولكن لماذا أنا هنا الآن؟

توقعت على الأقل أن أستيقظ في سريري، وربما أستجوب بعض الأسرى قبل أن أضطر لشق طريقي إلى الصحن من أجل التصفية الأولى. لكنني بحق الجحيم لم أكن أتوقع أن أخدر وأُسحب إلى الغابة.

مختلفة.

هذا ما قالته تيالاً. لم يسبق قط أن أُقيمت تصفية خارج حلبة الصحن، حيث لا يمكن للجمهور الحضور للسخرية منا أو الهتاف لنا.

طقطق غصن، فاستدّرت بسرعة متخذاً وضعية قتالية. حدقت في الرجل النحيل الذي يبعد عني بضع عشرات من الأقدام، مرتدياً ملابس بيضاء بسيطة تتناقض مع بشرته الداكنة. بادلني النظرات، وعيناه زجاجيتان لا ترمشان. متبصر.

شعرت بها حينها. وخز قوته تحت بشرتي. كنت منشغلاً بأفكاري لدرجة أنني لم أشعر بقدرته؛ تلك القدرة على تسجيل وعرض ما يراه باستخدام عينيه فقط. وهذا بالضبط ما يفعله الآن.

لطالما وجدتهم مثيرين للاضطراب بطريقة تحديقهم دون أن يمشوا حين يسجلون ما يرونه، لكنني اعتدت عليهم لوجود العشرات منهم دائماً في التصفيات. يركضون حول الصحن، ليوثّقوا الأحداث والمتسابقين، مستخدمين قدراتهم لعرض ما يشاهدونه على شاشات ضخمة معلقة عالياً فوق أرضية الحفرة.

ويبدو أنهم يفعلون الشيء ذاته في هذه النسخة من التصفيات. غير أنه لا يعرض ما يراه حالياً، بل يخزن الصور لوقت لاحق. لا بد أن هناك العشرات منهم، يركضون جميعاً في أرجاء الغابة، متتبعين المتسابقين وموثقين التصفية الأولى ليعاد عرضها للجمهور حين ينتهي هذا كله.

لم أخط خطوة واحدة نحوه. يُمنع منعاً باتاً التفاعل مع المتبصرين، أو لمسهم بأي شكل من الأشكال أثناء التصفيات. فهم ببساطة يمثلون عيون وآذان الجمهور الذي لا يستطيع الحضور ليرى بنفسه.

رمش الرجل أخيراً، وصفت عيناه قليلاً بعد أن حصل على ما يبدو على كل اللقطات التي أرادها لي. تحرك مبتعداً، ولا شك أنه ذاهب لجمع صور أخرى أو تعقب متسابقين آخرين. لكنه توقف في منتصف خطوته، وربت بأصابعه الطويلة الداكنة ببطء على جيب سرواله، محتفظاً بتواصلنا البصري قبل أن يهرول عائداً إلى الغابة.

حدقت في أثره قبل أن أشيح بنظري وأنظر لأسفل نحو جيبي. لقد ألقوا بي هنا بما كنت أرتيه فقط حين ترنحت إلى سريري، باستثناء الحذاء الذي

تفضلوا بإلباسه لقدمي. وبخلاف ذلك، لم يُضف إلى جسدي سوى إكسسوار واحد - ذلك الشريط الجلدي الغريب حول ذراعي. شكرت الطاعون في صمت لأنني أبقيت قميصي الرقيق عليّ الليلة الماضية، إذ كنت منهكاً لدرجة منعني من خلعه.

مددت يدي إلى جيب سروالي الرقيق، وأطبقت أصابعي على قصاصة ورق خشنة. فردتها بحذر، لتكشف عن خط يد دقيق ومزخرف:

مرحباً بك في التصفية الأولى،
في غابة الهمسات سيكون الميدان.
نأمل أن تطيب لك الإقامة،
في لعبة الشرف وعزة الإنسان.
الهدف من هذه اللعبة جليّ وصريح،
وللفائز سنصيح بالهتاف والمديح.
حقق النصر بجمع الشرائط من الأعداء،
تلك التي تستقر عالياً فوق أيدي الخصماء.
اجمعها ممن طُوقت أذرعهم بها،
واحذر إن عُدت خالي الوفاض منها.
إن أردت الفوز، فلا بد أن تملك النصيب الأوفر،
وحينها بمجدك سنتباهي ونفخر.
لكن النهاية تقترب وتدنو،
بسته أعمار فقط لتلعب وتنجو.
مرحباً بك في عام التصفيات السادس،
وصل للطاعون أن تبقى .. وأن تنجو.

تبدو مهمة سرقة أكبر عدد ممكن من الشرائط بسيطة نوعاً ما؛ هذا إن تمكنت من البقاء على قيد الحياة في الغابة لأسبوع كامل. لكنني قرأت ما بين سطور القصيدة.

إنهم يجبروننا على قتال بعضنا البعض.

لن يتخلى أحد عن شريطه بسهولة. لقد سُفكت دماء من أجل أشياء أقل شأنًا بكثير من حزام جلدي في هذه التصفيات. كورت الورقة في قبضتي، ودسستها عميقاً في جيبي قبل أن ألقى نظرة على شريطي الجلدي الذي يطوق عضلة ذراعي. محكم. محكم لدرجة أن الطريقة الوحيدة لانتزاع هذه الأشياء التي تخلق عنها الطاعون هي بقطعها من الجلد، مما سيسيل الدماء حتماً مهما بلغت دقة المحاولة.

إنه أمر متعمد، ونكي.

لقد تفوق والدي على نفسه هذا العام.

تساقطت قطرات العرق على حاجبي لتوسع عيني. قد تضاهي هذه الحرارة تلك التي تضرب الاراضي المُحرقة، فخلعت قميصي لأمسح به وجهي الزلق. حلقي جاف بالفعل، متلهب من خبزه تحت شمس الصباح. إيجاد الماء أولاً. ثم الخصوم ثانياً.

توقفت، وقدمي تسحقان النباتات والتراب الخشن تحتي. تنهدت، ونظرت لأعلى نحو إحدى أشجار الصنوبر المندرة بالشؤم التي تعترض طريقي. هزرت رأسي وكتفي، محاولاً التخلص من توتري. ثم قبضت على أدنى غصن وأرجحت ساقي لأعلى.

نعم، لقد تسلقت هذه الأشجار مرات لا تحصى، ونعم، لقد تغلبت على خوفي من المرتفعات. لكن مجرد قهرك لخوف ما لا يعني أنه من الممتع مواجهته مراراً وتكراراً. ومع ذلك، ها أنا ذا أتسلق الشجرة، متسلقاً غصناً تلو الآخر.

تعصف الرياح وتعمي الشمس الأبصار بينما أواصل الصعود عبر شجرة الصنوبر بحثاً عن الماء. وبعد دقائق، أو ربما ساعات، وبأطراف تؤلمني وقلب

يتسارع نبضه، وصلت أخيراً إلى القمة. حسناً، إلى الغصن الأخير القادر على تحمل وزني. أنا الآن معلق في الهواء على ارتفاع بضع مئات من الأقدام، لا يحملني سوى غصن كبير تحت قدمي. نظرت لأسفل، وللأسف ندمت على الفور.

تماسك يا كاي.

أن أسقط لحتفي أثناء التصفية ستكون طريقة مثيرة للشفقة للموت، وستدمر سمعتي تماماً، حتى في قبري. واضحاً ذلك في الحساب، تشبثت بجذع الشجرة الذي بات ربيعاً جانبي، بينما استرقت النظر عبر الأوراق وفوق مظلة الأشجار.

شعرت وكأنني عدت إلى قاعة الرقص، أطل على بحر من درجات اللون الأخضر المتنوعة. أغصان مثقلة بالأوراق تتمايل في مهب الريح كتلك النساء الأنيمات اللواتي كن يتمايلن على حلبة الرقص بالأمس فقط. هناك.

مسحت عيناى صدعاً بين خط الأشجار، وقفة في رقصة أوراقها. شريط فضي لنهر، أو جدول، أو مصدر للمياه. في هذه اللحظة، لا أهتم حتى لو كانت بركة لعينة.

شقت طريقي بشق الأنفس عائداً إلى الأرض الصلبة، وأنفاسي تخرج في لهات متسارع. وبحلول الوقت الذي لامست فيه قدماي التربة، كانت الشمس قد زحفت عبر كبد السماء، لتخبرني أن الوقت قد بلغ أواخر ما بعد الظهيرة بالفعل.

وبعدها انطلقت. انطلقت باتجاه الماء الذي يتوق إليه كل متسابق بعد تخديره وإجباره على السير ببطء عبر الغابة لساعات. لقد نسج والدي فخاً لنا، فخاً نمشي إليه جميعاً بمحض إرادتنا.

ساعات. ساعات طويلة ومرهقة من الترحال عبر أوراق الشجر، هذا ما آلت إليه حياتي. واجهت العديد من الثعابين والنباتات السامة، وكلاهما يتحداني للاقتراب.

أشعر بملل لعين.

عيناى وجسدى فى حالة تأهب بينما أجر جر قدمىّ للأمام، رغم أن عقلى
يشرد بقدر ما أتجول. أفكر فى التصفيات، وفى المتسابقين...
ثم تستقر أفكارى عليها.
توقف.

إذا كانت بيدن مصممة إلى هذا الحد على كراهيتى، فيمكننى أن أجعل
الأمر سهلاً للغاية عليها. لن يتطلب ذلك الكثير. لكننى أناى، وضعيف، وغير
مستعد لجعل إبعادها لى أى شىء سوى مهمة بالغة الصعوبة.

إنها محيرة بقدر ما هى فاتنة. فمها الجميل هذا يقول شيئاً، لكن عيناها
المحيطيتين تقولان شيئاً آخر. تسحب سكيناً من ظهري لتخبرنى فقط أنها
ستغرس آخر هناك. إنها مربكة، وآسرة، ونحن غير مناسبين لبعضنا البعض
تماماً وبكل الطرق الصحيحة. إنها شعلة، وأنا سأحترق بها. إنها محيط، وأنا
سأغرق فيه.

مررت يدي على وجهى، راغباً فى إلقاء اللوم على الجفاف فى أى خطب
لعين أصابنى.

لم يسبق لى أن تأثرت بفتاة واحدة إلى هذا الحد، وهو أمر سخيى
ومزعج للغاية. لكنى أبتسم حينها، متذكراً دقائق قلبها التى كانت تطرق تحت
أصابعى، وأنفاسها التى تحتبس فى كل مرة ألمسها، وعيناها اللتين تتشربان
كل ابتسامة وغمازة يُفترض أنها تكرها.

إن هذا الشعور بالانزعاج المطلق من التأثير بشخص ما إلى هذا الحد هو
بالتأكيد شعور متبادل، رغم أننى واثق من أنها ستنكره واضعة خنجراً على
حنجرتى.

كم هى شرسة.

لمع شىء فى ضوء الشمس الغاربة، ليخطف بصري. هناك، يتدلى من
غصن إلى يمينى سيف فى غمده، يغمز مقبضه الفضى فى الضوء بينما أخطو

نحوه. لم يستغرقني الأمر سوى لحظة لأتسلق وأفك الحزام من الغصن قبل أن أقفز هبوطاً من الشجرة.

من المرجح أن هناك أسلحة وأشياء أخرى مخبأة في جميع أنحاء غابة «الهمسات» لنستخدمها.

هكذا يكون سفك الدماء أسهل. وجعل الأمور مثيرة للاهتمام أسهل.

علقت الحزام والغمد منخفضاً على خصري قبل أن أستل السيف لأشق طريقي عبر أوراق الشجر الكثيفة. كدت أصل.

غطت الظلال الأرض، وأصبح لدي الآن أرنب يحتاج إلى الطهي، فضلاً عن معدة تحتاج إلى الإطعام. كنت قد تعثرت بنجمة رمي واحدة مغروزة بعمق في لحاء شجرة، واستخدمتها للإيقاع بذلك الأرنب الغافل المربوط الآن بحزامي. توقفت، فقد سمعته قبل أن أراه.

خيرير مياه عذبة رائعة. ثم برز جدول صغير ضحل من بين الأشجار، وتدفقت المياه الجارية متخفية الصخور التي تملؤه. ترددت قليلاً، وعيناي تمسحان هذا المكان الذي يبدو هادئاً.

كان كل شيء آمناً - في الوقت الحالي.

تسللت إلى حافة الجدول، وجثوت على ركبتيّ أمامه وأنا أرمي نظرة من فوق كتفي كل بضع ثوانٍ، لئلا أترك ظهري مكشوفاً. رششت الماء البارد على وجهي، تاركاً إياه يقطر على بشرتي وصدرتي العاري.

يتدفق الجدول الصافي من بركة صغيرة تبعد بضع عشرات من الأقدام، والمياه نقية، وعذبة، وباردة.

من صنع الإنسان.

ومنعشة. إنها من صنع المائيين (هايدروز) بلا شك، ليمنحونا هذه المنفعة الصغيرة من المياه العذبة. شكرت الطاعون لأن المياه نظيفة ونقية للغاية، مما يوفر عليّ عناء غليها بطريقة ما.

كنت أمشط المنطقة بحثاً عن إشعال وحطب حين كدت أصدم رأسي بشيء يتدلى من الشجرة أعالي، مخفياً وسط الظلال.

زمزميات مياه. اثنتان منهما، تتأرجحان في نسيم المساء.

وجدت نفسي أشكر الطاعون مرة أخرى.

إن فرك عصوين معاً ممتع بقدر ما يبدو عليه الأمر تماماً، لكن بفضل سنوات من الممارسة والصبر، سرعان ما باتت أمامي نار تتفرقع ببهجة. ورغم أن سلخ أرنب بسيف طويل أمر بالغ الصعوبة ومزعج بحق الجحيم، إلا أنه سرعان ما أصبح يُشوى فوق ألسنة اللهب. وبعدها...

سرى وميض من الطاقة في جسدي، ليُشعل أعصابي ويرسل قشعريرة مألوفة أسفل عمودي الفقري. وقف الشعر على مؤخرة عنقي، وأنا أشعر بتلك القوة، بتلك البأس، تجتاح جسدي.

هناك شخص قادم. وأنا أعرف من يكون.

طقطق غصن إلى يساري. ثم آخر.

لا أتذكر متى وقفت، لكنني الآن أرقص على أطراف قدمي، عاجزاً عن كبح تلك الرغبة المألوفة في القتال، وأتطلع إلى رقصة الهيمنة والدمار تلك. القتال هو رقصة الفالس المفضلة لدي، وأنا أحفظ خطواتها عن ظهر قلب.

اندفع براكستون عبر خط الأشجار، وعيناه هائجتان حين استقرتا عليّ. لقد رأى الدخان المتصاعد من ناري فقرّر أن ينصب كميناً لمن أشعلها. لكن لسوء حظه، شعرت بقدومه قبل أن أسمع يركض عبر الغابة.

رأيته يتردد، وكأنه يوازن بين العودة أدراجه أو المخاطرة بقتالي. لكن الحيرة تلاشت عن وجهه حين بدأ يخطو ببطء ليقترّب أكثر. دخل إلى هالة ضوء النار، ليبدو ظله ضخماً ومثقلاً.

قلت:

— «مرحباً بك يا براكس. من اللطيف أن تمر بنا.»

أمال رأسه نحوي بنفس الطريقة التي اعتادها دائماً، وقال:

– «مساء الخير يا كاي.»

لم يكن ذلك القوي (براوني) يميل يوماً للثرثرة، بل كان يفضل المراقبة بصبر قبل النطق بأي كلمة، مما يجعله هو وسيدي متشابهين بشكل غريب. بدأنا ببطء ندور حول بعضنا البعض في صمت، كل منا يقيّم الآخر. تنهدت وأنا أخطو نحوه:

– «إذن، أفترض أنك هنا من أجل شريطي وليس لردشة ودية.»

قال ملقياً نظرة على أرنب الذي يُطهى:

– «افتراضك في محله. إذا قدمته لي، سأغادر وأدعك تعود لتناول وجبتك. لا داعي لأن تصبح الأمور فوضوية.»

لم أر أي أسلحة بحوزته، لذا امتنعت عن الوصول إلى سلاحي. نحن نعرف بعضنا البعض منذ أن كنا صبية، وأود أن أستمري في معرفته إن أمكنني ذلك.

قلت:

– «أنا وأنت نعلم أنني لا أستطيع تركك تأخذ شريطي يا براكس.»

لأن مهمتي هي الفوز بهذه التصفيات.

ظننت أنني رأيت يومئ برأسه في الظلام المتزايد، قبل أن يندفع نحوي فجأة. انخفضت واستخدمت قوة اندفاعه لأطرحه من فوق كتفي، وسمعته يرتطم بالأرض محدثاً دويًا ثقیلاً.

لقد تدربت مع براكستون لسنوات. هو متوقع الحركات، لكن ذلك لا يجعله أقل قوة. عاد للوقوف على قدميه في ومضة، رافعاً قبضتيه ومستعداً لتحطيم أسناني.

وبعدها نشبت فوضى مدروسة.

تتطاير القبضات، وتتمايل الرؤوس، وتتداخل الأقدام. رقصة. رقصة وحشية، ودموية، وبديعة. نحن الآن متكافئان في القدرة، نظرًا لأنني تركت

قوته تتسرب من عروقي لتطفو على السطح. كانت ضرباتي قاسية وسريعة في ضوء النار المتراقص.

اصطدمت قبضته بفكّي، وكادت تكسره، مما جعل الدماء الساخنة تتجمع في فمي. ترنحت للوراء بينما خطا خلفي ولف ذراعه الضخمة حول حنجرتي في حركة خنق. شعرت بتردده قبل أن أردد رأسي للخلف بقوة، لتصطدم جمجمتي بأنفه محدثة صوت تهشم مقزز. والآن، بات هو من يترنح، والدماء تتدفق من أنفه إلى فمه.

استغللت ذلك الجزء من الثانية لأطره بضربات سريعة بالكاد تمكن من صدها. لكنه تعافى بسرعة، مسددًا لكمة قوية إلى أضلاعي. تفاديت تأرجحته التالية وغرست لكمة في فكه.

إنها حلقة مفرغة وشرسة. أضربه، فيرد لي الضربة. ويُحسب له أنني معجب بما يفعله؛ فلم يسبق لي أن رأيته بهذا التركيز، وهذا الإصرار. هذا أفضل قتال خضته معه حتى الآن. من المؤسف أنه سيتعين عليّ وضع حد له. انطلقت يد داكنة طائرة مباشرة نحو وجهي. أخذت خطوة للوراء بسهولة، فاصطدم كعباي بشيء ما، بينما دفأت الحرارة كل شيء من مؤخرة ساقي حتى مؤخرة عنقي.

النار.

لقد حاصرني ودفعني نحو النار.

ذكي.

انخفضت متفادياً قبضة كانت تستهدف أنفي، وغرست قبضتي عميقاً في معدته. تأوه، وانثنى جسده، لكنه أمسك بذراعي في حركة واحدة خاطفة. ثم لوى جسده، ساحباً ذراعي خلف ظهري ودافعاً بصدري نحو النار. سرى الألم صعوداً إلى كتفي بينما توهجت السنة اللهب أمامي.

ربما كان ينبغي عليّ أن أبذل جهداً أكبر.

ركلني في مؤخرة ركبتيّ بقوة، قبل أن ترسل الأرضية الأكثر صلابة
صدمة صاعدة عبر ساقَيّ حين ارتطمت بها. باتت السنة اللهب قريبة مني
الآن، وتكاد تعلق صدري العاري.

قال براكستون من فوق، وصوته يبدو كالتوسل:

– «فقط دعني أقطع الشريط يا كاي.»

من الجيد أن أعلم أنه لا يستسيغ فكرة حرقني حياً.

تابع وصوته عميق، لكنني التقطت الارتجافة الطفيفة فيه:

– «يمكن لهذا كله أن ينتهي.»

لقد أخذ على حين غرة، مصدوماً من أنه جعلني معلقاً فوق السنة اللهب
كالأرنب المحترق بجانبه الآن.

كنت متهوراً ومرهقاً، أحرقاً قلل من شأنه، لكنه الآن يضع المنفذ
المستقبلي تحت رحمته.

لهثت قائلاً بينما تستدرج حرارة النار حبات العرق لتسيل على وجهي:

– «هذا أفضل قتال خضناه على الإطلاق يا براكس. أنا معجب حقاً.»

وتابعت:

– «لكن سيتعين عليك أن تحرقني قبل أن أسمح لك بأخذ شريطي.»

أطلق تنهيدة ثقيلة وقال:

– «كان لدي شعور بأنك ستقول ذلك.»

صمت لبرهة ثم أضاف:

– «وكم كنت أتمنى ألا تؤول الأمور إلى هذا الحد.»

لَحْم يعانق النار.

بشرة تعانق لهيباً حارقاً ومستعراً.

توقعت أن تُمزق صرخة حنجرتي، لكن لم يتسرب من شفتيّ سوى صرخة مخنوقة. انغرزت ركبة براكستون في ظهري، لتميل جسدي وتجبر الجانب الأيسر من صدري على ملاسة السنة اللهب.

أنا أحترق، أغلي، وتتكون البثور على جلدي بينما يثبتني هناك، قبل أن يسحبني أخيراً للوراء، سامحاً للهواء البارد بالمرور فوقي. كنت ألثت بينما مد يده الأخرى نحو السيف المعلق بجانبني، مستعداً لاستلاله من غمده وقطع الشريط عن ذراعي الآن بعد أن ترنحت من شدة الألم. أوه، لكنني عرفت ألماً أسوأ بكثير.

امتدت ذراعه بجانبني، فقبضت عليها، منتصباً على قدمي في الحركة ذاتها، بينما غرق ألم لحمي المحترق في طوفان الأدرينالين. سحبت ذراعه فوق كتفي ومِلت بجسدي للأمام، مستخدماً قوة اندفاعي وقوة الأقوياء (براووني) لأرفعه عن الأرض وأجعله ينقلب من فوق ظهري ليسقط مباشرة في النار. أطلق صرخة لكنه لم يدم طويلاً قبل أن يتدحرج خارج السنة اللهب، نابساً بصرخات ألم وهو يتلوى في التراب ليخمد النار التي تأكل ملابسه وبشرته. كان الدخان يتصاعد من ملابسه المحترقة حين جثوت فوقه.

قلت بهدوء بينما يلهث بشدة تحتي:

– «وأنا أيضاً كنت أتمنى ألا تؤول الأمور إلى هذا الحد. لكنك تملك شيئاً أحتاجه.»

قطعت الشريط عن ساعده، ولم أتمكن من تجنب جرحه وإسالة المزيد من دمائه. كانت أنفاسه حشرجية بينما فتشت جيوبه بحثاً عن أي شرائط أخرى ربما سرقها في طريقه، لكنني لم أجد شيئاً. نهضت، وحدقت فيه للأسفل متمماً بكلمة واحدة:

– «اذهب.»

حدق بي للحظة قبل أن يتأوه من الألم وهو يتخبط ليقف على قدميه، معرجاً نحو الغابة بأسرع ما يمكن لجسده المتفحم. راقبته وهو يغادر، مستمعاً لمعاناته وهو يشق طريقه عبر الغابة المظلمة، مدركاً أنه لن يجرؤ على

العودة. ثم استدرت، ناظرًا مباشرة إلى المتبصر الذي كنت أعلم أنه يوثق القتال بأكمله.

قلت وأنا أحنى رأسي بسخرية:

– «آمل أنك استمتعت بالعرض.»

وبمجرد أن غادرت الكلمات فمي، رمشت النساء المتشحات بالبياض واختفين في الغابة.

دسست شريط براكستون في جيبى بينما عصرّ الألم جسدي. ألم معمي ومتقرح. نظرت لأسفل إلى بقعة الجلد الحمراء والملتهبة فوق وشمي مباشرة.

تلاشى الأدرينالين، ولم يتبقّ لي سوى الألم الذي يسري في جسدي. ترنحت نحو زمزمياتي، وفتحت إحداها وسكبت محتواها البارد فوق الحرق. أصدرت فحيحًا من بين أسناني حين لامس الماء لحمي المحترق، لكنه كان بمثابة راحة، مهما بلغت ضآلتها.

أخرجت قميصي المجدع من جيبى ومزقت منه شريطًا قماشياً كبيراً بأسناني، قبل أن أبدأ بلف القماش بحذر تحت ذراعي وفوق الحرق. كانت النتيجة ضمادة مؤقتة لمحاولة تقليل فرصة الإصابة بالعدوى. لكنها لن تجدي نفعًا لفترة طويلة. أحتاج إلى العثور على بعض الأعشاب، شيء ما، أي شيء، لتنظيف الجرح.

لأن الموت ليس خيارًا مطروحًا.

وخسارة هذه التصفيات ليست كذلك بالتأكيد.



غابة الهمسات



الفصل 24

بيكان

– «سأعصر عنقك إن لم تخرس.»

تجاهل الطائر تمامًا تهديدي الحقيقي بالموت، وواصل نعيقه المزعج على الغصن فوق رأسي. لقد استمر في الصياح لما يقرب من نصف ساعة، مما دفعني لرمي ما لا يقل عن دزينة من الحجارة في اتجاهه. أشعر بالانزعاج، والغضب، والقلق، وفوق ذلك كله، أتضور جوعًا بحق. بالطبع، كل هذه مجرد آثار جانبية للاستيقاظ في منتصف البرية دون أي شيء سوى الملابس التي نمت بها. نظرت للأسفل إلى سروالي القماشي الضيق، وقميصي الداخلي الأكثر كشفًا لجسدي. إنها قطعة حريرية كاشفة أندم أشد الندم على ارتدائها، خاصة بالنظر إلى أنها ستكون قميصي الوحيد للأسبوع القادم. أسبوع.

هذه هي المدة التي يجب أن أصمد فيها داخل هذه الغابة. غابة «الهمسات». في هذا المكان الذي يعج بأعداء من كل الأشكال والأحجام، ورغم أننا بلغنا منتصف النهار بالفعل، إلا أن الخصم الوحيد الذي واجهته حتى الآن هو ثعبان كاد أن ينهش قدمي. لقد كنت أتخط عبور أوراق الشجر الكثيفة منذ



لحظة استيقاظي، ووجهي مدفون في التراب، بعد أن رمشت لأجد نفسي أمام امرأة تحديق بي وتتشح ببياض يعمي الأبصار.

متبصرة. جاءت إلى هنا لتتجسس على الخصوم. لتوثق هذه التصفية الدموية. لتسجل ما لا يستطيع الجمهور رؤيته بأنفسهم. أنا واثقة من أن بقية إيليا يشعرون بنفس الحيرة التي أشعر بها حيال تصفيات هذا العام. رغم أنني لا أستطيع القول إننا لم نتلق تحذيرًا.

"مختلفة." كان هذا هو التحذير الوحيد الذي تلقيناه.

غير أن كلمة مختلفة لا تكاد تصف مدى التغيير الجذري الذي طرأ على هذه التصفيات. على مدى العقود الثلاثة الماضية، لم تُقم أي تصفية قط خارج جدران الصحن، بعيداً عن عيون الجمهور المتلصصة. لكنني أفترض أن أفضل التصفيات وأكثرها وحشية ودموية هي وحدها التي تليق باختبار المنفذ المستقبلي. أتمنى فقط لو لم أكن جزءاً من هذا العبث.

لقد ألقى بنا جميعاً دون علمنا في الهمسات المميّنة، تركنا لنلقى حتفنا تحت رحمة الطبيعة القاسية أو على أيدي أعدائنا. إنها خطة عبقرية. ووغدة في آن واحد. ولا أدري إن كان عليّ التصفيق أم البكاء.

لم يكن ينبغي لي أن أتوقع أقل من ذلك من الملك.

اندفعت عيناى نحو ساعدي الأيمن حيث يلتف الشريط الجلدي بإحكام. «اجمعها ممن طوقت أذرعهم بها، واحذر إن عُدت خالي الوفاض منها.» أطلقت ضحكة مريرة في وجه الفراغ المحيط بي. إنهم يريدوننا أن نتقاتل، أن نتقاتل حقاً من أجل هذه الشرائط الجلدية. لذا، وفي محاولة للبقاء على قيد الحياة لفترة كافية للعثور على خصم آخر، انطلقت للبحث عن الماء. الأشجار هنا هائلة ومخيفة، تتناول عالياً في الهواء لتلامس السحب المنخفضة. استغرقني الأمر دهرًا لتسلق إحداها بحثًا عن أقرب مصدر للمياه، وتلخصت الساعات العديدة الماضية البالغة الملل في السير بتثاقل نحو ما آمل أن يكون جدول ماء.

غير أنني الآن أجلس تحت شجرة وأتجادل مع طائر. رميت حجرًا آخر عليه لزيادة التأكيد، قبل أن أحول انتباهي مجددًا إلى حزمة العصي بجانبني. التقطت رأس سهم آخر جمعته في طريقي - إحدى الهدايا السخية التي تركت لمساعدتنا - وثبته على إحدى العصي. لقد أمضيت وقتًا طويلًا جدًّا في صنع السهام لترافق القوس والجمعة اللذين وجدتهما مستندين إلى جذع شجرة بصدفة مريحة.

وكأن أفراد النخبة بحاجة إلى أسلحة.

أضافت الريشات التي وفرها الطائر المزعج - والمفيد في الوقت ذاته - أعلاي اللمسة الأخيرة للسهم. حدقت في صنيع يدي بابتسامة صغيرة، متأملة السهام السبعة المتذبذبة التي تملأ الجمعة الآن. بفضل والدي، لم تكن هذه مرتي الأولى التي أضطر فيها لصنع سهم من الصفر، واتسعت ابتسامتي إثر تلك الذكرى البعيدة.

ألقيت الجمعة فوق كتفي ومرت وتر القوس متقاطعًا على صدري، مودعة الطائر الذي لا يزال جاثمًا على الشجرة. لفظت تنهيدة ثقيلة وبدأت، مرة أخرى، في التوجه نحو الماء الذي أحταجه بشدة. كانت خطواتي خفيفة وصامتة وأنا أطا التضاريس، وعيناي تترقبان أي حيوان يمكنني التهامه. هناك.

قفز أرنب سمين من بين الشجيرات على بُعد بضعة عشرات من الأقدام، غافلًا تمامًا عن نواياي الخبيثة تجاهه. سحبت القوس من فوق رأسي وسللت سهمًا من الجمعة. ثبتته، وصوبت، وتنفست بعمق تمامًا كما علمني والدي. ثم أطلقت السهم ليحلق نحو هدفه.

اخترق عين الأرنب مباشرة.

كان ميتًا حتى قبل أن ينهار جسده على الأرض. التقطت الحيوان، ومسحت رأس السهم بنبات قريب أمل ألا يكون سامًا، ثم أعدت السهم إلى جعبتي.

إيجاد الماء. إشعال النار. تناول الطعام.

وبعدها عدت للمشي، أتعثر بجذور الأشجار وأترنح فوق الحجارة.
إثارة بالغه.

تركت العنان لأفكاري لتجمع بينما حافظت على وتيرة ثابتة عبر أوراق
الشجر، مفكرة في خصومي، وفي الحفل الراقص، في تلك اليدين الخشنتين
على ظهري والعينين الرماديتين اللتين تتأملان وجهي.

زفرت بانزعاج وركلت حجرًا بقوة أكبر مما ينبغي. انزلت سلسلة من
الشتائم من فمي - موجهة إلى الحجر، وإلى نفسي، وإلى ذلك الوغد
المتغطرس الذي أكرهه لأنني لا أكرهه تمامًا.

بدأت الشمس رحلة هبوطها عبر كبد السماء بينما واصلت سحقي
للمساحات الخضراء، لاعنة شباك العناكب المتعددة التي اعترضت طريقي
والعناكب العملاقة التي ترافقها.

لحق بي متبصر، وبذلت قصارى جهدي لتجاهل وجوده. وبمجرد أن
اكتفى باللقطات التي جمعها لي وأنا أضرب الأرض بقدمي وأزفر غضبًا عبر
الغابة، استدار واختفى.

تسللت أشعة شمس أواخر ما بعد الظهيرة الدافئة عبر الأشجار، لتكسو
الغابة بظلال ذهبية. للحظة، سمحت لنفسي بتأمل الجمال المشؤوم لهذا
المكان المخيف.

ثم صفعني شيء ما على وجهي.

حسنًا، أنا من اصطدم بشيء. كدت أتعثر للخلف، متممة بحنق، لأكتشف
أنني مشيت مباشرة نحو قميص قطني كبير يتدلى من غصن منخفض.
التقطته، متذمرة من كونني لست بحاجة إلى إحسان الملك، حتى وأنا أرتدي
القطعة.

مشيت ومشيت.

أشعر بالملل. أشعر بالملل في منتصف تصفية دموية لعينة.

ثم التقط شيء ما الضوء، متلألئاً في زاوية عيني. استدرت نحوه،
وسحقت الأوراق تحت قدمي. كاد فمي يسقط مفتوحاً من الدهول مما يقع على
بعد لا يزيد عن ثلاثين ياردة مني.

بركة عميقة من المياه البلورية تتألق تحت أشعة الشمس، وتتموج بخفة
في النسيم الدافئ. مرحبة ورائعة. رمشت بعيني. لم أر هذه البركة حين كنت
عالياً في الشجرة أستكشف المكان. ولكن مرة أخرى، هذه المياه المتلألئة
محاطة بالأشجار، وتكاد تبتلعها أوراق الشجر من حولها.

كدت أتعثر حرفياً من فرط تلهفي للوصول إليها.

الماء. الماء. الماء.

أنا عطشى للغاية، وجشعة لابتلاع أكبر قدر ممكن. ثم سأشعل ناراً،
وأطهو أرنبى، و...

كان هناك شيء في الماء، يطفو فوق سطحه.

أصبحت أقرب بكثير الآن، ولم تعد الشمس تعمي الأبصار وهي تنعكس
على السطح الصافي، وبات بإمكانى تمييز هيئة تطفو على السطح. هيئة
بشرية. تسللت للأمام، ساحبة قوسي من على صدري، وقابضة عليه بيدي.
لم تكن الهيئة تتحرك.

الهيئة ذات الشعر الأشقر المتسخ الملتصق بجبهته السمراء.

الهيئة ذات العينين الخضراوين الزجاجيتين المطابقتين لعيني الملك،
تحدقان بلا حراك نحو السماء الزرقاء.

تمزقت صرخة مخنوقة من حنجرتي، لتتشتت الطيور فزعة من الأشجار
حولي.

كيت.

إنه ميت.

أخذت ألّهث، وأنا أترنح نحو حافة البركة. قد أمقت والده والمملكة التي
سيحكمها يوماً ما، لكن هذا لا يعني أنني أتمنى رؤيته ميتاً. أذهلتني تلك

الفكرة، بالنظر إلى مدى توقي لرؤية هذا المصير يحل بالملك الذي يشبهه إلى هذا الحد. ولكن ماذا لو كانت ملامحهما المألوفة هي نهاية أوجه الشبه بينهما؟ ماذا لو كان هناك أمل في أن يخرج الأمير من ظل والده، ومن عباءته، ليصنع التغيير في مملكته؟

أجبرت نفسي على مبادلة نظراته الزجاجة حيث لم أعد أرى الآن سوى إمكانيات الأمير بدلاً من حضور والده. تلك العينان الخضراوان اللتان كانتا تفيضان بالمرح لن تتجعدا ضاحكتين بعد الآن. بدلاً من ذلك، تحدقان في اللاشيء؛ واسعتين، وباهتتين، ومسلوبتين من الحياة. تلك الابتسامة الملتوية لن تزين شفثيه أبداً مرة أخرى. وبدلاً منها، ضُغَطَ فمه في خط رفيع - أزرق، لثمته برودة الموت.

قفزت في البركة، راغبة في انتشاله من هذا الموت المائي. لكن بدلاً من ذلك، ارتطمت قدماي بأرض صلبة. أنت عظامي من وقع الصدمة، شاعرة وكأنها ستتحطم من شدة الارتطام. رمشت لأطرد الألم، رغم أن ذلك لم يفعل شيئاً لتبديد حيرتي. فجأة، لم يعد هناك بركة تحت قدمي، ولا كيت يطفو ميتاً على سطحها. نظرت إلى التراب تحتي بعدم تصديق، محاولة فك طلاسم ما يجري.

- «ساعديني.»

ثَبْتُ سَهْماً وسحبت وتري قبل حتى أن أستدير لأواجه صاحب ذلك الصوت الصغير المنكسر.

اختنقت بشهقتي.

إنها أنا.

عينان زرقاوان عميقتان تثقبان عيني - عينان حزينتان وجائعتان. شعر فضي طويل، متشابك ومُلبَد، يتدلى من رأس الفتاة الصغيرة. إنها - أنا - صغيرة، صغيرة للغاية. ضعيفة ومنهكة وبعينين متسعيتين وهي تحديق في وجهي.

مدت إصبعاً عظيماً نحوي. همست، بل أنت:

– «أرجوك».

ترنحت للوراء عند سماع ذلك الصوت – صوتي أنا – المنكسر، وكدت أفقد توازني حين اتخذت خطوة مهتزة مقتربة مني.
هذا ليس حقيقياً.

استدرت، مستعدة للفرار من هذا الكابوس، فقط لأكاد أصطدم بـ بيدن صغيرة أخرى، بوجنتين غائرتين وعينين مجوفتين.
أنا أهذي. أعاني من الجفاف.

عضضت لساني لأمنع نفسي من الصراخ وأنا أستدير يمينا، لأجد نسخة جائعة أخرى مني تبادلني التحديق.

أنا محاصرة. محاصرة تماماً بنسخ متوسلة من بيدن. خطون للأمام، يترجينني لمساعدتهن وهن يمددن أيديهن، محاولات الإمساك بي.
هذه المرة، لم أكلف نفسي عناء كتم صرختي.
إنهن يضيقن الخناق عليّ، يزاحمنني. كنت أصرخ، مشوشة و...
لا، لست أهذي.

ترنحن نحوي، باحثات عن مساعدة لا أملك تقديمها لهن.
هذا هو آيس.

ورغم معرفتي بذلك، ما زلت لا أطيق النظر إليهن، النظر إلى نفسي. لا أطيق سماعهن وهن يتوسلن طلباً للمساعدة بينما أقف مكتوفة الأيدي. لقد كنتُ أنا هذه الفتاة. كنت تلك الفتاة الجائعة والحزينة ذات يوم. لأنه عندما مات والدي، مات جزء مني معه.

هذا ليس حقيقياً. هذا ليس حقيقياً. هذا ليس حقيقياً.

صرخت، وخررت على ركبتيّ قابضة على رأسي بإحباط. صرخت من بين أسناني المصرة:

– «أعلم أنه أنت يا آيس».

سمعت ضحكة متغطرسة تتعالى بينما شق طريقه نحوي. أخذت نفساً عميقاً، ووقفت على قدمي، أرتجف اشمئزازاً وغضباً وأنا أهيب نفسي لأكون محاطة بنسخ مريضة من بيدن.

لكن التوسلات توقفت، واختفت نسخ بيدن، ولم يتبق سوى آيس واقفاً أمامي. هبطت نظراته إلى السهم المصوب نحو صدره قبل أن تعود لتلتقي بعيني. كان يمتلك من الوقاحة ما يكفي ليبتسم بخبث.

قال بصوت متعجرف وهو يرفع أحد حاجبيه:

– «مرحباً يا بيدن. هل استمتعت بالالتقاء بنسختك الأصغر؟»

بصقت الكلمات وأنا أشد وتر قوسي:

– «أنت مريض.»

تنهد، وقد بدا عليه الملل من محادثتنا بالفعل. ورفع أنفه في الهواء قائلاً:

– «فقط دعيني آخذ شريطك وسأمضي في طريقي.»

صمت لبرهة وتابع:

– «في الواقع، سأدعك حتى تخلعيه بنفسك، كي لا أرحك.»

زمجرت في وجهه تقريباً:

– «كم أنت كريم. لكنني سأرفض العرض.»

كشّرت عن أسناني، ولم يفصلني سوى طرفة عين عن إرسال سهم يخترق قلبه الأسود ذلك.

رمش في وجهي، وأرجع شعره البني عن وجهه بزفرة منزعجة:

– «حسناً.»

أظلمت عيناه وأضاف:

– «فليكن لك ما أردت. لا أمانع في أن أجعل الأمور فوضوية.»

ثم اندفع نحوي بخطوات واسعة، مادًا يده نحو ذراعي. لم أتردد قبل أن أطلق سهمي نحو فخذ، قاصدة إصابته وليس قتله. أرفض أن أمنح الملك والشعب ما يشتهونه: الموت.

غير أن السهم لم يلامس أي بشرة قط، ولم ينغرز في أي لحم. بل طار مخترقاً جسده تماماً. تبدد الوهم كدخان في مهب الريح، مما أغراني بالصراخ إحباطاً.

خرج آيس آخر من خلف شجرة على بُعد بضعة أقدام، والأوراق تنسحق تحت قدميه بينما كان يصفق ببطء:

– «واو. محاولة جيدة.»

كان يقبض على رمح حاد بيده، مبتسماً كقط مكر. كنت أستشيط غضباً، والأدرينالين يضح في عروقي وأنا أصرخ:

– «توقف عن الاختباء خلف أوهامك أيها الجبان!»

هذا هو آيس الحقيقي، أنا واثقة من ذلك. لقد فضحته أوراق الشجر، التي انسحقت حين داس عليها، على عكس المرة الأولى التي مشى فيها نحوي. بدا وكأنه أحس بأنني اكتشفت الأمر، وفي اللحظة التي كنت على وشك أن أغرس سهماً فيه، أحاط نفسه بدزينة من النسخ المتطابقة، مختبئاً وسطهم.

تحدثوا جميعاً بصوت واحد وهم يضيقون الخناق حولي، ليغطوا على أي صوت لانسحاق الأوراق:

– «إذا أعطيتني الشريط الآن، فلن أؤذيك. كثيراً.»

ضحكوا، وكان صوتاً مقززاً، بدا وكأنه يتردد في أرجاء جمجمتي.

درت في دائرة، غير مدركة لمن أٌصوب. لم يعد لدي سوى ستة سهام الآن، ولا يسعني إهدار سهم واحد منها. إنهم يقتربون مني، يقتربون لتسديد الضربة القاضية.

ابحثني عن آيس الحقيقي.

القول أسهل من الفعل. جميعهم يمتلكون المظهر والحركة ذاتها تمامًا، ويحملون رماحًا مستعدة لطعني، رغم أن الحقيقي وحده هو القادر على إلحاق أي ضرر.

قالوا وهم يبتسمون:

– «سوف أستمتع بهذا يا بيدن.»

تنقلت عيناى فوق كل أجسادهم. أمعنت النظر في وقفاتهم المتطابقة، وتعابير وجوههم المتطابقة، وكل شيء فيهم متطابق.

لن أموت. لن أموت. لن أموت.

ثم تسمرت عيناى على آيس محدد، متطابق مع البقية. وجدتلك.

كانت حبة العرق الدقيقة التي تنحدر على جانب صدغه كافية لفضحه، العلامة الوحيدة على صراعه لاستحضار الأوهام.

رفعت قوسي نحوه في اللحظة ذاتها التي اندفع فيها نحوي. قفزت إلى الجانب، لكن ليس قبل أن ينفجر الألم عبر معدتي. ألم حارق ولاسع تجاهلته وأنا أطلق سهمي، تاركة إياه يطير ليستقر مباشرة في لحم ساقه.

صرخ، وخرّ على ركبتيه في التراب، ويداه المرتجفتان تلتفان حول السهم البارز من فخذه. لكنني لم أمنحه – ولا للمتبصرة التي تراقب الآن – نظرة ثانية قبل أن أستدير وأركض بأقصى سرعتي.

لا أعرف إلى أي مدى وصلت. لا أعرف مقدار المسافة التي وضعتها بيننا قبل أن ينزف الأدرينالين من جسدي، ليذكرني بأنني أنا من ينزف. عاد الألم الحارق مجددًا، ليكمني بقوة في بطني لدرجة جعلتني ألهث.

رفعت قميصي الفضفاض لأكشف عن القميص الحريري تحته، والذي بات الآن مشبعًا بالدماء. أخذت نفسًا عميقًا وسحبت طبقة القماش التي تفصلني عن الجرح قبل أن أرتجف لرؤيته. شق دموي طويل يمزق الجلد مفتوحًا أسفل ضلعي مباشرة.

جرح رمح.

كانت أنفاسي تخرج في لهاث مهتز وضحل.

على الأقل أنا على قيد الحياة.

لكنني بحق الجحيم لا أشعر بأنني حية. إنه ألم مبرح. ألم ينهش ويستعر، ويشعل النار في أعصابي. خلعت القميص الكبير بحذر، متأوهة وكاتمة صرخات الألم مع كل رفعة لذراعي اليمنى. سحبت الحركة جلدي، والشق، مما جعله يتدفق بالمزيد من الدماء.

مزقت الحافة السفلية للقميص، لأصنع شريطاً عريضاً من القماش الأبيض. عملت بأسرع ما سمحت لي به إصابتي، ولففت القماش بحذر حول خصري وفوق الجرح. شهقت طلباً للهواء من الألم النابض الذي سببه ذلك، ورمشت لأطرد الدموع بينما أرتدي ما تبقى من القميص، والذي كان كبيراً لدرجة أنه لا يزال يغطي معدتي. أحتاج للعثور على الماء.

لفظت تنهيدة مهتزة، وكانت تلك الحركة وحدها كافية لترسل ألمًا حادًا يمزقني بينما بدأت أمشي مرة أخرى عبر الغابة. لا، بل أترنج، هذا هو الوصف الأدق.



الفصل 25

بيكان

ابقِ مستيقظة. ابقِ مستيقظة. ابقِ مستيقظة.

جفناي الخائنان ثقيلان كالرصاص. ومع كل رمشة، أخشى ألا ينفثا مجدداً. مضيتُ أتعثّر ببطء عبر الغابة المظلمة باتجاه الجدول لما بدا وكأنه ساعات، آملةً بعمى أنني لا أزال أسير في الاتجاه الصحيح. أنا متعبة. متعبة للغاية. لا أريد شيئاً سوى الانهيار مستندة إلى شجرة وإغماض عينيّ لدقيقة واحدة. مجرد لحظة واحدة من السلام الخالص— لا.

قرصتُ ذراعي بقسوة، فانتفض جفناي المرتحيان وانفتحا عن آخرهما. إذا غفوت، فعلى الأرجح لن أستيقظ مجدداً.

حالي مزرية، ولا أحتاج أن أكون ابنة معالج (هيلر) لأدرك ذلك. فقدتُ الكثير من الدماء، ما جعل رأسي يدور وأنا أحاول الحفاظ على توازني. نفضتُ رأسي محاولةً تجاهل بشرتي المحمومة وجسدي المرتجف؛ تماماً كما أتجاهل شريط القماش الذي استخدمته كضمادة، وقد تشبع بالدماء حتى اصطبغ قطنه باللون القرمزي.



أحتاج إلى تنظيف الجرح، وبسرعة. إن لم أفعل، فأنا في حكم الموتى.
ما أحতاجه هو الماء.

كل جزء مني يحترق. يحترق بالألم والعطش والجوع. إن تمكنتُ فقط من الوصول إلى بعض الماء، سأتمكن من غسل الجرح على أقل تقدير، وعلاج جفافي، واستعادة وعيي لوقت يكفي لصنع مزيج من الأعشاب لتطهير الإصابة.

هذا ما آمله.

حينها سأقلق بشأن تناول الطعام، بما أنني بالكاد أستطيع سحب وتر قوسي، والأرنب الذي اصطدته بات طي النسيان في الموقع الذي نصب لي فيه آيس كمينه.

تاركاً إياي بلا دفاع ومحطمة من الجوع.

صلي إلى الجدول. صلي إلى الجدول. صلي إلى الجدول.

وميض برتقالي خافت يلوح عبر الأشجار أمامي، يبدو ضبابياً من خلال عينيّ الذابلتين. ضيقتُ عينيّ أحرق فيه، غير متأكدة ما إذا كنت أهذي أم لا. أحكمتُ قبضتي المتعركة على القوس، وقد جهّز بسهم مسبقاً، رغم أنه عديم الفائدة عملياً إن لم أستطع سحب هذا الوتر اللعين لإطلاقه. واصلتُ الزحف مقتربة من النار التي تتراقص على بُعد بضع عشرات من الياردات، متروكة تماماً دون حراسة.

ينعكس الضوء المنبعث منها على شيء يلمع بجوارها.

الجدول.

أفلتت مني ضحكة خافتة مفعمة بالارتياح وأنا أواصل التقدم بحذر. كنتُ متهورة بالطبع، لكنني لم أهتم كثيراً في حالي هذه. أحدهم أشعل هذه النار، وربما أكون سائرة مباشرة نحوه. لكنني سأموت إن لم أصل إلى ذلك الماء، رغم أنني قد أقتل إن فعلت.

كلا الخيارين سيؤديان على الأرجح إلى موتي المحتوم. عظيم.

لا تفصلني الآن سوى أقدام قليلة عن النار، وعيناى تفتشان فى الظلال
عن أى أثر للشخص الذى أشعلها.

صلى إلى الماء. صلى إلى-

قال:

- «يبدو أنك لا تستطيعين البقاء بعيدة عني، أليس كذلك يا جراي؟»
تسمرت في مكاني، وقلبي يقرع بعنف.

يمكنني سماع نبرة التسلية في صوته، وأكاد أتخيل الغمازتين اللتين
تطلان من جانبي ابتسامته المتكلفة. أخذت نفساً عميقاً، أهى نفسي ذهنياً
للألم المبرح الذي أنا على وشك تكبده.

استدرت بسرعة البرق، رافعةً قوسي وساحبةً الوتر حتى توتر. ابتلعتُ
صرخة ألمي وأنا أشعر بجرحي يتمزق ويتسع مع تلك الحركة.

لا يمكنني السماح له برؤيتي مصابة. تظاهري بالقوة. صلى إلى الماء.

صوبتُ رأس سهمي نحو قلبه، وبالكاد استطعتُ تمييز صدره العاري في
الضوء المتراقص. يبدو أنني لست الخصم الأول الذي يواجهه، ولست الأولى
التي تصوب شيئاً نحو قلبه. فقد كان يلف شريطاً من القماش تحت ذراعه
وحول جرح يقع مباشرة فوق وشم متداخل الخطوط.

عادت عيناى لتلتقيا بعيني، محاولةً محو ملامح العذاب عن وجهي، راغبةً
في أن يراني كتهديد حقيقي. مسحت نظراته جسدي بتعبير لم أستطع فك
شفرته، لكنني لم أكن في المزاج أو الحالة الذهنية التي تسمح لي بتحليله.
قلتُ وذراعي تبدأ في الارتجاف من شدة الجهد والألم لإبقاء القوس
مصبوباً نحوه:

- «ارحل وإلا أطلقت السهم.»

اكتفى بالضحك بخفوت واتخذ خطوة نحوي قائلاً:

- «سعيد برؤيتك أيضاً يا جراي.»

بصقتُ الكلمات وصدر يعلو ويهبط:

- «تظنني أمزح. كم هذا لطيف.»

ارتجفت شفتاه قليلاً وقال:

- «ماذا، أهذا كل شيء؟ ستطلقين النار عليّ ببساطة؟ أين المتعة في ذلك؟»

أجبتُ بصوت مهتز يعكس ارتعاشة جسدي كله:

- «أوه، سيكون ممتعاً بالنسبة لي، أؤكد لك.»

خطا كاي خطوة أخرى نحوي، مائلاً برأسه إلى الجانب. كانت يده تستقران في جيبه باسترخاء وهو يتفحصني من جديد، وقال:

- «أنا مرتبك. أنت تدركين أن الهدف من هذه التصفيات هو أخذ شريطي، أليس كذلك؟ أو على الأقل المحاولة.»

اتسعت ابتسامته المتكلفة وهو ينهي كلامه.

قلتُ وكلماتي لا تحمل أدنى نبرة تهديد، بينما كنت أترنح على قدمي ورأسي يدور:

- «حسنًا، أنا أتساهل معك بالسماح لك بالرحيل.»

لا يمكنني الصمود هكذا لفترة أطول.

أشعر بالدماء الساخنة تسيل على معدتي من جرحي الممزق، وبقع سوداء تسبح أمام عينيّ، مهددةً بابتلاعي بالكامل.

سأفقد الوعي. ماذا لو لم أستيقظ؟ ماذا لو مت لأنني لم أكن قوية بما يكفي؟ لأنني مجرد عادية ضعيفة—

قال بصوت غير نبرته:

- «جراي...؟»

من بين جفنيّ المتدليين، رأيتُ كاي يخطو خطوة مترددة نحوي، وقد مُحيت كل آثار التسلية عن وجهه. ولا بد أنني أهذي حقًا، لأنني اعتقدتُ أنني لمحتُ القلق يومض في عينيه.

قال وهو يقترب مني ببطء:

– «جراي، ماذا حدث؟»

لكنني لم أعد أقوى على الإمساك بالقوس. ولسبب لا أستطيع تفسيره، صوبتُ نحو الأرض بدلاً منه، مرخيةً قبضتي عن الوتر لأسقط السهم في التراب عند قدميه، قبل أن ينزلق القوس من يدي المتعركة. بالكاد سمعتُ صرخة كاي وسط الطنين الذي يملأ أذني:

– «جراي!»

لا أتذكر اصطدامي بالأرض.

ارتطم وجهي بالتراب الصلب، لكنني بالكاد شعرت به. كان جسدي كله يشتعل ناراً، وبالكاد كنت ألتقط أنفاسي بينما أحترق من الداخل إلى الخارج. قال:

– «بيدن! هيا، بيدن، انظري إليّ.»

أيدٍ خشنة تقبض على جانبي وجهي، مجبرةً عينيّ على الانفتاح بوهن. كانت باردة على بشرتي المحمومة، الملساء الآن بالعرق، والقلق مرتسم بوضوح على الوجه الوسيم الذي يحوم فوقه. لم أراه يوماً قلقاً هكذا، ولا مفعماً بالمشاعر إلى هذا الحد. لقد تصدع قناعه البارد، تهشم، وتناثر إلى مليون قطعة بينما كان يرفع رأسي عن الأرض، ساحباً إياي نحوه ليتفحص وجهي بعينين رماديتين واسعتين.

ثم اختفى. ظلام.

همس وهو يدفع خصلات شعري المبللة عن جبهتي بيديه الخشنتين، وكلماته تُتمتم بالقرب من وجهي:

– «هيا، هيا، هيا... بيدن، ابقِ معي.»

كان صوته صارماً رغم الذعر الذي يغلف كل كلمة.

ببطء، أُجبرتُ عينيّ على الانفتاح قليلاً بينما خرجت كلمات خافتة مبحوحة من بين شفتيّ المتشققتين، كلمات بدت فجأة في غاية الأهمية:

– «لم تنادني هكذا من قبل.»

لم أسمعه ينطق باسمي الحقيقي سوى مرة واحدة حين ثبتني على جدار الأزقة، مجرباً وقع الكلمة لأول مرة. لكني لم أسمع اسمي يفلت من بين شفتيه منذ ذلك الحين. لم أسمع كيف يبدو المقطعان وهما ينسابان على لسانه.

وبالتأكيد لم أسمعه يوماً يناديني بيدن بتلك النبرة.
كنتُ أبتسم له الآن، أبتسم كبلهاء. لم أستطع التوقف.
أهذي. أنا أهذي بلا شك ولا إنكار.

لكن في هذه اللحظة، لا أريد أن أموت—ولو فقط لكي أسمعه ينطق باسمي مرة أخرى.

مخبولة. أنا مخبولة تماماً.

تسمر فجأة في مكانه. جالت عيناه على وجهي، وشفتيه مفترقتان قليلاً وهو يتأملني. ثم رمش. مرة. مرتين. رفت أهدابه الداكنة، وعيناه الرماديتان تتنقلان بين عيني وهو يقول:

— «ذكريني بأن أجعلك تبسمين هكذا مجدداً، حين لا تكونين على شفا الموت، ويكون لدي كل الوقت في العالم لأحفظ تلك الابتسامة عن ظهر قلب.»
الآن جاء دوري لأرمش ناظرة إليه. مرة. مرتين.

كان هذا التعليق كافياً ليوقظني، لأن عيني الآن لا تبدو راجبتين في الانحراف عن عينيه. لا بد أنني أسأت السمع. أنا في حالة هذيان شديدة لدرجة أن عقلي يتلاعب بي، يعبث بعواطفي، وبمشاعري.

لكنني بالتأكيد لم أكن أتخيل اليدين اللتين تمران على طول جسدي.
كدتُ أختنق بأنفاسي المتقطعة حين لامست أصابعه كاحلي، منزلةً ببطء على طول ساقي.

إنه يحاول العثور على الجرح. فتحتُ فمي لأخبره بمكانه، لكن رأسي كان يدور وكنتُ على وشك الإغماء من شدة الألم. تنفستُ بصعوبة، محاولةً تهدئة رأسي وقلبي اللذين يقرعان بشدة.

مرت أصابعه على ساقيّ، تضغط وتتحسس بلطف بحثاً عن الإصابة.
وبمجرد أن اطمأن لسلامة ساقيّ، انزلت يداه نحو وركيّ، ليرفعني قليلاً عن الأرض ويمرر يداً على أسفل ظهري. انعقد حاجباه بتركيز وأصابعه تتحسس أسفل معدتي، بحركات سريعة، ثابتة، وواثقة.

هذه ليست المرة الأولى التي يفعل فيها ذلك.

انزلت يداه لأعلى بطني، حول خصري-

تفجر ألم لم أختبر مثله قط من الجرح حين تراقصت أصابعه فوقه، تلاه شهقة مخنوقة تمزقت من حلقي. كان الألم مُعمياً لدرجة أنني ظننت أنني سأفقد وعيي. ووجدت نفسي راغبة في ذلك، ولو فقط كي لا أضطر للشعور بهذا الألم مجدداً.

راقبته برؤية مشوشة وهو يرفع حاشية قميصي الممزق ليكشف عن القميص الحريري تحته وقد غمرته الدماء. تنهد من أنفه قبل أن يرفع حاشية القميص الداخلي، كاشفاً بشرتي المحمومة لهواء الليل البارد. ومض شيء صغير وحاد في يديه بينما بدأ يقطع القماش المدمى بحذر من حول خصري. انقبض فكه عند رؤية الجرح المتعرج الذي يمتد أسفل قفصي الصدري، وارتعشت عضلة في وجنته. تتبعت عيناه، الممتلئتان بمشاعر لم أرها فيه قط، تلك الفوضى الدموية على معدتي.

ثم أطبقت عيناى، حابسةً صورته في الخارج. تاركةً إياه في ذلك العالم الذي بدأ يتلاشى.

جاء صوت كاي من بعيد جداً، بعيداً عن الهاوية التي أنزلت فيها نحو النسيان:

- «بيدن... بيدن، افتحي عينيكِ.»

كان أمراً، قوياً وصارماً.

وتجاهلته. كم هذا معتاد مني. حتى في الموت، يرفض جسدي الانصياع لأوامر المنفذ المستقبلي.

صرخ:

– «افتحي عينيكِ، بحق الجحيم!»
متعبة. أنا متعبة للغاية.

من بعيد، بعيد جداً، سمعتُ صوتاً ذكورياً يتمم بكلمات مذعورة:
– «إن متّ، فسأقتلكِ.»



الفصل 26

كاي

هي أعند من أن تموت، وأنا أعند من أن أسمح لها بذلك. مررتُ يدي على جبهتها؛ كانت بشرتها المحمومة لاذعة الحرارة، وتلتقط أنفاسها في لهاث ضحل. إنها تعاني الجفاف، وتهذي، وتموت جوعاً... إنها تموت وحسب.

عادت عيناى لتتفحصا الشق الدموي الغائر تحت ضلعها، ملتهباً وملوثاً بلا شك. سحبتُ بقايا قميصي المجدد وبدأت أربت على الجرح، محاولاً امتصاص بعض الدماء لأرى بوضوح ما أتعامل معه. الجلد ممزق، ومتعرج، ومن المرجح أنه يبدو أسوأ بكثير حين لا تُخفيه الظلال. لكن ما يثير القلق أكثر، هو أنني لا أملك أدنى فكرة عن كيفية مساعدتها. ليس لديّ أي مؤن ولا أي قدرة علاجية حولي لأستمد منها، ما يجعلني عديم النفع تماماً.

أحمل حياتها بين يديّ العاجزتين والمجردتين من أي سلاح. نهضتُ على قدميّ، باحثاً عن مطرات المياه في الضوء الخافت. إنها تحتاج إلى الماء.



هذا هو ما جاءت من أجله في النهاية، السبب الذي دفعها للمخاطرة بالسير مباشرة إلى مخيم أحدهم. كانت بحاجة إلى الماء. لتشرب، لتغسل جرحها. لكن ذلك لن ينقذها.

لا أستطيع إنقاذها.

تنهدت بإحباط، موشكاً على فقدان أعصابي وأنا أخلل أصابعي في شعري، وما زلت أبحث عن تلك المطرات اللعينة. لكن عقلي لم يتوقف عن إعادة عرض المشهد، ولم يتوقف عن التخبط حيال ما حدث للتو.

أدركتُ أن خطباً ما قد حدث حين رأيت ذراعها ترتجف. رأيتها تهتز تحت وطأة الإبقاء على القوس مصوباً نحوي، مستعدة لتنفيذ تهديدها بالإطلاق. ثم رأيت ركبتها ترتجفان، ورأيت النار تنطفئ من عينيها الزرقاوين المشتعلتين. لكن الأهم من ذلك كله، أنها لم تكن تتلاعب بي، لم تكن تمازحني أو تلوي فمها بتلك الابتسامة الماكرة التي أستمع بها بشدة. وهذا ما أقلقني أكثر من أي شيء آخر.

والآن أنا غاضب منها بشدة.

أرادت مني الرحيل. كانت ستحاول التعامل مع هذا بمفردها. كانت لتموت وحدها. إنها عنيدة بحق الجحيم لدرجة أنها قد تختار قتالي حتى تنهار على أن تسمح لي برؤيتها مصابة.

صورة انهيارها على الأرض أرسلت قشعريرة في جسدي، مجمدة غضبي المشتعل. قد يظن المرء أنني أصبحت مخدراً تجاه رؤية الألم الآن، وأنا أشاهد الموت يحصد ضحية أخرى. لكن حين انهارت، تصدع شيء بداخلي. كانت رؤيتها بهذا الضعف، بهذه الهشاشة، بهذا الاختلاف عن طبيعتها، كافية لتحطيم جزء من الروح التي نسيْتُ أنني أمتلكها.

تعثرت قدماي بشيء في الظلام.

أخيراً.

انحنيتُ لألتقط المطرة، لكن أصابعي أُطبقت على صندوق معدني صغير. اقتربتُ من ضوء النار، ملقياً نظرة عبر كتفي على بيدن التي تتن بصوت خشن.

ليس لديّ وقت لهذا.

كنتُ على وشك الإطاحة بالصندوق لأبعد مسافة ممكنة بدافع الغضب والإحباط، حين التمع الرمز المرسوم على الغطاء في الضوء، خاطفاً انتباهي. كانت ماسة خضراء باهتة تلمخ السطح، ولم أتردد لحظة قبل أن أنتزع الغطاء لأكشف عن قارورة صغيرة تحوي سائلاً داكناً كالخبر.

حدقتُ فيها. حدقتُ في تلك المعجزة المتجسدة في مرهم شفاء صنعه المعالجون (Healers) بأنفسهم، قوي بما يكفي لمداواة أشد الجروح فتكاً. ثم بدأت أضحك بجفاف، غير قادر على التوقف. العبثية، والاستحالة المطلقة لهذا كله أصابتني بالهستيريا. لا بد أن براكستون قد التقطه من مكان ما في الغابة وأسقطه أثناء قتالنا.

كانت نجاة بيدن مختبئة في الظلال طوال هذا الوقت.

تمتمتُ وأنا أهز رأسي بغير تصديق بينما التقت قدمي أخيراً بإحدى مطراتي على الأرض:

– «بحق الطاعون.»

في غضون لحظات، كنت راكعاً بجوارها؛ وصدرها بالكاد يعلو بأنفاس ضحلة. سحبتُ المرهم من الصندوق، فأنكشفت إبرة وخيط سميك لخياطة الجروح يقبعان تحته. ووجدتُ نفسي أضحك مجدداً.

لا يُصدق. لا يُصدق بحق الجحيم.

سكبتُ بحذر بعض السائل الداكن على زاوية نظيفة من قميصي المتبقي. سيكون هذا مؤلماً ولاذعاً، لذا من الجيد أنها فاقدة للوعي حين ضغطت القماش على جرحها، تاركاً المرهم يتسرب إلى الشق. مررتُ ببطء على طول القطع، مراقباً تدفق الدماء المستمر وهو يبدأ في التباطؤ بالفعل. ربتُ بالقماش

على جزء غائر بشكل خاص من الشق، فانفتحت عيناها على اتساعهما قبل أن تندفع يدها نحو وجهي.
اللعة.

كانت صفعتها قوية بشكل صادم لشخص كان منذ لحظات قريباً بشكل خطير من لقاء الموت. ظل رأسي ملتقاً إلى الجانب من صدمة وقوة ضربتها، لكن ابتسامة بطيئة ارتسمت على شفتي.

قلتُ وأنا أنظر إليها أخيراً، لأجد عيني زرقاوين جامحتين تحدقان بي، وكانت تلهث في ارتباك واضح:

– «آه. أهكذا تشكريني على إنقاذ حياتك؟»

مسحتُ وجهها بنظراتي، مرتاحاً لرؤية بعض اللون يزهر بالفعل على وجنتيها، ورؤية عينيها تلتمعان مجدداً بتلك النار المألوفة.

قالت وهي لاهثة وترتعد كلياً:

– «أنا من يجب أن تقول "آه". بحق الجحيم ما هذا؟ إنه يحرقني.»

تنقلت عيناها من جرحها النظيف إلى المرهم الذي لا يزال مقبوضاً في يدي. ثم حاولت الجلوس. كانت محاولة جيدة، رغم تأوها من الألم.

قلتُ وأنا أضع يدي على جانبها السليم، مستقرة تماماً في انحناءة خصرها بينما أضغط عليها ببطء لتعود وتستلقي على أرض الغابة:

– «على رسلك يا عزيزتي. يمكنكِ صفعي قدر ما تشائين بمجرد أن تُشفي، ولكن حتى ذلك الحين، حاولي إبقاء يديكِ لنفسكِ.»

سألت بصوت خافت جداً لدرجة أن صرصار الليل المحيط بنا كاد يطغى على سؤالها، وعيناها مثبتتان على السماء، لا تجرؤ على النظر إليّ:

– «كيف لا أزال على قيد الحياة؟»

أجبت وأنا ألتقط مطرة الماء وأقربها إلى شفتيها:

– «يعود الفضل لـ براكستون في ذلك. اشربي. أنتِ تعانين الجفاف. رغم أنكِ كنتِ ممتعة حقاً وأنتِ تهذين.»

رمقتني بنظرة غاضبة بينما كنت أميل المطرة للخلف، تاركاً إياها تبتلع الماء بنهم. نظرت إليّ مترقبة، فتنهدتُ موضحاً:

– «زارني براكستون في وقت سابق، ولا بد أنه أسقط المرهم الذي عثر عليه أثناء قتالنا. وأشك أنه سعيد بذلك، نظرًا لأنه كان يمكن أن يستخدمه لنفسه.»

دفعت يدي بعيداً، رافضة الشرب أكثر حتى تحصل على بعض الإجابات. أيتها الصغيرة العنيدة.

تأملت عيناها إصابتي المضمدة ثم وجهي، تحاول قراءتي وهي تقول:

– «إذن أنت لم-»

أجبتُ بفتور، مجيباً عن السؤال الذي حملته نظراتها:

– «لا، لم أقتله.»

رمقتني بنظرة غريبة، لم أرها توجهها لي سوى مرات قليلة من قبل. تنحنحتُ وأشحتُ بوجهي، متكئاً إلى الخلف على راحتيّ بينما واصلت دراستي بنظراتها.

– «يجب أن تعرفي أن القتل ليس هوايتي.»

شعرت أنني بحاجة لقول ذلك. شعرت أنني بحاجة للاعتراف بذلك لها، ولنفسي. ما أفعله – ما فعلته – كان له غاية، سبب. ما زلت وحشاً، لكنني لست من ذلك النوع الذي يعشق الأفعال البغيضة التي يرتكبها.

ها هي تلك النظرة تعود. كأنها تنفذ عبر أقنعتي العديدة، وتهدم جدرانني، وتعريّني تماماً بنظرة واحدة منها. أكره ذلك – وأحبه. أشعر بالحرية – وأشعر بأنني محاصر. فكرة أن زوجاً واحداً من العيون الزرقاء يمكن أن يتركني هشاً هكذا، مكشوفاً هكذا، فكرة مقلقة.

لذا، أفعل ما أبرع فيه – المراوغة.

تنحنحت قبل أن أنحني إلى الأمام وألتقط قميصي الممزق. بعد أن أفرغت بقية المرهم على القماش، ضغطته برفق على جرحها. ففحّت متألمة وطار عيناها لتلتقي بعيني، مشتعلتين بنار جعلتني أضحك بخفوت.

– «أوه، هذا ليس الجزء الأسوأ حتى يا عزيزتي. ما زال عليّ أن أخیط جرحك.»

حاولت تهدئة أنفاسها المرتجفة، ورفرفت رموشها الطويلة لتغلق عينيها وهي تقول:

– «لماذا تفعل هذا؟»

سؤال في محله تمامًا، رغم أنني لا أنوي الإجابة عليه حتى أحصل على بعض الإجابات بنفسني. التقت الإبرة الغليظة القاسية وبدأت العملية المضنية في تمرير الخيط الطبي السميكة عبرها.

– «ولم لا أكون أنا من يطرح الأسئلة؟»

كانت نظرتي مصوبة نحوها، صلبة وخالية من المشاعر. لكن هذا مجرد قناع آخر، بما أنني كنت أغلي من الغضب في تلك اللحظة.

– «من منهم فعل بك هذا؟»

انفتحت عيناها على اتساعهما، وبدت مرتبكة وغير واثقة من نفسها أكثر مما رأيتها من قبل. لكنها تماكنت نفسها بسرعة، مطلقة ضحكة مهتزة.

أدارت رأسها إلى الجانب لتنظر إليّ من حيث ترقد على سرير من الطحالب والتراب والأوراق.

– «هذا لا يهم.»

وكانت هذه هي الإجابة الوحيدة التي تفضلت بإعطائها لي قبل أن تدير رأسها مجددًا نحو السماء المرصعة بالنجوم فوقنا، متجنبًا نظراتي.

وجدت أصابعي طريقها إلى ذقنها، ثم جذبت وجهها نحوي لأتمكن من النظر في عينيها وأنا أقول:

– «سأسأل مرة أخرى. من فعل بك هذا؟»

كانت يدي لا تزال تقبض على ذقنها، على فكها القوي، بينما واجهت نظرتي وقالت:

– «وما شأنك أنت؟»

ثم أطلقت ضحكة مريرة، اهتز لها جسدها تحت أصابعي.

– «لأنني لا أتسامح مع العبث بالعابي.»

ستكره ذلك حتماً.

– «بماذا...؟»

توقفت، وعيناها تستعران غضباً، وحنقها يتصاعد.

– «هل هذا ما تظنني عليه؟ مجرد لعبة يمكنك العبث بها؟»

– «أجل. ومن الواضح أنها لعبة هشة جداً فوق ذلك.»

بحق الطاعون، إن لم أكن في طريقي إلى الجحيم بالفعل، فأنا ذاهب إليها الآن.

تلعثمت بغضب. تلعثمت حقاً. لم أرها يوماً عاجزة عن الكلام بهذا الشكل من قبل، ويجب أن أعترف أن المشهد كان ممتعاً للغاية.

– «بحق الجحيم، ما خطبك؟ أوه، إذن تظنني هشة؟ سأريك كم أنا هشة حقاً يا...»

قاطعتها بهدوء في منتصف تهديدها:

– «ها قد انتهينا. الغرزة الأولى هي الأسوأ دائماً، خاصة مع إبرة ثقيلة كهذه.»

رمشت بعينيها، وأطبقت فمها عندما نظرت إلى الأسفل لترى الإبرة التي مررتها عبر الجرح الغائر دون أن تدرك، فقد كانت غاضبة جداً لدرجة أنها لم تشعر بالألم. وهو بالضبط ما كنت آمل حدوثه.

– «أنت... أنت... أنت...»

تلعثمت مرة أخرى، فتفضلت بإكمال الجملة نيابة عنها.

– «ذكي؟ لا أقاوم؟»

لهثت قائلة:

– «ماكر، متعجرف، وغد مغرور تمامًا.»

– «هذا ما كنت سأقوله بالضبط.»

ارتسمت شبح ابتسامة على شفتي.

– «يسعدني أن أرى أنك تشعرين بتحسن كافٍ لإهانتني.»

أمسكت الإبرة مرة أخرى وقربت الجلد حول جرحها، مستعداً لصنع غرزة أخرى على ضوء النار.

همست وكأنها لا تزال تستوعب الأمر:

– «لقد شتت انتباهي.»

ثم أطلقت ضحكة مكتومة وأضافت:

– «لقد شتت انتباهي بتصرفك كأحمق، لكن ذلك نجح رغم كل شيء.»

نظرت إليها نظرة سريعة قبل أن أقول:

– «نعم، كنت أحمقاً. وأريدك أن تعرفي أنني لم أقصد ما قلته.»

دفعت الإبرة عبر جلدها أثناء حديثي، مستخدماً كلماتي كمشتت آخر، رغم أنها لا تزال تطلق فحيحاً خافتاً من الألم.

– «أنت لست لعبة، ناهيك عن أن تكوني هشة.»

كانت تراقبني وأنا أعمل، وأرغمت نفسي على ألا أذوب تحت نظرتها

الحارقة.

– «حدثيني عن وطنك. عن «حي النشالين»،»

قلت، محاولاً إبعاد تفكيرها عن الإبرة التي تخترق جلدها.

– ««حي النشالين» لم يكن وطناً لي بالضبط.»

صمتت، ولمحتها تعض باطن خدها قبل أن تتابع.

– «كان لي وطن ذات يوم. كنت أنا ووالدي فقط، لكن... لكننا كنا سعداء.»

جفلت عندما صنعت غرزة أخرى، لكن كلماتها التالية كانت بقسوة الإبرة.
– «ثم مات، وأصبحت أدينا هي وطني. كنا نكسب عيشنا معاً في «حي النشالين». لقد جعلتُ هي «حي النشالين» مكاناً يستحق العيش فيه.»
– «منذ متى وأنتِ تعيشين في الشوارع؟»
– «خمس سنوات. كنت في الثالثة عشرة عندما مات والدي، ومنذ ذلك الحين، وأنا أعيش في كومة من القمامة تفضلت أدينا بتسميتها الحصن.»
ضحكت بمرارة عند ذكر ذلك.

– «من سن الثالثة عشرة حتى الخامسة عشرة، كنا بالكاد ننجو. لكننا كبرنا بعد ذلك. اكتشفنا كيف تسير الأمور واستقرينا في روتين يبقينا شبعي ومكسوين. كل منا كان يمتلك مهاراته الخاصة التي أبقتنا على قيد الحياة.»
تركت كلماتها، وقصتها، تتغلغل في داخلي. تساءلت في صمت عما حدث لوالدها، أو لوالدتها في هذا الصدد.
سألتها بفضول:

– «إِذَا، والدك هو من علمك القتال؟»

– «منذ أن كنت طفلة. كان يعلم أن قدرتي ليست قدرة يمكنني استخدامها جسدياً، لذا حرص على ألا أكون يوماً بلا دفاع حقاً.»

كان صوتها يرتجف وأنا أُمِرُّ الإبرة عبر أعرق جزء من الجرح. انطلقت يدها وأمسكت بساعدي، وغرزت أظافرها في جلدي وهي تعض على لسانها لتمنع نفسها من الصراخ ألماً.
تنحنحتُ وسألت:

– «والخنجر الذي تحبين حمله على فخذك هكذا... هل كان لوالدك؟»

– «نعم، إنه... كان له.»

كانت ضحكتها متوترة.

– «أفترض أن الفضل يعود إليه في ميولي العنيفة.»

نظرت إلى الأعلى وابتسمت قبل أن أقول بحذر:

– «ووالدتك...؟ هل يعود الفضل إليها في أي من صفاتك الرائعة؟»

قالت بنبرة خالية من المشاعر:

– «ماتت. ماتت بمرض بعد ولادتي بفترة قصيرة. لم أعرفها قط.»

ذكرني ذلك بكيت وكيف ماتت والدته بطريقة مماثلة، مأساة يتشاركها.

اشتدت قبضتها على ذراعي وأنا أواصل دفع الإبرة عبر جلدها، شاقاً
طريقي ببطء نحو نهاية الجرح الغائر. كانت عيناها مغمضتين بقوة لمقاومة
الألم، رافضة البكاء أو حتى إطلاق صرخة.
عنيدة جداً. قوية جداً.

– «قليل بعد يا بيدن،»

همست. ارتجفت ولم يفتني ذلك. لست متأكداً إن كان ذلك بسبب الألم أو
لأنني نطقت اسمها أخيراً. تذكرت لحظة سقوطها على الأرض. عندما تملكني
الجنون والهلع، وأدركت فجأة أنني لم أنادها باسمها منذ أن التقينا.

وفي تلك اللحظة، أدركت أنني أردت قول اسمها – أردت أن تسمعه من
شفتي. أدركت أنها لو ماتت، فلن أنظر أبداً في تلك العينين الزرقاوين مجدداً،
ولن أنطق ذينك المقطعين اللذين استقرا في ذهني.

لذا نطقت اسمها، مراراً وتكراراً. سمحت لنفسي أخيراً بفعل ذلك.
سمحت لآخر خيط من التعلق بها أن يثبت في مكانه. مجرد نطق اسمها بدا
حميمياً، شخصياً، بطريقة ما.

والآن، أريد اسمها دائماً على شفتي، يتدحرج على لساني حتى أثمل
بطعمه وصوته.

بحق الجحيم، ما خطبي؟

التقت عيناها بعيني، متألئتين كمسطح مائي في ضوء النار.

– «لماذا تفعل هذا؟»

نظرتها تخبرني أنه لا مفر من الإجابة هذه المرة، رغم أنني لست متأكدًا حتى من أنني أملك إجابة لها أو لنفسِي. كل ما أعرفه هو أن لدي هذه الرغبة القوية في حمايتها، في البقاء معها، في مشاغبته، في لمسها. إنه أمر مرعب.

قلت بدلًا من ذلك:

– «ما المتعة في الفوز بالانسحاب؟ أي نوع من الرجال النبلاء سأكون لو أخذت شريطك وتركتك لتموتي؟»

رفعت رأسها عن الأرض، وعيناها تبحثان في عيني وهي تسخر:

– «هل تقول لي إنك فعلت كل هذا لتكون نبيلًا؟»

– «ولماذا يفاجئك هذا إلى هذا الحد؟»

– «ربما لأن عليك أن تكون نبيلًا لتتصرف بنبل.»

– «ومن قال إنني لست كذلك؟»

– «أود أن أجد شخصًا واحدًا يقول إنك كذلك.»

ابتسمت لها، متأملًا كل تفصيلة في وجهها. فتحت فمي لأقول شيئًا ذكيًا وغير لائق تمامًا عندما طقطع غصن إلى يساري. كان هناك متبصر يراقبنا بعينين زجاجيتين، يوثق المشهد أمامه. وشعرت بالخجل لأنني لا أعرف منذ متى وهو يقف هناك، بسبب انشغالي التام بالفتاة أمامي.

لا يسعني إلا أن أتخيل ما سيظنه والدي من هذا – منا. مني وأنا أساعد، أنقذ، وأستمتع بوجودي مع فتاة من العشوائيات.

لن تكون المرة الأولى التي أخيب فيها ظنه، وبالتأكيد لن تكون الأخيرة.

رمش المتبصر بعينه، مجليًا غباشتهما قبل أن يختفي في ظلام الليل. التفت عائدًا نحو بيدن، التي كان انتباهها لا يزال مثبتًا على البقعة التي كان الرجل يقف فيها. ثم نظرت إلى بطنها المكشوف، والجرح الذي خُيِّط بالكامل الآن.

بدأت أربط ما تبقى من قميصها الواسع فوق الجرح وحول خصرها.
تتبع عينا بيدن حركاتي، مراقبة يديّ ومتأملة وجهي.

قلت بنبرة أكثر عفوية بكثير مما كنت أشعر به:

– «لم تجيبي على سؤالي بعد.»

– «عليك أن تكون أكثر تحديداً من ذلك يا آزر.»

– «سألت من بحق الجحيم فعل بك هذا.»

ضحكت باستهزاء، وأشاحت بوجهها.

– «أوه، ذلك السؤال. إنه لا يهم.»

– «إذا كان لا يهم، فأخبريني إذن.»

رمقتني بنظرة منزعة قبل أن تتنهد مستسلمة.

– «إنه آيس. هل أنت سعيد الآن؟ لقد استخدم أوهامه لاستدراجي.»

شحب وجهها فجأة مرة أخرى.

– «لقد جعلني أرى... أشياء.»

لم أرها يوماً تبدو مسكونة بالرعب هكذا، وصدمني مدى كراهيتي لذلك.

– «هل قتلته؟»

قالت بصوت خافت:

– «لا، لم أقتله.»

خيم علينا الصمت، ومررت يدي على ضماداتها الخشنة لأتأكد من ثباتها
بينما كانت تحرق بي. ثمناولتها مطرة الماء قبل أن أجبرها على ابتلاع بعض
لحم الأرنب المحترق.

انشغلت بترتيب المخيم الصغير، وعندما التفت لأنظر إلى بيدن من حيث
كنت أذكي نيران الموقد التي توشك على الانطفاء، كانت جفونها تتدلى،
ورموشها ترفرف متوعدة بالنوم. ثم أدركتها ترتجف قليلاً في نسيم الليل
البارد.

حسنًا، هذا لن ينفع.

ركعت بجوارها، ورفعتها بين ذراعيّ عن الأرض وحملتها لتقترب من النار. تدمرت بوهن وهي تريح رأسها على صدري قبل أن أضعها على التراب المدكوك، مراقبًا صدرها يعلو ويهبط بأنفاس منتظمة، تختلف تمامًا عن الأنفاس المتقطعة والسطحية التي كانت تختنق بها قبل قليل.

ثم جلست هناك. لم أستطع إبعاد نظري عنها وهي تغط في النوم بجوار النار، حية وتتنفس بعمق. ارتجفت مرة أخرى، مما جعلني أتمنى لو كان لدي بطانية أقدمها لها، لو كان لدي أي شيء أقدمه لها. صدمتني حقيقة تلك الفكرة كضربة في المعدة.

ليس لدي ما أقدمه لها.

أنا مخطئ، مخطئ جدًا بالنسبة لها. إنها شجاعة جدًا، جريئة جدًا، رائعة جدًا بالنسبة لي. ربما يمكنني أن أكون رجلًا أفضل. ربما يمكنني أن أكون أشبه بكيت، بقلبه المفتوح وسعادته الظاهرة. ربما يمكن للمنفذ المستقبلي أن يحطم بضعة جدران، وأن يصبح رجلًا يتجاوز الأقنعة التي يرتديها أمام شعبه.

لكن منذ أن اكتشفت أنني الأمير وأعلنتنا أعداء، جاريته في ذلك، رافضًا أن تتفوق عليّ. وكان الأمر ممتعًا. كان ذلك التلاعب والمشغبة بيننا بمثابة تشتيت لكيلنا.

لكن الآن؟

إذا قُدر لي أن أكون عدوها، فأريد أن يكون ذلك لأنها تمقت نفسها لرغبتها بي.



الفصل 27

بيدك

أستيقظ على ذلك الصوت الرسمي لسوء الحظ... طيور تنعق فوق.
لقد استيقظتُ حقاً.

أضيق عينيَّ هرباً من شمس ساطعة تعمي الأبصار، وأمرر يدي برفق فوق موضع جرحي الذي يتماثل للشفاء، مختبئاً تحت طيات القماش الممزق.
أنا على قيد الحياة. أنا أتنفس. أنا أتعافى.

ثم تجد أصابعي طريقها إلى الشريط المشدود حول ذراعي. يغمرني
الذهول حين أجده ما زال مكانه. مذهولة لأن كاي لم يقطعه عن جسدي
المحتضر في المقام الأول. مذهولة لأنه أنقذ حياتي، واعتنى بي حتى استعدت
عافيتي، وسمح لي بالاحتفاظ بشريطي الغبي رغم كل شيء.
على ما يبدو، لقد تكبد كل هذا العناء ليثبت أنه يتمتع بروح رياضية، وأنه
رجل نبيل.

هراء محض.

قال بصوته العميق:

— «صباح الخير. حسناً، لقد قاربنا على الظهيرة في الواقع.»



ألتفتُ بحدة نحو الصوت العميق الآتي من خلفي. وها هو ذا، يداه في جيبه، وكاحلاه متقاطعان، يسند ظهره إلى غصن متدلٍ. والآن، وبما أنني لم أعد على بعد نفس واحد من الموت، بدا مظهره - وصدره العاري - مشتتاً للانتباه بشكل مفرط ومفاجئ. أشحتُ بنظري سريعاً، لكن لم تفتني تلك الابتسامة الماكرة التي انزلقت على شفثيه حين ضبطني وأنا أختلس النظر. وغد مزعج ومغرور.

قلت وأنا أنفض التراب عن ملابسي بتكلف عفوي:

- «أنا مندهشة أنك ما زلت هنا. أنت وشريطي.»

أطلق ضحكة خافتة من خلفي وتساءل:

- «هل أنت متلهفة للتخلص مني يا عزيزتي؟»

تنحنحتُ واستدرتُ لأواجهه، متكئة إلى الخلف على راحتي وأنا أرمقه بفضول. كان شعره فوضوياً، وتلتصق خصلاته بجبينه بفعل العرق، تماماً فوق عينيه اللتين تلتمعان كشظايا الفضة. ثمة ظل لحية خفيفة يكسو فكه الحاد، وأكاد أميز الغمّازة الخفيفة على خده الأيمن، والتي كانت مشتتة وفاتنة بالقدر ذاته.

لا أطيق ذلك.

سألته وأنا أشير بيننا:

- «إذن، ما هي الخطة؟»

أمال رأسه قليلاً إلى الجانب، وراح يحدق بي متلاعباً وهو يقول:

- «الخطة بخصوص...؟»

إنه يعرف تماماً ما أعنيه.

قلت:

- «بخصوصنا.»

قال بابتسامة:

- «بخصوصنا. يعجبني وقع هذه الكلمة، ألا توافقيني؟»

قلّبتُ عينيّ متجاهلةً تلاعبه، وسألت:

– «ماذا سنفعل الآن؟»

أجاب:

– «هذا سؤال يحمل أوجهًا كثيرة يا جراي.»

رمشتُ بعينيّ. لم ينادني باسمي الأول. ولسبب يثير الجنون، تمنيت لو أنه فعل.

كنت حانقة على نفسي وعليه في آنٍ واحد، لذا، وبطبيعة الحال، صببتُ غضبي عليه وسألته:

– «لماذا لم تأخذ شريطي؟ ولماذا لا تحاول أخذه الآن بعد أن تعافيت؟»
ارتفعت زاوية فمه في تسلية وهو يبتعد عن غصن الشجرة ويخطو نحو،
قائلًا:

– «وهذا سؤال آخر يحمل أوجهًا كثيرة.»

تعمقت غمازته اليمنى وهو يتابع:

– «أولاً، أنتِ لم تتعافي تمامًا. ثانيًا، لماذا أفوّت فرصة أن نعمل معًا؟
أنتِ تعلمين أننا نشكل فريقًا رائعًا. وثالثًا...»

انحنى القرفصاء أمامي لتتلاقى أعيننا، وأكمل:

– «...من اللطيف أنكِ تفترضين أن بإمكانني "المحاولة" لأخذ شريطكِ منك.»

الآن كلتا غمازتيه تسخران مني.

دنا وجهي من وجهه، وبنبرة مفعمة بالتحدي قلت:

– «حسنًا، إن كنت واثقًا إلى هذا الحد، فتقدم وجرب. أنا متأكدة أنك تتذكر كيف انتهى قتالنا الأخير.»

قال:

– «أنتِ ما زلتِ مصابة، أتذكرين؟»

قطبتُ حاجبيّ وأنا أنظر إلى كتفه المضمد، رغم عدم وجود أي بقع دماء على القماش الأبيض، وقلت:

– «وأنت لا تبدو بحال أفضل بكثير.»

اتسعت ابتسامة خبيثة على وجهه بينما تنقلت عيناه بين عينيّ، وتساءل:

– «هل تشعرين بالقلق على شريكك الجديد؟»

كان قريباً. قريباً جداً. تفوح منه رائحة الصنوبر والمطر والعرق، و... بحق الطاعون، أحتاج إلى تشتيت انتباهي.

انتزعتُ نظراتي منه وسحبتُ قوسي وكنانتي محاولةً الوقوف على قدميّ. والأصح أن أقول: أكافح للوقوف على قدميّ. نهض كاي معي، وسندني بوضع يد على كتفي والأخرى على جانبي السليم. حاولتُ أن أخطو مبتعدة، منزعة من اعتقاده بأنني بحاجة إلى مساعدته. لكن ساقيّ كانتا كالهلام، وكالحجر، في آنٍ واحد، مما أثبت أنني بحاجة فعلية لمساعدته حين تعثرتُ وسقطتُ على صدره الصلب. اهتز صدره بضحكة خشنة لم تزدني إلا حنقاً.

مرر إصبعه على الشريط، ملامساً بشرتي وهو يقول:

– «أجل، لا أعتقد أنني سأواجه صعوبة كبيرة في انتزاع هذا الشريط

منك.»

أمسكتُ بمعصمه ورفعتُ بصري إليه قائلة:

– «حسناً، إذا كنا سنصبح شريكين، فلن تضطر لإيذاء نفسك بمحاولة

أخذ شريطي على الإطلاق.»

تأملني من قمة رأسي إلى أخمص قدميّ بحاجبين مرفوعين قليلاً وسأل:

– «إذن، أنتِ توافقين؟ شريكان؟»

فكرتُ في الأمر ملياً، وازدعتُ في اعتباري أنني أفضل القتال جنباً إلى جنب مع المنفذ المستقبلي على القتال ضده.

ضيقتُ عينيّ تجاهه وسألته:

– «كيف لي أن أعرف أن بإمكانني الوثوق بك؟»

سخر قائلاً:

– «ألم يعنِ لكِ إنقاذي لحياتكِ شيئاً؟»

أجبتُه:

– «وأنا أنقذت حياتك. وهذا لا يعني أنك تثق بي.»

سأل:

– «وما أدراكِ أنني لا أفعل؟»

حدق كلُّ منا في الآخر.

بحق الطاعون، فيمَ أورط نفسي؟

ربما لأنني أضعف من أن أقاتله، أو لعل الأسوأ من ذلك؛ أن ذلك الجزء

مني الذي لا يريده أن يرحل هو ما دفعني للقول:

– «حسنًا. شريكاً.»

حوّلتُ بصري من كتفه المصاب إلى جذع الشجرة الطويل خلفه، قبل أن أضع راحتيّ على صدره، حيث لفتتني حرارة بشرته تحتها. دفعته إلى الخلف حتى اصطدمت ساقاه بالجذع، ثم ضغطتُ على كتفيه إلى الأسفل حتى جلس أمامي.

تراقصت أطياف المشاغبة في عينيه الدخانيتين وهو يرمقني من الأسفل

متسائلاً:

– «ما الذي تفعلينه يا جراي؟»

أجبتُه ببساطة وأنا أشرع في فك ضمادته المؤقتة:

– «أقوم بعلاج شريك.»

ابتسمتُ قبل أن أضيف:

– «لن تنفعني بشيء وأنت مصاب.»

قال بتهكم جاف:

– «قلقك على سلامتي يثلج الصدر حقاً.»

تجاهلته ورحت أسحب القماش العنيد الملتصق بالجلد تحته. شتمتُ بصوت خفيض حين لمحتُ أخيراً رقعة الجلد المحترقة والمتقرحة أسفل عظمة ترقوته. كانت ملتهبة ودبقة، ولم أكن بحاجة لملاحظة انقباضة فكه المشدودة لأدرك مدى الألم المبرح الذي تسببه.

نظرتُ إليه، لأجد عينيه مصوبتين نحوي بتركيز شديد جعلني أبتلع ريقى قبل أن أسأله:

– «أين مرهم الشفاء؟»

أجاب بلامح خالية من التعابير:

– «نفد.»

حاولتُ أن أرمش مبعدةً ارتباكي دون جدوى:

– «هل استخدمته كله لعلاجي؟»

قالها باردًا، هادئًا، ومتمالكًا لنفسه. هذا هو كاي:

– «وبلا تردد.»

تلعثمتُ باحثة عن الكلمة المناسبة:

– «حسنًا، لقد كان ذلك...»

– «نكرانًا للذات؟»

قاطعته مكملةً جملتي:

– «غباء.»

تنهدتُ بعمق قبل أن أتمتم:

– «أنت دائماً ما تجعل الأمور أكثر صعوبة بالنسبة لي، أليس كذلك؟»

استدرتُ على عقبي ومشيتُ نحو حافة الجدول. كنتُ أشعر بعيني كاي تتابعانني بينما ركعتُ أبحث عن نباتات معينة لأصنع منها مرهمي المؤقت. لن يشفيه هذا كالسحر مثلما كان ليفعل مرهم المعالجين، لكنه سيخفف من الألم والالتهاب بشكل ملحوظ.

لحسن الحظ، تنمو أغلب النباتات التي أحتاجها بالقرب من المياه عادةً، لذا تمكنتُ من العثور عليها بسهولة. التقطتُ المزيد من لحم الأرنب المطهو لأقضمه بينما أبحث عن مكوناتي. وبعد جولة طويلة من السير صعودًا ونزولًا على ضفة الجدول، بينما يتخذني البعوض وليمةً له، قمتُ أخيرًا بطحن الأوراق والسيقان التي وجدتُها باستخدام حجر. أضفتُ الماء إلى النباتات المسحوقة، فحصلتُ على معجون أخضر سميك.

عدتُ أدراجي إليه بعد نصف ساعة تقريبًا، لأجد كاي ما زال يراقبني. وقفتُ فوقه، متجاهلة شعوري بتحديقه فيّ، بينما أمسكتُ الحجر الذي يستقر المرهم فوقه، وألقيت نظرة ثانية على جرحه.

أوماً برأسه نحو المزيج اللزج الأخضر الذي يلطخ أصابعي الآن وقال: - «أنتِ مليئة بكل أنواع المفاجآت. فتاة صغيرة موهوبة، أليس كذلك؟» ربتُ بالمرهم على جرحه، ففحَّ ألمًا من لسعته. فقلت:

- «أنا ابنة معالج، أتذكر؟»

أطلق تأوهاً آخر من الألم قبل أن يضيف بانزعاج:

- «أصبح من الصعب تتبع مهاراتك الكثيرة. بحق الطاعون يا بيدن، ما هذا الهراء بحق الجحيم؟»

أفلتت مني ضحكة ساخرة وقلت:

- «من كان ليتخيل أن المنفذ المستقبلي طفل باكٍ إلى هذا الحد؟»

دهنتُ المزيد من المرهم على جلده، فصرَّ على أسنانه قائلاً:

- «ومن كان ليتخيل أن فتاة العشوائيات بارعة في التعذيب؟»

قلت:

- «أوه، أرجوك. لا تكن درامياً.»

قال:

- «أتعلمين؟ لست مقتنعةً تمامًا بأنك لا تحاولين قتلي.»

رفعتُ حاجبي نحوه متسائلة:

– «إذن، أنت لا تثق بي بعد كل شيء؟»

ألقى نظرة شك نحو المعجون الأخضر الذي أفركه على جرحه وقال:

– «أنا لا أثق في هذا.»

ضحكتُ بصوت عالٍ، وهزئتُ رأسي تجاهه.

سكن فجأة عند لمستي، ورقصت عيناه بين عينيّ مع ابتسامة صغيرة ترتسم على شفتيه.

تنحنحتُ ورحتُ أبحث عن أي شيء لأقوله قبل أن أقرر أخيرًا ترك زمام الحديث له:

– «حسنًا.. لقد استمعتَ إلى قصتي عن وطني، فحدثني إذن عن وطنك. كيف كانت نشأتك في القصر؟»

راقبني بملامح جامدة وقال:

– «العيش في قلعة ليس بالأمر الساهر كما يبدو. يمكن أن يكون باردًا، ومزدحمًا. ناهيك عن أنك تحت مراقبة دائمة من عيون متطفلة.»

اختلجت شفاته بشبح ابتسامة.

– «لكنني وكيت صنعنا منه وطنًا. بحق الطاعون، لقد سيطرنا على المكان. لقد صنعنا...»

فحَّ عبر أسنانه قاطعًا كلماته:

– «تبًا يا بيدن، أنا مقتنع الآن أنك تحاولين قتلي.»

ضحكتُ وأنا أضيف المزيد من المرهم إلى جرحه:

– «هيا بحقك، إنها مجرد لسعة.»

وخزني في بطني، متجنبًا الجرح الغائر هناك بعناية، وقال:

– «لقد تسنى لكِ صفعي حين لسعتك جرحك، لذا أعتقد أنه يحق لي التذمر قليلًا.»

رمقته بنظرة ذات مغزى وقلت:

– «وهل تسمي هذا تدمراً قليلاً؟»

ضيّق عينيه تجاهي، لكنني استطعتُ رؤية التسلية فيهما.
تنهدتُ قائلة:

– «أنا آسفة. أكمل قصتك، وقدرك القليل من التدمر.»
تابع متأففاً:

– «كما كنت أقول، صنعنا أنا وكيت من القصر وطناً. صادقنا الخدم،
وتسابقنا عبر الأروقة، وتغيبنا عن الحفلات الراقصة لنتسلل إلى القبو ونسكر
حتى ننسى كل شيء ونكتفي بالضحك حتى تشرق الشمس. لربما تقاتلنا في
كل غرفة تقريباً من غرف القصر.. مرتين.»

صرّ على أسنانه حين ملأت جرحه بمزيد من المرهم، ورمقني بنظرة
منزعجة قبل أن يكمل:

– «لكننا كنا بحاجة إلى ذلك. إلى النزال المستمر، أو المقابل السخيفة
التي نوقع بها المسكينة جايل وبقية الخدم الغافلين. لأننا عندما لم نكن
نضحك ونشتت أنفسنا، كنا نتدرب وندرس. رغم أن ذلك كان يبدو مختلفاً
تماماً لكلّ منا.»

نظر متجاوزاً إياي نحو السماء الزرقاء المرسومة في الأعلى، ومسحت
عيناه الرماديتان السحب وهو يقول بجمود:

– «لا أتذكر حياتي قبل أن أصبح المنفذ المستقبلي. لا أتذكر اليوم الذي
بدأت فيه كل تلك الاختبارات والتجارب والتدريبات. يبدو الأمر وكأنه كان
كذلك دائماً.»

أطلق ضحكة خالية من المرح وتنهد قائلاً:

– «القدر شيء مضحك ومتقلب، لا يمنحك خياراً في الطريقة التي تحيا
بها.»

توقفتُ عن مسح المرهم، وبدلاً من ذلك رحت أحرق فيه باهتمام وسألته:

– «وتدريبك؟ كيف كان؟»

تنهد تنهيدة ثقيلة، من النوع الذي جعلني أتساءل عما كابده تحديداً في حياته القصيرة.

– «نشأتني أنا وكيت كانت مختلفة للغاية. ففي حين أن تدريب الملك المستقبلي تمثل في التوجيه والتعليم حول كيفية قيادة مملكته يوماً ما، كان تدريبي... عملياً أكثر. بصفتي المنفذ المستقبلي، لم أكتفِ بالتخطيط للمعارك، بل خضتها. ولم أكتفِ بتعلم فن التعذيب، بل قاسيته.»

ظلت يداي معلقتين فوق صدره وسألته:

– «أنت... قاسيته؟»

تأملني للحظة، وكأنه يقرر ما يريد قوله، قبل أن يكتفي بإجابة بسيطة:

– «أجل. وفي كثير من الأحيان.»

ابتلعت ريقى بصعوبة وسألته:

– «من... من فعل بك هذا؟»

قال بابتسامة خفيفة، راداً إليّ كلماتي ذاتها التي قلتها الليلة الماضية:

– «هذا لا يهم.»

لذا رددت له الصاع صاعين:

– «إذا كان لا يهم، فأخبرني إذن.»

اتسعت ابتسامته وقال:

– «من الجيد أن أعرف أنكِ تنصتين حين أتحدث يا جراي.»

قلت بصوت خافت:

– «هذه لم تكن إجابة.»

زفر الهواء وتلاشت ابتسامته وهو يقول:

– «والدي... لقد أخذ الملك على عاتقه تدريبي بانتظام. كان لدي معلمون

وجنرالات آخرون بالطبع، ولكن عندما لم أكن معهم، كنت مع والدي. ودعينا

نقول فقط إن أساليبه كانت... قاسية.»

لم أرد أن أعرف. لم أرد أن أعرف ما الذي فعله الملك بابنه، وما الفظائع التي أذاقه إياها. الأمر يثير غثياني. ومع ذلك، لم يكن يجدر بي أن أتفاجأ. لقد قتل والدي في نهاية المطاف، وكراهيتي للملك هي ما دفعني للحاجة إلى معرفة الجرائم الملتوية الأخرى التي ارتكبتها.

لذا سألته ببطء:

– «ما الذي فعله؟»

لاذ بالصمت للحظة طويلة قبل أن يقول:

– «جراي، لا أعتقد...»

قاطعته بهدوء:

– «أرجوك. لست مضطراً لإخباري إن لم ترد ذلك، لكنني أطلب منك هذا إن كانت لديك الرغبة.»

ثمة شيء ما في هدوء الغابة، تحت غطاء الأشجار، يمنحك شعوراً كافياً بالأمان لتبوح بأسرارك. شيء ما في إدراكك أنك قد لا تشهد يوم غد، يدفعك لفعل أشياء لن تندم عليها إلا إذا نجوت. لم تُصمم هذه التصفيات لبناء الثقة، ومع ذلك، ها نحن ذا نكشف عن أعماق أجزاء أرواحنا لبعضنا البعض. نقدم لخصومنا طرقاً لتمزيقنا بشكل أعمق مما قد يفعله أي سلاح.

التقى بنظرتي حينها، واحتفظ بها وهو يقول:

– «سأوفر عليك التفاصيل، لكنه أراني معنى التعذيب. ومعنى أن يتم تعذيبك. لقد علمني كل ما أعرفه. درّبني ذهنياً وجسدياً حتى رضي عما صنعه.»

التقط أنفاسه وتابع:

– «علاقة كيت بوالدنا تختلف تماماً عن علاقتي به. يقضيان وقتهما غارقين في الأوراق الإدارية ويتوطد بينهما الرباط من خلال مناصبهما، بينما يوجّه والدي أخي حول كيفية السير على خطاه. وكيت سيفعل ذلك بالضبط. سيفعل أي شيء لجعل الملك فخوراً، وقد فعل ذلك دائماً. أما أنا...»

ضحك كاي ضحكة خلت من أي مرح.

– «لستُ الوريث. أنا الابن الذي يمكن الاستغناء عنه. المنفذ المستقبلي الذي شكّله والدي وأرسله في مهام لسنوات.»

تنهد وهو يكاد يبتسم:

– «نمّلك أنا وأخي أدوارًا مختلفة تمامًا، وعلاقات مختلفة تمامًا مع والدنا. ولكن بسبب ذلك، سيكون كيت ملكًا عظيمًا. وسأكون أنا يده التي تقتل.»

توقفتُ للحظة، أراقبه عن كثب وهو يتفوه بتلك الكلمات الأخيرة. وسأكون أنا يده التي تقتل.

لا شيء. لا أثر لأي عاطفة، ولا أي تعبير يرتسم على وجهه. حدثتُ فيه للحظة، متسائلة عما إذا كانت الأقنعة التي صنعها لنفسه جاءت نتيجة لاضطراره إلى كبت مشاعره أمام والده. وربما كان هذا هو ما أراد الملك بالضبط؛ أن يكون منفذه المستقبلي مجردًا من المشاعر ظاهريًا. قال كاي:

– «سألتني مرة عما إذا كنت أتمنى لو كنت أنا الملك. وأنا متمسك بما قلته. لا أريد دور كيت في الحياة لأنني أرفض أن أعطيه دوري. أخي ليس بقاتل، ومن الأفضل أن أكون أنا من يفعل ذلك لا هو.»

تركتُ كلماته تتغلغل في داخلي قبل أن أتنحى لأسأل:

– «وماذا عن هذه التصنيفات المختلفة هذا العام؟ هل كل هذا مجرد مهمة أخرى عليك إنجازها؟»
أجاب ببساطة:

– «ليس إنجازها فحسب، بل الفوز بها. هذه التصنيفات مجرد وسيلة أخرى لأثبت نفسي لشعبي، ولأثبت قيمتي للملك.»

راقبته، وأنا أتوق لمعرفة ما يدور في رأسه. لم يسبق له أن أخبرني بهذا القدر عن حياته، عما مر به في طفولته، وما لا يزال يمر به حتى اليوم. إنه

السبب في اختلاف تصفيات التطهير هذا العام، وما بقيتنا سوى بيادق في لعبة لم تُصمم من أجلنا أساسًا.

دهنتُ المزيد من المرهم على جرحه وانتظرت حتى انتهى من تمتماته حول يقينه بأنني أخطط لقتله، قبل أن أطرح عليه السؤال الذي كان يلح عليّ:

– «دورك في الحياة كمنفذ مستقبلي.. ما رأيك فيه؟»

– «أعتقد أنه واجبي.»

قطبتُ حاجبيّ وقلت:

– «وأنا أعتقد أن لديك أفكارًا حول حياتك الخاصة أكثر من ذلك. أنا

أسألك أنت يا كاي. لا الأمير ولا المنفذ المستقبلي. أنت وحدك.»

توقفتُ قليلًا، وراح يتأملني بينما كررتُ سؤالِي:

– «ما رأيك في الأمر؟ في دورك؟ في حياتك؟»

صمت للحظة قبل أن تومض ابتسامة على وجهه وقال:

– «إذا أجبتك بصفتي كاي، فهل ستتوقفين عن استخدام هذه المادة

اللزجة؟»

رمق المعجون الذي بيدي بنظرة ذات مغزى.

انفرجت شفّتي عن ابتسامة وأجبتّه:

– «أجل، سأتوقف عن استخدامها.»

تلاشت ابتسامته الباهتة، تاركةً فكًا مشدودًا في مكانها وهو يسأل:

– «الحقيقة إذن؟»

همستُ:

– «الحقيقة دائمًا.»

حين أجاب أخيرًا، كانت نبرته جافة:

– «لم أرد هذا قط. لم أرد قط أن أكون ما أنا عليه اليوم. لكن الوحوش تُصنع ولا تُولد. ولم يكن لدي أي خيار في الأمر. وليس لدي أي خيار في الأمر.

لكنني لن أنكر حقيقتي، وسأفعل ما يجب علي فعله من أجل مملكتي. من أجل ملكي.»

وقعت كلماته عليّ كالصاعقة، وكان وقع معانيها أشد. إنه يعرف تمامًا ما هو عليه، وما يفعله. إنه بيدق يُتلاعب به في لعبة سيظل عالقاً فيها إلى الأبد، وكل فعل مروع يرتكبه، إنما يرتكبه باسم الواجب، باسم المملكة.

لكن هذا الفتى المائل أمامي نظري في عينيّ واعترف بأنه وحش، وأقرّ بما جُب عليه دون أن يظهر عليه ولو تلميح بسيط من الفزع. بل ارتسم القبول على ملامحه، متقبلاً ما هو عليه، وما سيكون عليه دائماً.

شردتُ في أفكاري، ومددت يدي لأمسح المزيد من المرهم على جرحه، لكنه أمسك بمعصمي وقال:

– «لقد اتفقنا يا جراي. ربما أكون معتاداً على التعذيب، لكن مرهمك هذا لا يُطاق.»

ابتسم لي ابتسامة ماكرة صغيرة، ومن الواضح أنه أراد تلطيف الأجواء الآن. أراد أن نفعل ما نبرع فيه؛ أن نتلاعب ببعضنا. وهذا ما فعلته بالضبط. قلتُ:

– «أنت محق. الاتفاق هو الاتفاق.»

مسحتُ يديّ بسرعة في العشب قبل أن أضيف:

– «شكراً لك لأنك أخبرتني عن... عنك.»

عندها، أطلق ضحكة خافتة سرعان ما قاطعتها قائلة:

– «وذكّرني أن أحذو حذوك وأتغيب عن الحفل الراقص القادم لأذهب وأسكر مع كيت.»

أكاد أقسم أنه تيبس قليلاً عند سماع كلماتي حين قال:

– «ولماذا قد تفعلين ذلك وأنا أكثر متعة بكثير؟»

ضحكتُ بخفة وقلت:

– «إذا كنت تقصد بالمتعة قدرتك على المغازلة؟ لأنك بالتأكيد تملك الكثير من ذلك.»

رمقني بابتسامة خبيثة وعريضة، فتعثر قلبي بغباء.

– «يبدو أنني لا أستطيع منع نفسي عندما أكون برفقة معينة.»
سخرتُ قائلة:

– «أجل، إذا كانت تلك "الرفقة المعينة" تشمل المملكة بأكملها؛ لأنك تبدو ميالاً لمغازلة كل أنثى في المملكة.»

تذكرت النساء الكثيرات اللاتي رقص معهن في الحفل، والطريقة التي راقبته بها وهو يرتدي تلك الابتسامة الساحرة.

بحثت عيناه في عيني وقال:

– «ماذا، أتريديني لك وحدك...»

هوت راحتي على وجهه، فأصابه الذهول وأسكنه. رمش بعينه. تراقص الارتباك مع بصيص ضئيل من التسلية على وجهه الذي صفعته للتو. وحين أدار رأسه نحوي أخيراً، رفعتُ يدي أمامه لأكشف عن الحشرة المسحوقة في منتصفها.

ابتسمتُ له ببراءة وقلت:

– «بعوضة. على الرحب والسعة.»

قال بجفاء:

– «يا لك من لطيفة.»

كانت ابتسامتي مشبعة بعذوبة مصطنعة وأنا أُلَف القماش مجدداً حول جرحه وكتفه، مغطياً المرهم بالضمادة المهترئة.

– «أنا أعتني بشريكي الجديد وحسب.»

– «أحقاً؟»

هممتُ بشرود وأنا أعض باطن خدي متفحصةً صنيعي:

- «همم..»

- «حسناً، في هذه الحالة...»

نهض كاي على قدميه، واقترب مني، ثم ضربني بخفة على وجهي. أطلقت ضحكة خالية من المرح، ولامست أصابعي خدي. ثم التقت نظراتي بنظراته المستمتعة. فهز كتفيه بلامبالاة قائلاً:

- «بعوضة.»

تحديثه قائلة:

- «أثبت ذلك.»

التوت زاوية فمه للأعلى وهو يرفع يده ليطوق وجهي ويقول:

- «صادف أن دليلي ما زال ملطخاً على خدك.»

حبست أنفاسي حين مرر إبهامه برفق على بشرتي قبل أن يرفعه ليعرض الحشرة الملطخة عليه ويضيف:

- «أعتني بشريكتي وحسب.»

كانت نبرته ساخرة، ومع ذلك، بدأت الضحكات تتفجر مني.

لم أستطع التوقف، لم أستطع السيطرة على ضحكاتي المجلجلة. كانت فكرة أن نضرب بعضنا البعض كالأطفال في منتصف تصفية مميتة فكرة هزلية للغاية. وللمرة الأولى، أتمنى لو كان هناك متبصر يراقب ما يحدث.

لم تزدني لمحة الارتباك والقلق على وجه كاي إلا ضحكاً، فكتمتُ جرحي النابض بيدي وأنا أهتز من فرط الضحك.

ربما لا أزال واهمة بعد كل شيء.

أفلتت مني ضحكة صاخبة، وكان هذا كل ما تطلبه الأمر ليشاركني كاي الضحك، أو بالأحرى ليضحك عليّ. كان الصوت غنياً وعميقاً، وبطريقة مستفزة، وجدتني أصمت لأتمكن من سماعه بشكل أفضل. ثم، وبسرعة مفرطة، توقف الصوت.

كان ينظر إليّ، وأنا أنظر إليه. لم أعرف ماذا أقول أو بم أفكر أو ما أفعل بينما جالت عيناه على وجهي، مستوعبتين مظهري القدر والمبعثر.

أما هو، من ناحية أخرى، فيبدو جذابًا بشكل مزعج كعادته.

نفضتُ الفكرة من رأسي، ومررتُ يدي في شعري المتشابك وأنا أكافح لصياغة الكلمات. وفي تلك الأثناء، كان كاي راضيًا بمراقبتي وأنا أتلوي باحثةً عن أي شيء لكسر الصمت الثقيل الذي خيم بيننا.

انخفضت عيناى إلى جرحه المضمد وتدحرجت الكلمات من فمي:

– «إذن، أفترض أن براكستون هو من فعل بك هذا؟»

ضحك كاي وهو يمرر يده في شعره، مما تسبب في تساقط الخصلات السوداء الفوضوية على جبينه مرة أخرى، وقال:

– «يجب أن تري ما فعلته به.»

قال الكلمات بعفوية شديدة لدرجة أنني كنت لأظنه يمزح لو لم أكن أعرف ما هو قادر عليه.

قلت وأنا أشيح بنظري:

– «أجل، حسنًا.»

كنت على وشك قول شيء من المرجح أن يثير غضب الأمير، لكنه رفع يده مسكتًا إياي.

– «لا. تتحركى.»

سخرتُ قائلة:

– «ماذا، هل هناك بعوضة أخرى على...»

أطبق بيده على فمي قبل أن يلفني من خصري، ويثبتني أمام جسده الصلب. ذهلتُ لثانية قبل أن أفكر في عض أصابعه التي تغطي شفتي. لكن شيئًا ما في تسارع أنفاسه جعلني أتوقف عن التخطيط للإفلات من قبضته. ومع التصاق صدره بظهري، أمكنني الشعور بقلبه يخفق بسرعة. بسرعة مفرطة.

لمحتُ حركةً في مجال رؤيتي الجانبي، فانتقلت عيناى إلى ذلك الكيان الضخم المتدثر بالظلال الذي يتسلل نحونا الآن عبر جدار الأشجار. تلاً الفرو الفضى تحت ضوء الشمس، متموجاً مع كل حركة للجسد القوي تحته. التقت عيون صفراء متوهجة بعينيّ حين توقف الوحش، يتفحصنا من بعيد.
نئب. لا. بل نئاب.

مسحت عيناى الأشجار، لأجد أربعة أجساد ضخمة أخرى مكسوة بالفرو، تتدرج ألوانها. راقبنا الخمسة وهم مختبئون جزئياً بين أشجار الصنوبر المحيطة، يقيّمون وجبتهم القادمة بعيون جائعة.
كان قلبي يقرع ضلوعي، وأنفاسي سطحية وسريعة. لحسن الحظ أن يد كاي كانت لا تزال تغطي فمي، لأنني كدت أصرخ حين شعرت بشفتيه تلامسان صوان أذني فجأة وهو يهمس:

– «يبدو أنك لا تنصتين أبداً، أليس كذلك؟»

رفعت يدي ببطء، مبقيةً عينيّ مصوبتين نحو الذئاب، وأمسكت بمعصمه لأبعد يده عن فمي وهمستُ بحدة:

– «من الناحية التقنية، لقد أنصت. أنا تحدثتُ، ولم أتحرك.»

شعرتُ بفمه يبتسم على أذني وهو يقول:

– «متذاكية.»

سألت بصوت ملح وأنا أراقب الذئاب:

– «إذن، ما هي الخطة؟ ماذا نحن فاعلان؟»

أفلت قبضته ودار ببطء حتى وقف أمامي، ثم همس بهدوء:

– «لا يوجد نحن. أنت ما زلت مصابة، ولن أجازف بتمزيقك لغرزي.»
مستحيل.

وقفتُ إلى جانبه بانزعاج وسألته:

– «ماذا حدث لكوننا شريكين؟»

تمتم وهو يسحب السيف بصمت من غمده المعلق بجانبه:

– «حسناً، لن نظل شريكين لفترة أطول إن أصررتِ على التسبب في مقتلِك.»

همستُ بحدة:

– «وَهَل ستواجه خمسة ذئاب بمفردك هكذا؟ لا أعتقد ذلك.»

لا توجد قوة في الجحيم ستجعلني أدعه يقاتل بمفرده. كبريائي وشكوكي لن يسمحا بذلك.

– «إذن من الواضح أنكِ تستهينين بي يا جراي.»

ببطء، ببطء شديد، سحبتُ القوس من على ظهري وأنا أراقب الذئاب. لم تتحرك، رغم أنها انخفضت أكثر نحو الأرض، متأهبة للانقضاض والوثوب نحونا.

أركبتُ سهماً في القوس.

فَحَّ كاي بصوت قلق ومحتد:

– «سينفتح جرحك مجدداً، وسأكون قد أنقذت حياتك هباءً.»

سحبتُ وتر القوس وشدته، فانشدت غرزي معه، مهددة بالتمزق. احترق الألم في بطني وامتد على طول ضلوعي، لكنني عضضت على لساني متجاهلة إياه.

ابتسمتُ قليلاً وأنا أقول:

– «آسفة لإفساد صنيعك يا شريكي.»

– «بيدن، إياكِ أن...»

أطلقتُ السهم.

وجد السهم هدفه في صدر أقرب ذئب، غائصاً بعمق في ذلك الفرو الفضي اللامع. اندفعت بقية الذئاب نحونا قبل حتى أن يسقط رفيقها أرضاً. كان لدي سهم آخر جاهز بالفعل، مركب وموجه نحو ومضة بنية تندفع مقتربة. انطلق ألم حاد في بطني وأنا أطلق السهم، مصيبة الذئب في ساقه الخلفية.

انفصل اثنان من الوحوش عن البقية ليدورا حولنا، وشعرت بظهر كاي يلتصق بظهري وهو يواجههما. تجاهلت الذئب الأعرج الذي أصبته، وحولت انتباهي نحو الذئب الذي يثب باتجاهي الآن. حاولت إبطاء أنفاسي المذعورة قبل أن أطلق سهمًا نحوه. شتمتُ حين أخطأ السهم هدفه، وحلق متجاوزًا أذن الوحش ليغوص في الأرض خلفه.

لم يعد ظهر كاي ملتصقًا بظهري، مما تركني جاهلة بما يجري خلفي. كل ما أسمعه هو زمجرة الوحوش، وصوت ضربات السيف وهي تخترق الجلد والعظم. لكن لم يكن لدي وقت للالتفات إلى المشهد خلفي؛ فقد كان أمامي الآن وحش مزمجر يخصني. تلاًأ فروه المائل للحمرة بشدة تكاد تضاهي لمعان أنيابه البيضاء المكشوفة. توقف على بعد ياردتين مني وانخفض، ليزحف مقتربًا. كان ضخماً ومرعباً، وينظر إليّ وكأنني وجبته التالية.

أمكنني الشعور بجرحي ينزف، والألم كان وحشيًا. إذا سحبت وتر القوس مرة أخرى، سأمزق غرزي على الأرجح، إن لم تكن قد تمزقت بالفعل. لكن ليس لدي سلاح آخر، ولا قوى خارقة، ولا طاقة للقتال.

تسلل الذئب للأمام، يزمجر وهو يتلاعب بطعامه.

ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟

سحبتُ وتر قوسي...

انقض الذئب.

كانت وثبة قوية وعظيمة أرسلته طائرًا نحوي، بفك مفتوح وأسنان حادة كالشفرات بارزة، مستعداً لتمزيقي إربًا.

باندفاع وغريزة، نزعْتُ السهم من قوسي وقبضت على عصاه بيدي، قبل أن أطعن بطرفه المعدني للأعلى لأتلقف الذئب في الهواء. غاص السهم عميقاً في قلبه، فرشقني بدم ساخن قبل أن يسقط على الأرض محدثاً دويًا.

كنت ألهث، وأحاول استيعاب ما حدث للتو، حين سمعت تأوهاً قادمًا من خلفي. استدرت في الوقت المناسب تمامًا لأرى كاي وهو يمرر نصل سيفه على جانب ذئب، شاقاً إياه في حركة واحدة يسيرة. التفت بسرعة نحو الوحش

الآخر الذي يزحف نحوه، والذي كان يعاني بالفعل من طعنة غائرة، ورغم ذلك واصل تقدمه مزمجراً.

وحين اندفع الذئب نحوه في محاولة أخيرة لغرس أنيابه في لحمه، لوح كاي بصله للأعلى في قوس عالٍ. شطر السيف صدر المخلوق بسهولة، وعندما ارتطم بالأرض، قبض كاي على المقبض بكلتا يديه وغرس طرف النصل في جانب الذئب.

وقف هناك للحظة، يبدو في كل تفاصيله كآلة القتل التي رُبي ليكونها. ثم سحب السيف بقوة، ومسح النصل الملطخ بالدماء بفرو الحيوان النافق تحته. وبدأ يستدير قائلاً:

– «هل ما زلتِ على قيد الحياة هناك؟»

شهقتُ بعمق حين استدار، كاشفاً عن العضة الغائرة في كتفه. كان الدم ينزف من آثار الأنياب المتعرجة، ليسيل على ذراعه وفوق أصابعه في جداول صغيرة. التقت عيناه بعينيّ قبل أن تتسعا حين لمحت شيئاً من فوق كتفي. صرخ أمراً:

– «انخفضي.»

ولم أتردد لحظة قبل أن أسقط القرفصاء. في لمح البصر، سحب نجمة رمي من جيبه وأرسلها تحلق في الهواء حيث كان رأسي قبل لحظة. سمعت شيئاً ثقيلاً يرتطم بالأرض، فاستدرت لأرى الذئب الذي أصبته في ساقه على بعد أقدام قليلة خلفي، يزحف متأهباً للفتك بي. لكنه الآن يرقد ميتاً على الأرض، ونجمة الرمي بارزة من عينه.

نهضت على قدميّ ببطء وأنا أتنفس بصعوبة:

– «أنت محق. نحن نشكل فريقاً رائعاً حقاً.»

أشاح بنظره عني، وهز رأسه بخحكة جافة قائلاً:

– «أجل، لولا حقيقة أنك لا تنصتين للأوامر.»

سخرتُ:

– «أوامر؟ أنا لست واحدة من جنودك يا كاي.»

قال وهو يتقدم نحوي بخطوات واسعة:

– «أنت محقة، لست كذلك.»

بدا منظره وهو غارق في الدماء مخيفاً فجأة. لكنني أجبرت نفسي على الثبات في مكاني حين توقف أمامي، قريباً بما يكفي لأرى عينيه الدخانيتين تتحولان إلى الجليد.

– «جنودي لا يعنون لي شيئاً. يمكن الاستغناء عنهم واستبدالهم بسهولة.»

كان صدره يعلو ويهبط، وعيناه مسمرتان على عيني.

– «لذا، نعم يا جراي. أنت لست إحدى جنودي.»

فتحت فمي، لكن الكلمات أبت الخروج. أغمض هو عينيه وتنهد بعمق، ولم يفتحهما إلا حين عاد إلى هدوئه ورباطة جأشه. اختفت كل آثار الذكر المحموم والمنفعل. استطعت أن ألمس عودته إلى شخصيته المتعجرفة والعفوية وهو يحاول تلطيف الأجواء.

استدار ببطء متأملاً المذبحة من حولنا، واكتفى بالقول:

– «حسناً، يبدو أننا لن نبني جائعين الليلة.»

جاريته في الحديث، لكن صوتي كان واهناً:

– «من الجيد أن نعرف أننا لم ننج من هجوم ذئاب لنموت جوعاً.»

أظلمت عيناه وانتقلتا بسرعة إلى حيث ينزف جرحي تحت ملابسي.

– «غرزك. هل...»

رفعت قميصي واستللت النظر تحت طيات الضمادة الملطخة بالدماء.

غمرني الارتياح حين رأيت الخيط لا يزال يلمّ شمل جلدي. لم تفعل رحلة القتال سوى شدّ الغرز، مما تسبب في نزيف الجرح ولكنه لم يتمزق لحسن الحظ. أظن أنني كنت لأصبح في حالة أسوأ بكثير لو حدث ذلك.

تنفست الصعداء وقلت:

– «لا، لم تتمزق.»

مرر يده في شعره قبل أن يغمد سيفه، لكن لم يفتني التجهم الطفيف الذي سببته له تلك الحركة بسبب كتفه الممزق. أشرتُ إلى الجذع خلفه وقلت:

– «اجلس.»

الآن، أنا من يصدر الأوامر.

جاراني في الأمر، فجلس بابتسامة متكلفة قبل أن أقف أمامه مجددًا. قال بعفوية مفرطة:

– «أنتِ مغطاة بالدماء.»

ابتسمت برقة وأجبتة:

– «وأنت تقطر دمًا. لكن، ولحسن حظك، يمكنني صنع المرهم المناسب تمامًا لهذا.»

نفخ الهواء من فمه، وهز رأسه نحو السماء قائلاً:

– «بالطبع يمكنك ذلك. أنتِ ومراهمكِ ستكونان نهايتي.»

تمتمتُ وأنا أتفحص العضة عن كثب:

– «أتعلم.. بدأت أعتقد أنك تستمتع بالتعرض للأذى، فقط لكي تجعل يداي تتجولان عليك.»

أطلق ضحكة خفيفة. كدت أشعر بنظراته تنزلق عليّ وهو يقول:

– «أوه، أنا لا أجبركِ على فعل شيء يا عزيزتي. يمكنك تركي أنزف حتى الموت إن كان لزامًا عليك. لأنني لا أريد ليديكِ أن تتجولا عليّ إلا إذا كنتِ أنتِ من يريد ذلك.»

التقت عينايا فورًا بعينيهِ الرماديتين اللتين كانتا مثبتتين عليّ بالفعل.

أنا أَلعب لعبة خطيرة للغاية.

أسير على نصل حاد وآمل ألا أُجرح. أَلعب بالنار وآمل ألا أحترق. أصبح في تيار خطير وآمل ألا أغرق.

إنه خطير.

ورغم أن هذه الفكرة وحدها كانت تتردد في عقلي، بادلتُ النظرات،
ووضعت يديّ عليه.



الفصل 28

كاي

انقضت ثلاثة أيام منذ أن انتزع ذئب قطعة من لحمي. ثلاثة أيام منذ أن وضعت بيدن يديها عليّ بعدما أخبرتها ألا تفعل ذلك إلا إذا رغبت. ومنذ ذلك الحين، لا أظن أنني تمكنت من التقاط أنفاسي. ففي كل مرة تنظر فيها إليّ، أشعر وكأنني أختنق باحثًا عن الهواء. أكره هذا الشعور. كاذب.

لقد انقضت ثلاثة أيام طويلة ومملة. كان أقصى ما أثمرت عنه جهودنا هو العثور على قميص لأرتديه – هدية أخرى تركت للمتسابقين. اتخذنا من الجدول وتلك الفسحة الدائرية الصغيرة المحيطة به قاعدة لنا، رغم أننا لا نقضي الكثير من الوقت هناك خلال النهار. يتمثل روتيننا "المشوق" في الانقسام للتوغل في الغابة والبحث عن أي خصوم آخرين. ومع ذلك، لم تكن جهودنا لجمع المزيد من الأشرطة عقيمة فحسب، بل ومملة لدرجة لا تُطاق. كنت أفضل ألا ننفصل، لسبب بسيط هو أنني أستمتع بوقتي أكثر بكثير عندما تكون بيدن معي، لكنها أصرّت على أننا سنغطي مساحة أكبر إذا تفرقنا. وهذا لم ينفعنا بشيء يُذكر حتى الآن.



كانت الشمس تغرب بسرعة، والنجوم تتناثر في السماء إيداناً باختفائها ليلاً. جررت خطواتي عائداً نحو المخيم، مفرغاً إحباطي في النباتات المتناثرة في طريقي بتمزيقها بسيفي وأنا أمشي.

لا شيء. لم يصادف أي منا خصماً آخر حتى الآن. كل ما أفلحنا في العثور عليه هو الثعابين، والكثير منها. كانت هي والقيوط الزوار الوحيدون الذين اضطررنا لصدّهم مؤخراً.

سمعت خريز الجدول قبل أن أراه. لاحت الفسحة الصغيرة في الأفق، ولاحت معها بيدن. كانت تجلس على جذع شجرة، تدير ذلك الخاتم الفضي السميكة في إبهامها وهي تحرق بشرود في النار، وشعرها يتطاير في النسيم العليل.

التقطتُ بعض الحطب وتوجهت نحوها، وألقيته في النار قبل أن أجلس على جذع مقابل لها.

– «حسناً، لا أرى أي جروح جديدة، لذا أفترض أنه لا حظ اليوم؟»

تذمرت أخيراً بعد أن رمقتني بنظرة مرتابة:

– «أنا مستاءة لأنك تظن أنني لا أستطيع الخروج من قتال دون خدش.

لا. لا حظ اليوم.»

راقبتها عن كثب، مقيماً كيف تعض باطن خدها، وتدير الفولان في إبهامها، وتهز ساقها.

إنها كتلة من الطاقة المكبوتة، والقلق ينهشها. لكنني تركتها تفكر، مانحاً

إياها الوقت قبل أن ألح في السؤال عما يجعلها متوترة إلى هذا الحد. وهكذا جلسنا في صمت، ألوكة أنا لحم الأرنب القاسي، بينما تلوك بيدن باطن خدها.

كانت الشمس قد انحدرت نحو الأفق، تلون السماء بظلال برتقالية عميقة وزهرية ناعمة، عندما كسرتُ الصمت أخيراً بتنهيده.

– «حسناً، ما الخطب؟ قل لي ما لديك.»

– «همم؟»

رفعت بصرها عن النار، والتقت عيناها بعينيّ قبل أن تقرر أن السنة
الذهب أكثر إثارة للاهتمام.

– «لا شيء. أنا بخير.»

كدتُ أضحك. لقد تعلمتُ بالطريقة الصعبة أن هذه هي الكلمات التي لا
تتمنى أبداً سماعها من امرأة، ومن الواضح أنها أي شيء إلا بخير. ذكيتُ النار
وأنا أتنهد قائلاً:

– «أنتِ كاذبة مريعة يا جراي.»

تجراتُ أخيراً على النظريّ اتجاهي. ثم راحت تضحك بصوت عالٍ.
حبستُ أنفاسي، مراقباً كيف يميل رأسها نحو السماء، وكيف ينسدل شعرها
الفضي على ظهرها، وكيف تتجعد عيناها متعة. نظرت إليّ مرة أخرى بسرعة
مفرطة، وتمنيت أن أكون قد مسحت نظرة الرغبة من وجهي بالسرعة الكافية.
إنها مذهلة بحق، ومع ذلك غافلة بعناد عن كيف يبهت غروب الشمس
خلفها مقارنة بحيويتها.

بحق الجحيم، ما خطبي؟

– «يجب أن تعرف أنني كاذبة بارعة.»

بالكاد استطاعت نطق الكلمات دون أن تشخر ضاحكة وكأنها ألقت نكتة
فاتتني مغزاها.

– «همم.»

ألقيتُ بقطعة لحم في فمي.

– «سأضطر للاختلاف معك.»

– «أوه، حقاً؟»

– «حقاً.»

انحنت إلى الأمام، مسندة مرفقيها على ركبتيها.

– «نورني أيها الأمير.»

جيد. دعيني أشتت انتباهك.

اختلجت شفتاي بابتسامة.

- «لديكِ حركة تفضحك يا عزيزتي.»

- «لا أملك أي حركة.»

لم تعد تضحك، وكدت أندم على التفوه بأي شيء.

- «أنتِ تنقرين بقدمكِ اليسرى عندما تكذبين، نقرة خفيفة جداً.»

فغرت فاهاً، فاتسعت ابتسامتي.

- «بدأت ألاحظ ذلك عندما قلتِ إنكِ تكرهين غمازتي. ومن الواضح أننا

نعلم كلانا أن ذلك كذبة.»

انحنيتُ تفادياً للحجر الذي ألقتَه نحوي قبل أن يرتطم بجمجمتي. والآن

أنا من يضحك. أعادت انتباهها إلى النار، تقاوم ابتسامتها.

- «لم أدرك أنك كنت تراقبني عن كثب إلى هذا الحد.»

- «أراقبك؟ يا عزيزتي، أنا لم أتوقف قط.»

التقت عيناها بعينيّ بينما تموجت في عينيها المحيطيتين مشاعر لم

أستطع تحديدها.

وها هي تفعلها مرة أخرى، تدير ذلك الخاتم الفضي في إبهامها.

مثير للاهتمام.

- «لماذا تفعل هذا حقاً؟»

قطعت كلماتها حبل أفكارٍ، فنظرتُ إليها، رغم أن نظرتها كانت الآن

مثبتة على ألسنة اللهب أمامنا.

- «لماذا لم تأخذ شريطي الجلدي وتتركني وحسب؟»

سمعتُ كلماتها غير المنطوقة تتردد في رأسي.

تتركني لأموت.

نظرت إليّ حينها، وعيناها تفيضان بالمشاعر. إنها تريد إجابة، تحتاج

إلى إجابة عن سبب عدم تصرفي كالوحش الذي شكّلتُ لأكونه.

فتحتُ فمي، متوقعاً أن تخرج منه إجابة جيدة. أضغاث أحلام على ما أظن، لأنني تنهدت وقلت:

– «تعلمين، نحن لم نكمل رقصتنا أبداً.»

رمشت بعينيها في وجهي.

– «هذه لم تكن إجابة.»

– «ذلك لأننا لم نرقص بعد. يجدر بك أن تعرفي كيف تسير الأمور الآن

يا جراي. نرقص، فتحصلين على إجابتك. أو لا نفعل، وحسناً، ستُركن

لتأمل كل أسئلتك الملحة عني.»

أطلقت ضحكة ساخرة.

– «أنت تمزح. ليس هذا مجدداً.»

– «بلى، هذا مجدداً.»

وقفتُ على قدميّ وسرت نحو حيث تجلس على جذعها.

– «إذن،»

مددت يدي إليها بانحناءة كسولة،

– «هل سنرقص أم لا يا جراي؟»

قلّبت عينيها، محاولة مقاومة الابتسامة التي تتجاذب شفتيها.

– «حسناً.»

وضعت راحتها في راحتي، ومجرد التلامس جعل نبضي يتسارع.

ما الذي فعلته بي هذه الفتاة؟

ابتعدنا بضع خطوات عن النار، حيث يسطع ضوء القمر الشاحب وتتألق

النجوم. وجهتُ يدها إلى كتفي وأمسكت بالأخرى، حذرًا من إرهاق غرزها.

وجدت يدي الأخرى طريقها إلى خصرها، لافتاً ذراعي حول ظهرها لأقربها

مني. بدا ملمسها مألوفاً جداً بين ذراعيّ، فتشربت كل تفصييلة، وحفظت كل

حركة.

بدأنا نخطو متزامنين مع لا شيء سوى صوت نبضات قلوبنا وصرصره الجنادب من حولنا. ابتلعنا الظلام، مجرد ظلال في ضوء النار الراقص.

– «لا توجد موسيقى،»

قالت بجمود، وصوتها مشوب بالتسلية.

– «حسناً إذن، أظن أننا لن نعرف متى نتوقف عن الرقص. كم هذا

مؤسف.»

لامس ذقني قمة رأسها قبل أن أميل بها نحو الأرض، مما جعلها تشهق متفاجئة.

– «لا تدفعني لدهس أصابع قدميك،»

هددت بنفسي لاهث.

رفعتها ببطء وأنا أقول:

– «أوه، لا يمكننا السماح بحدوث ذلك. ما زلت أتعافى من المرة الأخيرة

التي رقصنا فيها.»

سكتنا للحظة، نصغي إلى طقطقة الأغصان تحت أقدامنا وأزيز النار.

وعبر قميصها الخفيف والممزق، أمكنني الشعور بحرارة جسدها، وبشرتها تحت يدي.

هذا يشئت الانتباه.

كان صوتها خافتاً عندما كسرت الصمت، وكأنها تكاد تكون مترددة في

مقاطعة اللحظة.

– «إذن، الإجابة على سؤالي؟»

أجل. ذلك.

– «هل من الصادم حقاً ألا أريدك أن تموتي؟»

تراجعت إلى الخلف قليلاً لأتمكن من النظر في عينيها.

– «هل من الصادم أن أساعد شخصاً ما؟»

لم تتردد.

- «نعم.»

كدت أضحك.

- «لا يسعني القول إنني متفاجئ.»

- «الأمر مجرد أنني،»

توقفت، وعيناها تتنقلان بين عينيّ وكأنها تبحث عن الإجابة فيهما،

- «ظننتك تشبه والدك أكثر.»

صدمتني كلماتها. والدي... حسنًا، إنه ملك. إنه بارد وصارم ونادرًا ما يُعجب بشيء، حتى بأبنائه. أفترض أنه بطرق ما جعلني أشبهه، وعلمني كيف أتصرف، وماذا أشعر، والأهم من ذلك، ماذا لا أشعر. وبفضله، صممتُ مزيجًا من الأقنعة المختلفة التي يمكنني ارتداؤها وخلعها متى شئت.

أنا فوضى. فوضى من المشاعر المكتومة والجدران المشيدة بإحكام.

ولكن لأنني لا أعرف الإجابة على سؤالها تمامًا، طرحت عليها سؤالًا من

عندي.

- «هل لهذا السبب تكرهيني إلى هذا الحد؟ لأنك ظننت أنني أشبه والدي

الذي من الواضح أنك لا تكنين له أي مشاعر ود؟»

- «أنا لا أكرهك،»

أجابت بسرعة مفرطة، وتوقفت لتتساءل عما إذا كانت قد قالت الشيء

الصحيح، بينما تساءلت أنا لماذا لم تقلها عاجلاً.

ابتسمتُ ابتسامة ملتوية.

- «أوه، أنت لا تكرهيني؟ إذن، ماذا، هل كل تهديد لحياتي هو إعلان

حب إذن؟»

- «قلت إنني لا أكرهك أيها الأمير. هذا لا يعني أنني لا أمقتك.»

أحنيتُ رأسي، وعيناها تبحثان في عينيها.

– «أعتقد أنكِ تمقتين حقيقة أنكِ لا تمقتينني.»
فغر فاهها قبل أن تطبقه وترمقني بنظرة حارقة. يبدو أنني أجمتها.
حسنًا، هذه سابقة.

– «استخدمي كلماتك يا جراي.»
ابتسمتُ، وأدرتها قبل أن أسحبها إليّ مجددًا.
– «أخبريني، هل أنا مخطئ؟»
– «ظننت أنني من يطرح الأسئلة هنا؟»
قالت، مشتتة انتباهي ومحولة إياه بتلك الابتسامة الفاتنة والكلمات المدروسة.

وهي تظنني أنا الماكر.

أشاحت بنظرها عني، وعضت باطن خدها قبل أن تلتقي نظراتنا مجددًا.
– «هل كنت لتساعد أحد الآخرين؟»
صمتت برهة.

– «شخصًا آخر غير جاكس أو آندي؟»
شخصًا آخر غير القلة الذين أهتم لأمرهم حقًا.
انتشرت ابتسامة بطيئة على وجهي.

– «يا عزيزتي، أشك في أن رؤية شخص يحتضر ستؤثرني بقدر ما تؤثرينني وأنتِ حية ترزقين.»
ابتلعت ريقها.

– «أنت مغازل وقح يا آزر.»

– «لكِ وحدكِ.»

– «همم. ويبدو الآن أنك كاذب وقح أيضًا.»
أطلقت ضحكة خافتة قبل أن أقول:

- «دوري لطرح سؤال.»
- فتحت فمها، على الأرجح لتجادل، لكنني قاطعتها.
- «إذن، من بين كل الناس الذين يتجولون في لوت في ذلك اليوم، لماذا كنتُ أنا المحظوظ لأُسرق في وضح النهار؟»
- أطبقت فمها قبل أن ينفرج عن ابتسامة.
- «لقد طابقتَ الوصف.»
- «وصف؟»
- كانت ابتسامتها أي شيء إلا أن تكون بريئة.
- «أجل. بدوتَ مغرورًا ومحملاً بالعملات المعدنية. تلك هي أهدافي المفضلة.»
- انحنيت نحوها أكثر.
- «حسنًا، هذا الهدف عرف أنكِ سرقتِ منه.»
- «لقد عرفتُ أنني سرقت منك بعد فوات الأوان.»
- «مضحك، يبدو أنني أتذكر أنني أمسكت بكِ بعد فترة وجيزة.»
- كانت ابتسامتها متعجرفة.
- «فقط لأنني عدت وأنقذتك.»
- ثم ضحكت.
- «إذن، ماذا، ألا تظن أن بإمكانني السرقة منك مجددًا دون أن تلاحظ؟»
- «أظن أنني ألاحظ كل ما تفعلينه. لذا، لا.»
- توقفت، ووجهها قريب من وجهي، مذهولة للحظات من كلماتي. ابتسمتُ، مستمتعًا برؤيتها مرتبكة. كانت كلماتها التالية ناعمة، بطيئة.
- «هل هذا تحدٍ يا أزر؟»
- «إنها حقيقة يا جراي.»
- «أحقًا؟»

قالت، وهي تلوّح بشيء فجأة بين وجهينا.

– «هذا مثير للاهتمام، لأنني نشلت هذا منك فور أن بدأنا الرقص تقريباً.»

حدقتُ في الضوء الخافت، شاتماً تحت أنفاسي عندما أدركت ما تحمله. شريط براكستون الجلدي، الذي كان آمناً في جيبِي، أصبح الآن محصوراً بين أصابعها ويتأرجح أمام وجهي.

– «أنا معجب يا جراي.»

هزرت كتفِي بلامبالاة قبل أن أضيف:

– «أنا مصدوم في الغالب لأنني لم ألاحظ مع مدى انتباهي الشديد لك.» أدارت عينيها في وجهي.

– «تشتيت الانتباه.»

مسحت نظراتي عليها بسرعة قبل أن تعود إلى تلك الابتسامة.

– «أنتِ بارعة جداً في ذلك، أليس كذلك؟»

بقيت صامتة وهي تراقبني عن كثب قبل أن تشيح بنظرها. أشحت بنظري أنا أيضاً، مهياً نفسي لسؤال آخر من أسئلتها المتطفلة.

– «ما هو لونك المفضل؟»

التقت عيناي بعينيها فجأة.

– «ماذا؟»

كدت أختنق بضحكتي.

– «لونك المفضل. ما هو؟»

للمرة الأولى، كدت أدهس أصابع قدميها من شدة الصدمة والدهشة.

– «من بين كل الأشياء التي يمكنكِ سؤالي عنها، تسأليني ما هو لوني

المفضل؟»

لم أستطع منع الابتسامة من الانتشار على وجهي.

نفخت خصلة شعر من عينيها بانزعاج.

– «أشعر وكأنني لا أعرف الكثير من الأشياء عنك، لذا اعتقدت أنني سأبدأ بالأساسيات.»

أطلقت تنهيدة مسلية.

– «أنا أرحمك بسؤال سهل، لذا لا تخيب أمني. ما هو لونك المفضل؟»

أدرتها حولي، إن لم يكن لشيء فلكي أمني نفسي بعض الوقت للتفكير. لم أفكر قط في لوني المفضل من قبل. لم يبدُ الأمر مهماً أبداً.

لم يبدُ مهماً حتى نظرت إلى زوج من العيون الزرقاء بلون المحيط وأدركت أن الغرق ربما يكون شيئاً جميلاً.

لم يبدُ مهماً حتى نظرت إلى زوج من العيون الزرقاء النارية وأدركت أن الاحتراق ربما يكون شيئاً بلا ألم.

لم يبدُ مهماً حتى نظرت إلى زوج من العيون الزرقاء بلون السماء وأدركت أن السقوط ربما يكون شيئاً مفعماً بالسلام.

لم أفكر قط في لوني المفضل من قبل لأنني لم أرَ لوناً يستحق هذا اللقب. حتى الآن، بالطبع.

– «الأزرق،»

قلت بصوت خفيض.

– «همم.»

كانت تنظر إليّ بتمعن، تدرسني بصدق.

– «لم أكن لأخمن ذلك أبداً.»

ولا أنا.

– «وماذا عنك؟»

سألت، مراقباً إياها وهي تفكر.

فتحت فمها ثم أغلقته، تفكر في شيء ما. انقبض فكها.

- «ليس لدي واحد.»

بهزة كتف صغيرة، سألت:

- «طعامك أو حلواك المفضلة؟»

- «نحن في منتصف التصفية، وأنتِ تسألينني عن طعامي المفضل؟»
تجاهلتني.

- «حسنًا، أعلم أنه ليس الأرنب. أرى كيف يلتوي فمك عندما تأكله...»
- «لا يلتوي...»
توقفت، مبتسمًا.

- «هل كنتِ تنظرين إلى فمي يا جراي؟»
فتحت فمها لتجادل، لكنها تدمرت بدلًا من ذلك.

- «أجب عن السؤال اللعين وحسب يا آزر.»
ضحكتُ وأدرتها ببطء.

- «سهل. فطائر الليمون.»
شخرت.

- «أنت تمزح. فطائر الليمون؟ أنت أمير غني يمكنه الحصول على أي
طعام يريده، وتختار فطائر الليمون؟»

- «أجل، فطائر الليمون.»
قلدتها.

- «والآن سأجعلك تأكلين بعضها معي عندما نخرج من هنا أخيرًا.»
- «على جثتي.»

كانت ابتسامتي خبيثة.

- «يمكن ترتيب ذلك.»

وها هي تفعلها، منفذة تهديدها بدهس أصابع قدمي، بما أن قدميها هما سلاحها الوحيد في الوقت الحالي.

– «عفوًا.»

– «مخلوقة صغيرة شرسة،»

تمتمت تحت أنفاسي.

– «أنت لا تعرف نصف الحقيقة أيها الأمير.»

– «أوه، لكنني آمل أن أعرفها يومًا ما.»

صمتنا للحظة، ندرس بعضنا البعض قبل أن أقول أخيرًا:

– «أخبريني إذن، ما هو طعامك المفضل، بما أنك تبدين معتقدة أنه أفضل بكثير من فطائر الليمون؟»

– «أوه، ثق بي حين أقول إنها أفضل بكثير من فطائر الليمون.»

– «حسنًا، لا تتركيني في حيرة من أمري يا جراي.»

أمالت رأسها نحوي وقالت بثقة:

– «حلوى التوفي.»

– «حلوى التوفي،»

كررت الكلمة، حافرًا إياها في ذاكرتي.

– «أجل.»

ابتسمت، لكنني لمحت مسحة الحزن فيها وهي تتابع:

– «كان والدي يوزع هذه الحلوى على مرضاه. وفي كل مرة كان يعالج

فيها أحد جروحي، أو أساعده في علاج جروح شخص آخر، كنا نأكل التوفي بعدها كنوع من المكافأة.»

ساد الصمت بيننا للحظة.

– «كنتما مقربين جدًا.»

– «كنا كذلك.»

قالتا بنبرة تقريرية ثم أضافت:

– «لكنك لست مقربًا من والدك، أليس كذلك؟ ليس بعد كل ما أذاقك إياه.»

شعرت بالامتنان لخلو صوتها من أي شفقة، رغم أن اشمئزازها كان جليًا. أفلتت مني ضحكة خافتة ومريرة.

– «لا. أنا جندي أكثر من كوني ابنًا، وهو ملك أكثر من كونه أبًا. من الصعب أن نكون مقربين حين كان الوقت الوحيد الذي نقضيه معًا يُقضى في التدريب، ولم أكن أتطلع حقًا لتلك اللقاءات.»

– «وماذا عن والدتك؟»

سألت بهدوء.

– «إنها كل ما كنت أتمناه.»

قلتها ببساطة وأضفت:

– «كل ما احتجته كطفل. لقد كانت أحد الثوابت القليلة في حياتي، منبعًا للركة والاهتمام.»

– «ومع ذلك،»

قالت بيدن بتردد:

– «تركت والدك يفعل بك ما فعله؟»

صمتُ لبرهة، أتحدث إليها وأنا أذكر نفسي في الوقت ذاته.

– «لم تملك خيارًا في هذا الشأن حقًا. وبلوغ مكانة المنفذ المستقبلي هو واجبي، بغض النظر عن الأساليب التي يتطلبها الوصول إلى هناك.»

رمقتني بذلك التعبير الذي لا أستطيع أبدًا تفسيره بدقة. هل هو دهشة؟ أم حيرة؟ في لحظة تكون كتابًا مفتوحًا، وفي اللحظة التالية، بالكاد أستطيع فك غلافه.

ثم راحت تمطرني بالأسئلة. أغلبها كان عشوائيًا، رغم أنها بدت جميعها على نفس القدر من الأهمية بالنسبة لها. روت لي حكايات عن طفولتها، وفعلتُ المثل، مستمتعًا بالاستماع إلى ضحكاتها على حماقاتي أنا وكيت.

– «إذن، أخبريني عن شفتك المشقوقة حين التقينا؟»

سألتها رافعًا حاجبي.

ضحكت، فتسلسل صوتها عبر عمودي الفقري.

– «لم أكن أكذب حين أخبرتك أنها كانت هدية من أحد الإمبراطورين

التابعين لك.»

– «صحيح. أظنك أخبرتني بذلك حين كان خنجرك مصوبًا نحو

خنجرتي؟»

– «هذا صحيح تقريبًا.»

– «حسنًا، ما زلت أجهل التفاصيل وراء كيفية حصولك عليها.»

أظلمت عيناى عند مجرد التفكير في الأمر.

– «أنا لا أتساهل أبدًا مع ضرب جنودي الإمبراطورين للنساء.»

– «أوه؟ إذن ربما يجدر بك أن تعرف أن تلك لم تكن المرة الأولى.»

كانت كلماتها عابرة وفجة.

– «باختصار، لم يصدق أنني متبصرة، فأثبتُّ له ذلك. ومن الواضح أن

ما قلته لم يرق له.»

حدقت فيها بذهول.

– «وماذا؟ هل تلقيتِ الضربة وحسب؟»

– «أجل، لكن ليس قبل أن أنتزع بعضًا من كبريائه.»

– «ولماذا لا يفاجئني هذا؟»

رمقتني بابتسامة مأكرة وقالت:

– «ربما لأنك اعتدت على أن ألقنك درسًا في التواضع أيها الأمير.»

– «لقد اعتدتُ على ذلك بالفعل.»

توقفت لبرهة متأملًا إياها.

– «أنتِ لا تكفين عن إثارة دهشتي يا جراي.»

ابتسمت بخبث وأنا أفلت يدها لأقرع طرف أنفها بخفة.

أبعدت أصابعي بضيق مصطنع وقالت:

– «وأنت لا تكف عن إزعاجي أبدًا.»

أمسكت يدها مجددًا ومررتها على ذراعي حتى استقرت كلتا راحتيها على كتفيّ. ثم دسست يديّ حول خصرها وخلف ظهرها، متوخياً الحذر ألا أضغط على جانبها المصاب وأنا أجذبها نحوي.

وبعدها اكتفيني بالتمايل.

لا خطوات أقدام متكلفة، ولا رقصة فالس نضبط إيقاعنا عليها. فقط نحن الاثنان، في قلب غابة، تحيط بنا آلاف النجوم المتألئة. رفرفت رموشها، ثم تشابكت أصابعها خلف عنقي.

اشتد التوتر بيننا، كحبل خفي يربط كلينا. تسارعت نبضاتي وتلاحقت أنفاسها معها، وصدرها يعلو ويهبط بحدة.

– «أنا لا أكف عن إزعاجك، هاه؟»

راقبت وجهها وأنا أجذبها نحوي لتلتصق بي بشكل يفوق الوصف.

– «وماذا عن الآن؟ هل هذه هي الاستثناء؟»

ابتلعت ريقها وأحنت رأسها، دون أن تقدم لي إجابة. ابتسمت قليلاً وأنا أحاول حثها على الكلام، وهي مشكلة لم يسبق لي أن واجهتها معها من قبل.

– «باي؟»

ما زالت بلا إجابة.

أمسكت أصابعي بذقنها، موجهة نظرتها برفق لتلتقي بنظرتي. كانت الحيرة منقوشة على ملامحها وهي تطلق ضحكة مهتزة.

– «أنا منزعة لأنني لا أجد هذا الأمر مزعجاً.»

اشتدت قبضتي حول خصرها وكأن يدي قد تشتعل ناراً من ملمسها. يخجلني مدى استحواذ هذه الفتاة عليّ، وتخيفني شدة تأثري بها. إنها تجعلني أشعر بالضعف والروعة في آنٍ واحد. مذعوراً، ومع ذلك.. مفعماً بالحياة.

– «لماذا لم تطلقى السهم عليّ يا بيدن؟»

تدحرج السؤال من فمي، هادئاً وفضولياً. أمالت رأسها تتفرس في ملامحي.

– «سيتعين عليك أن تكون أكثر تحديداً من ذلك يا أزر.»
إنها تراوغ.

انفرجت شفتاي عن ابتسامة، لعلمي التام بأنها تدرك ما أرمي إليه.
– «كان بإمكانك أن تطلقى السهم عليّ قبل بضعة أيام، لكنك أطلقتِه نحو الأرض. أريد أن أعرف السبب.»

صمتت تزن إجابتها. ثم تسمرت عيناها في عينيّ.
– «مجرد أنني كنت محكومة بالموت لا يعني أنني أردت أن أهلك معي.»

جالت عيناها تتفحصني، فتلذذت بوقع نظراتها عليّ.
ثم ابتعدت عني.

عادت يداها لتستقرا على كتفيّ، متصلبتين ومتشبثتين بالجمود بعناد. ثم شخصت عيناها نحو السماء، مختارة التحديق في النجوم بدلاً مني. زفرت الهواء عبر أنفها، تستجمع شتات نفسها في صمت.
وكنّت أفعل الشيء ذاته، أحاول استجماع شتات نفسي بعد أن نأت بنفسها عني.

أجل، نحن خصمان. أجل، أنا المنفذ المستقبلي. أجل، أنا قاتل لا يحق له أن يرغب في الاحتفاظ بها. لكن هناك شيء آخر، شيء يدفعها لرفض الاعتراف بهذا الرابط المحير الذي يجمعنا.

بحق الطاعون، أنا حانق لأنني اعترفت بذلك لنفسي.
 ما زالت أقنعتي جاهزة للاستخدام، وما زالت جدرانني قائمة في مكانها،
 لكنها تحطم واجهاتي وحصوني ببطء. شعرت بغضب مفاجئ من نفسي
 لسماحي بحدوث ذلك. لسماحي لنفسي بالاهتمام. لسماحي لنفسي بالتفكير
 فيها بأي طريقة أخرى غير كونها خصمي.
 لأنها أوضحت بجلاء أن هذا هو كل ما أمثله بالنسبة لها.

– «كاي،»

قالتها بهدوء، فانتزعني وقع اسمي على شفتيها من دوامة أفكار.

– «أنا...»

قطع صوت أنثوي ناعم كلماتها.

– «آسفة للمقاطعة، لكن كليكما يملك شيئاً أحताجه.»



الفصل 29

بيكان

تردد صدى الصوت من حولنا. قفزت أنا وكاي مبتعدين، واستدرنا غريزيًا لنلصق ظهرينا ببعضهما. ضيقت عيني في الضوء الخافت حيث بدأت تتشكل معالم أشكال طويلة وداكنة. انطلقت تنهيدة ممتعة في الظلام، تضخمت بفعل الأجساد العديدة التي تحيط بنا. لقد وقعنا في الفخ.

خطوا جميعًا خطوة محسوبة إلى الأمام، محتجزين إيانا في قفص بشري من الأجساد. التمعت العشرات من العيون العسلية في ضوء النار، وبرق الشعر الداكن والبشرة السمراء. سيدي.

- «كل ما أريده هو شرائطكم، وسأمضي في طريقي.»
- ثم كادت تبترسم وهي تنظر حولها إلى نسخها.
- «حسنًا، سنمضي في طريقنا.»
- تنهد كاي، وبدا منزعجًا من كل هذا.
- «كنت تعلمين أننا لن نعطيك شرائطنا، ومع ذلك قاطعتنا.»



– «حسناً،»

قالت سيدي باقتضاب.

– «إذن أعطوني شريطاً واحداً ولن يتأذى أحد.»

اندفعت عيناى نحو قوسي الملقى على بعد أقدام قليلة منى – على بعد أقدام قليلة، وخلف جدار نسخ سيدي. لا أملك سلاحاً واحداً أستخدمه للدفاع عن نفسى، ولم أشعر يوماً بأننى مكشوفة إلى هذا الحد. وكأننى جُردت من كل شيء. أكاد أشعر بطيف خنجر والدي على فخذي، جاعلاً إياي أتمنى أكثر من أي شيء آخر لو كان معي هنا.

تنقلت عدة أزواج من العيون العسلية بيننا، ونحن لا نزال ظهرًا لظهر، قبل أن تستقر على عيني.

– «لا أريد أن أؤذيكَ، لكننى سأفعل إذا لزم الأمر.»

توقفت، وكان صوتها مستويًا وخاليًا من المشاعر وهي تقول:

– «سأفعل إذا كان ذلك يعني أننى سأفوز.»

كنت على وشك فتح فمي والرد عندما لامست أنامل خشنة أناملي، وقبضت على يدي خلف ظهري. كدت أنتفض من التلامس، لكن كاي فتح قبضتي عنوة، ودس شيئاً بارداً وصلباً في راحتي قبل أن يطوي أصابعي حوله. ثم، وبنفس السرعة، اختفت يده.

غاص الشيء في بشرتي، وغرزت حوافه المدببة فيها. قاومت لأمنع الابتسامة من الارتسام على وجهي عندما أدركت ما أعطاني إياه. سلاح. لقد منحني فرصة للقتال.

إنه سلاح صغير، لكنه سلاح على أي حال. قبضت على نجمة الرمي في يدي، غير عابئة بما إذا كانت الحواف الحادة تخترق بشرتي. هذا الشيء الصغير قد يكون الفاصل بين الحياة والموت.

السلاح الوحيد الذي يملكه كاي هو السيف المعلق في حزامه، ولكن من ناحية أخرى، هو نفسه سلاح. أنا مصدومة لأنه لم يشعر بقوة سيدي تتسلل

إلينا، لكنني أظن أنني لا أستطيع إلقاء اللوم عليه، بالنظر إلى مدى تشتت انتباهي بيديه عليّ، وكلماته ذات المعاني المبطنة، ونبض قلبي المتسارع عندما يقترب أكثر من اللازم.

أخذت نفساً عميقاً.

لنتعامل مع كل مشكلة على حدة.

– «إذن أظن أنه سيتعين عليك إيدائي إذا كان لديك أي أمل في الحصول على شريطي،»

قلت بصوت لاهث، وأنا أراقب نسخ سيدي وهي تخطو خطوة بطيئة إلى الأمام.

هزت رأسها نحوي، وكأنها محبطة من قراري.

– «حسناً. لكن لا تقولي إنني لم أحذرك.»

وفي اللحظة التالية، كانت أمامي فجأة، تضع طرف خنجر قصير على حنجرتي. وقبل أن يخفق قلبي الخفقة التالية، جذبت ذراعي وسحبت ظهري ليلتصق بصدرها. النصل الذي لا تزال تحمله على حنجرتي غاص أعماق في لحمي مع كل نفس سطحي أتنفسه.

– «سأسأل مرة واحدة أخرى فقط.»

كان صوت سيدي حاداً، ومختلفاً تماماً عن النبرة الناعمة التي اعتدتها منها.

– «أعطني شريطك يا كاي، أو سأذبحها.»

رمش الأمير أمام المشهد الذي أمامه، وبدا غير مبالٍ تماماً. كان يعلم أنني أستطيع الاعتناء بنفسني، ورغم أنني أشعر بالإطراء من هذه الحقيقة، إلا أنني في حاجة ماسة إلى مساعدته في هذه اللحظة الحالية. بدأ الدم الساخن يقطر على رقبتني، وأجبرت نفسي على التزام الهدوء.

اكتفى كاي بهز كتفيه تجاه التهديد.

– «امضي قدماً إذن.»

أوماً برأسه نحو النصل الضاغط على حنجرتي.

– «سنرى إن كنت سأهتّم. نحن مجرد خصوم، في نهاية المطاف. سيقبل هذا المنافسة.»

كاد بإمكانني سماع سيدي ترمش خلفي. من الواضح أنها كانت مذهولة من افتقاره للاهتمام، خاصة بعد رؤيتنا نرقص معاً قبل دقائق فقط. كنت سأكون مذهولة بنفسني لو لم أكن معتادة على رؤية أقنعتة – لو لم أتعرف على القناع البارد الذي ارتداه للتو. تصلبت خلفي.

– «أنا أتحدّاك في خدعتك أيها الأمير.»

شعرت بيدها تبدأ في الارتجاف، وتبدأ في شق طريقها أعمق في بشرتي. ثم ضربت.

غرزت نجمة الرمي الحادة كالشفرة في الأنسجة الرخوة لمعدتها، دافعة إياها بعمق وأنا أبعد يدها التي لا تزال تقبض على السكين عن رقبتني. صرخت وانتفضت مبتعدة، مما جعلني أتعثر وأصطدم بكاي. حسناً، بأحدهم. هناك الآن عدة أشكال مفتولة العضلات، جميعها تعكس خصلاته السوداء الفوضوية وعينيهِ العاصفتين. لقد استولى على قدرتها.

اصطدمت ب صدره قبل أن تقبض يداّن قويتان على جانبي ذراعي. عندما نظرت إلى وجهه، امتلك الجراءة ليغمز لي قبل أن يقول:

– «عمل جيد يا جراي. يمكنني دائماً الاعتماد عليك وعلى ميولك العنيفة.»

ومع ذلك، استدار وغرس سيفه في إحدى نسخ سيدي.

أحاط حشد من نسخ سيدي بكاي ونسخه هو، مبقين إياه مشغولاً وغير قادر على الوصول إلى النسخة الأصلية وإنهاء هذا القتال بسرعة. تذكرت يوماً قضيته في التدريب في القلعة، عندما شاهدت سيدي تتدرب مع براكستون. كانا يتقاتلان ويدوران حول بعضهما البعض حتى شق براكستون طريقه إلى سيدي الحقيقية، وأسقطها أخيراً منها القتال.

وهذا بالضبط ما سأفعله. باستثناء أنه، على عكس أوهام آيس التي حظيت بالفعل بفرصة مواجهتها، يمكن لسيدي ونسخها أن يلمسوني ويؤذوني. مع وضع هذه الفكرة المقلقة في الاعتبار، رقصت على أطراف أصابعي، مستعدة للضرب. ابتعدت عن النسخ التي تحوم حول كاي، عالمة أنه يستطيع تدبر أمره بينما يثق في أنني أستطيع فعل الشيء نفسه.

لم يتبق سوى ثلاث نسخ من سيدي، اثنتان منهن تحرسان الأصلية التي تمسك حالياً بيد ملطخة بالدماء على الجرح في معدتها. اندفعت رؤوسهن نحوي، وبالكاد كان لدي وقت كافٍ للاتخاذ وضعيتي القتالية قبل أن تندفع إحداهن نحوي.

لسوء حظي، سيدي تعرف كيف تقاتل. نظرًا لأن قوتها تكمن ببساطة في مضاعفة جسدها، فهي تمتلك تلقائيًا قوة في الأرقام. لكنها تدربت بحيث يكون لتلك الأرقام قوة خاصة بها.

طارت لكمة خطافية اليمنى نحو وجهي فانحنيت تحتها، مسددة ضربة سريعة إلى معدتها. تعثرت سيدي إلى الخلف متأوهة، واستخدمت الفرصة لإرسال ركلة لتصطدم بجانبها. أمسكت بساقي وسحبته إلى الأمام. بالضبط ما كنت آمل حدوثه. أمسكت بكتفها وقفزت، دافعة ركبتي الأخرى عميقًا في معدتها. أفلتت ساقي بصرخة ألم، وحركت خاتمي إلى إصبعي الأوسط قبل أن أوجه لكمة إلى صدغها. تمتمت بشتيمة وأنا أنفخ يدي اللاسعة، لكنها فقدت وعيها قبل حتى أن تلامس الأرض.

شدت يد شعري، بقوة، وانجذب رأسي إلى الخلف. أطلقت شهقة مخنوقة عندما التف مرفق حول حنجرتي، ساحقًا قصبتي الهوائية. لا أستطيع التنفس، وشعرت بالدوار من الألم بينما سبحت بقع أمام ناظري. لكنني دست على قدمها قبل أن أضربها بقوة بمرفقي في معدتها. أرخت قبضتها، فاستدرت، ممسكة بمؤخرة عنقها ودافعة أنفها ليرتطم بالركبة التي رفعتها للأعلى. تلعثمت واندفعت بقبضتها، متمكنة من إصابة فكي. تجاهلت الألم الموجه وسقطت، مكنسة إياها بساقي قبل أن تسقط من على قدميها. ارتطمت بالأرض محدثة دويًا، لكنني كنت قد حوّلت انتباهي بالفعل عن شكلها الممدد.

وجدت عيناى العينين العسليتين المشتعلتين اللتين تخصان سيدي الحقيقية. خطت نحوي، والدم ينزف من بين أصابعها وهي تغطي جرحها.

– «فقط اعلمي أنني لا أريد فعل هذا،»

قالت وصوتها متوتر.

– «لكنني مضطرة لذلك.»

ثم طارت قبضتها نحوي في مزيج من اللكمات الخطافية والمباشرة والصاعدة. أدهشتني سرعة وقوة اللكمات التي لا تزال تمتلكها بعد تعرضها للطعن، مما أجبرني على اتخاذ موقف دفاعي. تفاديت ضرباتها حتى تمكنت من تسديد ضربة خاصة بي، مباشرة في فكها.

تأوهت من الألم قبل أن ترسل ركلة دائرية نحو صدغي. بالكاد صدقتها، ومع ذلك ضرب كعبها جانب رأسي. رقصنا حول بعضنا البعض، ونحن نلقي بمجموعات مختلفة من اللكمات والركلات. اصطدمت قبضتها بشفتي فاندفع رأسي إلى الجانب قبل أن أبصق دمًا. أرسلت ركلة قوية إلى جانبها المجروح بالفعل فصرخت من الألم. ثم سددت ضربة تحت فكها، وأخرى إلى جرحها، وركلة إلى صدغها.

صرخت، محاولة ضربي بلكمة كسولة لكنني التقطت معصمها بسهولة، ولوّيته بزاوية غريبة قبل أن أضربها بركبتي في معدتها. أمسكت قميصها بيد واحدة بينما تكورت الأخرى في قبضة مسحوبة للخلف ومستعدة للضرب. أرسلتها تطير نحو وجهها، مستعدة لإنهاء هذا القتال بضربة أخيرة.

إلا أن قبضتي لم تتحرك.

أطبقت يدان باردتان حول كلا معصميّ، وسحبنا ذراعيّ حتى تم طيهما بإحكام خلف ظهري. كنت مصدومة جداً، ومنهكة ومتعبة جداً لدرجة أنني لم أستطع مقاومة القبضة القوية، ولم أستطع فعل أي شيء لتحرير يديّ.

التفت رأسي ووجدت نفسي وجهاً لوجه مع نسخة سيدي ذات الأنف الدامي، تلك التي قاتلتها للتو.

– «انظري إليّ يا بيدن.»

عاد رأسي ليلتفت إلى سيدي الأصلية التي تمسك الآن بسكين في يديها
الملطختين بالدماء أمامي. ركلتُ ساقي نسخة سيدي خلفي، مما لم يؤدِ إلا إلى
ركلها لي في مؤخرة ركبتيّ، دافعة إياي لأرتطم بالأرض.

عاجزة. بلا حول ولا قوة.

وقفت سيدي فوق، وكأنها تفكر في شيء ما بينما أركع أمامها.
- «أنتِ لن تتوقفي أبداً عن قتالي، أليس كذلك؟»

رداً على ذلك، تلوّيت في قبضة النسخة، محاولة بيأس التحرر. هزت
رأسها نحوي، وعرضت نظرة اعتذار.

- «ربما كان كاي محقاً. كلما قلت المنافسة، كان ذلك أفضل.»
أمسكت بمقبض الخنجر بكليتي، ورفعته فوق رأسها.
إذن هكذا أموت.

لقد نجوت طوال حياتي كشخص عادي، ومع ذلك، هكذا ينتهي الأمر.
بخنجر تافه. لا أستطيع أن أحدد ما إذا كنت أريد أن أضحك أم أبكي.
أمسكت سيدي السكين فوق رأسها، مستعدة لغرسه في قلبي الذي ينبض
بسرعة وهي تهمس:

- «لقد أخبرتك أنني لا أريد فعل هذا. لكنني مضطرة لذلك.»
سيكون كاي غاضباً جداً لأنه أنقذ حياتي هباءً.
- «أنا آسفة،»

اختنقت سيدي بصوتها بينما كان طرف النصل يندفع نحو قلبي. وبشكل
مستحيل، وبشكل لا يصدق، كنت مستعدة لذلك فجأة.
سأراك قريباً يا أبي.
لا شيء.

توقف النصل على بعد بوصات قليلة من قلبي.

كنت أرتجف، وانتقلت عيناى من السكين المتوقفة إلى من كادت تقتلني.
كان الدم يتدفق من فم سيدي، تلاه شهقة غرغرة انزلت بين شفتيها. نظرت
إلى الأسفل، وعيناها متسعتان، وتتبع نظرتها إلى السيف البارز الآن من
صدرها.

انزلق الخنجر من أصابعها بينما انزلت الدموع على خديها. تعثرت إلى
الخلف، تلهث، وتصطدم بصدر عريض. لف كاي ذراعيه حولها ووجهها برفق
إلى الأرض، وصوت غرغرة مقرز ينزل من شفتيها.
ثم صمتت فجأة، وعيناها العسليتان تحدقان في السماء السوداء -
متسعتين، لا تريان، وزجاجيتين.

تلاشت نسخ سيدي من حولنا من الوجود، تاركة يديّ حرتين لتغطيا فمي
بينما أختنق بشهقة. كنت أحاول استيعاب ما حدث للتو، محاولة التقاط الهواء
بينما كنت أتنفس بضعف.

سقط كاي على ركبتيه بجانبى، والقلق يكسو جبينه.
- «هل أنت مصابة؟»

جالت عيناها عليّ مثلما كانت أصابعه تتجول الآن بخفة على جسدي،
تتفحص بحثًا عن إصابات تمامًا كما فعلت قبل بضع ليالٍ.

- «بيدن، انظري إليّ.»

كانت يدان خشنتان تطوقان وجهى الآن، وتوجهان نظرتى نحوه.

- «أخبريني، هل آذتك؟»

- «أنا-أنا بخير.»

أنا لست بخير.

أكره هذه التصفيات لأنها تقتل الناس، والآن شهدت ذلك للتو بشكل
مباشر. لقد كنت جزءًا منه. لم أطلب أيًا من هذا، لم أرد أن يموت أحد. والآن،
ضحية أخرى للتصفيات ترقد بلا حراك على بعد أقدام قليلة.

- «لقد أخبرتك أنني لا أريد فعل هذا. لكنني مضطرة لذلك.»

لم تكن سيدي تريد قتلي، ومع ذلك، كدت أتمنى لو فعلت. كدت أتمنى لو كان لدي سبب لكراهيتها، سبب لأتمنى لها هذا المصير. لكن هذه التصفيات الملتوية هي التي أجبرت يدها المرتجفة على رفع ذلك الخنجر فوق رأسها، وأجبرتها على أن تكاد تزهد روحاً.

ألقيت نظرة سريعة على جسدها الملطخ بالدماء والممدد بلا حراك بالقرب مني. ومضت صورة والدي أمام عيني، لتحل محل الفتاة التي حاولت قتلي بصورة الأب الذي كان ليقتل من أجلي. لقد شهدته يموت بشكل مشابه، وحاولت أن أرمش لأبعد الصورة. لكن جسده الملطخ بالدماء لم يتزحزح...

– «هيه، انظري إليّ، حسناً؟ لا تنظري إليها، انظري إليّ مباشرة.»

كانت يدا كاي لا تزالان تمسكان وجهي برفق عندما أعدت نظرتي لتلتقي بنظرته، محاولة التركيز على شيء آخر غير الموت أمامي. إلا أن الأمير نفسه يبدو وكأنه الموت المتجسد، سلاحاً مشهراً.

– «ركزي على عينيّ. أعرف كم تحبين التحديق فيهما.»

التمعت عيناه الرماديتان بالتسلية، وارتفعت زاوية شفثيه بينما فغرت فمي. إنه يعرفني جيداً بما يكفي ليعلم أنني على وشك البدء في توبيخه رداً على ذلك التعليق الصغير، لذا وضع إصبعه على شفثي قبل أن تسنح لي الفرصة.

– «ركزي على الغمازتين اللتين تحاولين إقناع نفسك بأنك تكرهينهما، رغم أنني أعرف أنك تبحثين عنهما في كل مرة أبتسم فيها.»
وبالتأكيد، اتسعت ابتسامته، وانتقلت عيناها الخائنتان إلى الغمازتين اللتين تؤطرانها.

الإبهام الذي مرره على شفثي السفلى جعل عينيّ تنسحبان من غمازتيه لتلتقيا بنظرته.

– «ركزي على شفثي.»

كان صوته همساً، مداعبة كالأصابع التي تلامس وجهي وفمي.

– «لا تكوني خجولة، أعرف أن هذه لن تكون المرة الأولى.»

انجرفت عيناى إلى شفّتيه، وتتبعنا المنحنى الحسى لهما. كان من السهل جداً النظر إليه، وإلى الإعجاب به. كل شيء فيه كان جذاباً بشكل مزعج، ويشئت الانتباه بسهولة شديدة...

مشئت للانتباه.

عندما أضاءت عيناى بإدراكى لما يفعله، أخبرتنى ابتسامته المتكلفة الخفيفة أنني على حق. هذا الفتى الماكر شئت انتباهي للتو عن جثة ميتة باستخدام لا شيء سواه للقيام بذلك.

– «هل أنت متأكد من أن هذا كان لتشتيت انتباهي وليس لتعزيز غرورك؟»

سألت، وكان صوتي هادئاً بشكل مخادع.

– «ولماذا لا يمكن أن يكون كلاهما؟»

– «أحمق،»

تمتعت.

لم يتوقف عن الابتسام لي.

– «قد أكون أحمقاً، لكنني أنقذت مؤخرتك للتو.»

ثم، وبدون سابق إنذار، تلاشت ابتسامته واستبدلت بتدقيق جاد وهو ينظر إليّ.

– «كيف حالك؟ هل هدأت؟»

أخذت نفساً عميقاً وأغمضت عينيّ للحظة. ومضت صورة جسد سيدي الملطخ بالدماء في ذهني قبل أن تتحول إلى صورة والدي.

– «أنا بخير الآن،»

كذبت، وأنا أكره كم بدا صوتي متوترًا.

هز رأسه نحوي، وتمتم:

– «لقد أخبرتك. أنت كاذبة فظيعة يا جراي.»

أفلتت مني ضحكة مهتزة. كان الصوت خاطئاً جداً مع وجود جثة هامة قريبة جداً، لكن لم يبدُ أنني أستطيع السيطرة على نفسي. في هذه المرحلة، خياراتي الوحيدة هي الضحك أو البكاء، وأنا أرفض القيام بالخيار الأخير. درس كاي وجهي، وبدا أنه يرى المعركة المستعرة في داخلي. ودون أن ينطق بكلمة، لف ذراعه حول خصري وساعدني على الوقوف. أعرف أنه كان يجب أن أدفعه بعيداً، وكان يجب أن أخبره أنني لا أحتاج إلى مساعدته. لكنني ضعيفة من نواح كثيرة، وقربه هو وسيلتي الوحيدة للراحة الآن. قادني إلى جذع شجرة وأجلسني، ثم جثم لينظر إلى وجهي.

– «باي،»

نطق المقطع بصوت ناعم جداً،

– «ابقي هنا واهدي. تنفسي فقط، حسناً؟ لا تزالين في حالة صدمة.»

أومأت برأسي بخدر بينما كان يقيمني مرة أخرى. لم تحد نظارته عن نظرتي وهو يرفع يده ببطء ليمرر أصابعه فوق أصابعي، وكأنه يبحث عن شيء ما. توقفوا عند الفولانز البارد حول إصبعي قبل أن يلف الخاتم بكسل، مقلداً حركة أنا معتادة عليها تماماً.

– «شتتي انتباهك. لفي هذا كما تفعلين دائماً لتبقي مشغولة، ولتُبعدي تفكيرك عن الأشياء.»

رمشت بعيني نحوه، مصدومة من أنه يعرف عاداتي، ويعرف كيف يساعدني. لقد كنت مذهولة من مدى هدوئه وتماسكه بعد قتله لشخص ما، رغم أنه لم يكن ينبغي لي ذلك. لقد نشأ من أجل هذا، وتشكل ليصبح قاتلاً متبلد الشعور تجاه الموت الذي يوزعه. قمعت قشعريرة عند التفكير في الفضائع التي ارتكبتها هذا الفتى المسكون. والفضائع التي تحملها.

وقف كاي للمغادرة.

– «سأذهب... لأنظف هذا. سأعود قريباً. وللمرة الأولى،»

تنهد،

– «استمعي إليّ وأبقي في مكانك.»
ثم رحل، تاركاً إياي ألف خاتمي بقلق.



الفصل 30

بيكان

لم يكن من المستغرب أنني لم أستمع إليه. فبمجرد أن تخدرت مؤخرتي من الجلوس على ذلك الجذع اللعين، وقفت ورحت أذرع المكان زهابًا وإيابًا حول مخيمنا قبل أن أرش الماء البارد من الجدول على وجهي وجسدي. ثم بردت مؤخرتي، فانتقلت للجلوس بجوار النار لأستلقي على الأرض الصلبة التي ألفتها جيدًا.

رفضت أن أراقب كاي وهو يرفع جثة سيدي على كتفه ويمضي بها بعيدًا. أين ألقى بها؟ لا أدري. وأدركت أنني لا أريد أن أعرف. بل تركت أفكاري تشرذ بينما يشرد هوي في الغابة حاملاً جثة ميتة على كتفه.

أراقب النار وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة من حيث أستلقي على جانبي، متخذة من ثنية ذراعي تحت رأسي وسادة غير مريحة. انتظمت أنفاسي الآن، وتلاشى الارتجاف الناجم عن بقايا الأدرينالين والصدمة. ربما كنت لأظل مستلقية هنا لساعات لو أنني اكرثت بمحاولة تتبع الوقت.

فجأة، اكتسحني ظل لشخص يجثم خلفي الآن.

أحكمت قبضتي على مقبض سكين سيدي واستدرت في حركة واحدة سريعة، واطعنة طرف النصل على حنجرة من ظن أن التسلل خلفي فكرة ذكية.



اصطدمت عيناى بعينين عاصفتين، تبدوان مستمتعتين أكثر من كونهما خائفتين.

– «على رسلك،»

همس كاي، وهو يلف يداً خشنة برفق حول معصمي ويبعد الخنجر عنه.
– «إنه أنا فقط.»

التوت زاوية فمه في ابتسامة وهو يضيف:

– «رغم أنني أشك في أن هذه المعرفة ستمنعك من إبقاء هذا النصل على حنجرتي.»

تمكنت من رسم ابتسامة خفيفة عند الفكرة، ومررت يدي في شعري المتشابك وأنا أنظر إليه وهو يجثم بجانبى.

– «بما أننا شريكان الآن، فلا داعى للقلق من أن أطعنك في الوقت الحالى.»

أطلق ضحكة عميقة، و تمنيت أن يخفى الضوء الخافت معظم ابتسامتى عند سماع ذلك الصوت.

– «وعندما لا نعود شريكين؟ هل يجب أن أخشى على حياتى؟»

– «سيكون من الحكمة فعل ذلك، نعم.»

بالكاد سمعته يغمغم:

– «مخلوقة صغيرة شرسة.»

صمتنا للحظة، وبدأت ابتسامتى تتلاشى ببطء. كنت متعبة وأشعر براحة مفاجئة على الأرض المدكوكة، لذا لم أزعج نفسى بالحركة وأنا أسأله:

– «هل أنت...»

– «نعم،»

قاطعنى، معفياً إياى من الاضطرار للحديث عن جثة سيدي.

تعثرت نظرتي عند يديه والطبقة الرقيقة من التراب التي تغطيهما. إنه تحت أظافره، ومتناثر على ذراعيه. لفت انتباهي غبار أصفر على أطراف أصابعه، مسحوق ناعم يلطخ بشرته.

تراب. حبوب لقاح.

كان صوتي بالكاد أعلى من الهمس.

– «لقد دفنتها.»

تصلب كاي بجانبني.

– «ليس هذا فحسب،»

انزلت عيناى ببطء لتلتقيا بعينه،

– «لقد وضعت زهوراً على قبرها.»

كانت ابتسامته تكاد تكون حزينة، ومثقلة بالإرهاق.

– «لا شيء يفوتك أيتها المتبصرة الصغيرة.»

ثم مد يده، ونقر برفق على طرف أنفي كما فعل عندما رقصنا. بطريقة ما، بدا هذا الفعل البسيط أكثر حميمية بكثير مما أود الاعتراف به، وكأنه يشاركني شيئاً ثميناً، يقول شيئاً دون أن ينطق بكلمة واحدة.

أمسكت بيده قبل أن يسحبها، محاولة تجاهل ملمس خشونة يده ضد يدي.

– «شكراً لك يا كاي. كان من النبل منك أن تفعل ذلك من أجلها.»

ارتعشت شفثاه، وانخفضت عيناه إلى أيدينا المتشابكة قبل أن تعودا لتتبعنا عيني.

– «أوه، لم أفعل ذلك من أجلها.»

شدة نظراته جعلتني أبتلع ريقى، لكنني لم أشح بنظري. لم أرد أن أشيح بنظري. مرر إبهامه على مفاصل أصابعي، وكانت حركته مهدئة جداً، ورقيقة جداً.

أمال رأسه إلى الجانب متفحصاً إياي.

– «كيف تشعرين؟»

فتحت فمي، لكن كاي استبق ردي المجهز.

– «ولا تكلفي نفسك عناء القول إنك بخير، لأن كلانا يعلم أن هذه كذبة.»

تمريرة أخرى من إبهامه على مفاصل أصابعي.

– «أنا...»

أغمضت عيني ورפרفت رموشي، وأخذت نفساً عميقاً.

– «أشعر وكأنني كدت أموت اليوم. أشعر بالارتباك وأن الأمور تخرج

عن سيطرتي. أشعر بالغضب والإحباط لأنني لا أعرف كيف أشعر حيال كل هذا.»

توقفت بينما انتظر كاي بصبر لأكمل.

– «وأشعر وكأنني أدين لك بشكر. كنت سأموت اليوم لولا إنقاذك لي.»

انحنى مقترباً أكثر، وعيناه تفيضان بمشاعر بالكاد مكبوتة.

– «وسأنقذ حياتك مراراً وتكراراً، آملاً بلا غاية أن تسمح لي بالبقاء

فيها.»

حدقنا في بعضنا البعض.

تلك الكلمات الجميلة التي تفوه بها جعلت قلبي ينبض بشدة، وعقلي

يتخبط في المعاني المحتملة. كان التوتر بيننا ملموساً، يسلبني أنفاسي وهو

يتأملني. كنت أبحث عن شيء، أي شيء، لأقوله، لكنني كنت مشغولة جداً

بالتحديق فيه لدرجة أنني لم أستطع التفكير بوضوح.

ثم انزلق سؤال هادئ من شفتي، قاطعاً التوتر بيننا.

– «كيف يمكنك أن تكون هادئاً هكذا بعد كل هذا؟»

كنت أعرف الإجابة، ومع ذلك وجدتني راغبة في سماعها من شفتيه هو.

– «لم أكن هكذا دائماً،»

قال بصوت خافت.

- «لكن الممارسة تصنع الكمال، وقد حظيت بالكثير منها.»
- حدقنا في بعضنا البعض في صمت، ومرة أخرى، كنت أصارع لأجد ما أقوله. ثم تذكرت الشريط الجلدي الذي سرقت منه وسحبت يدي من يده لأخرجه من جيبتي.
- «حسنًا، أفترض أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكنني بها رد الجميل لك. رغم أنه ملك في المقام الأول.»
- هز كتفيه بلامبالاة كسلانة.
- «احتفظي به.»
- تأففت.
- «لا أريد شفقتك.»
- «إنها ليست شفقة يا بيدن.»
- تنهد الكلمات، واسمي معها.
- «إلى جانب ذلك، لدي واحد آخر خاص بي الآن، وإسقاط سيدي كان جهداً مشتركاً.»
- رمقته بنظرة حازمة، مستعدة للجدال بما أن كلانا يعلم أنه لم يكن بحاجة فعلية إلى مساعدتي مع سيدي. لم يفته التحدي في عيني.
- «فقط خذي الجلد اللعين يا جراي.»
- إذا كان يريد أن يعرض عليّ الشيء الوحيد الذي أحججه لمساعدتي في الفوز بهذه التصفيات، فليكن.
- سأخذ الجلد اللعين. لكن ليس قبل أن أستمتع قليلاً.
- التوت ابتسامة على شفتي.
- «قل من فضلك.»
- أشاح بنظره عني، وهز رأسه نحو السماء المرصعة بالنجوم.
- «لقد كنتِ تنتظرين فقط لتجعليني أقول هذا، أليس كذلك؟»

– «أموت شوقاً لذلك، في الواقع.»

أسند ساعديه على ركبتيه المثنيتين وانحنى أكثر، ووجهه يحوم قريباً جداً فوق وجهي. الابتسامة التي منحني إياها كانت كسولة تماماً كنظرته التي جالت على وجهي.

– «من فضلك، يا بيدن.»

سرت قشعريرة أسفل عمودي الفقري من المداعبة التي كانت في صوته.

– «يبدو أن هذه كلمة غريبة عليك أيها الأمير.»

– «بفضلك، لدي شعور بأنني سأصبح معتاداً عليها جداً. قليلون هم من يملكون القوة لجعلي أتوسل.»

ابتلعت ريقِي، مفضلة تجاهل كلماته وأنا أدس الجلد في جيبِي وأستدير لأواجه النار مرة أخرى، وقد شعرت بالبرد فجأة وبالرضا لأن أكون هادئة. انخفضت درجة الحرارة بشكل ملحوظ الليلة، وقميصي الرقيق لا يفعل الكثير ليبقيني دافئة.

– «لكن لدي شرط واحد،»

قال.

قلّبت عيني.

بالطبع لديه.

– «وما عساه أن يكون؟»

سألت من بين أسناني، دون أن أكلف نفسي عناء النظر إليه.

لف ذراع حول خصري، متجنباً جرحي بعناية بينما يجذبني ليلصقني بصدر عريض. جفلت من التلامس المفاجئ، وصدحت ضحكة خافتة بالقرب من أذني.

– «سأستخدمك لتبقيني دافئاً.»

كان هناك تردد معين فيه، نوع من الخجل لا يدعني أراه إلا في لحظات كهذه. كان يضمني برخاوة، برقة، وكأن أي مشاعر هشة متبادلة بيننا قد تتحطم إذا عوملت باستهتار.

كل لمسة ممتدة تحمل سؤالاً، كل نظرة طال أمدها، كل جزء من أنفسنا نختر البوح به للآخر. الذراع التي تطوقني لم تكن استثناءً، فقد كانت تتحدث بصوت عالٍ في شكل أصابع محومة وعناق متردد.

هل هذا مسموح؟

ابتلعت ريقي بصعوبة. جف حلقي.

كانت إجابتي بطيئة بشكل مؤلم وأنا أنزلق مقتربة منه أكثر. إنه أكثر من مسموح.

التلف هو عاطفة لطالما تمكنت من إلقاء اللوم فيها على الظروف، وتمنيت بشدة ألا تكون الرغبة هي المحرك لقراراتي. سمعته يأخذ نفساً، وأدركت حينها أنه كان يحبسه. ثم تلاشت كل بقايا التردد.

استقرت يده على الجانب الأبعد من خصري حيث بدأ قميصي يرتفع ببطء. لم يضيع وقتاً في سحبي نحوه، سامحاً لي بالشعور ب صدره يعلو ويهبط، والشعور بنبضات قلبه الثابتة تدق ضد ظهري.

– «أخبريني، هل يزعجك هذا؟»

سأل بهدوء، هامساً بالسؤال بالقرب من أذني. كان يعيد كلماتي إليّ، وكدت أشعر بابتسامته المتكلفة. إنه يريد أن يزعجني هذا. يريد أن يتسرب هذا تحت جلدي ويجعلني مرتبكة مع كل إصبع يضعه على جسدي. وغد.

ببساطة لا يمكنني السماح بذلك. لذا قلت بثقة لم أكن أشعر بها حالياً: – «على الإطلاق. أنا لا أهتم يا أزر.»

– «جيد،»

قال ببرود. ثم أراح رأسه على ذراعي وكتفي، وشعره الناعم الداكن يدغدغ بشرتي.

– «من يحتاج إلى وسادة عندما أملكك؟»

تأففت بصوت آمل أن يبدو منزعجاً. بفضل، أصبحت الآن مستيقظة تماماً وغير قادرة على التركيز على أي شيء آخر سوى حرارة جسده ضد جسدي. أخيراً، أبعد رأسه عن كتفي ووضعه بالقرب من مؤخرة رأسي، مدفوناً تقريباً في شعري.

– «أحلاماً سعيدة يا بيدن.»

– «أحلاماً سعيدة يا كاي.»

اشتدت قبضته بشكل خفيف على خصري استجابة لصوت اسمه يتدحرج من على لساني. ثم راح إبهامه يمسح بضربات كسولة وخفيفة على قماش قميصي الرقيق. كتمت قشعريرة، وابتلعت ريق، وأغمضت عيني. فقط نامي.

قول ذلك أسهل من فعله.

كنت مركزة جداً على إبهامه الماسح، وذراعه الملفوفة بإحكام حولي، وصدره الذي يعلو ويهبط ضد ظهري.

أكره أنني لا أكره ذلك.

وحينها أدركت الأمر.

تشتيت الانتباه.

إنه يفعل ذلك مجدداً. إنه يبعد تفكيري عن الموت الذي شهدته للتو، وعن حقيقة أنني شاهدته يقتل شخصاً لأنه كان سيقتلني. إنه الشيء الوحيد الذي يمنع أفكاري من الذهاب إلى جثة سيدي، الشيء الوحيد الذي سيطرد الكوابيس الليلة لأنني مشغولة جداً بالتفكير فيه.

وهذا تشتيت انتباه يفيد كلينا.

وجدت نفسي أبتسم وأنا أفكر في الفتى الماكر خلفي. الفتى الماكر، الذي
يهتم لسبب ما.



الفصل 31

كاي

قضيّنا يومنا الأخير في غابة الهمسات نحاول إيجاد طريق للخروج. كان الوقت متأخرًا بعد الظهر عندما قاطع متبصر روتيننا في تناول لحم الأرنب القاسي معًا. كانت الفتاة صغيرة وخجولة، ولم تلبث أن أسقطت قطعة مطوية من الورق الرقّي على جذع شجرة قريب قبل أن تختفي في الغابة. كانت الرسالة، كما هو متوقع، غامضة للغاية. لم تقدم أي تفاصيل، واكتفت بإبلاغنا بأن علينا التجمع عند حافة غابة الهمسات عند شروق الشمس.

لذا، وبعد تسلق شجرة صنوبر لعينة أخرى لمعرفة الاتجاه الذي يجب أن نسلكه، انطلقنا نمشي بصعوبة عبر الغابة. وبعد عدة ساعات طويلة من هذا، أصبحنا قلقين، على أقل تقدير.

سمعت بيدن تشتم، وتتعثر خلفي.

— «هذه الثعابين اللعينة!»

استدرت في الوقت المناسب لأراها تقلب الخنجر في يدها، ممسكة إياه من نصله قبل أن ترسله ليطيّر ببراعة ليغوص في رأس ثعبان كان ينزلق بجوار



قدميها. مات الفحيح مع بقية المخلوق قبل أن تسحب بيدن النصل ببساطة من جمجمته.

استدرت عائداً إلى طريق أوراق الشجر الكثيفة أمامي، وابتسامة تتجاذب شفتيّ بفضل الفتاة التي خلفي. ثم سمعت جملة متممة تلتها سلسلة من الشتائم التي لم تزد ابتسامتي إلا اتساعاً.

– «عفوًا، ماذا كان ذلك يا جراي؟»

سألت دون أن أكلف نفسي عناء النظر من فوق كتفي.

– «يتم إجبارنا جميعاً على التجمع في منطقة واحدة من أجل حمام دم،» تأففت وهي تتخطاني.

– «هذا يبدو دقيقاً تقريباً،»

قلت متنهداً.

كانت السماء فوقنا تظلم بسرعة، وتحت غطاء الأشجار، كان الضوء أخفت. استدارت، ورأيتها تفتح فمها لتدلي على الأرجح بتعليق ساخر قبل أن تطبقه بقوة عندما تردد صدى طقطقة غصن حولنا.

توقفنا، وعيوننا تمسح الأشجار والنباتات التي لا نهاية لها المحيطة بنا. أيًا كان ما أصدر الصوت، فقد بدا ثقیلاً ومتجهًا نحونا. ثم، سمعت صوتاً مكتومًا يزداد ارتفاعاً مع اقتراب صاحبه.

– «أرجوك، لا توجد طريقة تمكنك من الوميض من هنا إلى حافة غابة الهمسات.»

– «بالتأكيد أستطيع ذلك. الجو مظلم الآن فحسب، لذا لا أستطيع. أوه، وهناك الكثير من الأشجار التي تحجب رؤيتي. ولكن لولا ذلك، لتمكنت من ذلك تمامًا.»

– «بالتأكيد. استخدمني ذلك كعذر لك.»

– «أعتقد أنك تشعر بالغيرة وحسب.»

– «واصلي إخبار نفسك بذلك.»

سمعت صدى الضحك، وصوت احتكاك أقدام ناتج بلا شك عن تدافع مرح. تسالت قوة الخصمين القريبين إلى عظامي، لكنني لم أكن بحاجة إلى معرفة قدراتهما لأعرف هويتهما.

تبعثني بيدن بتردد عندما اتجهت نحوهما. شققت طريقي عبر الأشجار والنباتات، ونبضي يتسارع ترقباً. أزحت غصناً جانباً، ولمحت الشكلين يمشيان نحونا.

مدت آندي قدمها وأوقعت بكاحل جاكس، مما كاد يرسله ليقع أرضاً. انقطع ضحكهما الهادئ فجأة عندما رأياني وتوقفاً في مكانهما.

– «حسناً، لا تبدووا متحمسين جداً لرؤيتي،»

قلت بجفاء، وأنا أخطو نحوهما.

– «كاي؟»

كان جاكس يضيق عينيه في الظلام المتزايد، لكن عينيه أضاءتا بالتعرف عليّ. كان أمامي في بضع خطوات واسعة من خطواته، فأمسكت برأسه في ثنية ذراعي لأبعثر شعره القصير رغم احتجاجاته.

اقتربت آندي بابتسامة.

– «من الجيد أن أرى أنك لا تزال حياً.»

– «أجل، هذا عظيم،»

وافق جاكس، وهو يفرك رأسه.

– «لكن كان بإمكانني الاستغناء عن تحيتك المعتادة.»

– «إذن، كيف كانت إقامتكم في غابة الهمسات...»

توقفت آندي فجأة، وانزلت عيناها إلى شيء فوق كتفي.

وقفت بيدن بجانبني، مقدّمة ابتسامة مترددة. إنها لا تثق بهما، ولا ألومها.

لكن من الواضح أنها تثق بي، وإلا لكانت قد هربت بدلاً من تتبعي إلى هنا. قمعت ابتسامة عند التفكير في ذلك وأنا أقول:

– «لقد كانت إقامتنا في غابة الهمسات حافلة بالأحداث حقاً.»

بادلت آندي بيدن الابتسامة وأومأت برأسها بينما ابتسم جاكس بخجل.
انزلت نظرتي إلى السماء المظلمة، وتنهدت.

– «من الأفضل أن نواصل المشي إذا أردنا الوصول إلى الحافة بحلول
الفجر.»

استدردنا وبدأنا في شق طريقنا عبر أوراق الشجر الكثيفة، نتعث قليلاً في
الظلام.

– «إذن، أخبرانا بما حدث لكما.»

ضحكت آندي بمرارة.

– «السؤال الأفضل سيكون ما الذي لم يحدث لنا.»

– «وجدنا بعضنا البعض في اليوم الثالث،»

قاطع جاكس،

– «لكن قبل ذلك، كنت مختبئاً لأن قدرتي لا تعمل بشكل جيد في
تضاريس مزدحمة كهذه. رأيت بلير مرة واحدة لكنني ومضت عالياً إلى شجرة
قبل أن تتمكن من رؤيتي وتمزق ذراعي للحصول على جلدي.»

– «والطاعون يعلم أنها كانت ستفعل ذلك أيضاً،»

تمتت آندي تحت أنفاسها بينما هممت بيدن موافقة.

تابع جاكس بهزة كتف.

– «لكن بخلافها، لم أر أي شخص آخر عندما كنت وحدي. كانت أكبر

منافسة لي هي مجرد النجاة في الغابة بمفردي.»

– «وماذا عنك يا آندي؟»

سألت بيدن بفضول.

– «حسناً، على عكس جاكس هنا، كنت محظوظة بما يكفي لمواجهة

خصمين بمفردي.»

كادت تقلب عينيها بانزعاج.

– «صادفت بلير، وكان القتال... شديداً. لكن لسوء الحظ، حصلت تلك العاهرة على شريطي. ثم،»
مطت الكلمات،

– «في اليوم السابق لليوم الذي وجدت فيه جاكس، قامت هيرا بزيارتي. استيقظت في منتصف الليل على سكين غير مرئية تحاول قطع الجلد من ذراعي. حصلت على شريطها في النهاية، لكن الأمر لم يكن سهلاً بالنظر إلى أنني لم أتمكن من رؤيتها نصف الوقت.»

– «ثم وجدتني آندي، وكنا معاً منذ ذلك الحين.»
سمعت الابتسامة العفوية في صوت جاكس.

– «وجدنا براكستون، ولكن بعد أن أسقطناه – حسناً، آندي في الغالب هي من فعلت ذلك – وجدنا أنه لا يحمل شريطاً جليداً.»
اتسعت عينا جاكس، واندفع قائلاً:

– «أوه، وكان مغطى بكل تلك الحروق المقرزة. كان الأمر مقلقاً.»
تنحنحت.

– «أجل، هذا بفضلتي.»
ضحكت آندي.

– «هذا ليس مفاجئاً على الإطلاق.»

– «أوه! كما أننا سقطنا في حفرة من الثعابين،»
قاطع جاكس بقشعريرة.

– «كانت تلك الأشياء أسوأ من التصفية نفسها.»
أفلتت شجرة من آندي.

– «أجل، أنا مندهشة لأن كل متسابق في غابة الهمسات لم يسمع جاكس وهو يصرخ كفتاة صغيرة.»

عند ذلك، اكتفى جاكس بهز كتفيه، ولم يكلف نفسه عناء الإنكار.

– «وبعدها وجدنا آيس. بوجودنا كلانا، لم يكن من الصعب جداً إسقاطه وسرقة جلده.»

حك جاكس رأسه، مفكراً في شيء ما.

– «خاصة لأنه كان يعرج بشدة.»

استطعت رؤية وميض ابتسامة بيدن العريضة حتى في الظلام الذي بدأ يبتلعنا.

– «وهذا بفضلتي.»

قمنا أنا وبيدن بإطلاعهما بسرعة على ما تحملناه الأسبوع الماضي، رغم أنها تجنبنا بعناية التفاصيل الأكثر حميمية لوقتنا معاً.

– «إذن، سيدي ماتت؟»

سألت آندي، وبدا السؤال أقرب إلى التقرير.

– «نعم،»

قلت ببساطة.

– «إنها كذلك.»

تحدثنا لفترة طويلة بينما واصلنا التوجه نحو حافة الغابة. في النهاية، صمتنا حتماً، وكان الصوت الوحيد يصدر عن الطيور فوقنا وصوت تحطم الأوراق والأغصان تحتنا.

رأيت الفتحة في اللحظة التي بدأت فيها السماء تضيء. تضاءلت الحرية على بعد مئات الياردات مع بدء الأشجار في الترقق، واقترب حافة غابة الهمسات. تسارعت خطواتنا، وكلنا نتوق للتخلص من هذا المكان بينما تسابقنا الشمس، متجهة نحو الأفق بينما نتجه نحن نحو الحرية.

ظهر حشد من الأجساد بين الأشجار. على بعد أقل من ميل من حافة الغابة، تجمع مئات الأشخاص في الحقل الواسع، ينتظرون بصبر مشاهدة العرض.

الجمهور.

كنا جميعاً صامتين عندما خطونا أخيراً إلى حافة خط الأشجار. كانت الشمس قد أبطأت وتيرتها، كسولة جداً عن الشروق. إذن لم تنته التصفية بعد. نظرت نحو بحر الناس، جميعهم يشيرون في اتجاهنا. ورغم أن قواهم بعيدة عن متناولي، إلا أنني أشعر بوزن المتبصرين في كل مكان حولنا، يستعدون لتوثيق النهاية.

ومضت حركة في مجال رؤيتي المحيطي. استدرنا جميعاً نحوها، وكان قوس بيدن مسحوباً بالفعل ومصوباً نحو الشكل الذي يخرج من بين الأشجار إلى الحقل المفتوح على الجانب الآخر.

تطاير شعر أرجواني متشابك على وجه بلير بينما التوت شفتها في ابتسامة ساخرة، وهي تتأملنا. كانت نظرتها الباردة مثبتة على بيدن وهي تقول:

– «ألا تعلمون أن التحالفات تفسد كل المتعة؟»

تنهدت بيدن.

– «كنت سأقول إنني سعيدة برؤيتك لا تزالين على قيد الحياة، لكن من الواضح أنني كاذبة فظيعة، فلماذا المحاولة.»

ارتعش فمي في ابتسامة عند كلماتها عندما خرج براكستون من بين الأشجار. تنقلت عيناه بيننا، وبدا مصمماً ويائساً للحصول على شريط قبل انتهاء التصفية.

لذا كان حله هو البدء في الاندفاع نحو بلير.

أبعدت عيني عنه عندما سمعت غصناً يتحطم خلفنا. استدرت، أهدق في لا شيء سوى الهواء المنعش. ثم انحنى جاكس إلى نصفين من تأثير لكمة غير متوقعة وغير مرئية.

– «أوتش،»

لهث.

لقد وصلت هيرا.

تحولت آندي إلى هيئة الذئب الخاصة بها، تشم الهواء للعثور على هيرا قبل أن تندفع فجأة في الاتجاه الذي لا يمكن أن يكون سوى اتجاهها. أدت رأسي بسرعة، أبحث.

لم يتبق سوى أحد أفراد النخبة.

ثم رأيته. كان الأبعد عنا، واقفاً وذراعا متقاطعتان على صدره، يراقب الفوضى التي تتكشف أمامه بابتسامة متعجرفة متكلفة. التقت عينا آيس بعيني. واتسعت ابتسامته.

وجدت هدفي.

كان المشهد حولي ضباباً من الدم والأجساد. كانت بيدن وآندي تقاتلان براكستون وبلير بينما يختفي جاكس وهيرا ويرقصان حول بعضهما البعض، مسددين ضربات قوية قبل أن يتلاشيا.

وهذا يترك آيس لي بالكامل.

بالكاد رمشت عيني أمام العنف المحيط بي وأنا أستحوذ على قوة هيرا وأختفي في الفوضى. لم أتخل عن قدرة الإخفاء (فيل) إلا عندما كنت أمامه مباشرة حتى يتمكن من رؤية وجهي عندما أرسلت قبضة إلى أنفه مصحوبة بصوت تحطم مقرز. ترنح إلى الخلف، ممسكاً بالعظم المكسور بينما طارت عيناه لتلتقي بعيني.

ثم فجأة لم أعد أرى شيئاً على الإطلاق. حاصرني جدار حجري سميك، ومع ذلك، اخترق شيء جانبي. الألم الحاد لم يفعل سوى شحذ حواسي، مذكراً إياي بأن هذا مجرد وهم، رغم أن الألم في جانبي كان حقيقياً تماماً. خطوت عبر الجدار، فتلاشى في خصلة من الدخان، كاشفاً عن آيس يمسك برمح في يده الملطخة بالدماء.

نفس الرمح الذي كاد أن يقتل بيدن.

أومضت (بليينك) خلفه، بعد أن استحوذت على قدرة جاكس، ودفعت ركبتي في ظهره. ثم صرت أومض حوله، أضربه بقوة دون تردد. كنت أتلاعب

به. كان بإمكانني بسهولة إنهاء هذا القتال بسرعة، لكنني لن أنكر أنني وحش يريد أن يستمتع معه قليلاً أولاً.

بعد إرسال ضربة إلى فكه، تضاعف فجأة أمام عيني. أحاطت بي العشرات من نسخ آيس، جميعها تتحرك وتختلط ببعضها البعض، تاركة إياي لأخمن أين هرب الحقيقي.

قمت بتصفية القوى المتاحة لي، تلك التي ترقص تحت بشرتي من أولئك المحيطين بي. اندفعت قوة بلير النائبة حركية (التيليكنيتيك) في عروقي، تتوسل لاستخدامها.

قد يكون هذا ممتعاً.

الآن أحتاج فقط للعثور على الشخص الحقيقي...

سرى الألم في ساقي عندما غاص طرف رمحه فيها. صررت على أسناني واستدرت نحوه.

– «ها أنت ذا.»

ابتسمت وأنا أرفعه عن الأرض بلا شيء سوى عقلي.

شهق، مختنقاً وأنا أسحق قصابته الهوائية، وقدماه تتدليان على ارتفاع قدمين جيدين عن الأرض. كان فمه يتحرك، ويصدر أصواتاً غريبة وهو يحاول إدخال الهواء إلى رئتيه الصارختين.

ما زلت أبتسم.

– «ماذا كان ذلك؟ لا أستطيع سماعك جيداً.»

تلاشت نسخه المكررة في الدخان بجانبني، وتلاشت صرخات القتال حولنا بينما ركزت عليه. ركزت على حياته التي أحملها بين يدي، وفي عقلي.

لكن صرخة الألم التي سمعتها تالياً لم تكن تخصه.

أعرف هذا الصوت. لقد سمعت هذا الصوت وتمنيت في صمت ألا أسمعه أبداً مرة أخرى. التفت رأسي بحدة نحو الجسد المتكور الملقى بالقرب مني، والشعر الفضي يلتصق بوجهها المحموم والدموع تتدحرج على نمشها

الخفيف. تدفق الدم من تمزق متعرج تحت ضلوعها، وأفلتت منها شهقة مخنوقة.

– «كاي... ساعدني.»

كان همس بيدن هادئاً جداً، على بعد نفس واحد من الموت. غطى الدم يديها، وشعرها، وجسدها – صابغاً إياها بلون أحمر مقرز.

– «كاي، إنه يؤلم!»

صرخت بالكلمات في عذاب، وجسدها يرتجف من النحيب وتشنجات الألم.

لم أدرك أن قبضتي على آيس قد تراخت، ولم أدرك أنني تركته يسقط على الأرض حتى أصبح فوقتي، يسلب أنفاسي من رئتي. كان طرف رمح ينغرز في حنجرتي، وساقاه تثبتان ذراعيّ. ثم عادت تلك الابتسامة المتعجرفة، وكأنه لم يكن يلهث بحثاً عن الهواء قبل لحظة.

– «وها أنا ذا، أظنك القوي. الأمير الذي لم يدع مشاعره تقف في طريقه.»

ابتسم والطرف المدبب للرمح يخترق بشرتي، ساحباً دمًا ساخناً.

– «لكن انظر إليك،»

أطلق ضحكة متعالية،

– «الاهتمام بها جعلك ضعيفاً.»

كان على وشك سحب النصل على حنجرتي...

– «كاي!»

أفزع صوت جاكس كلينا، وأدّرت رأسي إلى الجانب في الوقت المناسب تماماً لأراه يرمي سهماً واحداً نحوي. كان هذا كل ما أحتاحه. أمسكت به من العمود، وفي حركة واحدة سريعة، غرسته عميقاً في أقرب بقعة مكشوفة من لحم آيس بينما كنت أدفع عصا الرمح بعيداً عني.

صرخ عندما غاص السهم في اللحم الرخو لكتفه. تراخت قبضته عليّ، فطرحته بعيداً قبل أن أترنح واقفاً على قدميّ، والجرح في رقبتني يسرب الدم.

استدرت لأجد آيس فجأة خلفي، عن يميني، عن يساري. كنت محاصراً مرة أخرى.

– «هنا،»

نادى أحد نسخ آيس، فاستدرت، ممسكاً بنجمة الرمي المنسية من جيبِي. كانت نسخ آيس تختفي وتعاود الظهور بينما كنت أبحث بلا هدف عن النسخة الحقيقية.

– «خلفك،»

سخر، فالتفت حولي، والغضب يغلي دمي.
– «هل تعرف ماذا سأفعل بعد أن أقتلك؟»
سأل أحدهم بينما همس آخر بصوت عالٍ،
– «سأفعل الشيء نفسه ببيدن.»

ثم تدخل آيس آخر،

– «يا له من عار أيضاً. سأفتقد النظر إليها.»

سأقتله. الآن. لا مزيد من الألعاب. لا مزيد من العبث. سأنهاي هذا.
فجأة، اختفت نسخ آيس المتعددة، تاركة واحدة فقط متبقية.

ولم أتردد قبل أن أرفع نجمة الرمي لأرسلها تحلق في الهواء لتستقر في قلبه.

رأيت عينيه تتسعان عندما غاص النصل في منتصف صدره، مغروساً عميقاً في لحمه. تعثر إلى الخلف، يلهث وهو يحدق في الجرح القاتل. وجدت ابتسامة ملتوية طريقها إلى شفتي.
سأستمتع بمشاهدته يموت.

أخذت وقتي في السير إليه، أراقبه وهو يسقط على ركبتيه. كنت أقف فوقه الآن، أحدق في عينيه اللامعتين، اللتين تبرقان بالدموع.
تلاشت ابتسامتي.

تلك ليست عيناه.

لا، العيون التي تنظر إليّ كانت دافئة وكبيرة، بلون البني الداكن
للشوكولاتة المذابة. حلوة، كالفتى الذي تنتمي إليه تلك العيون.

سقطت على ركبتني.

لأول مرة منذ سنوات، شعرت برعب حقيقي ومريع.

تلاشى الوهم في النسيم العليل، مرسلاً خيوطاً من الدخان إلى سماء
الصباح.

تاركاً وراءه فتى ملطخاً بالدماء.

أخي الملطخ بالدماء.

جاكس.



الفصل 32

كاي

– «!»

تمزقت الكلمة من حنجرتي بينما المخالب القاسية والمقززة تنهشني،
مهدة بتمزيقي إلى أشلاء.

لم يصدر جاكس صوتاً، عيناه متسعتان ومثبتتان على عينيّ. انزلت
دموع صامتة على خديه، متشبثة بالرموش الكثيفة التي تحيط بتلك العيون
البنية الكبيرة. نظر إليّ، مرتعباً وهو يبدأ في الانقلاب إلى الخلف على ركبتيه،
غير قادر على منع نفسه من السقوط في لحظاته الأخيرة.

ليس هو. لم يكن من المفترض أن يكون هو. لن يكون هو أبداً.

أمسكت بكتفه ومؤخرة رأسه، وأنزلته بعناية إلى الأرض عبر رؤيتي
الضبابية. مسحت عينيّ، محاولاً التماسك وأنا أتفحص الجرح. كانت نجمة
الرمي مغروسة بعمق في صدره، والدم ينزف من حولها. دم داكن وثقيل لا
يتوقف، ولا يتباطأ. نوع الدم الذي يرافق الوداع.
أنا فعلت هذا به. سيموت بسببي. لأنني وحش.



هزرت رأسي بقوة، محاولاً تصفية ذهني من الفكرة المروعة والتركيز بدلاً من ذلك على المشهد المروع أمامي.

- «مهلاً، انظر إليّ يا جاكس، حسناً يا رفيق؟»

كان صوتي خافتاً ومهتزاً، لكن عينيّه وجدتا عينيّ رغم ذلك. استطعت رؤية الجرح يمتص الحياة منه بالفعل، وعيناه غير مركّزتين، وأنفاسه سطحية.

- «ستكون بخير، حسناً؟»

رفرفت عيناه مغلقتين، فربتُ على خده، مجبراً إياه على النظر إليّ، وعلى البقاء معي.

- «هل تسمعني؟ ستكون بخير.»

امتلأت عيناى بالدموع، وكان الشعور غريباً عليّ وأنا أرمش بشراسة.

- «سأصلح هذا.»

انكسر صوتي تماماً كما كنت على وشك الانكسار.

أخي الصغير.

عاد صوت أفراد النخبة وهم يتقاتلون حولنا إلى بؤرة التركيز فجأة، واستطعت سماع صليل الأسلحة وصرخات الألم. عاد كل شيء ليتدفق. تذكرت سبب وجودي هنا، وما يحدث حولي، ومن فعل هذا حقاً بجاكس.

تردد صدى ضحكة باردة ومروعة في الجوار. ضحكته. التفت رأسي بحدة، أبحث في الحقل عن أي علامة على الوغد الذي سأجعله ينزف ويموت بوحشية بسبب هذا. لكن لم يكن له أثر في أي مكان. سمعت ضحكته مرة أخرى، قادمة من مسافة بضع خطوات فقط.

لا شيء. لا أحد هناك.

ثم أدركت الأمر.

لقد ألقى وهماً على نفسه.

شكّل الوغد نفسه مع محيطنا، وغلف جسده بوهم يجعلني لا أرى شيئاً على الإطلاق بينما يترك جاكس يلعب دوره. لولا أخي الذي يحتضر تحتي، لمشطت كل شبر من هذا الحقل حتى أجد آيس. ثم كنت سأمزقه إرباً. ببطء.

أطلق جاكس أنه ضعيف، وانزلت عيناه مغلقتين. اندفعت نظرتي إلى جرحه. إذا لم يصل إلى معالج، فسيموت. وسيكون كل ذلك خطئي. دق قلبي بقوة ضد صدري، ورأسي يدور. لا يوجد معالجون بيننا لأستمد القوة منهم. تدلى رأس جاكس إلى الجانب مع أنه خافته.

أخي الصغير. أخي الصغير. أخي الصغير.

نظرت إلى السماء ووجدت الشمس تسترق النظر إليّ. لقد ارتفعت تقريباً بالكامل فوق الأفق، وعندما تفعل، سنتحرر من هذه التصفية. استقرت عيناى على حشد الناس على بعد أقل من ميل من الفوضى المحيطة بي. سيكون هناك معالج في ذلك الحشد.

مسحت دموعاً لا أتذكر أنني ذرفتها وسحبت جاكس بين ذراعيّ. وفي غضون نبضة القلب التالية، كنت واقفاً وأركض نحو حشد الناس. كان جاكس بالكاد يتنفس الآن. ربما يكون فاقداً للوعي، لست متأكداً، لكنني ركضت بأسرع ما يمكن نحو خلاصه.

دفعت قدرة البراوني (الأقوياء) الخاصة ببراكستون إلى عضلاتي، مما جعل جاكس أخف وزناً بكثير بين ذراعيّ وسمح لي بالركض بشكل أسرع. لست بحاجة إلى الوصول إلى الحشد، بل لست بحاجة إلا للاقتراب بما يكفي لأتمكن من الاستحواذ على قوة معالج واستخدامها لإنقاذه.

– «جاكس!»

صرخت فيه. بالكاد تحرك.

– «جاكس، فقط تماسك لفترة أطول قليلاً!»

كنت ألهث، مرعوباً من أنني تأخرت. لكن حشد الناس كان يقترب، واستطعت رؤيتهم يشيرون ويصرخون وهم يراقبونني أركض مباشرة نحوهم.

ثم بدأت أشعر بذلك - وخز ينتشر في جسدي، في عظامي، وفي عروقي نفسها. نما ليصبح طنيناً قبل أن يتحول إلى هدير وتدفق للقوة. كان هناك العديد من القدرات المتاحة لي والتي قدمها الحشد الذي لا يزال على بعد عشرات الياردات مني. شعرت بالإرهاق وأنا أبحث عن قدرة المعالج داخل موجة القوة التي تصطدم بي.

ها هي.

ركزت عليها، وصقلتها، وأغلقت جميع القدرات الأخرى التي كانت تقاتل للظهور على السطح. وضعت جاكس على الأرض، وسقطت على ركبتي بجانبه. تجاهلت حقيقة أنني لا أرى صدره يرتفع وأمسكت بالجزء من نجمة الرمي الذي لا يزال يختلس النظر من صدره، محتاجاً إلى سحبه للخارج قبل أن أتمكن من شفائه.

- «إذا كنت تستطيع سماعي يا جاكس، فهذا سيؤلمك كالجحيم. آسف.»
ثم جذبت. انتزعته من بشرته بصوت مقرز.
لم يحرك ساكناً.

تجاهلت الرهبة التي تتجمع في أمعائي ووضعت يدي فوق الجرح المفتوح والمكشوف الآن. تركت قوة المعالج تتسرب إلى جسده، إلى التمزق، وبدأت في إصلاح وتشكيل الجلد معاً مرة أخرى. تذكرت تعليمي إصلاح كل جرح ألحقه بي والدي كصبي ودفعت تلك القوة إلى الفتى الذي تحتي.

توقف الدم. التحم الجلد معاً مرة أخرى. لم يتبق سوى ندبة وردية كبيرة تزين منتصف صدره.

لكنه لم يكن يتحرك.

- «جاكس؟»

ربتُ على خده بخفة. لا شيء. ثم هزهزته بقوة. لا شيء.

الآن كنت أصرخ بصوت مهتز.

- «جاكس!»

انكسر صوتي وهو يرقد هناك، هامداً. بحثت أصابعي بلهفة عن النبض.
- «لا، لا، لا، لا، لا...»

أخي الصغير. أخي الصغير. يا أخي...
انفتحت عيناه فجأة، ثم بدأ يبتلع الهواء.

ضحكت وانتحبت في نفس الوقت وأنا أراقبه يرمش، واندفعت يده لتشعر
بالجلد الناعم حيث كانت نجمة الرمي الخاصة بي. نظر حوله، واستقرت عيناه
البنيتان عليّ. كانت ابتسامته ضعيفة، وصوته أجشاً ولكنه يعج بروح الدعابة.
- «هل ستحاول قتلي مرة أخرى؟»

نطقت ضحكة مبحوحة ومررت يدي على وجهي، ماسحاً الدموع التي
عليه.

- «لا أخطط لذلك يا رفيق.»

ثم سحبته إلى صدري وسحقته في عناق، ويدي تبعثر شعره.
أفزعنا صوت قرع الطبول كلانا، فاستدردنا نحو الحشد الذي لم يكن بعيداً
عنا. كانوا يهتفون، ويصفقون، ويضربون بأقدامهم الأرض احتفالاً.
كانت الشمس قد أشرقت للتو فوق الأفق.
لقد اكتملت التصفية الأولى.



الفصل 33

بيدك

ترمقني آلاف العيون فتسمّرني على هذا المقعد غير المريح الذي أُجبرتُ على الجلوس عليه. تغص حلبة الصحن بجموع المئات من سكان مملكة إيليا المفعمين بالحيوية، والذين تفيض ملامحهم بحماس طاغ. تقاطر آخر الحاضرين إلى مقاعدهم المرتفعة في مدرجات الملعب التي تطوقنا، مسلطين أنظارهم المترقبة نحو الحفرة بالأسفل.

مضت ثلاثة أيام.

ثلاثة أيام منذ المعركة الأخيرة على تخوم غابة الهمسات.

ولم يتبقّ منا سوى سبعة فقط.

أسمع دويّ أقدام الجماهير المتململة يتردد من حولي، فيتسارع نبض قلبي تبعاً لذلك الصوت. فجأة، وجدتني أعود بذاكرتي إلى تلك البقعة الخالية، حيث استحالت قرقة الأقدام الهادرة إلى دقات طبول تعلن نهاية التصفية.

لكن أحداً لم يتوقف.

لم تعنِ الطبول لنا شيئاً؛ كنا لا نزال ننهش حناجر بعضنا البعض. ولولا مساعدة آندي، لكانت بلير قد مزقتني إرباً، ونثرت ما تبقى من أشلائي عبر



الساحة لتتغذى عليها الطيور. بيد أن عدم تمكنها من قتلي لا يعني أنها لم تترك بصمتها عليّ. بل تركت بصمات عدة في الواقع؛ علامات وكدمات ولحمًا متمزقًا عانى الـ معالجين (هيلرن) الأمرين في رتقه من جديد.

بدا الأمر وكأن أحداً منا لم يبصر شروق الشمس أو يسمع دوي الطبول. كنا كواسر جائعة، نرفض ببساطة إلقاء أسلحتنا والاستسلام. وصل إلينا الـ وامضون (فلاشنز) أولاً، يتخللون صفوفنا وينسجون طريقهم بيننا. ثم تدخل الـ الأقوياء (براوني)، مستخدمين القوة الغاشمة لانتزاعنا من بعضنا. انتزعتُ بفضاظة من فوق بلير بعد أن تمكنت أخيراً من تثبيتها أرضاً، وألقيتُ فوق كتف رجل ضخم الجثة قبل أن يُحمل جسدي عبر الحشود المكددة. لم أكن وحدي في ذلك؛ بل جرى سحب جميع الخصوم من حولي ودفعهم في عربات منفصلة ليهدأ روعهم.

لم يكن من الصعب إدراك السبب الذي دفع الملك لفض الاشتباك وإيقافنا قبل أن نلحق المزيد من الضرر ببعضنا. فيما أنه يُحظر محاربة متسابق آخر خارج نطاق التصفية، فإن كبت غضبنا سيضمن وحسب أن تكون بقية تصفيات التطهير أكثر إثارة. وأكثر دموية.

أنتزع فجأة عائدة إلى الواقع، متذكّرة الكرسي الصلب الذي أجلس عليه، والثوب المتصلب الذي يلتصق بجسدي، والمتسابقين المتخشبين بجواري. أتملّص في مقعدي، فتحتك ذراعي بتلك الذراع الصلبة التي تخص الأمير الذي لم أبادل معه كلمة واحدة منذ أيام.

أمرر يدي أسفل ضلعي حيث أكاد أتحسس الندبة المتعرجة التي أورثني إياها الفتى ذاته الذي كاد أن يتسبب في موت جاكس. أسترّق النظر إلى كاي بجواري؛ هادئ ومتماسك كعادته، رغم كل ما حدث. أو هكذا يبدو على الأقل. لقد بتُّ بارعة جداً في تلمّس التصدعات في أقنعتي، وتفكيك واجهته الزائفة.

أدركتُ فجأة أن تيالاً تخاطب الحشود، وتشير إلينا بحركات مفعمة بالحماس. لا أهتم بما يكفي للإصغاء إلى ما تقوله، لكن الجماهير تتشرب كلماتها بنهم. إنهم يعشقون هذا، يعشقون هذه التصفيات، وهذا يصيبني بالغثيان.

هتفت تيالاً وكلماتها تتردد مضخمة في أرجاء الحلبة:

– «...والآن، حان وقت ما كنتم تنتظرونه جميعاً!»

قررت أخيراً الانتباه لما تقوله، بينما تابعت وهي تشير بوضوح إلى كاي، ملمحة إلى أنه السبب وراء هذا التغيير، كاختبار آخر من أجل المنفذ المستقبلي:

– «كما تعلمون جميعاً، فإن تصفيات التطهير لهذا العام ستكون... فريدة من نوعها.»

تابعت حديثها بابتسامة كشفت عن أسنانها ناصعة البياض:

– «ولأجل ذلك، أُقيمت التصفية الأولى خارج الصحن دون جمهور يشهدها.»

تعالَت همهمات الجماهير عند سماع ذلك، مبدين استياءهم الواضح من تفويت فرصة مشاهدة العنف، فهتفت تيالاً بحماس:

– «لكن لا تقلقوا يا مواطني إيليا! ستشاهدون أبرز اللقطات، ولكن دون تلك الأجزاء المملة.»

أطلقت ضحكة شاركها فيها الجمهور حتى ارتجت جنبات المدرج.

صاحت من جديد:

– «إذن، إليكم التصفية الأولى في تصفيات التطهير السادسة على الإطلاق!»

زأر الجمهور بحماس قبل أن يخيم عليهم صمت مطبق، بينما تمللنا جميعاً في مقاعدنا للحصول على رؤية واضحة للشاشة العملاقة في الطرف الأقصى من الحلبة البيضاوية. دبت الحياة في التسجيلات المتقطعة، عارضة مقتطفات لكل منا، وفرّها صف المتبصرين الواقفين أسفلها.

راقبتُ نفسي، وكل خصم آخر، ونحن نستيقظ في الغابة، وقد ارتسمت ملامح الحيرة والقلق على وجوهنا أثناء قراءة الرسالة المتروكة لنا. شهدتُ صراع بلير مع آندي قبل أن ينتقل المشهد إلى هيرا، وهي تغوص في رمال

متحركة تعثرت بها في أعماق الغابة. كانت تصرخ، وعيناها تتوسلان إلينا - بل بالأحرى تتوسلان للمتبصر الذي وقف موقف المتفرج.

تلاشت صورتها من الشاشة، لأجد نفسي أطلع كاي فجأة. لم يكن وحده؛ بل كان يشتبك مع براكستون بجوار نيران مشتعلة، يتبادلان اللكمات في الضوء الخافت قبل أن يكويا بعضهما بالأسنة اللهب.

هتفت الجماهير وصمتت، صفقت وضربت بأقدامها وهي تتابع التصفية وكأنها حاضرة هناك. أما أنا فبقيت صامتة، ساكنة، منتصبية الظهر كخصومي بجواري. كنا نشاهد أنفسنا ونحن نقاتل من أجل البقاء.

فجأة، ومض وجهي أمام عيني. ثم عدت أعيش أهوال تلك الأوهام من جديد؛ جسد كيت الميت يطفو بلا حراك في البركة. الفتيات الصغيرات الجائعات يتوسلن النجدة - وأنا نفسي أتوسل النجدة. رأيت الرعب يكسو ملامحي، ورأيت نفسي أتهاوى أرضاً.

تحرك الجسد الجالس بجواري، فانزلقت عيناى ببطء نحوه. اصطدمت نظراتي بنظرات كاي، متجاهلة فكه المتصلب وحاجبيه المقطبين. ركزت على عينيهِ الباردتين وحسب؛ لم أر قط نظرة جليدية كهذه، بيد أنها تفيض بالنيران. كانت نظراته تقشعر لها الأبدان، فارتجفت. نظرت كرقاقات الجليد؛ فاتنة لكنها حادة، باردة لكنها مميتة، أسرة لكنها جارحة.

لم يقطع تواصلنا البصري، فازدردت ريقي. ثم بدا وكأنه يقول شيئاً، رغم أن شفتيه لم تنفرجا. اندفع رأسي نحو الشاشة، فرأيت نفسي أصارع الألم لرفع قوسي وذراعي تنزف. راقبت كاي وهو يهرع نحوي بينما كنت أسقط أرضاً. راقبت شيئاً يشبه القلق يعبر ملامحه وهو يحاول إبقائي مستيقظة؛ يحاول إبقائي على قيد الحياة.

استرقت النظر إليه مجدداً، لكنه كان مركزاً على الشاشة، ولم يكلف نفسه عناء مبادلتني النظرات. لم أدرك قط أنه قادر على النظر إليّ بتلك الطريقة؛ أن ينظر إليّ وكأنه يهتم لأمرى. أثار ذلك إحباطي وارتباكى في آن واحد، لكنني لم أستطع إبعاد عيني عن المشهد الذي يتكشف أمامي، يتكشف أمام الجماهير بأسرها.

لم أكن أدرك مدى تكرار مراقبة المتبصرين لنا، وشعرت بوجهي يشتعل حرارة بينما تُبث معظم محادثتي مع كاي - أثناء خياطته لجرحي - ليسمعها الجميع. وكان الجمهور يعشق ذلك؛ أقسم أنني سمعت تنهيدة جماعية في كل مرة يلمسني فيها كاي أو ينطق اسمي، مصحوبة بهمهمات غيرة للسبب ذاته. راقبتُ جاكس وهو ينتقل عبر قدرة الوامضين من شجرة إلى أخرى، ثم هو وآندي معاً، يصرخان بينما تحيط بهما عشرات الثعابين. راقبتُ هيرا وهي تتعثر بـ بلير قبل أن يندلع قتال فوضوي، حيث كانت الأخيرة تصرخ بغضب معظم الوقت لعجزها عن العثور على خصمها الـ مُخفية (فيل).

عدتُ أنا وكاي للظهور، وهذه المرة، كنت أضمد جراحه. طنت الحلبة بهمهمات الجماهير وهم يميلون للأمام لسماع مزاحنا ومناوشاتنا. رمقتُ كاي بجانبه بنظرة سريعة، فلم يكلف نفسه عناء النظر إليّ، رغم أن زاوية شفتيه ارتجفت قليلاً، منبئة إياي بأنه يجد هذا ممتعاً.

توالت ومضات لكل متسابق عبر الأيام على الشاشة، يتقاتلون فيما بينهم تارة، ويصارعون الأخطار القابعة في غابة الهمسات تارة أخرى. ثم عدتُ أنا وكاي للظهور قبل الأوان، و...

بحق الطاعون، لا.

لحسن الحظ، لم يلتقط المتبصر سوى اللحظات الأخيرة من رقصتنا قبل أن تقاطعنا سيدي، لكن ذلك كان كافياً لجعل الجماهير تصرخ نشوة. لا أستطيع أن ألومهم؛ فالدموية المفرطة قد تصبح مملة، وهذا تحول غير متوقع بالمرّة. إن المنفذ المستقبلي يقدم لهم عرضاً لا يُنسى.

حدقتُ في كاي الذي كان - ومما أثار حنقي - يبتسم بخبث الآن. سألته بصوت خافت شديد الانفعال:

- «لماذا لم تخبرني بوجود المتبصرين حولنا؟»

انتقلت عيناه أخيراً لتلتقي بعينيّ، فجعلت قلبي يقرع بجنون ضد قفصي الصدري.

أيها العضو الأحمق الأبله.

انحنى مقترباً مني حتى لامست شفتاه صوان أذني، وهمس:
- «كنتُ مشتت الانتباه قليلاً.»

أجبرتُ نبضي المتسارع على التباطؤ، وأشحتُ بنظري عنه قسرًا، معيدة انتباهي إلى الشاشة حيث راقبتُ نفسي أقاتل سيدي. ثم راقبتها وهي تموت مرة أخرى.

يبدو أن المتبصر قد فشل في التقاط لحظة قيام كاي بدفنها، رغم أن جزءاً مني يتساءل إن كان ذلك متعمداً. فمن المرجح أن الملك كان سيعتبر لفتة نبيلة كهذه علامة ضعف، وشائبة في المنفذ الذي صنعه. وهكذا، لن تشهد المملكة أبداً تلك الشذرة من الرحمة التي أظهرها كاي. يبدو أن هذا السر سيبقى ملكاً لنا نحن الاثنين فقط.

تألفت حركة خافطة عبر المدرجات حيث قام الجمهور من حولنا بضم إصبعي السبابة والوسطى معاً، ورسموا الرمز فوق قلوبهم. ماسة. رمز إيليا للقوة والسلطة والشرف. إنهم يقدمون احترامهم للذين سقطوا.

فعل المتسابقون بجواري الشيء ذاته، وخيم صمت مطبق على الحشود، سكوت تام حتى أضاءت الشاشة بالمعركة النهائية على تخوم غابة الهمسات. دماء. الكثير من الدماء. كان المشهد فوضى عارمة، ولم يكن لدي أدنى فكرة أين أنظر أو على من أركز. تناوبت الزوايا بين متبصرين مختلفين يوثقون المعركة، مسلطين الضوء على أفراد النخبة المتنوعين. راقبتُ كلاً منا وهو يصارع الآخر، متعطشاً للدماء ولتلك الأربطة الملعونة.

ثم تسنى لي أخيراً رؤية كيف قُتلت هيرا.

كنت أعلم أنها لم تنج من التصفية، لكنني لم أكن أعلم السبب. ركز المتبصر على براكستون، والدماء تنزف من طعنة غائرة، بينما كانت سكين خفية تمزق لحمه مراراً وتكراراً وهو يزار غضباً وألماً.

طعنته هيرا في جنبه، فصرخ، ومدّ يده بتخبط ليقبض على السكين الخفية. أطبقت أصابعه على المقبض، فانتزعها، ثم قلبها وراح يطعن بجنون في الفراغ أمامه.

سمعت الصوت المروع لانغراس الفولاذ في اللحم والعظم، قبل أن تتجسد هيرا أمامه فجأة، والنصل مغمور في صدرها الصغير. رمشت متبصرة إياه، والدموع تنزلق على وجنتيها، قبل أن تنهار على الأرض.

رُسمت المثلثات فوق القلوب حزناً على الفتاة الميتة، بينما توالى بقية أحداث المعركة النهائية على الشاشة. بالكاد تمكنت من مشاهدة كاي وهو يركض نحو الحشود و جاكس يحتضر بين ذراعيه، قبل أن ينتقل المشهد إلى لقطة أخيرة لـ أفراد النخبة، مخرجين بالدماء ومتعطشين للمزيد منها. ثم أظلمت الشاشة، ولم يصمت الجمهور سوى لبرهة لالتقاط الأنفاس قبل أن تنفجر عاصفة من التصفيق.

بالكاد سمعت تيالاً وهي تشرع في مخاطبة الجمهور المهلل، شاكرة إياهم على انضمامهم إلينا لمشاهدة التصفية الأولى.

صرخت بنبرة أقرب إلى الزغاريد:

– «أوه، ولا تنسوا! صوتكم أهم مما تتخيلون. «الشرف لمملكتك، لعائلتك، ولنفسك.»»

ردد الجمهور الشعار معها، ثم سُمح لهم بالانصراف. راقبتُ المئات وهم يتدافعون بين صفوف المدرجات وعبر الأنفاق الواسعة المؤدية إلى خارج الصحن. كانوا يلقون بأصواتهم في أوعية زجاجية عملاقة بجوار المخارج أثناء مرورهم، غير مدركين لحجم السلطة التي يمتلكونها بمجرد خربشة اسم على ورقة.

أُمتعت انعدام السيطرة الذي أعيشه، وأُمتعت ذلك الخوف الذي يلازمي كظلي. أُممت شعوري بالعجز التام. بالضعف. بكوني من العاديين. أنا أتنافس في ألعاب صُممت لاستعراض قوى وبأس أفراد النخبة – القوى التي لا أمتلكها.

ومع ذلك، ها أنا ذا. على قيد الحياة.

وأنوي البقاء كذلك.



هناك مَنْ يتبعني.

كنتُ في طريقي عائدة إلى غرفتي بعد العشاء عندما شعرت فجأة بوجود أحدهم خلفي. استدرتُ بحدة، وطارَت يدي بغريزة خالصة نحو مقبض خنجري. التقت عيناَي بعينين خضراوين متسعيتين ومذعورتين، قبل أن أشيح بنظري بسرعة.

ضحك كيت رافعاً كلتا يديه استسلاماً، وقال:

– «على رسلك يا بيدن! أنتِ متوترة اليوم.»

استدرتُ على عقبي وشرعتُ في السير عبر الردهة مجدداً، وقلت:

– «حسناً، لا تتسلل خلفي ولن تضطر للقلق من التعرض للطعن.»

رد بصوت يغلفه المرح:

– «لدي شعور بأنكِ قد تطعنين شخصاً لأسباب أتفه بكثير من التسلل

خلفكِ.»

أجبرتني بواذر الابتسامة على خفض رأسي لإخفائها حين لحق بخطواتي وسار بجانبني. كنا نسير في الردهة باتجاه غرفتي، حين قبضت يد حازمة على معصمي، وجذبتني نحو أحد الممرات العديدة المتفرعة إلى يساري.

فتحتُ فمي للاعتراض، لكن كيت أحس بذلك رغم إيلائه ظهره لي، فقال:

– «لا تطعنيني الآن. أريد أن أريك شيئاً.»

ألقي إليّ بابتسامة واسعة عبر كتفه وهو يقودني عبر متاهة الممرات.

لقد حفظتُ أخيراً طريقي في الأروقة الرئيسية، لكن عندما يتعلق الأمر بعشرات الممرات الضيقة المتناثرة عبر أرجاء القلعة، فأنا تائهة تماماً. تنقل كيت بينها ببراعة، متعرجاً داخل الممرات وخارجها، متجاوزاً أقساماً وغرفاً

في القلعة الهائلة لم تقع عليها عيناى من قبل. أنا موقنة أنه قادر على شق طريقه في القصر وهو معصوب العينين؛ مهارة لا تتأتى إلا لمن نشأ في هذه المتاهة التي يدعوها وطنًا.

لفحت أشعة الشمس الذهبية وجهي باعثة فيه الدفء حين دفع كيت بابًا خشبيًا ضخماً في نهاية أحد الممرات، وأوماً للإمبراطورين الذين يحرسونه قبل أن نخطو نحو هواء المساء العليل. انقطع تنفسي. كنتُ محاطة بالألوان، بالحياة. امتد أمامنا ممر حجري واسع تتفرع منه مسارات عدة، تحفها جميعاً مئات الأزهار.

الحدائق.

كانت فاتنة، تخطف الأنفاس. بعد أن عشتُ في العشوائيات، محاطة بالأزقة الكئيبة والألوان الباهتة، كدتُ أنسى كم يمكن للعالم أن يكون مشرقاً. كل بقعة لا يكسوها الحجر المرصوف، كانت تنبض بأزهار ونباتات من كل صنف ولون. برزت بقع من الفوشيا والأزرق الملكي وسط درجات الأصفر الشاحب واللافندر. وتناثرت التماثيل عبر الحديقة، بينما تعرشت الكروم الداكنة على العديد منها.

كانت أرتب فوضى وقعت عليها عيناى، بصفوف الأزهار التي تتزاحم حول الممرات، لتخلق سياجاً من البراعم وأوراق الشجر. كل ممشى حجري يلتف في دائرة واسعة، مشكلاً حلقات عدة حول النافورة الهائلة في قلب الحديقة.

لم أر قط شيئاً بهذا الإشراق، بهذا النبض، واضطرتُّ للرمش بسرعة، إذ كدتُ أصاب بالعمى من كثافة الألوان التي تهاجمني. وبين رمشاتي، تمكنت من رؤية كيت يراقبني بفضول ورضا.

تنحنح وخطا خطوة على الممر، ليرشدني بجواره:

– «لقد وعدتك بأن أريك الحدائق يوماً ما.»

مسحت عيناى الأزهار بينما كنا نسير ببطء على طول الممر. كان كيت راضياً بملء الصمت بسرد حكايات عن كاي ومغامراته في هذه الحديقة

بالذات، مشيرًا إلى التماثيل التي أسقطوها أو النافورة التي لم يقاوموا رغبتهم في الغطس فيها. أفلتت مني ضحكة مكتومة إثر قصصه رغم محاولاتي الجادة للتماسك، فكممتُ فمي بيدي لكتم الصوت.

توقفتُ فجأة، ضاربة بالحذر عرض الحائط حين تملكني الفضول،
وسألته:

– «لماذا؟ لماذا تفعل هذا؟»

سأل وهو يحاول كبح ضحكته بينما أحاول أنا كبح رغبتني في ضربه
للسبب ذاته:

– «أفعل ماذا بالتحديد؟»

– «تحضرني إلى هنا. وتخبرني بأمور شخصية و...»

تعثرتُ في كلماتي من فرط الإحباط.

تجراتُ على استراق النظر إلى تينك العينين الخضراوين اللتين تتماهيان
مع أوراق الشجر المحيطة بنا، حين قال ببطء:

– «في ظل... المستقبل الذي ينتظرني، من الصعب أن ألتقي بأشخاص
حقيقيين. أن ألتقي بهم حقًا. أن أعرفهم عن قرب. معظم من في الداخل – أشار
نحو الجدار الحجري للقلعة – يريدون شيئًا ما. وسيقولون أي شيء يظنون
أنني أريد سماعه للحصول عليه. أما أنتِ...»

قاطعته ضحكتي الجافة:

– «أما أنا، فغالبًا ما أتفوه بأشياء لا يجدر بي قولها.»

رد بصوت خافت:

– «وأنا غالبًا ما أستمع بسماع تلك الأشياء.»

شردت عيناوي فوق الأزهار بدلًا من تلاقي النظرات معه، وقلت:

– «إذن سأضع ذلك في الحسبان في المرة القادمة التي أُرغب فيها

بتوبيخك.»

عضضتُ لساني بمجرد أن انزلت الكلمات من فمي. قد أتفوه بما يحلو لي مع كاي، لكن هذا هو ملك إيليا المستقبلي. إن كنت أبتغي الاحتفاظ برأسي على كتفي، فعليّ أن أتعلم كيف أجم لساني.

لكن الفتى بجواري اكتفى بالضحك، وبدأ أقل ملكية بمرور الثواني، ثم قال بين ضحكاته:

– «جيد. لأن لدي سؤال أطرحه، ولا أتوقع منك سوى الصدق الجارح.»
ازدردتُ ريقي.

ليس في ذرة واحدة من الصدق.
قال ببطء:

– «التصفية... ما رأيك فيها؟»

غصصتُ بضحكة سخرية. لم يكن هذا أبداً السؤال الذي توقعته.

– «رأيي؟ أتقصد بخلاف الأمر الجلي؟»
توقف عن السير ليخطو خطوة أقرب إليّ، مقلصاً المسافة الضئيلة بيننا:
– «وما هو الأمر الجلي؟»

تسمرت عيناى على الزر العلوي لقميصه، كي لا أضطر للنظر في عيني والده، وقلت:

– «أن هذه التصفيات ما هي إلا طريقة ملتوية للاحتفاء بمأساة.»

وها أنا ذا مجدداً، أعض لساني بعد فوات الأوان. لكن ثمة شيء في هذا الأمير يجعلني متهورة، يجعلني راغبة في أن أواجهه بكل ما هو خطأ في كل ما يعتقد أنه صواب.

ردد بصوت مستو:

– «مأساة... أتقصد التطهير؟»

همستُ:

– «أجل، التطهير. نفي الآلاف من البشر وما تلاه من استمرار في قتلهم.»

كنتُ أتقياً الخيانة تقريباً، لكنني لم أستطع التوقف بعد أن بدأت:
- «هؤلاء هم شعبك يا كيت. أبرياء لا يزالون يُقتلون اليوم بسبب أمر لا
حول لهم فيه ولا قوة.»

حدّق فيّ بينما واصلت التحديق في ياقته، متجنباً نظراته.
قال:

- «كان لا بد من تنفيذ التطهير يا بيدن. أنتِ تدركين ذلك.»
كانت نبرته رقيقة بينما كانت نبرتي أبعد ما تكون عن ذلك:
- «لماذا؟ لأن العاديين مصابون بالمرض؟ ولأنهم يُضعفون قوى النخبة
كما يُزعم؟ على الرغم من أنهم عاشوا جنباً إلى جنب مع النخبة لعقود
طويلة؟»

رمش بعينه متسائلاً:

- «أتظنين أنهم غير مرضى؟»
أنا ألعب لعبة في غاية الخطورة.

أطبقتُ فمي مدركة أنني تماريت. الإجابة الصادقة على ذلك السؤال هي
مجازفة لست مستعدة لخوضها، لذا التقطتُ أنفاسي قبل أن أسارع بتغيير
الموضوع:

- «أعتقد وحسب أنه بصفتك الملك المستقبلي، هناك الكثير من الأمور
التي يتعين عليك التفكير فيها.»

لم أنظر إليه، لكنني شعرت بنظراته تخترقني.

- «وأنتِ مَنْ سينير بصيرتي بشأن تلك الأمور؟ ستنيرين بصيرتي
بشأن مملكتي؟»

العبي الدور. العبي الدور. العب الدور....

أطلقتُ ضحكة مريرة:

- «لا تكن أحمق ولا تتظاهر بأنك تعرف مملكتك! هل رأيت العشوائيات؟
هل رأيت التفرقة، والمواطنين الجوعى؟ مواطنيك الجوعى.»

لقد تبخرت خطة لعب الدور.

رفعت يديّ استنكاراً، وهزّزت رأسي نحو أحواض الزهور.

– «هل كنت لتصغي إليّ أصلاً لو حاولتُ إنارة بصيرتك، لو حاولتُ إقناعك بإحداث تغيير؟»

وقف هناك، صامتاً وساكناً. فسألته مجدداً بنبرة ملحة:

– «حسناً؟ هل ستصغي إليّ؟»

فجأة، طوقت يداه وجهي ووجهته نحوه، بينما قاومتُ الرغبة في التراجع.

– «إن أصغيتُ إليك، فهل ستنظرين إليّ؟»

انحبست أنفاسي في حلقي.

– «انظري إليّ يا بيدن. أرجوك.»

كانت الرقة والتوسل في صوته هما ما دفعاني لالتقاط أنفاسي وإغلاق عينيّ للحظة. وحين فتحتهما أخيراً، رأيت فيضاً من التعاطف والقلق يملأ نظراته الخضراء. ولأول مرة، سمحتُ لنفسي بتأمل تلك العينين. لأنهما لم تكونا قط أبعد شَبْهاً بعيني الملك مما هما عليه الآن. غمرني الدفء المنبعث منهما واجتاحني.

قال بصوت خافت:

– «طوال هذا الوقت، كنتُ أبحث عن نظرة تأبين منحها لي، أنتظر أن

ترغبني في النظر إلى عينيّ.»

توقف ليلتقط أنفاسه، وتابع:

– «لماذا تتحاشين نظراتي، وتتحاشينيني؟»

إذن، من الواضح أنني فشلت فشلاً ذريعاً في لعب الدور.

ازدردتُ ريقي وقلت:

– «أنت... أنت تذكرني بشخص من... ماضي. لكن كلما اقتربتُ من

معرفتكَ أكثر، بدا لي الاختلاف بينكما أعمق.»

تأملته للحظة، مندهشة من صراحتي. قد يتقاسم الملك ووريثه الشبه الخارجي، لكن في هذه اللحظة، لم يبدووا لي قط أبعد عن بعضهما البعض.

ابتسم لي برقة وقال:

– «هل يعني ذلك أنك ستبدئين بالنظر في عيني؟»

أجبت به بابتسامة صغيرة مماثلة:

– «فقط إن بدأت أنت بالإصغاء إليّ.»

قال ببساطة:

– «اتفقنا.»

ثم شرعنا ببطء في السير عبر الممر من جديد.

وأضاف:

– «لدي سؤال آخر لك.»

كدتُ أضحك:

– «وغالبًا لدي إجابة لك.»

ابتسم قبل أن تكتسي ملامحه بالجدية فجأة، وعقد يديه خلف ظهره بينما نواصل السير.

قال:

– «في التصفية، جعلك آيس... ترينني. وعند رؤيتك لي ميتًا، بدوتِ

وكأنك...»

هز رأسه باحثًا عن الكلمة المناسبة. تذكرتُ كيف شاهد ذلك المشهد يُعرض على الشاشة في الصحن، ورأى التعبير الذي ارتسم على وجهي عند رؤيته، وسمع الصرخة التي انمزقت من حلقي.

قلتُ بصوت واهن:

– «منزعجة؟ بل ومذعورة؟»

وللمرة الأولى، حدقتُ فيه حتى التقت عيوننا، وأكملت:

- «حين رأيته ميتاً، أظن أنني رأيت فجأة كل الإمكانيات التي تمتلكها
تموت معك. كل الإمكانيات لتكون ملكاً أفضل لإيليا، لتحدث التغيير، لتحكم كما
يجدر بك لا كما يُملَى عليك.»

كنا قد وصلنا أخيراً إلى قلب الحديقة حيث توقفنا بجوار النافورة. والآن،
وقد بتُ أخيراً مستعدة للنظر إليه، بدا أن عيني كيت تأبيان مفارقة عيني.
قال بابتسامة:

- «شكراً لك. أعلم أنه بوسعي دائماً التعويل على صراحتك الجارحة.
أنتِ أول شخص حقيقي أسعد بمعرفته منذ وقت طويل.»
كدتُ أنفجر ضاحكة عند سماع ذلك.

لو كان يعلم فقط. أنا كاذبة ومخادعة استغلته كشريك لي لألفت انتباه
الناس. أقف أمامه الآن كواحدة من العاديين، التي كان ليقتلها لو علم الحقيقة،
والتي سألقى حتفي على يد منفذه المستقبلي الذي أكابر في الاعتراف بانجذابي
إليه.

وفي النهاية، لم يكن ليحدث فارقاً مدى قناعته بكوني شخصاً حقيقياً.
لكنني بادلت ما آمل أن تكون ابتسامة عذبة قبل أن أستدير لمواجهة
النافورة الفاتنة التي كانت من الضخامة بحيث أدركت الآن لم لم يقوَ الأمراء
على مقاومة رغبتهم في السباحة فيها. انحنيتُ على الحافة، محدقة في المياه
البلورية التي عكست وجهي.
شلمات.

لا بد أن هناك المئات منها، ملقاة هكذا ببساطة في قاع البركة. تذكرتُ
شعوري في ليلتي الأولى هنا بعد رؤية كل ذلك الطعام المهدور. شعرتُ
بالغثيان. كميات طائلة من المال ملقاة بلا نفع. ولأجل ماذا؟ كي يتسنى
للأثرياء إلقاء أمنياتهم التافهة؟

ابتلعتُ غثياني.

العبى الدور.

سألني كيت بنبرة يغلب عليها المرح:

– «حسنًا، ما الأمر؟»

– «همم؟ لا شيء.»

توقفتُ ورمقته بنظرة متسائلة:

– «ماذا تعنين؟»

أطلق ضحكة عميقة وقال:

– «أنتِ تصارعين الرغبة في توبيخي، أليس كذلك؟»

رمشتُ بذهول قبل أن أتلعثم:

– «كيف عرف...؟»

– «تقومين بحركة تجعدين فيها أنفك قبل أن تشرعي في الجدل. إنها

تفضحك تمامًا.»

فتحتُ فمي، وللمرة الأولى، بدا أن الكلمات تأبى الخروج. ابتسم وهو

يراقب ارتباكي قبل أن أتنحج أخيرًا وأقول:

– «حسنًا. السبب في تجعيدي لأنفي (رمقته بنظرة منزعجة ربما لم يكن

يجدر بي توجيهها) هو كل هذه الشلنات.»

وحين لم أضف المزيد، حثني كيت:

– «أكملي.»

قلتُ بنبرة حازمة:

– «حسنًا، أموال كهذه كفيلة بإطعام العشرات من الإيليين في

العشوائيات لأسابيع، بل لأشهر. ومع ذلك، ها هي قبع هنا، تتبدد هباءً لأجل

أمنيات الناس.»

انتقلت عينا كيت نحو النافورة، وقطب جبينه:

– «أنتِ محقة. سأنظر في أمر جمعها وتوزيعها.»

قفز قلبي في صدري فرحًا وسألته:

– «حقاً؟»

انقلب عبوسه إلى ابتسامة عريضة:

– «لقد أبرمنا اتفاقاً، أتذكرين؟ استمري بالنظر إليّ، وسأستمر بالإصغاء إليك.»

كدتُ أطلق ضحكة مكتومة قبل أن ألتفت عائدة نحو النافورة. ذكرتُ نفسي بأن هذا الانتصار الصغير المتعلق بالشلّات قد لا يعني شيئاً. ففي الواقع، قد لا يحدث إزالتها وتوزيعها في العشوائيات أبداً. لكنه يصغي، وهذا تقدم. إنها خطوة تحمل الكثير من الإمكانيات.

قرّبتُ وجهي من سطح الماء، محاولة الرؤية عبر التموجات لاختلاس النظر إلى الشلّات في الأسفل.

– «كم من المال تظن أنه يقبع أسف...؟»

بترت المياه الباردة كلماتي وهي تندفع من البركة لتلطم وجهي وترشني بخفة. اعتدلتُ واستدرتُ بحدة لأجد كيت يضحك، ويده مرفوعة قليلاً إلى جانبه.

تلك القدرة المزدوجة (دوال) اللعينة التي يمتلكها.

قلتُ بابتسامة خادعة العذوبة:

– «كنتُ محقاً. سأطعن شخصاً لأسباب أتفه بكثير من التسلل خلفي. ربما حتى لمجرد رشي بالماء في وجهي.»

رفع يديه ببراءة وأطلق ضحكة خافتة، وابتسامة واسعة تنير وجهه الأسمر:

– «مهلاً، أنتِ مَنْ نعتني بالأحمق قبل قليل.»

انفرجت شفتاي إثر إدراكي أنني، في الواقع، تفوهتُ بذلك للتو في وجه ملك إيليا المستقبلي. دفعته تعابير وجهي للمزيد من الضحك، ولم أتردد قبل أن أغمس يدي في الماء وأرشه بقوة.

كان ذلك خطأ فادحاً. كان يجدر بي ألا أبدأ معركة مائية مع مزدوج القدرة (دوال) يمكنه إغراقي لو أراد ذلك. بعد أن انتهى كيت من إغراقي بالماء تماماً، أخذت القطرات تتقاطر من شعري وتلتصق بأهدابي. ثم انفجرتُ ضاحكة على مظهرنا، مبليين بالكامل في منتصف حديقة القلعة.

كنتُ لا أزال أزيح خصلات شعري المبللة عن وجهي حين قلت:

– «لم تكن تلك معركة عادلة بالمرة.»



الفصل 34

بيكان

تتسلل الرائحة المألوفة لـ «حي النشألين» إلى أنفي، فأكبح رغبتني في التقيؤ.

يا له من وطن دافئ.

يلف الظلام الشارع الطويل والواسع، وقد أُخلي من عربات التجار والمتسولين طوال الليل. أتجاوز مجموعات من المشردين المتجمعين في الأزقة الجانبية المتفرعة من الغنائم، يقامرون أو يستخدمون قواهم للترفيه عن أنفسهم.

لقد جاوز الوقت منتصف الليل بربع ساعة تقريباً، وبزفرة حادة، أسرّع من خطواتي. ففي هذه الليلة، لدي وجهة أقصدها، وأسئلة تنتظر إجابات. في هذه الليلة، سأعثر على المقاومة.

لم يكن التسلل خارج القصر بالمهمة العسيرة، خاصة أن ليني لا يحرس بابي ليلاً. كما أن الإمبراطوريين المنتشرين في أرجاء القصر لم يشكّلوا عائقاً، نظراً لاعتيادي على التسلل دون أن يلحظني أحد. تسللتُ خلسة عبر الحديقة وطلعتُ الطريق المحاذي لـ الصحن وصولاً إلى «حي النشألين»؛ لجهلي التام بكيفية امتطاء الخيل، ولإيقاني أن الليلة ليست الوقت الأنسب لتعلم ذلك.



أمرّ بالزقاق حيث التقيت بكاي لأول مرة، فتُزين شفّتي ابتسامة لتلك الذكرى العزيزة حين سلّبتَه ماله كله.
أيام جميلة.

أنفض أفكارِي عنه، رافضة السماح لنفسي بالتشتت بينما أنعطف نحو شارع مألوف. شارعي القديم. ذاك الذي يضم الكوخ الأبيض الصغير الذي كان يومًا ما منزلي. أبتلع الغصة في حلقي عند رؤيته. لم تطأ قدماي هذا المكان منذ أن هربت منه قبل خمس سنوات. حين كان ملطخًا بدماء والدي، وكنتُ أنا أختنق من فرط الحزن.

لكن هذا هو المكان الذي قادتني إليه رسالة ذلك الفتى، الذي بتّ أعلم الآن أنه جزء من المقاومة. فجأة، وجدّتي أقف أمام الباب، وأنفاسي تتلاحق بينما أُحدّق في الشقوق والندبات المألوفة في الخشب.
ها قد حانت اللحظة.

أخذ نفسًا عميقًا وأجذب الباب.
مغلق.

لكن الأبواب الموصدة مجرد لعب أطفال بالنسبة للصبة. أُستل خنجر والدي وأفتح القفل بسهولة، مسترجعة كيف علمني تلك المهارة على هذا الباب بالذات، وبهذا النصل بالذات، منذ سنوات خلت.

يُفتح الباب، مئنًا على مفصلاته الصدئة وأنا أخطو عبره. أُحكم قبضتي على الخنجر بينما أجول بنظري بحذر في أرجاء منزلي القديم. يبدو عاديًا تمامًا، كما كان دائمًا. لا يزال الأثاث القديم قابعًا في مكانه ذاته الذي تركته فيه، ولا تزال الشقوق في الجدران تتسلق نحو السقف. وتتشبث خيوط العنكبوت بكل سطح تقريبًا، لتبدو وكأنّ أحدًا لم يطأ هذا المكان منذ سنوات.
ربما كنت مخطئة.

– «حسنًا، حسنًا، حسنًا. انظروا مَنْ جلبه الطاعون.»

كان خنجري مرفوعًا، مصوبًا، ومستعدًا للتخليق نحو الظل الواقف في العتمة خلفي.

في وسط الظلام، ألمح شبح يدين مرفوعتين استسلامًا. تتكيف عيناى مع الضوء الخافت، فتلتقطان وميض شعر أحمر أشعث ينسدل فوق جبهة منمشة. أ همس بذهول وفمى منفرج:

– «ليني؟»

يتقدم بخطوة بطيئة فتتضح ملامح عينيه البنيتين المألوفتين وابتسامته المعهودة.

– «بشحمه ولحمه.»

بدا صوته خفيفاً وودوداً كما هو دائماً في القصر. لكن ذلك لم يدفعني لخفض النصل الذي لا يزال مشرعاً في يدي. كنتُ مشوشة، فاقدة للتركيز، وفي أمس الحاجة إلى إجابات الآن.

طالبته وعيناى ترمقانه بريبة:

– «ما الذي يجري؟ ولماذا أنت هنا؟»

هل هو جزء من المقاومة؟ لا بد أنه كذلك، ولكن...

يفرك مؤخرة عنقه بحرج ويقول:

– «أجل، لدينا الكثير لنطلعك عليه.»

أرمش بدهشة:

– «لدينا؟»

– «أجل.» ويشير بإصبعه إلى الألواح الخشبية المتهاكة تحت أقدامنا:

«لدينا.»

اكتفيتُ بالتحديق فيه، في انتظار تفسير لما يجري بحق الجحيم، وسبب وجوده هنا بحق الجحيم، ومن هم هؤلاء الذين معه بحق الجحيم.

تتنقل نظراته بين وجهي والسكين التي لا تزال متأهبة للانغراس في قلبه.

– «وبمجرد أن تخفضي السكين، سأريك عما أتحدث.»

كان يتحدث ببطء وكأنه يحاول تهدئة حيوان هائج، وأنا واثقة أنني أبدو كذلك تمامًا.

أخفض السكين ببطء وأومئ مرة واحدة. يزفر بارتياح، وتتخلى كتفاه عن بعض توترهما.

- «بحق الطاعون، أنتِ مرعبة حقًا في بعض الأحيان، هل تعلمين ذلك؟ أعني، بالتأكيد، أنا الإمبراطوري هنا، ولكن يا إلهي، من المحتمل أنكِ قادرة على أن تبرحي...»
أقاطعه بأسنان مطبقة:

- «أوه، وربما أفعل ذلك إن لم تخبرني بما يجري.»
تنهد ليني مشيرًا لي بالحقاق به:

- «متطلبة للغاية. في الواقع، قد تكونين ملائمة أكثر لتكوني من العائلة المالكة لا إمبراطورية، أليس كذلك أيتها الأميرة؟»
ألقي إليّ بابتسامة عبر كتفه وهو يتجه نحو المكتب. مكتب والدي. الغرفة التي قُتل فيها. أشعر وكأن رثتي تُسحقان، وقلبي يُعْتَصَر، ونحن نخطو داخل الغرفة.

غرفة عادية. عادية تمامًا، مثلي أنا. لا توجد دماء تلتخ الأرضية أو الكرسي...

الكرسي الذي قُتل عليه.

لقد اختفى. يباغتني وخز من الحزن بينما تجول عينا في الغرفة، محاولة العثور على الكرسي الذي طالما أحب القراءة عليه. كنتُ أجلس عند قدميه أو في حجره بينما يسرد لي حكايات عن عوالم أفضل؛ عوالم تعج بالسحر والأبطال، وبفتيات لا يضطرون لإخفاء حقيقتهن.

يسير ليني نحو خزانة الكتب المائلة في زاوية الغرفة، والمكدسة بكتب يعلوها الغبار وتكسوها خيوط العنكبوت. كنتُ على وشك سؤاله عما يفعله بالتحديد حين قبض فجأة على حافة الخزانة وجذبها. راقبتُ بذهول بينما

تنزلق الخزانة الخشبية بسهولة نحو اليسار على ما يشبه مجرى خفي أسفلها. ومن خلفها، تتبدى درجات حجرية تنحدر نحو الأسفل.

لم أرَ ذلك من قبل قط.

يمنحني ليني ابتسامة أخرى، مشيرًا نحو الظلام القابع خلف الخزانة:
- «السيدات أولاً.»

ما كان يجدر بي فعله هو أن أضحك في وجهه وأجبره على النزول أولاً، لكنني نبذت الحذر واستبدلته بالفضول. يتردد صدى خطواتي على الحجر بينما أسند يدي على الجدار المتسخ وأواصل الهبوط في العتمة. وحين أجد نفسي أقف على أرضية حجرية ملساء وصلبة في قاع الدرج، أتوقف.

يصطدم ليني بظهري، وكاد أن يدهسني.

- «آخ، تبًا - أعني، المعذرة - إيه، لم أركِ تتوقفين.»

أنهره بانفعال، مفترضة أنني أهدق في وجهه وسط الظلام:

- «أجل، لأننا لا نرى شيئاً أصلاً.»

- «أما هذا، فيمكنني حله.»

يجعلني صوت نسائي ينبعث من الظلام أنتفض، لأصطدم بليني من جديد. أسمع طقطقة مفتاح كهربائي، يليه طنين أضواء خافتة تنبض بالحياة. ثم أرمش، محاولة استيعاب المشهد أمامي.

أقف في قاعة واسعة ورطبة، تعج بطاولات تفيض بالخرائط، والمخططات، والمؤن. وتتناثر الملاحظات والأوراق على الجدران، لتشكل ما يشبه ورق حائط غريب المظهر. وفي الجهة المقابلة، تناثرت كراسي غير متطابقة في دائرة، وقد أُلقيت عليها أوراق، بينما تصطف أسرة نقالة غير مرتبة بمحاذاة الجدار البعيد.

والأهم من ذلك كله، كان هناك أشخاص يقفون في هذه الغرفة. أحدهم عرفته على الفور؛ إنه الفتى الذي سرقته، الفتى ذاته من الحفل الراقص. إلى يمينه، يقف رجل أكبر سنًا، يقارب في العمر ما كان ليكون عليه والدي، بشعر

بلون القش وعينين زرقاوين باهتتين تراقباني بتمعن. الفتاة بجواره لا تبدو أكبر مني سوى ببضع سنوات، وهي نسخة طبق الأصل من الرجل بجانبها. ابنته.

ثم تستقر عيناى على الفتاة المبتسمة بجوار مفتاح الإضاءة. تبدو بشرتها الزيتونية وكأنها تشع وسط سواد شعرها الغني الذي ينسدل حتى خصرها، وتراقبني عيناها البنيتان العميقتان بفضول. تتنهد الفتاة قائلة:

– «نعتذر على إبقائك في الظلام... حرفياً.»

تعقد ذراعيها فوق سترتها البرتقالية متأملة إياي، وتضيف:

– «لقد التقطت أذنا ليني الخفاشيتان صوت فتح الباب، فأغرقنا أنفسنا في الظلام تحسباً لأي طارئ.»

يرمقها ليني بابتسامة ساخرة قبل أن يجيب بلامبالاة عن سؤالى غير المنطوق:

– «أنا مُفرط الحواس (هايبر). لدي حواس معززة، وهو أمر يحب البعض السخرية منه. رغم أنه أنقذ حيواتهم بضع مرات.»
أرمقه بنظرة حائرة:

– «أنت من العاديين؟ ولكن الإمبراطوريين...»
يقاطعني بتنهيده:

– «هم في العادة من نخبة الهجوم أو نخبة الدفاع. صدقيني، أنا أعلم. استغرق الأمر دهرًا من تسلق المراتب لأصل إلى منصبي هذا.»
حسنًا، لقد أزاح هذا التفسير جزءًا يسيرًا من الغموض عن سؤال واحد من بين عشرات الأسئلة التي تعصف بذهني.

– «حسنًا، هل يمكن لأحدكم أن يخبرني بما يجري بحق الجحيم؟»
يهز ليني رأسه بجواري، مغمغمًا:

– «متطلبة للغاية...»

يتدخل الفتى من الحفل الراقص قبل أن أتمكن من إبراح ليني ضرباً كما وعدته:

– «كنت أتساءل متى ستهتدين إلى طريقك نحو هنا.»

يتابع بنبرة ملؤها التسلية:

– «أعني، بعد أن سرقت نصف فضياتي والملاحظة التي كانت في جيبتي، خمنت أنك ستظهرين في النهاية. لكنك استغرقت وقتاً طويلاً.»

أفتح فمي لأجدني عاجزة عن النطق.

بحق الطاعون، ما الذي يجري؟

يتنحى الرجل الأشقر قبل أن يقول:

– «فين، هل تتفضل بإحضار كرسي لـ بيدن؟ لدينا الكثير لنطلعها عليه.»

يهز فين رأسه ويلبي الطلب، مضيفاً كرسيّاً آخر إلى حلقة المقاعد التي تنتظرنا. يتقدم الغرباء الأربعة ويرتمون على مقاعدهم دون أن ينبسوا بكلمة إضافية.

أحسستُ بيد تلامس كتفي، وفي اللحظة التالية، لويتها بزاوية غريبة بدافع غريزي بحث.

يطلق ليني شهقة ألم:

– «تباً، بيدن! على رسلك!»

أرمش، وأنظر إلى ما اقترفته يداي، ثم أفلت يده.

أغمغم معذرة:

– «آسفة. أنا متوترة قليلاً.»

يفرك ذراعه المؤلمة، ويرمقني بحذر:

– «إذن، ملاحظة لنفسي: الأميرة لا تحب أن تلمس...»

– «لا تدعني أميرة يا ليني.»

– «حسناً إذن، الأميرة لا تحب أن تُدعى أميرة أيضاً.»

أرمقه بنظرة غاضبة، لكنه يسارع بالقول:

– «حسنًا، اسمعي. ستسمعين الكثير من المعلومات الليلة. معلومات ستصدمك. لذا، فقط... (تبحث عيناه عن الصدق في عينيّ) أصغي، اتفقنا؟»
– «بالطبع. أنا مستمعة ممتازة.»

يطلق ضحكة استنكار:

– «سنرى بشأن ذلك.»

أسأله فجأة، وبصوت أهدأ مما أشعر به حقًا:

– «لماذا أنت هنا؟»

– «صبرًا أيتها الأميرة. سأخبرك بذلك قريبًا.»

يضع يده برفق شديد على كتفي، متفحصًا إياي ليتأكد من أنني لن أكسر معصمه. وحين يطمئن لسلامته، يوجهنا بلطف نحو حلقة الكراسي ويجلس بجواري.

يجلس الرجل الأشقر في الجهة المقابلة لي، ويتنهد وهو يتأملني:

– «لا بد أنك ورثت ملامح والدتك، لأنك لا تشبهين والدك كثيرًا.»
يتوقف قلبي وتتسع عيناى لكلماته.

– «ولكنك تملكين روحه، وإرادته. ذلك جلي من الطريقة التي حضرت بها الليلة.»

أفتح فمي لأطلق العنان للأسئلة، لكنه يقاطعني:

– «وأرى أنك لا تزالين تحتفظين بخنجر والدك. هذا جيد.»

يوميء برأسه نحو النصل الذي لا يزال مقبوضًا عليه في يدي، وقد أصبح مقبضه زلقًا من العرق.

يقول:

– «يا عزيزتي، لديك...»

تخترق عيناه عينيّ بكثافة تجعلني أصارع الرغبة في تحويل نظري بعيدًا:

– «الكثير من الأسئلة. بدايةً، أنا كالوم. مرحبًا بك في المقاومة. أو بالأحرى، في جزء صغير منها. لقد كنا ننتظر قدومك بصبر.»
أقاطعه بلهفة:

– «كنتم تنتظرون...؟»

يغمغم ليني بجواري:

– «مستمعة ممتازة، سحًا لذلك.»

أرمقه بنظرة تجعل كالوم يضحك، بينما يتململ ليني في مقعده، محملاً في الخنجر الذي لا أزال أحكم قبضتي عليه.
يقول كالوم:

– «أعدك بالإجابة عن جميع أسئلتك يا بيدن. لكن أولاً، دعينا نتعارف. هذه ابنتي ميرا، « ثم يومئ نحو الفتاة الشقراء بجانبه التي بالكاد تمنحني ابتسامة. «وهذه لينا.»

يومئ برأسه نحو الفتاة ذات الشعر الغرابي الذي ينسدل بأناقة على ظهرها.

تميل لينا برأسها وتقول:

– «أنت أصغر حجمًا مما توقعت. الآن بت أكثر انبهارًا بنجاتك من التصفية الأولى.»

لم تكن نبرتها ساخرة، بل ملؤها الفضول.

أرد بابتسامة صغيرة:

– «أنا أصلب مما أبدو عليه، وأكد لك ذلك. أقوى سلاح تملكه المرأة هو أن يُستهان بها غالبًا. وأنا أستخدم هذا السلاح طوال الوقت.»

تنفرج أسارير لينا عن ابتسامة فاتنة تضيء ملامحها، وتقول دون أن توجه حديثها لأحد بعينه:

– «تُعجبني هذه الفتاة. سنحتفظ بها، أليس كذلك؟»

تغمغم ميرا معتصرة عينيها بمل:

– «إنها ليست جرؤاً أليفاً.»

يتدخل كالوم:

– «وقد تعرفتِ مسبقاً على فين.»

يغمز لي فين بعينه، فأكاد أزفر سخرية.

يتابع كالوم:

– «والآن، لدي الكثير لأوضحه في وقت ضيق جداً، لذا سأدخل في صلب

الموضوع فوراً.»

يأخذ نفساً عميقاً ويكمل:

– «كان والدك وأنا مقربين للغاية.»

ومع ذلك، لم أرَ هذا الرجل قط في حياتي.

تخترق كلماته حبل أفكارِي:

– «وأعلم أنك لا تعرفين مَنْ أكون. وذلك لأن والدك أبقاني... حسناً،

أبقاني سرّاً. تماماً كما أبقى المقاومة سرّاً عنك.»

يدور رأسي، وأشكر السماء فجأة لأنني جالسة.

– «لكن والدك لم يكن مجرد شخص يعلم بأمر المقاومة. ترين، لقد

تأسست المقاومة منذ ما يقرب من عقد من الزمان، وكان آدم أحد قادتها

الأوائل. وهذا هو السبب بالذات الذي يبقينا في هذا المنزل، نتخذه مقرّاً لنا كما

كنا نفعل حين كان حياً.»

أتجاهل النظرة التي يرمقني بها ليني إثر مقاطعتي، وأسأل:

– «لماذا أبقى كل هذا سرّاً عني إذن؟»

يتنهد كالوم بعمق:

– «لم تكوني وحدك من أخفي عنه أمر المقاومة. في تلك السنوات

الأولى، كنا نتواري عن الأنظار، وننشر قضيتنا بصمت بين مَنْ نثق بهم. كان

انضمامك للمقاومة أمراً محفوفاً بالمخاطر، لذا أثر الانتظار حتى تكبري

لتنضمي إلينا.»

يتوقف لبرهة قبل أن يضيف بصوت خافت:

– «لكنه لم يحظَ بالفرصة ليخبركِ. وحين وجدنا والدكِ... كنتِ قد اختفيتِ.»

أومأت برأسي قليلاً، مزدردة الغصة في حلقي قبل أن أسأل:

– «هل هذا هو السبب الذي دفع الملك لقتله؟ لأنه علم بدوره في المقاومة؟»

عبرت نظرة حيرة ملامح كالوم وهو يواصل التحديق بي. كانت كثافة نظراته مقلقة تقريباً قبل أن يُشيع بنظره ويومئ ببطء.

– «هذا ما أفترضه، أجل.»

ابتلعتُ ريقِي، آملة أن أشعر بعبء ينزاح عن صدري بعد اكتشاف سبب مقتل والدي أخيراً، بعد سنوات من الشعور بالذنب والتخمين. ومع ذلك، لم أشعر بشيء من هذا القبيل.

يتابع كالوم:

– «أنتِ، ومعظم إيليا، بدأتُم للتو بسماع أخبارنا لأننا كبرنا وتوسعنا. ازددنا عددًا وقوة. لقد أبقينا المقاومة في الظل لسنوات عديدة بينما استقطبنا المزيد من الأعضاء وعثرنا على المزيد من العاديين. لكن الملك يواجه صعوبة في احتوائنا الآن. صعوبة في إبقائنا طي الكتمان وتحت السيطرة.»

أسارع بالسؤال:

– «إذن أين بقيتكم؟ ومن هم بقيتكم؟»

ترد ميرا، ونظراتها الثاقبة تنطق بالكثير؛ إذ بدا جلياً أنها لا تثق بي قيد أنملة:

– «نحن في كل مكان.»

يواصل كالوم بهدوء:

– «خلال أحداث التطهير قبل ثلاثة عقود، بقي في إيليا من العاديين عدد يفوق ما اعتُقد أصلاً بعد النفي. اختبأوا في الخفاء، تحت أنف الملك مباشرة.

هناك أعضاء من المقاومة منتشرون في جميع أرجاء إيليا، إذ من البديهي أنه من غير الآمن ولا العملي أن نتمركز جميعاً في منطقة واحدة. حتى أنا لا أعرف أماكن تواجدهم جميعاً أو هوياتهم. لدينا قادة معينون لمناطق مختلفة من المملكة، مما يتيح لنا نشر المعلومات بين أعضاء المقاومة بسلاسة ودون إثارة الشبهات. وتنتشر الأخبار كالنار في الهشيم حين يتواصل القادة ويمررون المعلومات للأعضاء في قطاعاتهم.»

تضيف ليلى بنبرة مشرقة:

– «ولهذا السبب اجتمعنا هنا الليلة. لمناقشة الخطط ثم إبلاغ قطاعاتنا

بها.»

أرمش محمقة فيهم:

– «أنتم جميعاً قادة؟ أعني، أنتم... صغار السن جداً.»

يتنهد فين قائلاً:

– «ووسيمون أيضاً. لكن أجل، نحن بعض القادة الذين تمكنوا من

الحضور الليلة. بصراحة، نحن مجرد حمام زاجل مُجمل، نمرر المعلومات بسرية لتظل المقاومة متحدة رغم عدم قدرتنا على التجمع في مكان واحد.»

تتأفف ميرا:

– «لست حمامة زاجل لأحد.»

يتنهد ليلى:

– «لست واثقاً لم نتحدث عن الطيور، لكن، أجل، إنهم يشرفون على إبلاغ

أعضاء المقاومة في قطاعات معينة من المملكة. وهي ليست بالمهمة اليسيرة.

لا يزال العاديون يُقتلون باستمرار، وإن تسربت معلومات حول هوية المنتمين

للمقاومة، فسيلقى المزيد حتفهم.»

أتنقل بنظري بينهم وأسأل:

– «إذن، هل أنتم من العاديين؟»

يبتسم فين:

– « بكل تأكيد. »

تؤكد ليـنا بفخر:

– « وأنا كذلك. »

أحـدق في كليهما؛ هؤلاء أناس مثلي تمامًا، من العاديين.

تنتقل عيناى إلى ميرا حين تقول:

– « أما أنا، ف خامد (سايـلنسر). »

يتدخل كالوم قبل أن أتمكن من طرح المزيد من الأسئلة:

– « يميل العاديون في إيليا إلى التظاهر بامتلاك قدرة مُفرطي الحواس،

لأنها قدرة يسهل ادعاؤها. »

ترمق ليـنا ليني بنظرة فخر واستعلاء، فيتابع كالوم:

– « حين يعثر علينا العاديون وينضمون للمقاومة، نساعدهم في بناء حياة

جديدة، ونعلمهم كيف ينجون. »

يمنحني ابتسامة حزينة:

– « لم يحظَ الجميع بوالد كوالـدك ليـعلمهم كيف يصبحون أقوياء حقًا. لقد

تدرّبتِ على قدرتك كمتبصرة منذ طفولتك، وهي الغطاء الأكثر إقناعًا الذي

رأيتـه في حياتي. »

يتوقف للحظة ليجمع أفكاره، ثم يضيف:

– « أما بشأن هويتنا، فمن الواضح أن معظمنا من العاديين. لكن لدينا

أيضًا أفراد نخبة يقفون في صفنا. »

أهمس:

– « القاتلين (فاتالز). »

يبدو وكأنه يتصلب عند سماع اللقب، ويجيب:

– « أجل. ويبدو أنك قد واجهت أحدهم بالفعل. »

يقفز إلى ذهني الـ خامد (سايـلنسر) الذي قاتلته في الزقاق، فأسأل ببطء:

- «هل كان...؟»
- «أجل، كان عضوًا في المقاومة.»
- يرفع كالوم يده مسكتًا الاعتذار الذي كنت على وشك النطق به لقتالي أحد أفرادهم.
- «لا داعي للاعتذار يا بيدن. حماقة ماركوس نفسها هي ما أوقعت به.»
- يغمغم ليني:
- «لقد كان دائمًا متهورًا. وأحمق. أحمق متهورًا. أن يعتقد أنه قادر على الإطاحة بالأمير، المنفذ المستقبلي، دون عواقب...»
- تتنقل عيناها بين الخمسة:
- «هل يحق لي أن أعرف بالضبط لم يُعد ماركوس هذا أحمق متهورًا؟»
- تجيب ميرا، بتعبير خالٍ من أي تعاطف:
- «لأنه رأى الأمير منهكًا بالفعل، فغلبه غضبه. باختصار، قتل الأمير كاي شخصًا مقربًا جدًا من ماركوس، فاستولى الغضب على الـ خامد (سايلنسر) وتملكته رغبة الانتقام. وحين رأى الأمير في ذلك الزقاق، منهكًا ومشتتًا، انتهز الفرصة لمحاولة الإطاحة به. لكنك أسقطته أنت بدلًا من ذلك.»
- يضيف ليني:
- «في ذلك الوقت، لم نكن نعرف من أنت. ربطنا الخيوط ببعضها حين رأينا اسمك على اللافتة في «حي النشأين»، ورأيناك في المقابلات.»
- يقول كالوم بجدية:
- «ظننتك ميتة يا بيدن. ثم ظهرت فجأة في التصفيات، وكنا قد عثرنا على ابنة آدم جراي. حسنًا، أنت من عثرت علينا.»
- يتنهد فين قائلًا:
- «من كان ليصدق أن ابنة آدم جراي، ابنة قائد المقاومة، ستكون هي من تسرقني حتى آخر فلس وتجد تلك الملاحظة؟ الملاحظة التي قادتك إلينا مباشرة، وأعادتك إلى منزلك.»

يرفع بصره نحو السقف ويبتسم لنفسه:

– «حين رأيته في الحفل الراقص، ورأيتكِ تدركين هويتي، علمت أنه لن يمر وقت طويل قبل أن تأتي وتبحثي عنا.»

أبتلع ريقه، عاجزة عن تجاوز الموضوع السابق:

– «أنا آسفة بشأن الـ خامد (سايلنسر)... بشأن ماركوس.»

لم أستطع منع نفسي من الشعور بالذنب، كوني السبب في إلقاء القبض عليه.

– «هل تعرفون إن كان لا يزال على قيد الحياة؟»

تكسو الجدية ملامح كالوم:

– «لسنا متأكدين. ولكن إن كان كذلك، فمن المرجح أنه لن يبقى حيًا لفترة أطول.»

يتابع قبل أن أحاول الاعتذار مجددًا:

– «ولا داعي للشعور بالذنب يا بيدن. ماركوس كان السبب في هلاك نفسه.»

يأخذ نفسًا عميقًا قبل أن يواصل الحديث بهدوء:

– «والآن، كما كنت أقول، تتألف المقاومة من كل من العاديين والنخبة، بمن فيهم خوامد القدرات، وقراء الأفكار، والمتحكمين. وبما أن الملك حاول القضاء على القاتلين (فاتالز) واستمر في ذلك، فهم ينشدون العدالة أيضًا. انضم أفراد نخبة آخرون للقضية لأسبابهم الخاصة. أولئك الذين يهتمون بما يكفي للتفكير في الأمر، لا يبتلعون فكرة أن العاديين نُفوا فجأة بسبب مرض.»

أسأل وأنا أراقب كالوم يومئ برأسه:

– «إذن، أعضاء المقاومة لا يصدقون أن العاديين يُضعفون قوى النخبة. هل يملك أحد دليلًا لاستخدامه ضد الملك ومعالجيه؟»

تبحث عينا كالوم في عيني قبل أن يتنهد:

– «لا، لا نملك دليلًا.»

يضيف ليني:

– «نحن مجرد إيليين نهتم بما يكفي لإدراك أن الأمر لا يستقيم. لقد عاش العاديون مع النخبة لعقود قبل التطهير، وحتى الآن، يختبئون تحت أنف الملك ويعيشون جنباً إلى جنب مع النخبة دون أي شكاوى من تضائل قدرات أي شخص. لكن، لمجرد أن الملك وال معالجين (هيلرز) التابعين له ادعوا أن العاديين مرضى، فإن معظم النخبة لن يفكروا مرتين إن كان ذلك يعني أن قواهم وحيواتهم على المحك.»

أومئ ببطء بينما يغزو طوفان من الأسئلة عقلي مجدداً. ما هو هدف المقاومة بالضبط، وما الذي يمكنني تقديمه لهم؟

أفتح فمي لطرح هذا السؤال، لكن كالوم يسبقني:

– «المقاومة مستعدة أخيراً للتحرك. وعلى النقيض مما أشاعه الملك عنا، لسنا متطرفين نقتل من أجل المتعة البحتة. نحن ننشد العدالة. نريد أن تُقال الحقيقة. نريد أن يعيش العاديون وال قاتلين (فاتالز) في سلام مع بقية النخبة مرة أخرى. ألا يُطاردوا ويُقتلوا بسبب أمور خارجة عن إرادتهم لمجرد أن الملك يبتغي مجتمعاً للنخبة ومستعد للكذب بشأن العاديين لتحقيق ذلك. إذن، هذا هو هدفنا. هذه هي قضيتنا.»

وهذا بالضبط ما أريده، ما أملتُ تحقيقه طوال حياتي. أن أحظى بالقبول والحرية.

أدركتُ حينها كم أتوق بشدة لأكون جزءاً من هذا. كم أرغب بصدق في المساعدة وإحداث فارق. أظن أنني كنت أنتظر طوال حياتي لأعثر على غاية كهذه.

أندفع متسائلة:

– «ماذا عن الحفل الراقص؟ لم الهجوم في الحفل الراقص؟»

يتبادل ليني وكالوم النظرات قبل أن يتنهد الأخير ويقول:

– «لقد كان هجومنا مفاجأة لنا بقدر ما كان مفاجأة للضيوف.»

أتذكر كم بدا أعضاء المقاومة القلائل غير مستعدين، وكيف كانوا يحاولون شق طريقهم للهروب من قاعة الرقص.

يفسر ليني حين أرفع حاجبي حادثة إياه على التوضيح:

– «لم يكن ذلك جزءاً من الخطة قط. أساساً، كان الحفل الراقص الغطاء المثالي لتسلل مجموعة صغيرة لتفتيش القلعة، مستغلين الأجواء الاحتفالية كإلهاء. وحسنًا، لنقل إنهم ضُبطوا.»

تنزلق نظراتي نحو فين:

– «أنت كنت هناك ونجوت. ماذا حدث؟»

يتنحنح فين ويقول:

– «لن أضجرك بالتفاصيل، لكن حارساً وجدني في رواق خلفي أثناء التفتيش، وساوره شك حيال وجود خادم بعيداً عن الاحتفالات. لذا، حين طرح أسئلة ملحة، وكما هو طبيعي، كذبتُ باستماتة.»

يخفض رأسه ويهزه نحو الأرضية.

– «ولم أدرك أنه كاشف كذب يمكنه استشعار كل كذبة أتفوه بها، إلا بعد أن سحبني عائداً إلى قاعة الرقص.»

تتدخل ميرا بملامح متجهمة:

– «لكن فين لم يكن الوحيد الذي أُلقي القبض عليه. اتضح أن عدد الإمبراطوريين الذين كانوا يجوبون القصر يفوق ما توقعناه بكثير.»

يزفر فين تنهيدة ثقيلة:

– «كنا جميعاً مزودين بقنابل خفيفة الأثر، وسكاكين، وكبسولات انتحار، رغم أننا لم نخطط لاضطرارنا لاستخدام أي منها. لكننا ارتدينا دروعنا الجلدية خفية وحملنا أقنعتنا كإجراء احترازي في حال احتجنا للقتال للهروب. وهذا بالضبط ما آلت إليه الأمور. كان أحد الإمبراطوريين هو أول من فجر إحدى قنابلنا جهلاً منه بماهيته، وحينها عمت الفوضى قاعة الرقص. حاولنا

الهرب، لكن أفراد النخبة بدأوا في قتالنا، ولم يكن بوسعنا سوى محاولة شق طريقنا بالقوة.»

يتوقف لبرهة، مبتلعاً حزنه:

– «في النهاية، استخدمنا جميعاً القنابل، بينما تجرّع من ألقى القبض عليهم كبسولات الانتحار.»

كان الحزن يعتصر وجه لينا الجميل، وكلماتها التالية تنبعث جوفاء:

– «أسرارنا أثمن من أن نفقدها، وكانوا هم أكثر ولاءً من أن يبوحوا بها. كانوا يعلمون أنهم سيفقدون حيواتهم في كلتا الحالتين.»

يخيم الصمت على الغرفة وكأننا نقتطع لحظة لتكريم أرواح من فقدوهم. يقول كالوم بصوت خافت:

– «لم نكن نعتزم أن تعرف المملكة بأمر المقاومة في تلك الليلة، ولا بتلك الطريقة، لكن يبدو أن القدر كانت له ترتيبات أخرى. للأسف، أحياناً يتطلب الأمر وجود شهداء ليرى الناس أن هناك ما يستحق النضال لأجله.»

أترك المعلومات تتغلغل في ذهني، جالسة في صمت قبل أن أطرح السؤال الذي تسلل ليحتل صدارة أفكاره:

– «عما كنتم تبحثون؟»

يتولى ليني تقديم الإجابة:

– «بصفتي إمبراطورياً، أبلغت بأن التصفية النهائية ستقام في الصحن، وهناك سنكشف عن أنفسنا لإيليا. الآن، القلعة تعج بالممرات والأنفاق السرية التي تؤدي إلى أماكن متعددة دخولاً وخروجاً. نحن بحاجة للعثور على النفق الذي يؤدي مباشرة إلى أسفل مقصورة الملك في الحلبة. إن تأمين الملك هو الجزء الأكثر تعقيداً في هذا الأمر، لذا نحن بحاجة لاستخدام عنصر المفاجأة ضده بينما يمكن لبقية أعضاء المقاومة الدخول عبر الأنفاق العديدة المؤدية إلى الصحن.»

أعقد حاجبي في حيرة:

– «كيف تعرفون بوجود نفق يؤدي إلى غرفة الانتظار أسفل المقصورة من الأساس؟»

لا أتذكر رؤية باب هناك قبل المقابلات، لكن من ناحية أخرى، أظن أنني كنت مشتتة الذهن حينها.

يجيب ليني ببساطة:

– «لأنني رأيته.»

أفتح فمي للرد، لكنه يسارع بمقاطعتي:

– «وهذا كله رائع وجميل، لولا أن أبواب النفق لا تُفتح إلا من الداخل، وليس لدي أدنى فكرة عن مكان الطرف الآخر من ذلك الممر.»

قلتُ بصوت خافت:

– «أوه.»

تتعالى ضحكة ليني الجافة:

– «أجل. أوه.»

أتأملهم جميعاً بنظرة مترقبة:

– «إذن، ماذا، أنتم بحاجة إليّ للعثور على النفق الذي يؤدي إلى هناك؟»

تأتي إجابتهم في انسجام تام تقريباً:

– «أجل.»

أغص بضحكة:

– «إن لم يتمكن ليني من العثور عليه حتى الآن، لست واثقة أنني...»

يغمغم ليني بصوت خفيض:

– «أجل، حسناً، لكان الأمر أسهل بكثير لو كان الملك المستقبلي طوع

بناني.»

أرمقه بنظرة حادة بينما يقول كالوم ببطء:

– «علاقتك بالأمراء... قيمة. وتحديدًا ارتباطك بالأمير كيت.»

يميل بجسده للأمام، حاثًا إياي على الاستيعاب:

– «بيدن، أظن أنك تملكين تأثيرًا على ذلك الفتى يفوق ما تمنحين نفسك الفضل فيه بكثير.»

لست واثقة من صواب رأيه في هذا الشأن، لكنني أومئ ببطء، مستوعبة كلماته.

– «تريدون مني استغلال كيت للعثور على النفق.»

يقول فين:

– «بالضبط.»

يصر كالوم:

– «لقد بدأ يثق بك بالفعل. لذا، استغلي ذلك. ماذا قلتِ قبل قليل؟ "أقوى سلاح تملكه المرأة هو أن يُستهان بها غالبًا." إذن دعيه يستهين بك. إنه مجرد وسيلة لبلوغ غاية. أركعي هذا الفتى إن لزم الأمر.»

تثبتت عيناه على عيني:

– «فقط أدخلينا إلى الصحن. لقد خططنا لهذا منذ وقت طويل، وستكون هذه المرة الأولى التي تجتمع فيها أغلبية المقاومة في مكان واحد. لذا، يجب أن يسير هذا الأمر على ما يرام.»

أومئ مجددًا:

– «يمكنني فعل ذلك. سأفعل ذلك.»

تلي ذلك لحظة صمت قبل أن أسأل:

– «ما هي الخطة بالتحديد؟»

يقول كالوم:

– «إنها بسيطة حقًا. سنتجمع في الغالبية العظمى منا أخيرًا، وسنُظهر لشعب إيليا مَنْ نكون وما لدينا لنقوله. سنريهم أننا لسنا خطرًا داهيًا، مع تذكيرهم في الوقت ذاته بهوية مَنْ يقتلونهم منذ عقود. سيُضطر الملك إما

للاعتراف بأكاذيبه بشأن العاديين، أو ببساطة منحنا حريتنا. وأنتِ ستساعدينا في تحقيق ذلك.»

يحثني ليني:

– «نحن بحاجة لأن تعثري على النفق. سأكون هناك للمساعدة في أي شيء تحتاجينه بالطبع، وسنتواصل مع كالوم قريباً.»
إذن، كالوم هو القائد الأعلى؟

يقول كالوم بهدوء وهو يمرر يده عبر شعره الأسمر المصفر:
– «أجل، أظن أنه يمكنكِ تسميتي كذلك، رغم أن أياً منا لا يحمل ألقاباً حقاً.»

بحق الطاعون. إنه...

– «أجل، أنا قارئ أفكار يا بيدن.»

تتسارع أنفاسي.

لقد كان يقرأ أفكاري طوال الوقت. وربما يقرأها الآن...

– «أجل، لقد كنت أقرأ أفكارك طوال الوقت، وأجل، لقد قرأتها للتو مجدداً.»

لم أحاول إخفاء تعابير الخذلان المرتسمة على وجهي، مما دفع ملامحه للين.

– «أنا آسف لاقتحام أفكارك، لكن تعين عليّ التأكد من أنكِ تقفين حقاً في صفنا. أنكِ مستعدة حقاً لمساعدتنا.»

اخرج. من. رأسي.

كاد يبتسم:

– «عنيده للغاية، تماماً كوالدك. لكن الآن وقد رأيت أنكِ جديرة بالثقة، سأتركك لأفكارك.»

يتنحنح ليني وينهض، ماداً يده إليّ.

– «يجب أن نذهب. لدينا الكثير من العمل لإنجازه. ويجب أن تقضي أكبر وقت ممكن مع الملك المستقبلي، كي تتمكني من العثور على ممرنا.»
أعترف:

– «أجل، لا يزال عليّ أن أكتشف كيف سأنتزع تلك المعلومات منه بالضبط.»

يتدخل فين في اللحظة ذاتها التي يتحدث فيها ليني.
يقول فين:

– «تغزلي به.»

ويقول ليني:

– «ارمشي بأهدابك أو أي شيء من هذا القبيل.»

أطلق ضحكة ساخرة قبل أن يلوح لي ليني نحو الدرج:

– «هيا بنا. يجب أن نعيدك إلى غرفتك.»

أومئ للمجموعة الصغيرة أمامي:

– «شكرًا لكم. لقد منحتُموني غاية تستحق القتال لأجلها.»

وبهذه الكلمات، أستدير منصرفًا، متجهة نحو الدرج الحجري خلف ليني.

– «بيدن؟»

أستدير على عقبي لأجد كالوم يراقبني، ويقول:

– «كان والدك ليفخر بك.»



الفصل 35

كاي

كان التدريب والتعذيب ملاذي للحفاظ على راحة عقلي طوال اليومين الماضيين، رغم إدراكي التام بأن المعتوهين وحدهم من يقرون بذلك. كاد أن ينقضي أسبوع تقريبًا منذ انتهاء التصفية الأولى. أسبوع تقريبًا منذ أن أغمدت نصلي في صدر جاكس. أسبوع تقريبًا من كبح رغبتني في فعل الشيء ذاته مع آيس. لذا، أبقى نفسي منشغلًا، وأسدد لكماتي إلى الحصائر حتى لا تجد طريقها إلى وجه أحدهم، لا سيما أنني لم أعد أملك ذلك الـ خامد (سايلنسر) لأبرحه ضربًا بعد الآن.

من المؤسف أنني قتلتته.

أنا واثق أنه كان يملك معلومات، أجل، لكنني لست ممن يطلقون تهديدات جوفاء. لقد وعدت ميكا بأنني سأقتله إن لم يثبت أن حياته تستحق الإنقاذ. وحين فشل في تقديم المعلومات التي أردتها، نفذت وعدي.



كان عبئاً محفوفاً بالمخاطر، وأخطر من أن أبقىه حياً ليكون كيس ملاكمتي البشري. أدركت أنه لم يكن ينوي قط إخباري بما أريد سماعه، ولم يكن لدي أي نية لإهدار وقتي.

رغم أنني أفقد حقاً تفريغ غضبي وإحباطي فيه.

رغم ذلك، لا أزال أقضي معظم أيامي مع الـ خامد (سايلنسر) التابع لوالدي. قدرته هي واحدة من القدرات القليلة التي لم أتدرب عليها قط، بل ولم أواجهها حتى قبل شهر مضى. لذا أتدرب مع داميون لساعات، محاولاً فهم وتطوير هذه القوة الجديدة بأفضل ما أستطيع. لا أريد أبداً أن أشعر بالعجز كما شعرت حين نصب لي ميكا كميناً في «حي النشألين». لا، أنا أريد قوته. أريد أن أكون قادراً على استخدامها وصدها حتى لا أشلّ بتلك الطريقة مجدداً. قول ذلك أسهل من فعله.

التدريب مضمّن ومرهق. فتعلّم كيفية استخدام قدرة الـ خامد (سايلنسر) أسهل بكثير من الدفاع عن النفس ضدها. أُنق يومياً بقوته بينما أحاول استغلالها، أحاول استخدامها ضده. أعاني، بأقل تقدير، رغم إصراري ومقتي للشعور بالعجز إلى هذا الحد.

لكنني مضطرب. أبقى نفسي منشغلاً طوال اليوم على أمل أن تنهك الكوابيس فلا تقوى على مطاردتي وطردي من نومي ليلاً.

ينغرس نصل سيفي عميقاً في خشب دمية التدريب التي أبرحها تقطيعاً الآن.

أزفر بانزعاج وأقبض على المقبض الثقيل بكلتا يدي، منتزعاً الفولاذ الحاد من الخشب المتشطي. أقلب السلاح بلامبالاة إلى جانبي قبل أن أمطر كتلة الخشب بالضربات مرة أخرى، تاركاً لعقلي حرية التركيز على قوة ودقة كل أرجحة – التركيز على شعور استلاب الموت، والقبض عليه في كفي، وتطويره لإرادتي.

ومع ذلك، لم يتطلب الأمر سوى ضحكة مألوفة ليتبدد هذا التركيز.

كانت تستند إلى تلك الشجرة المبطنة التي طالما أحبت تسديد اللكمات إليها، بينما يقف كيت بالقرب منها. بدأ شيء ما يحترق بداخلي، لكنني تجاهلته، ولم أكلف نفسي عناء الاعتراف بتلك الغيرة التي تلونني بلون مملكة إيليا.

تسمّرت عيناى عليهما وهما يتبادلان حديثاً ودياً. تبدو بيدن أكثر ارتياحاً مع كيت في الآونة الأخيرة، إذ تقضي وقتاً معه خارج أوقات التدريب والوجبات. أرجو للغيرة أن تتسرب من عظامي، أن تتبخر ببساطة، لكنها تنهشني وتؤرقني مع كل فكرة تجمعهما معاً.

أومأت بيدن لكيت بابتسامة قبل أن يستدير عائداً نحو القلعة، بينما أجبرت نفسي على التركيز في التدريب مرة أخرى. شرعت في تقطيع الخشب بسيفي، وتلاشى التوتر في كتفي مع كل ضربة.

قالت:

– «ما رأيك في جولة إعادة؟»

سددت ضربة قوية للخشب، فشقت سيفي عميقاً عبر صدر الدمية. انتظرت بيدن بصبر بينما استدرت ببطء، وأرجحت سيفي في دوائر بطيئة إلى جانبي. لم أكلف نفسي عناء الابتسام وأنا أقول بلامبالاة:

– «يبدو أن أحدهم في مزاج لتلقي هزيمة.»

ظلل العبوس وجهها وهي تعقد ذراعيها:

– «ويبدو أن أحدهم يمر بمزاج سيء وحسب.»

ضحكت بسخرية خالية من المرح:

– «يا عزيزتي، هذا ليس مزاجي السيء. لكان هناك الكثير من الدماء لو كان الأمر كذلك.»

ابتسمت لي بخبت طفيف:

– «حسناً، لن أضطر لأخذ كلامك على محمل الجد، لأنني بعد أن

أهزمك، أنا واثقة أنني سأحظى بفرصة رؤية مزاجك السيء عن كثب.»

تنهدتُ مستسلماً:

– «حسناً. قتال متلاحم مجدداً؟»

ردت ببطء:

– «لا. كنت أفكر أن بإمكاننا فعل شيء مختلف.»

سألت وأنا أخطو خطوة أقرب إليها، مائلاً نحوها:

– «ولماذا؟ هل القتال المتلاحم يشترك لكونك قريبة جداً مني؟»

تمكنت بطريقة ما من الاقتراب أكثر، وقالت:

– «على الإطلاق. أنا لا أتشتت يا آزر.»

– «يبدو هذا كأنه تحدٍ.»

– «فقط إن كنت في مزاج لتلقي هزيمة.»

بحق الطاعون، ما خطب هذه الفتاة.

ابتسمت وهي تنظر إليّ:

– «إذن، ماذا عن الرماية؟ إلا إذا كانت كبرياؤك تعجز عن تحمل

الخسارة أمامي. مجدداً.»

قلتُ وأنا أبعد وجهي عن وجهها، وألامس كتفها خفيفاً أثناء مروري:

– «أوه، لن تكون هذه مشكلة. لأنني لن أخسر.»

أدركتُ ما تفعله، ورحبتُ بهذا التشيت. رحبتُ بكونها هي التشيت ذاته.

سحبتُ قوساً من إحدى رفوف الأسلحة وألقيتُ بحفنة من السهام على

الأرض بيننا. كانت بيدن قد أمسكت بسلاحها بالفعل، ووقفت تواجه الهدف

المتهالك على بعد خمسة عشر ياردة.

قالت دون أن تحيد بعينيها عن الهدف:

– «ثلاث جولات. لكل منا ثلاث طعنات في كل جولة. صاحب أعلى رصيد

يفوز.»

مددت يدي نحوها لنتصافح على القواعد كما جرت العادة:

– «اتفاق عادل.»

أمسكت يدي ببطء، بقبضة محكمة بينما لامست قساوة يديها كفي. ثم جذبتها نحوي، ساحبًا إياها نحو صدري حيث همستُ بالقرب من أذنها:

– «حظًا موفقًا يا جراي.»

قلبت عينيها استنكارًا، لكن عينيَّ كانتا مثبتتين عليها.

قالت ببرود وابتسامة متعجرفة ترسم على وجهها:

– «لا أحتاج إلى الحظ حين أكون في منافسة ضدك.»

لم أستطع منع نفسي من إطلاق ضحكة خافتة. وبعد لحظة طالت قليلًا، أفلتتها، فاستدارت لمواجهة الهدف بابتسامة. وحين لم أتحرك لتجهيز سهمي، رمقتني بنظرة مترقبة أجبتها بإشارة نحو الهدف.

– «السيدات أولاً.»

أطلقت ضحكة ساخرة قبل أن تجهز سهمها:

– «أوه صحيح. لقد نسيت أنك رجل نبيل.»

أملتُ رأسي، أراقبها وهي تمسك القوس وكأنها عسراء، رغم أنني أعلم أنها ليست كذلك.

مثير للاهتمام.

رمشتُ، وإذ بسهم يشق الهواء، مستقرًا على مسافة قريبة جدًا من نقطة المنتصف. وضعت سهمًا آخر على القوس وسحبته، آخذة نفسًا عميقًا.

أغمضت عينيها للحظة، ولم تطلق السهم إلا حين فتحتهما. نقطة المنتصف. راقبتها تتبع الروتين ذاته مع سهمها الأخير. راقبتُ ذراعها تُجهد وهي تسحب وتر القوس. راقبتُ عينيها ترفرفان لتتغلقا في تركيز. راقبتها تتنفس بعمق قبل أن ترسل سهمًا آخر ينغرس في نقطة المنتصف.

سحقًا.

لم تكن الرماية يوماً من مهاراتي المفضلة، ومن الواضح أن بيدن لا تشاطرنني الشعور. إنها موهوبة بالفطرة. واثقة ومتحكمة للغاية، وكأن القوس مجرد امتداد لذراعها. يطيعها السهم وهي توجهه ليستقر بالضبط حيث تريد. وفجأة، تبادر إلى ذهني أنها محقة. قد أخسر هذا التحدي.

تراجعت خطوة لتقف بجانبني، وبهمس ساخر قالت:

– «دورك. حظاً موفقاً يا آزر.»

الطاعون يعلم أنني سأحتاجه.

تقدمتُ ووضعت سهماً على قوسي. أمكنني الشعور بعينيها تراقبانني، تتبعان كل حركة أقوم بها، وكان ذلك مشتتاً بشكل مزعج. سحبتُ وتر القوس للخلف، وصوّبت، وأطلقت. ثم رحتُ ألعن بصوت خافت حين أخطأت نقطة المنتصف بالكاد قبل أن أجهز سهماً آخر. اتبع هذا السهم النمط ذاته، والآن بتُّ محبطاً وتتملكني رغبة عارمة في لكم شيء ما. أطلقتُ سهمي الأخير واستقر أخيراً حيث أردت. بالكاد. انغرس رأسه الفضي في أبعد حافة من نقطة المنتصف، مقاداً بالحظ المطلق للوصول إلى هناك.

لم تنبس بيدن بكلمة وهي تتقدم وتطلق سهامها الثلاثة التالية. وكما حدث من قبل، أصاب اثنان نقطة المنتصف، والثالث أخطأها بالكاد. كانت مشاهدتها ساحرة، ورؤيتها وهي تتعامل مع هذا السلاح آسرة.

سأخسر. وأنا لا أحب الخسارة.

وبيدن تعلم ذلك أيضاً. مرت بجانبني، تبتسم لي وكأنها فازت بالفعل. وربما فعلت. أخذتُ وقتي في إطلاق تسديداتي الثلاث التالية، محاولاً التركيز وتهدة أنفاسي قبل تركها تنطلق نحو الهدف. لم يجد ذلك نفعا. اثنان على الحلقات، وواحد على نقطة المنتصف.

حدقتُ بضيق في الهدف بينما ابتسمت بيدن باتساع.

جهزت سهماً وهي تقول:

– «الآن أدرك لماذا أردت التمسك بالقتال المتلاحم. كنت تعلم أن لديك فرصة أفضل للفوز فيه.»

لم تكن مخطئة. لم تكن الرماية يوماً مفضلة لدي أو نقطة قوتي. كانت لا تزال تبتسم وهي تركز انتباهها على الهدف، وتهدي أنفاسها حتى قبل أن تسحب وتر القوس.

لا توجد أي فرصة لفوزي بهذا.

قاومت ابتسامة صغيرة لاحت على شفتي إثر فكرة باغتتني.

إذا كنت سأخسر، فمن الأفضل أن أحظى ببعض المرح.

خطوت خطوة نحوها. ثم تقدمت ببطء لأقف خلفها – خلفها مباشرة.

ضغطت بصدري على ظهرها في اللحظة ذاتها التي تركت فيها يدي تتسلل بكسل لتطوق خصرها. جفلت من التلامس المفاجئ، فضحكت بنعومة بالقرب من أذنها.

كانت كلماتها لاهثة، لكنها لم تتحرك، متييسة ضد جسدي:

– «ما الذي تفعله؟»

همستُ وشفتي تكاد تلامس أذنها:

– «أشتتك.»

أطلقت ضحكة متكلفة، متصنعة الثقة:

– «أخبرتكَ أن...»

خانتها الكلمات حين بدأت يدي تستكشف مسافة أبعد على طول

خصرها، وبطنها، فوق قميصها الرقيق. ازدردت ريقها وتابعت:

– «أخبرتكَ أنني لا أتشتت.»

بدأت أصابعي ترسم دوائر كسولة صعوداً وهبوطاً على جانبها، وقلت:

– «أجل، وكنت أقسم أنك نقرتِ بقدمك اليسرى وأنت تقولين ذلك.»

انحنيتُ أقرب، هامساً في أذنها:

– «وكلانا يعلم أن هذا يعني أنك تكذبين.»

الحقيقة هي أنني أنا من يكذب. فقدمها هي آخر ما أعيره انتباهي. لكنني أعلم أنها تكذب مع ذلك، وسأثبت لها هذا.

تنحنت محاولة التركيز على صياغة الكلمات لا على أصابعي، وقالت: - «حسنًا، أنت مخطئ.»

وبهذه الملاحظة المترددة، رفعت قوسها وسحبت الوتر.

طوقتُ خصرها بذراعي ببطء، وتركت يدي الأخرى تنساب من مفاصل أصابعها المنحنية حول وتر القوس وصولاً إلى كتفها المجهد. وبينما لا يزال جسدها ملتصقاً بجسدي، شعرت بقشعريرة تسري في عمودها الفقري حين رقصت أصابعي ببطء صعوداً وهبوطاً على ذراعها. ابتسمتُ بالقرب من أذنها، وعلمت أنها شعرت بذلك أيضاً لأنها أطلقت زفرة منزعة.

شعرتُ بها تأخذ نفساً عميقاً ومرتجفاً محاولة التهدئة من روعها ولملمة شتات نفسها. ثم أطلقت السهم. أطلقت ضحكة خافتة في أذنها حين استقر السهم في أبعد نقطة عن المنتصف حتى الآن. أدارت رأسها بحدة حتى بات وجهانا يفصل بينهما بضع بوصات ورمقتني بعبوس. كنت مستمتعاً، وابتسمت وأنا أترك عيني تتجولان على وجهها، متأملاً كل نمشة خافتة وتلك الأهداب الداكنة التي توطر عينيها الزرقاوين.

ثم انزلت هاتان العينان المحيطيتان عن عيني حين استدارت عائدة نحو الهدف، ملتقطة سهماً آخر. لكنها لم تحاول قط الإفلات من قبضتي. إنها عنيدة للغاية. إن تحركت الآن، فهي تعلم أن ذلك لن يثبت سوى مدى تشبثي الحقيقي لها.

لذا، جهزت السهم التالي وتنفست بينما هبّ النسيم بخصلة من شعرها الفضي نحو وجهها. مددت يدي وبرفق وببطء، دسستها خلف أذنها وأنا أهمس فيها:

- «لماذا تسددين بيدك اليسرى؟»

كان سؤالاً عشوائياً، استُخدم للتشتيت ولإشباع فضولي في آن واحد. أخذت نفساً عميقاً قبل أن تجيب:

- «هل ستصدقني إن قلت إن السبب هو رغبتني في التساهل معك؟»
ضحكت وهزرت رأسي قبل أن أسند ذقني على كتفها.
- «كاذبة. أنت لن تتساهلي معي أبداً.»
أطلقت ضحكة مرتجفة وهي تقول:
- «أنت محق في ذلك. لقد علمني والدي الرماية بكلتا يدي، وبعد إصابتي في التصفية، فكرت أنه يجدر بي التدريب أكثر بيدي اليسرى.»
وبهذا، لم تتردد قبل أن تسحب الوتر وتطلق السهم، ليضرب مكاناً بعيداً خارج نقطة المنتصف بصوت خافت.
- تمتت من بين أسنان مطبقة، ولم تكلف نفسها عناء النظر إليّ وهي تلتقط سهماً آخر بغضب:
- «لا. تنبس. بكلمة.»
قلت ببراءة متصنعة:
- «لم أكن أنوي قول شيء.»
– «كاذب. أكاد أشعر بابتسامتك الخبيثة.»
- كانت شفطاي تلامسان صوان أذنها، وكنت، في الواقع، أبتسم بخبث:
- «لا يمكنني حيلة الأمر حين أكون محقاً.»
كانت لا تزال تعبت بالسهم بغضب، وصوتها خادع العذوبة وهي تقول:
- «حسناً، إن واصلت الابتسام بخبث هكذا، فسأستدير وأصوب هذا السهم نحو قلبك.»
- ابتسمت على صدق مشاعرها، واستمرت أصابعي برسم دوائر على بطنها. أخذت نفساً سطحياً آخر، وكانت على وشك سحب الوتر والإطلاق حين غمغمت:
- «أجل، حسناً، على الأقل ربما تتمكنين من إصابة قلبي، على عكس نقطة المنتصف –»

لم ألتفاجأ حين شعرت بوخزة قاسية من كوعها تنغرس في معدتي. سلب مني الهواء، لكن بمجرد أن استعدت أنفاسي، انفجرت ضاحكاً. تدمرت بيدن فجذبته أقرب إليّ، متخذاً من هذه اللعبة ذريعة لاحتضانها ولمسها.

استقر رأسها على صدري وهي تتفحص الهدف، وتتنفس بعمق. وكنت أفعل الشيء ذاته. كان صدري يعلو ويهبط، وملمسها ضدي يكاد يجعلني أعجز عن التنفس بشكل طبيعي. كنا نتلائم معاً بمثالية، بصورة صحيحة للغاية. بالكاد أستطيع التفكير، أو التنفس، أو التحرك حين تنزلق أصابعي على بشرتها، خصرها، جسدها.

ثم رفعت رأسها، ورفعت قوسها، وتركت السهم ينطلق. نقطة المنتصف. لكن بالكاد. انحنيت لأسند ذقني على كتفها مجدداً، معجباً بالسهم الذي وصل أخيراً إلى غايته.

– «لقد حان الوقت يا جراي.»

أطلقت ضحكة ساخرة، وابتعدت عني بينما سمحت لها بذلك على مضض.

– «دعنا نر إن كنت ستبلي بلاءً أفضل.»

تنهدت والتقطت سهماً، ووضعتته على قوسي. أطلقت بسرعة، فأصبت الحلقة الأقرب إلى نقطة المنتصف، لاعناً تحت أنفاسي. ثم التقطت آخر، مصمماً على جعل السهم يستقر حيث أريد.

لامس شيء ما ذراعي، همسة خفيفة على بشرتي.

أدرت رأسي بحدة نحو الجانب، فاصطدمت عينايا بعينين زرقاوين أسفلي. نظرت إليّ من بين أهدابها، وعيناها تحترقان في عينيّ، مفعمتان بالنار. كانت يدها تحوم فوق الجزء المكشوف من ذراعي، تداعب دون أن تلمس.

سألت وأنا أعيد انتباهي نحو الهدف:

– «ما الذي تفعلينه يا جراي؟»

قالت ببطء، مطوّلة المقاطع:

– «أشتتك.»

لامست يدها ذراعي مجدداً، بخفة. بخفة شديدة.

ابتسمتُ:

– «يا عزيزتي، سيتعين عليك بذل جهد أفضل من هذا.»

ردت ببرود:

– «لا، لا أظن ذلك.»

تلاقت أطراف أصابعها ببشرتي. تركتها تنساب إلى أسفل ذراعي، متوقفة عند معصمي قبل أن تشق طريقها صعوداً مرة أخرى، ببطء قاتل. وجدت أصابعها طريقها تحت كم قميصي القطني، متسلقة أعلى فأعلى و... اختفت.

تلاشى لمسها، تاركاً إياي أتوق لتضع يديها عليّ –

وحينها أدركتُ الأمر.

لقد كانت محقة. لا تحتاج لفعل المزيد لتشتيتي.

مجرد فكرة كونها قريبة جداً وتكاد تلمسني جعلت رأسي يدور. ذبتُ من الوعد الذي منحته لي أصابعها، وعد بالمزيد، وعد بشيء ما. لا شيء. لن تضع يديها عليّ. بل ستدفعني للجنون بإغرائي بلمسها، فقط لتسحبه، تاركة إياي أتوق للمزيد. تاركة إياي أرتجف برداً دون النار التي ترسمها أصابعها على بشرتي.

زفرتُ، ملاحظاً مدى ارتعاش هذا الفعل، ومدى ارتعاش جسدي. سحبْتُ وتر القوس بينما تتبع إصبع آخر مساراً تحت ساعدي، يلامس بشرتي.

استقر سهمي على بُعد حلقتين كاملتين من المركز، لكن عقلي كان في مكان آخر، منشغلاً بتلك اللمسات الوهمية التي تشق طريقها صعوداً وهبوطاً على ذراعي. لا أتذكر أنني التقطتُ سهماً آخر، لكنه كان مجهزاً على قوسي حين نظرتُ لأسفل.

ببطء، وببطء قاتل، تركت أصابعها تنزلق على بشرتي، بثقل أكبر من ذي قبل. لم تجعلني لمسة واحدة قط أشعر وكأنني أشتعل هكذا. وكانت تعلم تمامًا ما تفعله. تعلم أن مجرد الشعور بالخافت بها سيدفعني للجنون بطريقة لا أستطيع تفسيرها، بطريقة لم أعدها من قبل.

كان صوتي عميقاً، يائساً:

– «أنت قاسية جداً، هل تعلمين ذلك؟»

قالت بنعومة، مؤكدة كلماتها بإصبع واحد يرسم مساراً صعوداً على ساعدي:

– «لكنني بالكاد لمستك،»

– «بالضبط.»

ربما فعلت ذلك عن قصد. ربما اخترت تشتيتها لأنني كنت أعلم أنها أعند من ألا تفعل الشيء ذاته بي. ربما فعلت كل ذلك فقط لأنني أردت يديها عليّ أيضاً. لأنه كان عذراً لي لاحتضانها، ولها لاحتضاني. والآن بعد أن توقفت، أنا أتوق للمستها. أتوق إليها.

أطلقت السهم، ولم أكلف نفسي عناء الانتظار لرؤية أين استقر، بل ألقيت قوسي على الأرض، واستدردت، وقبضت على معصمها بدلاً من ذلك. جذبتها نحوي، محققاً في عينيها المذعورتين. انفرجت شفتاها، إما مفاجأة أو لأنها على وشك توبيخي، لست واثقاً.

قلت وأنا أتوقف، وأزدرد ريقِي، وأزفر ببطء:

– «لا تتلاعب بي هكذا.»

حدقت بي. انفتح فمها وانغلق مجدداً، آملة بوضوح أن تسعفها الكلمات. واصلت النظر إليها وأنا أوجه إحدى يديها إلى ذراعي، وأسقطت معصمها الآخر لأجذبها أقرب من خصرها. لامست كفها بشرتي، وبدأ الأمر وكأنني تذكرت كيف أتنفس من جديد. ضغطت بيدي فوق يدها، مثبتاً بشرتها بقوة ضد بشرتي. ابتسمت الآن وقد أصبحت تلمسني بالكامل أخيراً، بدلاً من استفزازي بأطراف أصابعها اللعوب.

لمسة واحدة منها، أو الحرمان منها، تكفي لدفعي نحو الجنون.

ما الذي فعلته بي؟

أبعدت يدي عن يدها، وتركت أصابعي تنزلق على ذراعها قبل أن أتركها تسقط بجانبني. لكنها لم تسقط يدها، بل أبقت كفها في مكانه. حددت في نقطة تلاقي بشرتها ببشرتي قبل أن يرتفع نظرها أخيرًا إلى وجهي. ابتسمت بخبث، لكن الابتسامة كانت واهنة كصوتها:

– «لم أدرك أن لمسة واحدة يمكن أن تؤثر بك إلى هذا الحد.»

– «ولا أنا.»

فرت عيناها من عيني، وبدأت خجولة تقريبًا وهي تترك يدها تتتبع مسارًا للأسفل على ذراعي قبل أن تسقطها تمامًا. ثم لوت عنقها لتنظر حولي نحو الهدف خلفي.

ابتسمت لما رآته وقالت:

– «لقد خسرت يا أزر.»



الفصل 36

بيدن

قال كيت:

– «ركزي يا بيدن. اهدئي وركزي وحسب. يمكنكِ فعل هذا.»
أومأت برأسي استجابة لكلماته المطمئنة، وأغمضتُ عينيّ قبل أن آخذ
نفساً عميقاً. وبعد لحظة، استرقتُ النظر إليه وأومأتُ مجدداً.
– «حسناً. أنا مستعدة.»

زفر كيت تنهيدة درامية، وعيناه تفيضان بالمرح. ثم قال ببطء:
– «ثلاثة...»

ابتسمتُ له نظرة بنظرة.

– «اثنان...»

أملتُ رأسي لأعلى.

– «واحد.»

في لمح البصر، ألقى بشيء في الهواء. فتحتُ فمي بترقب، مستعدة لتذوق
حلاوة الشوكولاتة، لكنها سقطت على أنفي قبل أن ترتد لتستقر على الأرض.



تردد صدى ضحكات كيت في أرجاء المطبخ المزدحم، ولمحتُ الخدم يبتسمون على هذا الصوت المألوف. رفع يده تجاهي حين هممتُ بالحديث، لحاجته الواضحة إلى لحظة لاستجماع نفسه قبل أن ينظر إليّ. لكنه حين استقام أخيراً والتقى بنظري، عاد يضحك من جديد.

غمغمتُ عاجزة عن منع ابتسامتي من الاتساع:

– «حسناً، إن التآزر الحركي لدي عندما يتعلق الأمر بالتقاط الطعام بفمي ليس ... عظيماً.»

مسح كيت يده في شعره الأشعث وهو لا يزال يغص بالضحك:

– «ليس عظيماً؟ قل لي هذا لـ جايل التي أهدرت نصف قطع الشوكولاتة الخاصة بها عليك.»

عقدتُ ذراعيّ بتحدٍ:

– «حسناً، أنت لم تلتقط كل قطعة شوكولاتة أيضاً يا صاحب الجلالة.»

انحنى كيت مقترباً ورمقني بابتسامة:

– «صحيح. لكنني على الأقل أكلت الدليل. أما أنتِ، (انزلت نظراته إلى الأرض المتناثرة عليها الحلوى) فلم تفعلي.»

أطلقتُ ضحكة ساخرة، ونزلتُ إلى الأرض، وبدأتُ أجمع حبات الشوكولاتة الصغيرة في كفي المجوف. فجأة، هبط كيت وجلس القرفصاء أمامي، يساعدي في وضعها في راحة يدي المنتظرة. حدقتُ فيه للحظة، لا أزال مندهشة من كل إظهار للطف أو ابتسامة متبادلة. لكن مع كل هذا الوقت الذي صرت أقضيه معه مؤخراً، باتت الاختلافات بين الملك وابنه تفاجئني أقل فأقل.

شراكة لم أقبل بها سوى لألفت انتباه الشعب، قد أزهرت الآن إلى صداقة غير متوقعة. ليس من الصعب أن أقضي معظم أيامي في التحدث وقضاء الوقت مع الملك المستقبلي من أجل العثور على النفق للمقاومة. لا شيء من هذا صعب، إلا أن الشعور بالذنب الذي ينهشني لفعلي ذلك هو الصعب. أجد

نفسى بأنانية أتمنى لو كان يشبه والده أكثر، لأن ذلك كان ليُجعل هذه الخيانة أسهل احتمالاً بكثير.

مرت خادمة صغيرة جميلة بالجوار، وشهقت عند رؤيتنا.

تنهد كيت وقال:

– «أعلم، أعلم. إنها مريعة في التقاط الأشياء بفمها.»

أسرعت الخادمة نحونا والقلق يكسو وجهها:

– «لا، لا يا صاحب السمو! أرجوك، لا تزعج نفسك! سأُنظف هذا على الفور!»

وقبل أن أتمكن من التحدث، هبطت بجواري وبدأت تلتقط حبات الشوكولاتة من كفي.

قال كيت وهو ينهض:

– «شكراً لك يا ليزا.»

مد يديه إليّ، فأمسكت بهما تاركة إياه يرفعني للوقوف.

ابتسمت ليزا لأُميرها:

– «بكل سرور يا صاحب السمو.»

بالطبع، إنه يعرف خدمه بأسمائهم.

كان العشرات منهم يهرولون من حولنا، يصطدمون ببعضهم البعض في عجلتهم للوصول إلى حيث يجب أن يكونوا، حين نادى علينا صوت جهوري.

– «كيت، أنا أحبك يا عزيزي، لكنني لا أعتقد أن مطبخي يتسع لشخص واحد آخر!»

لمحتُ جايل ترمقنا من الجانب الآخر للغرفة، مبتسمة لما تراه. ثم أشارت بيديها، تطردنا من الباب.

– «ولكن بما أنني أطردكما، فسيتعين عليكما العودة لزيارتي قريباً.»

ضحك كيت ووضع يداً رقيقة على ظهري، ولم أجفل من لمستته. وجهني نحو الباب وهو ينادي:

– «أوه، لا يمكنك إبعادي يا جايل.»

كانت الردهة تغص بالخدم، جميعهم مشغولون ويهرولون استعداداً للحفل الراقص القادم غداً ليلاً – تذكير بالوقت المتضائل المتبقي لي للعثور على النفق الذي يؤدي إلى المقصورة.

لقد أمضيت يوماً بعد يوم مع كيت، أكسب ثقته بينما أحيك خطة للحصول على المعلومات التي أحتاجها.

كدتُ أصطدم بخادم، أو بالأحرى، كاد هو أن يصطدم بي. صرخ الفتى النحيل باعتذاراته قبل أن يفرع هارباً إلى أي جهة يقصدها.

توقيت مثالي. حان وقت المحاولة.

التفتُ نحو كيت وافتعلتُ ضحكة:

– «ألا تحتاج أحياناً إلى استراحة من فوضى القلعة؟»

حتى وأنا أقولها، كنت أعرف الإجابة سلفاً. لقد اعترف لي تقريباً بشعوره بالاحتجاز في القصر، وفي منصبه، عندما كنا محتجزين معاً في الغرفة الآمنة. ومع ذلك، ها أنا ذا أستخدم تلك المعلومات التي ائتمني عليها ضده.

نظر إليّ، وبدت عيناه تبحثان في عينيّ بمسحة من الحزن:

– «ليس لديك أدنى فكرة.»

ألقيتُ بيديّ في الهواء بياس مصطنع:

– «إذن، لم لا تفعل؟ يمكنك زيارة «حي النشأين» ليوم واحد. صحيح أن

هناك فوضى تعادل تلك التي في القلعة، لكن... إنها نوع مختلف من الفوضى.

ستندمج معهم. دع الفوضى تغمرك حتى تصبح شعوراً مألوفاً. حتى تصبح

جزءاً منها، تبتلعك تماماً.»

هيا. قل أجل.

كان كيت يحدق بي وكأنه لا يصدق ما يراه. ارتسمت ابتسامة بطيئة على شفثيه، وعيناه الخضراوان تمسحان وجهي وكأنه يخشى أن أتوقف عن النظر إليه مجدداً.

سألت بقلق طفيف:

– «ماذا؟»

رمش بعينه وهز رأسه قليلاً محاولاً تصفية ذهنه:

– «لا شيء. الأمر فقط... طريقتك في الحديث عن الغنائم.»

أشاح بنظره متمماً بشيء بدا مثل: «بحق الجحيم، فقط طريقتك في الحديث.»

لم أتوقف عند الأمر طويلاً وسألته ببطء:

– «إذن... هل هذا يعني أجل؟»

تلاشت ابتسامته وقال:

– «أتمنى لو أستطيع رؤية الغنائم. حقاً. لم أزرها منذ أن كنت صبيّاً. منذ ما قبل أن أصبح...»

– «محتجراً هنا؟» أكملت نيابة عنه بصوت خافت.

لم أدرك أننا توقفنا عن المشي حتى سحبني كيت من منتصف الردهة، منقذاً إيانا من أن يدهسنا الخدم المسرعون.

قال بابتسامة صغيرة:

– «بالضبط. أنت من القلائل الذين يفهمون ذلك.»

أومأت ببطء وابتسمت قليلاً:

– «كيت، أنا على وشك توبيخك، حسناً؟»

ضحك على ذلك:

– «لم أكن لأتوقع منك أقل من ذلك. تفضلي.»

تنهدت وقلت:

– «بصفتك الملك المستقبلي، يجدر بك أن ترى شعبك. أن ترى كيف يعيشون في العشوائيات. أن ترى كيف ينجون.»
قال بصوت أجوف:

– «أعلم.»

– «فما الذي يمنعك إذن؟»

أطلق ضحكة خالية من المرح، وفرك مؤخرة عنقه وهو يقول ببساطة:

– «الملك الحالي. أنا لا أغادر القلعة أبداً إلا في حالات الضرورة القصوى، ورؤية شعبي لا تعتبر كذلك في نظره. أنا وريث العرش ولن يخاطر بي بمغادرة القصر، ناهيك عن المساعدة كما حاولتُ أن أفعل حين هاجمت المقاومة الحفل الراقص.»

حاولت ألا أتصلب عند جهله، وعند فكرة أن المقاومة هي من هاجم الحفل الراقص. لكن من الأفضل ألا أوبخ الأمير على أمور لا ينبغي لي معرفة شيء عنها.

سألت بحذر:

– «وهل تتفق معه؟»

– «أنا أفهمه. وأحترمه –»

– «ولن تتوقف أبداً عن محاولة إثبات نفسك له، لذا ستفعل ما يأمرك به. أعلم.»

كان هناك مسحة مرارة في نبرتي حاولتُ بسرعة إخفاءها.

– «إذن لليلة واحدة فقط يا كيت. اذهب لرؤية شعبك. لترى كيف كانت حياتي في العشوائيات. لا تحتجز نفسك هنا.»
أسند كيت رأسه إلى الجدار وضحك:

– «لا يمكنني المغادرة هكذا ببساطة يا بيدن. الحراس في كل مكان وليس لدي التصريح لأمشي خارجاً بكل بساطة.»
وهذا بالضبط ما كنت آمل أن يقوله.

مع ذلك، رمقته بنظرة فاترة:

– «لكنك الأمير.»

– «أجل، حسنًا، أحيانًا أكون أميرًا باللقب فقط، لا بالامتيازات. لا يمكنني مجرد الخروج من الباب الأمامي.»

– «إذن، اخرج من باب آخر.»

خطوت خطوة أقرب، ملوحة بيديّ قبل أن أتركهما تصفعان جانبيّ، متظاهرة باللامبالاة:

– «لا يمكنك إقناعي بأنه لا توجد طريقة ما للخروج من هنا لا يعرفها أحد؟ نوع من الأبواب غير المحروسة؟»

بدا صوتي عفويًا تمامًا، بل وحتى فضوليًا.

هيا. ثق بي. أخبرني.

إن تمكنتُ من جعله يتحدث عن الأنفاق، وجعله يصطحبني عبرها، فهناك فرصة أن يخبرني عن النفق الذي أحتاج للعثور عليه. سأتصرف وكأنني فضولية، وأطرح أسئلة عن الأنفاق الأخرى لأتلم عن نفق محدد بعينه. لم تكن خطتي الأكثر إحكامًا، لكنها بداية.

تفحصني بنظرة ذكّرتني بشكل مبهم ب كاي. طردتُ الأفكار عن الشقيق الآخر، مفضلة التركيز على الشقيق الذي يقف أمامي. الشقيق الذي يسهل التواجد معه، ويسهل التحدث إليه –

يسهل خداعه، وخيانتته، واستغلاله –

– «أوه، أجل. هناك الكثير من الطرق التي تتيح لي الخروج من القلعة دون أن يلاحظني أحد،» قال كيت بابتسامة، قاطعًا حبل أفكار الصارخة.

كان قلبي يقرع، وصوتي خافتًا حين قلت:

– «سأخذك. الليلة واحدة. ستري «حي النشالين» وشعبك. كيف تبدو

حياتهم، وكيف هم...»

كان يحدق بي باهتمام بالغ لدرجة أنني توقفت للحظة، تبتلعني تينك العينان الزمرديتان اللتان لم أجرؤ على النظر إليهما قبل أيام قليلة.

– «الملك الذي لا يعرف شعبه لا يمكنه أن يكون ملكاً لشعبه.»

رغم صدق كلماتي، فقد خلفت طعمًا مريزًا في فمي بسبب الدافع وراء نطقي بها.

لا يتطلب الأمر سوى بذرة واحدة من الشك، ذرة واحدة من عدم اليقين لتتفاقم وتنمو.

وأنا للتو قد زرعتها.

منحته ابتسامة مطمئنة وكأنني لا أكذب بكل وقاحة.

ثق بي.

قال وهو يدرسني:

– «ربما.»

قاومت الرغبة في محاولة إقناعه أكثر، حذرة من أن أبدو يائسة أو أثير الشبهات.

– «سأفكر في عرضك.»

– «كيت.»

وقف شعر مؤخرة عنقي عند سماع ذلك الصوت. ذلك الصوت البارد والقاسي. استدرت ببطء لأرى الملك في نهاية الردهة، يشق طريقه نحونا. انحنيت له انحناءة بسيطة، وعضضت لساني وأنا أمنحه ابتسامة صغيرة.

– «كيت، أحتاجك في المكتب لإنهاء مناقشتنا مع المستشارين.»

مسحت عيناه جسدي، وارتأت أخيرًا أنني أستحق النظر إليّ. كانتا بنفس خضار عيني كيت الساطع، ومع ذلك، لا يمكن أن تكونا أكثر اختلافًا، أكثر... برودة. كدت أرتجف، متذكرة السبب الذي جعلني بالكاد أستطيع النظر في عيني ابنه.

انتقلت نظرة الملك إلى كيت قبل أن يقول:

– «الآن.»

رغم أنه لم يبدُ مبتهجًا، أجاب كيت باقتضاب:

– «بالطبع يا أبي.»

وقف بجانب الملك، مستعدًا للسير معه عائداً إلى المكتب.

– «اسبقني يا بني. سألحق بك إلى هناك.»

لم تترك نبرته الصارمة مجالاً للجدال، فأوماً كيت ببطء استجابةً قبل أن يرمقني بابتسامة صغيرة ويستدير مبتعداً.

بالكاد أستطيع تحمل النظر إليه، لكنني أجبرت عيني على لقاء عيني قاتل والدي. كان ينظر إليّ وكأنني حثالة كسرتها من أسفل حذائه اللامع. لم أستطع تحمل ذلك، لكنني أجبرت نفسي على السكون بدلاً من التملل تحت تفحصه. لذا منحته ابتسامة مشرقة بينما كنت أتساءل إن كان يبدو وكأنني أكثر عن أنيابي.

– «يا صاحب الجلالة.» قلتُ مودعة قبل أن أتحرك لتجاوزه، هرباً من هذا الرجل ومن أفكار الغاضبة والانتقامية.

طقق حذاؤه على الأرضية الحجرية حين خطا ليقطع عليّ طريقي. توقفتُ، رافعةً بصري نحو بنيته الضخمة. كان يتمتع بصحة ممتازة بالنسبة لعمره؛ مما يفسر بوضوح من أين ورث ابناه تلك البنية القوية والملامح الوسيمة. فرغم الشبه المذهل بين كيت ووالده، كان جلّ تركيزي منصباً على قدرة الملك التي تنتمي لفئة الأقوياء (براووني)، والتي تذكرني دائماً بأنه قادر على تحطيم عنقي بمنتهى السهولة.

قال، ولم تبدُ عليه ذرة من السعادة لسلامتي:

– «الآنسة جراي، من الجيد رؤيتك تخرجين من التصفية الأولى سالمة تقريباً.»

تابع قائلاً:

– «أو بالأحرى، بفضل ابني.»

بوسعي فقط تخيل رد فعل الملك حين شاهد لقطات كاي معي في
التصفية. أعلم يقيناً أنه مقت ذلك. مقت فكرة أن ابنه قد مدّ يد العون لي؛ أنا
التي لا أمثل شيئاً، مجرد فتاة مجردة من القوى، وحثالة من العشوائيات.
مجرد واحدة من العاديين.

قلتُ ببرود، وأنا أجهل تمامًا إلى أين يتجه هذا الحديث:
- «أجل، أنا ممتنة لأن كاي كان شريكي.»
همهم الملك وهو يرمقني من علٍ، وقد ضاقت عيناه:
- «همم.»

وقبل أن ينبس بكلمة أخرى، أضفتُ:
- «وأنا أتطلع بشدة للتصفية التالية. وللتّي تليها أيضاً.»
محض أكاذيب.

أردتُ وحسب أن أرى تعابير وجهه حين أتحدث بثقة تامة عن صمودي
ونجاتي طوال هذه المدة. أتبعْتُ كلماتي بابتسامة زائفة، متأهبة لتركه وترك
هذه المحادثة بأسرها خلفي، حين قال:

- «دعيني أكون صريحاً معك يا بيدن. لن تفوزي بهذا.»
تصلب جسدي، وقلت:

- «عفوًا؟»

قال بإصرار:

- «أعلم أن هذا هو مبتغاك. أن تفوزي بـ تصفيات التطهير لتحظي بحياة
أفضل لك ولصديقتك الخياطة.»

أطلق ضحكة مريرة لازعة، وتابع قائلاً:

- «بالمناسبة، يجدر بي تهنئتك على تلك الحيلة الصغيرة التي افتعلتها
بفستانك في الحفل الراقص. لقد نلتِ مرادك بالتأكيد؛ وهو تذكير العوام بـ
المنقذة الفضية.»

أشحتُ بنظري، عاجزة عن الاستمرار في التحديق بوجهه، بينما تابع وهو يلوح بيده باستخفاف:

– «أخبريني، هل اطلعتِ على الاستطلاعات؟»

لقد اطلعتُ عليها بالفعل. فبعد يوم واحد من عرض التصفية الأولى، جُمعت درجات المتسابقين مع أصوات الجماهير وحُسبت النتائج. كانت تصنيفات الخصوم السبعة المتبقين تملأ الأرجاء، معروضة على اللافتات والمنشورات الموزعة في كل شبر من المدينة. تربع كاي على القمة، تلاه آيس، ثم آندي التي لاحقته عن كثب في المركز الثالث. وبذلك، تعادلتُ أنا وبلير في المركز الرابع، بينما تذيّل براكستون وجاكس القائمة بتعادلهما في المركز الأخير.

يبدو أن مملكة إيليا لا تدري حقاً كيف تتعامل معي. فالقابعون في العشوائيات يصوتون على الأرجح لمنقذتهم الفضية، بينما يصطف القاطنون خارجها ضدي، آملين في رؤية حثالة العشوائيات تلفظ أنفاسها الأخيرة في مشهد يُمتعهم. وإن كنتُ أحصد أي أصوات من خارج أسوار العشوائيات، فلا شك أن ذلك نابع من كونهم يجدونني مثيرة للتسلية وحسب.

أجبتُ من بين أسناني المطبقة:

– «أجل. لقد اطلعتُ على الاستطلاعات.»

قال بصرامة:

– «جيد. أستبعد تمامًا أن يرتفع تصنيفك أكثر من ذلك، لذا فإن جُلّ ما يقلقني الآن هو تدخلك في شؤون ابني. هما ليسا بحاجة لمن يجرّهما إلى القاع، أو أسوأ من ذلك، من يبسط تأثيره عليهما.»

حدقتُ في صدر الملك، أراقبه وهو يسوي أطراف أكمام سترته، بينما استطرّد:

– «لا أظنني بحاجة لتذكيرك بمكانتك الحقيقية، لذا ابقِ بعيداً عن طريقهما، ولن نواجه أي مشاكل. هل هذا مفهوم؟»

لم يراودني إغراء قط أقوى من ذلك الخنجر المدسوس في حذائي؛ لقد عذبني خيالي بفكرة غرس نصله في صدره تمامًا كما فعل بوالدي. لكنه في ذلك اليوم المشؤوم لم يكتفِ بقتل مَنْ تبقى لي من عائلتي، بل سلبني جزءاً من روحي معه.

ولأجل ذلك، لم أمقت أحداً في حياتي بكل هذا الغل الكامن في أعماقي. كورتُ قبضتي بقوة إلى جانبي حتى غاصت أظافري في راحتي. لكنني روضتُ ملامحي لترسم عليها تعابير الخضوع والرقّة، وقلت:

– «مفهوم، يا صاحب الجلالة.»

إن لم أكن أرغب في الفوز من قبل، فأنا بكل تأكيد أستميت لأجله الآن. قال باقتضاب:

– «جيد. إذن، يجدر بنا أن نشكر الطاعون على بقائك حية وبكامل عافيتك، أليس كذلك؟»

كان هناك تحدٍ مبطن يتردد في نبرته، ويومض في عينيه. بادلته الابتسامة ذاتها، رغم أنني كنتُ أبتلع كبريائي معها.

لم يسبق لي أن تفوهت بتلك العبارة الدنيئة، وأقسمتُ ألا أفعل ذلك أبداً. ومع ذلك، ها أنا ذا أفتح فمي لأدع الكلمات تنساب وكأنها ليست دخيلة على لساني، وكأنها لا تخلف وراءها مرارة لا تُطاق في حلقي.

قلت:

– «أجل، نشكر الطاعون فعلاً.»



قالت إلي:

– «اثبتي مكانك وإلا سأفقأ عينك.»

تذمرتُ في حين اكتفت هي بالابتسام. كانت لا تزال تمرر الفرشاة على أهدابي رغم اقترابها المرعب من إصابتي بالعمى خطأً في عدة مناسبات. كانت تهوى إلقاء اللوم على تمللي، بينما كنت أقيه على يديها المرتجفتين. هتفت أدينا خلفي، وهي تفيض حماساً ويدها تقبضان على أربطة فستاني:

– «حسناً، حان وقت كتم الأنفاس!»

سمحت لي بالتقاط نفس أخير قبل أن تجذب الأربطة بقوة، معتصرةً الهواء من قفصي الصدري المنسحق. انهمكت في شد الأربطة، لتُحكم تضيق الصدرية ببطء بغية ضم جزأي الظهر المفتوح إلى بعضهما.

قبضتُ على حافة الكرسي أمامي، ولهتُ قائلة:

– «شدة أخرى يا أدينا، وأظن أن أحد ضلوعي سيثقب رئتي.»

أشك في أن أدينا كانت قادرة على سماعي أصلاً وسط صيحات انبهارها، إذ صاحت:

– «بيدن، إنه مثالي! بصراحة، كنت قلقة بعض الشيء بشأن الحاشية، لكن انظري إليها! إنها تنسدل بانسيابية تامة، و... أوه، القصة لا تُصدق!»
توقفت لبرهة، زافرة تنهيدة حاملة، وتابعت:

– «آه، انس كل هذا. فقط انظري إلى نفسك!»

أمسكت يدها بذراعيّ لتديرني نحو المرأة، ووجهها المتهلل يطل من فوق كتفي. رمشتُ، فبادلتني الفتاة في المرأة الرمشة ذاتها.

كان الفستان الفضّي الذي ارتديته في الحفل الراقص الأول فاتناً وجذاباً، في حين كان هذا الفستان آيةً في الجمال الصافي الذي يخطف الأنفاس. غلفني قماش أحمر قاني اللون، منسدلاً ليتجمع حول قدمي على الأرض. كان نسيجه براقاً وبلا أكمام، وبدلاً من الانحناء الدائري التقليدي لقصة الصدر العلوية، انتهت الحواف بزوايا مدببة تنطق بالأناقة. عانق جسدي بإحكام، حابساً خصري بفضل الأربطة الملتفة في الخلف، والتي عُقدت الآن في أنشودة متقنة، تاركةً مساحات من بشرتي تطل من بين ثنايا القماش الذي يللمم شتات

الفيستان. أما التنورة فكانت منفوشة، وتخفي بين طياتها شقاً جانبياً طويلاً يمتد على طول ساقى اليمينى، حيث يستقر خنجر والدي في عرض سافر ليراه الجميع ويصعقوا من جرأته.

همستُ وأنا أتأمل القماش الذي يحتضن قوامى:
- «أدينا، لقد عشقته...»

تلاشت كلماتى حين التقت عيناى بتينك العينين العسليتين المشتعلتين بالحماس فى المرأة، فاستدرتُ لأواجه أقرب صديقاتى، وقلت:
- «أنا أحبك يا أدينا.»

تهلل وجهها وأشرقت ابتسامتها وهى ترد:
- «وأنا أحبك يا بيدن.»

ثم تلبست ابتسامتها مسحة من المكر، وأضافت:

- «وسوف يعشك الجميع فى هذا الفيستان. خاصة أمير بعينه...»
لم يكن من العسير استنتاج أنها تلمح إلى كاي. رمقتها بنظرة محذرة، إذ لم تكن لى أى رغبة فى الخوض فى هذا الموضوع بالذات، وقلت:
- «أدينا...»

سألت ببراءة مصطنعة مبالغ فيها:

- «ماذا؟ فى حال خانتك الذاكرة، فقد شاهدتُ أبرز لقطات التصفيات. لقد رأيتُ ما جرى بينكما.»

رفعت حاجباً واحداً فى خبث، وتابعت:

- «وكنْتُ أنتظر أن تأتى لتفتحي لى قلبك وتحدثي معى عن الأمر.»
قلت متهربة:

- «حسناً، ليس ثمة ما يُقال.»

رمقتنى بنظرة خالية من الاقتناع، مما أجبرنى على الاستطراد:

- «حسناً، أنا حتى لا أعرف ماذا أقول. إنه شديد الإرباك، وآسر حد الهلاك، وأنا أفشل فشلاً ذريعاً في إبقاء مسافة بيننا.»

قالت بهدوء:

- «صحيح. لأنك... أنت.»

تنهدت مضيئة:

- «وهو... هو.»

لأنني مجرد واحدة من العاديين، وهو المنفذ المستقبلي.

زفرت أدينا بأنفاس مسرحية، وقالت:

- «حسناً، لا ألومك على عجزك عن الابتعاد عنه. أعني، انظري إلى

وسامته.»

أقلبت عيني ضاحكة رغماً عني. وفي محاولة بائسة للتهرب من هذا الحديث، رحت أتأمل في المرأة التحفة الفنية التي صنعتها الفتيات مني. جُمع شعري في جديلة معقدة تنسدل على ظهري، وتناغم ذلك مع مكياج داكن أضفى ظلالاً ساحرة حول عيني، بينما تأنقت شفّتي بطبقة من الملمع البراق.

صانعات معجزات بحق. هذا ما هنّ عليه.

كنا نتبادل الأحاديث والضحكات حين قاطعنا طرق حاد على الباب.

أطلق ليني تصفيرة إعجاب بمجرد أن رأني، وقال:

- «انظري إلى هذا الجمال. أنتِ تبدين كأميرة حقيقية، أيتها الأميرة.»



الفصل 37

بيكان

تمتم ليني قائلاً:

– «إن لُدغت، فسألقي باللوم عليكِ.»

قادني عبر الحقائق، متجاوزين العشرات من الضيوف المحدثين بذهول،
وتابع:

– «فستانك لا يجذب الكثير من الانتباه فحسب، بل يجذب أسراباً من
النحل أيضاً.»

حاولتُ كتم ضحكة فلتت مني وأنا أطالع ثوبي الذي يضاهي بلونه الورود
القانية التي تحف الممر الحجري الذي نسلكه. كان الضيوف يمشون في
أرجاء الحقائق، شاقين طريقهم نحو البقعة العشبية الفسيحة المزينة خلف
النافورة؛ تلك التي رششتُ فيها وجه ملكهم المستقبلي بالماء قبل بضعة أيام
خلت.

ولأن التصفيات لم تكن الشيء الوحيد المختلف هذا العام، فقد أُقيم
الحفل الراقص الثاني في الحقائق، حيث تراقصت أشعة شمس الغروب على
كؤوس الشراب، لتكسو كل شيء بوهج ذهبي خافت. جِداً عن الممر لنطاً
حافة العشب الوثير الممتد، وتأملنا طاولات الحلوى وأكاليل الزهور المهيبة



المتدلية من الأشجار الوارفة المحيطة بالمكان. وتواري العازفون تحت شجرة صفصاف متدلية، نصف مخفيين خلف ستارة من الأوراق المتهادية وهم يعزفون لحناً مفعماً بالحياة. وفي قلب موقع الاحتفال، افترشت العشب سجاجيد منقوشة متداخلة، تباينت أحجامها وتصاميمها لتشكل حلبة رقص زاهية الألوان، حيث كانت عدة أزواج تدور عليها بالفعل.

أطلق ليني تنهيدة مسرحية، وقال:

– «حسناً، لسوء حظك، لستُ رفيقك لهذه الليلة. لذا، هنا يتحتم عليّ توديعك.»

زفرتُ ضحكة، وقلت:

– «كيف لي أن أمضي هذه الليلة بدونك؟»

انحنى انحناءة ساخرة، وأجاب:

– «أعلم ذلك. كوني شجاعة أيتها الأميرة. اذهبي الآن وابحثي عن أميرك.»

ثم اعتدل في وقفته، وغمز بعينه، ومضى مبتعداً في عمق الحقائق.

هزرتُ رأسي وأنا أرمق طيفه المبتعد، قبل أن ألتقط أنفاسي وأتوغل أكثر في قاعة الرقص المفتوحة لهذه الليلة. مسحتُ بنظري دوامة الأجساد الراقصة، محاولة العثور على كيت من بينها.

– «من حسن الحظ أنكِ ترتدين هذا الفستان، وإلا لما عثرتُ عليكِ أبداً.»

انتفضتُ إثر سماع صوت كيت خلفي، واستدردتُ لأواجهه بينما حفت تنانيري بساقي. ابتسم وهز رأسه، متأملاً إياي من قمة رأسي حتى أخصص قدمي، وقال:

– «رغم أنني أشك في قدرتكِ على التواري عن الأنظار، حتى وإن ارتديت اللون الأخضر.»

ازدردتُ ريقي، حائرة فيما يجدر بي قوله ردّاً على ذلك، قبل أن أكتفي بالهمس الرقيق:

– «شكرًا لك.»

مدّ يده إليّ قائلاً:

– «أترقصين معي؟»

وضعتُ كفي في كفه وأومأتُ، قبل أن يجرفني نحو حلبة الرقص. شعرتُ وكأنني أرقص مع فتى يختلف تمامًا عن ذاك الذي راقصته في الحفل السابق. بيد أن الشيء الوحيد الذي تبدل حقًا هو نظرتي إليه. تجاذبنا أطراف الحديث بأريحية ونحن نرقص، وكان من المريح أن أتمكن من النظر في عينيه، وألا أجفل من لمستته.

سأل كيت بفضول حين شارف اللحن على الانتهاء:

– «هل قال لك والدي شيئًا بالأمس؟ بعد انصرافي؟»

فتحتُ فمي، متأهبةً لنسج كذبة، حين قاطعني صوت بارد:

– «أتسمحان لي بالمقاطعة؟»

أخذتُ نفسًا عميقًا مشبعًا بالانزعاج، قبل أن أدير رأسي نحو بلير التي كانت تنتظر لا ختطاف شريكي. زينت ابتسامتها المتكلفة بفستان أخضر داكن مزركش بخرز متقن يعانق تفاصيل جسدها.

كانت النظرة التي رمقني بها كيت هزلية بحتة. كتمتُ ضحكة بصعوبة بينما اخترقت عيناه عينيّ، تتوسلان إليّ ألا أتركه. رمقته بابتسامة صغيرة، راجيةً أن يلمح الاعتذار في عينيّ، وقلت:

– «بالطبع. إنه لك.»

هز رأسه لي، مثبتًا نظراته عليّ وأنا أنسل من بين ذراعيه، لتحل بلير مكاني في لمح البصر. أضفتُ وأنا عاجزة عن إخفاء ابتسامتي:

– «استمتعا بوقتكما.»

رمقني كيت بنظرة تتوعد بالانتقام، فكتمتُ ضحكة أخرى إثر رؤيتها. استدرتُ مبتعدة، ولا تزال الابتسامة تعلو ثغري-

لأصطدم بشيء صلب.

لا، بل بشخص صلب.

تناثر شيء مبلل على وجنتي بينما تراجعْتُ عن الجسد الذي ارتطمتُ به بحماقة. باغتتني رائحة النبيذ الممزوجة بعبق الصنوبر، فازدردتُ ريقِي، مدركةً تمامًا هوية الواقف أمامي حتى قبل أن أرفع وجهي لأطالع وجهه. ابتسم كاي، فبدا يجمع بين الخشونة والوسامة في آنٍ واحد تحت أشعة الشمس الأخيرة المودعة. كان شعره الفحمي أكثر فوضوية من المعتاد، بخصلاته المتموجة والمبعثرة التي تنسدل كيفما اتفقت. أما عيناه فكانتا رماديتين كلون غيمٍ مضيء، تلمعان بالتسلية. لم تكن بدلته وقميصه الأبيض الناصع أسفلها مجعدين قليلاً فحسب، بل تلطخا الآن جزئياً ببقعة حمراء قانية. ترنح النبيذ الأحمر في الكأس المقبوضة بيده، وحسنًا، لم يتبق منه الكثير، إذ استقر معظمه الآن على ملابسه بفضلي.

تعلقت عيناى بعينه حين انفجر ضاحكًا.

رمقنا عدة ضيوف من حولنا بنظرات حائرة إثر سماعهم لنوبة ضحكه غير المألوفة. وأنا على يقين تام بأن تعابير وجهي تطابقت مع تعابيرهم. كانت كتفاه تهتزان من الضحك، فتسمرتُ في مكاني حابسةً أنفاسي. كانت ابتسامته عريضة، جامحة، تكشف عن ثغرٍ ساحرٍ ترافقه غمازتان عميقتان.

ساورني القلق فجأة.

كان النبيذ يتقاطر من أطراف سترته، وبدا أنه أعجز من أن يتوقف عن الضحك طويلاً ليلحظ، أو حتى ليهتم، بأن خرقائي قد أتلّفت ثيابه. تنحنحتُ وأنا أرمق الضيوف الذين يرمقوننا، وقلت:

– «كاي، (تعالت قهقهة عميقة أخرى إثر سماعه لاسمه) ما رأيك أن نذهب لتنظيف ملابسك؟»

أمسكتُ بيده قبل أن تسنح له الفرصة للجدال أو للمزيد من الضحك، وقُدّتنا نحو الأشجار المحاذية، مدركةً تمامًا العيون التي تترصد كل حركة نأتي بها. اختطفتُ منديلاً من إحدى الطاولات الطويلة قبل أن أدفعنا أسفل

الفروع المتدلية لشجرة صفصاف ظليلة، لنحتمي من الضيوف المتعطشين للثرثرة.

استند كاي إلى الجذع الخشن، فرمقني بابتسامة خبيثة. رمقته بنظرة سريعة من قمته إلى أخمص قدميه، مقيمةً حجم الضرر الذي ألحقته بملابسه، إلى جانب تقييمي لسلوكه الغريب.

انحنى مقترباً مني، مقترباً جداً، يتفحصني بتمعن. تنفس الكلمات بطريقة أرسلت قشعريرة أسفل عمودي الفقري، وقال:

– «تعلمين، لم يكن لزاماً عليكِ سكب مشروبي عليّ بالكامل لتظفري بي بمفردنا. كان بوسعك ببساطة أن تطلبي مني الرقص.»

بادلتُ النظرات قبل أن يشرع بصره في الانزلاق بتكاسل على جسدي. كتمتُ أنفاسي، وأنا أكاد أتحسس المسار المشتعل الذي تخطه عيناه. ثم ببطء، ببطءٍ حسي وفاضح لا يُطاق، شق بصره طريقه عائداً ليلتقي بعينيّ. تابع قائلاً:

– «أو بالأحرى، كنتِ لتجبريني على القدوم إليكِ وأنتِ ترتدين هذا الفستان، عاجلاً أم آجلاً.»

ازدردتُ ريقي. مسحته بنظراتي، مستوعبةً الثياب المجعدة، والضحكات المدوية، والهذيان الغزلي – رغم أنني أفترض أن هذا الأخير ليس بالشيء الجديد.

تنهدتُ بالكلمات وأنا أهز رأسي له:

– «أنتِ ثمل.»

ابتسم لي بمكر مجدداً، غير أن ابتسامته كانت أشد جموحاً من تلك التي اعتدتُ عليها.

– «ربما قليلاً.»

أقلبتُ عينيّ، وكورتُ قطعة القماش التي تناولتها، ثم شرعتُ في فك زر سترته محاولةً تجفيف القميص أسفلها قدر استطاعتي.

– «هل تجرديني من ثيابي يا جراي؟»

دنا وجهه من وجهي مجدداً، ولامست أنفاسه وجنتي كدغدة خفيفة.

– «أعني، لا يسعني القول إنني لم أتوقع مجيء هذا اليوم.»

أضاف بهمسة ملؤها التسلية:

– «ألم تستطيعي مقاومتي يا عزيزتي؟»

رفعتُ بصري إليه حينها، مبرزةً ابتسامة تنضح بثقة لا أشعر بها في

قرارة نفسي. أطلقتُ شجرة سخرية وقلت:

– «أوه، أرجوك. الشيء الوحيد الذي أقاومه حين أكون بصحبتك هو

رغبتني في وضع خنجر على حنجرتك.»

تسمرت عيناه على عيني وهو يقول:

– «أعشق تهديداتك بقتلي، هل تعلمين ذلك؟»

– «أوه؟ ولماذا؟»

ارتجفت زاوية فمه صعوداً وهو يجيب:

– «لأنك في كل مرة تمتنعين فيها عن فعل ذلك، لا يثبت الأمر سوى أنك

لا ترغبين فيه حقاً.»

ثم نقر طرف أنفي بإصبعه، وقد علت وجهه ابتسامة رضا.

أبعدتُ يده بحدة مقرونة بزفرة غاضبة، متوترة ومحبطة، وأمقت حقيقة

أنه السبب في تبعثر مشاعري هذا. ركزتُ انتباهي على قميصه الملطخ،

والقماش الذي يلتصق الآن بالجسد المفتول أسفله.

بحق الطاعون، هذا المشهد لا يساعدي إطلاقاً.

شرعتُ أربّت على البقعة الحمراء، مجبرةً نفسي على التركيز في المهمة

الملقاة على عاتقي بدلاً من الفتى الواقف أمامي. حاولتُ تناسي أنه هو من

أساعده، وفي الوقت ذاته سعيْتُ لتذكر السبب الذي دفعني لمساعدته من

الأساس.

ثم أحاطت أصابع بدقني، فأنحبست أنفاسي إثرها.

رفع كاي رأسي لألتقي بنظراته، وأصابعه تتراقص على طول فكي. كان يتأملني وكأنه يطالع لوحة فنية؛ يتشرب كل تفصيل فيها، ينتشي بأصالتها، ويعتبرها تحفة إبداعية.

أمال رأسي جانباً، موجهاً وجنتي نحو الضوء.
يجدري بي أن أدفعه بعيداً.

مسح بإبهامه على خط فكي.
أنا لا أريد أن أدفعه بعيداً.

أطلق ضحكة خافتة، كان لها وقع سُكْرٍ لذيذ.

– «لطالما أنسى كم أنت موهوبة. لقد نجحت في سكب مشروبي على
كلينا.»

مرر إبهامه على وجنتي، ليمسح النبيذ الذي نسيته تماماً أنه تطاير على
وجهي.

قلت ببرود:

– «حسناً، ربما لو أبقيتَ عينيكَ على حلبة الرقص وأبعدتَ أنفكَ عن
كأسك، لما كنا في هذا الموقف الآن.»

قال بلامبالاة:

– «أوه، يا عزيزتي، كانت عيناك على حلبة الرقص بالفعل. كانتا ترقبانك
وأنتِ ترقصين مع أخي.»

ثم زفر ضحكة قصيرة، ولاوى عنقه ليهز رأسه نحو مظلة الأوراق فوقنا،
وتابع:

– «ولماذا تظنين أنني كنت أفرط في الشرب؟»

أخذ قلبي يقرع بجنون بين ضلوعي، وضد قماش فستاني الضيق، مهدداً
بالانفجار وتمزيق غرز أدينا المتقنة. عاد ينظر إليّ مجدداً، وهز كتفيه بتراخٍ،
وقال:

– «علاوة على ذلك، هذا (نظر إلى قميصه الملطخ) كان بالتأكيد صنيع
خطواتك الخرقاء.»

رمقته بنظرة حادة، مروضةً نفسي كي لا أبتسم.

– «أوه، أحقًا؟»

– «ششش.»

وجدت أصابعه طريقها مجددًا لأسفل ذقني وفكي، محتويةً وجهي بين
كفيه. هبطت عيناه الرماديتان نحو فمي بنظرة ثقيلة. ثم راح يمرر إبهامه على
طول شفتي السفلى.
نبذ.

تمكنتُ من تذوق طعمه الذي لا يزال يغلف إبهامه وهو يمسخ به على
فمي. تسمرتُ في مكاني بصدمة، كتمثال حجري، بينما تتبعت عيناه الأثر الذي
يخطه إصبعه، ببطء شديد، ذهابًا وإيابًا.
يجدر بي أن أدفعه بعيدًا.
لكنني لم أفعل.

عوضًا عن ذلك، راقبته وهو يراقبني. راقبتُ عينيه وهما تطوفان في
تفاصيل وجهي. راقبتُ صدره وهو يعلو ويهبط بأنفاس مهتزة. راقبتُ عضلة
تنبض في وجنته. وراقبتُ ابتسامة تختلج على شفتيه.
انسابت كلماته التالية كهمس، وكأنه يتمتم بأعمق أفكاره الدفينة بينما
استمر إبهامه في التيه على شفتي.

– «هل ستبقيين إلى الأبد الجائزة التي أسعى دونما هدى للفوز بها؟»

سحبتُ نفسًا حادًا، محدقةً فيه بتحدٍ وأنا أقول:

– «هل هذا كل ما أمثله لك؟ كأس نصر؟»

ارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتيه وهو يهز رأسه نافيًا، وقال:

– «أوه، يا عزيزتي، كأس النصر يعني أنني فزتُ به، وظفرتُ به عن

استحقاق، وأنني جديرٌ به.»

انحنى مقترباً أكثر، وانعكست في نظراته هالة من التوقير.

– «أما إن قُدر لي أن أحظى بك، فسيكون ذلك لأنك سمحت لي بذلك.»

ازدردت ريقى، وشعرتُ بفمي وقد جف تماماً بشكل مباغت.

هذا مجرد هذيان رجل ثمل، هذا كل ما في الأمر.

كان إبهامه يتتبع خطوط فمي، فسمحتُ لِنفسي بلحظة إضافية لأحفر هذا الشعور في ذاكرتي.

ومن ثم دفعته بعيداً.

استقرت إحدى راحتيّ على صدره، لتفرض مسافة فاصلة بيننا، بينما طوقت الأخرى معصمه. سحبتُ أصابعه بعيداً عن فمي، ولا تزال شفّتي ترتعدان من أثر لمسته. شعرتُ بالدوار، وكأنني قادرة على السكر من مجرد لمسته وحدها.

خطير.

أملتُ رأسي، ومنحته ابتسامة قائلة:

– «أنت لست في وعيك.»

وتابعت:

– «لذا، لا يُسمح لك بلمسي.»

قلدني مميلاً رأسه إلى الجانب، ونظر إلى حيث كنت أطوق معصمه، وقال:

– «ولكنك تلمسيني.»

– «أجل، حسناً، أنا بكامل وعيي.»

تلاعبت ابتسامة بشفتيه، وقال ونبرته أقرب إلى التحدي منها إلى السؤال:

– «إذن، هل تقصدين أنه يُسمح لي بلمسك حين أكون في كامل وعيي؟»

فكرتُ في الأمر ملياً، ثم ضحكتُ مجيبة:

– «لن أقول نعم إلا لأنني أشك في أنك ستتذكر الكثير من هذا الحديث في

الصباح.»

تنقلت نظراته بين فمي وعيني، ولوت شفتيه ابتسامة سُكر ماكرة.

– «أوه، يا عزيزتي، أشك أنني سأتمكن من نسيان هذا.»

هزرتُ رأسي له، دون أن أكرث بكبح ابتسامتي، قبل أن أتذكر أنني لا أزال قابضة على معصمه. أنزلته ببطء، تاركة إياه يسقط إلى جانبه، بينما لهيتُ نفسي بتفحص البقعة مجددًا.

تنهدتُ بقلة حيلة وقلت:

– «من الواضح أن هذه البقعة لن تزول بهذه الطريقة. سيتعين عليك خلع قميصك ونقعه.»

اتسعت ابتسامته بمكر شرير.

– «هل تحاولين تجريدي من ملابسي؟ مجددًا؟»

قالها بصوت عال جدًا، وأنا واثقة أن الكثير من الناس قد سمعوه. ثبتُّه ضد الشجرة، وأطبقتُ بيدي على فمه لمنع أي هراء آخر من التسرب منه. حاولتُ جاهدة ألا أضحك، لكنني فشلتُ فشلًا ذريعًا. زفرتُ ضحكة مكتومة وغطيتُ فمي بيدي الأخرى، أرتجف من ضحك بالكاد يكون صامتًا على مأزقي الحالي. حينها، شعرتُ بشفتي كاي تبتسمان ضد باطن يدي، فسحبتُ يدي بسرعة قبل أن أغير رأبي. غمغم قائلاً:

– «لا تتوقفي.»

كدتُ أغص بضحكتي.

– «أتوقف عن ماذا؟»

– «عن هذا. عن الضحك.»

تسمرتُ في مكاني إثر كلماته، وعجزتُ عن منع نفسي من السقوط في لجة الصمت.

رمقني بنظرة معاتبٍ وهو يقطب حاجبيه قليلًا، وقال:

– «أنتِ لا تصغين إليَّ أبدًا، أليس كذلك؟»

ومع تلك الكلمات، وجدتني أنتزع نحو حلبة الرقص المفروشة بالسجاد.
تلعثمتُ متسائلة:

– «ما الذي تفعله؟»

توقف فجأة عند حافة الأزواج الراقصين واستدار نحوي. خانتني الكلمات حين رفع ظهر يدي إلى شفتيه، طابعاً قبلة رقيقة على مفاصل أصابعي. ثم وجد فمه طريقه إلى باطن إبهامي، حيث ضغطت شفاته بخفة قبل أن تتلاشيا بسرعة جعلتني أتساءل عما إذا كنتُ أتوهم الأمر.
عقدت الصدمة لساني.
وبدا كاي مبتهجاً لذلك.

وما زال محتفظاً بيدي وابتسامته الواسعة، انحنى انحناءة اتسمت بثبات مدهش وهو يقول:

– «أسمحين لي بهذه الرقصة؟»

لم أحظَ بفرصة للرد قبل أن يجذبني من ذراعي، يسحبني نحوه وإلى قلب حلبة الرقص. وجدتني محاطة بذراعيه، ملتصقة به بقوة. وفجأة همس فمه بالقرب من أذني:

– «لم أكن أسأل حقاً.»

تراجعتُ قليلاً لأتمكن من النظر في وجهه، وقلت ساخرة:

– «ظننتك قلت إنك رجل نبيل؟»

– «فقط حينما يحلو لي ذلك.»

شردت عيناى نحو قميصه الملطخ بالبقع، والذي بدا جلياً لكل من حولنا.

– «كاي، قميصك. ربما يجدر بك أن تبدل-»

قاطعني بنفخة ضحك خفيفة:

– «يا عزيزتي، أنا معتاد على أن تُغطيني سوائل حمراء لزجة أخرى أسوأ

بكثير من النبيذ.»

صحيح.

حاولتُ طرد تلك الفكرة الدموية من رأسي وسمحتُ له بأن يراقصني عبر السجاد. كانت الشمس قد غابت، لترخي سدول الظلام على الضيوف من حولنا، وتتركهم تحت رحمة الأضواء المتراقصة للمصابيح. كان الأمر مألوفاً جداً - إحساسنا ببعضنا، وقع خطواتنا، الغزل المتبادل. مألوف. لكن ما أذهلني حقاً هو مدى ثبات كاي ويقينه في خطواته. وكيف يتمتع بتلك الفصاحة والطلاقة رغم سُكره. أفترض أن بعض الأقنعة تأبى أن تسقط أبداً.

ثم حدث ذلك أخيراً. تعثر كاي، ولو للحظة عابرة. زلة قدم خفيفة. ابتسمتُ بشماتة، غير مدركة لمدى رغبتني الدفينة في رؤيته يتعثر أثناء الرقص. أو أثناء أي شيء.

- «انظروا مَنْ يمتلك خطوات خرقاء الآن؟»

رمقني بنظرة باهتة وأجاب:

- «أجل، حسناً، غالباً ما يحدث هذا حين تكون ثملاً.»

- «قلت إنك ثمل قليلاً فقط، أتذكر؟»

- «حسناً. إذن يمكنك التماس بعض العذر لي.»

تفحصني بنظراته، وهو يهز رأسه إعجاباً بما يراه.

- «علاوة على ذلك، فستانك يشئت الانتباه بشدة. إنه يعجبني.»

أطلقت ضحكة مكتومة.

- «هذا عذر مريع.»

- «ذلك لأنني كنت أطريك، لا أخلق عذراً.»

- «إذن، لقد كان إطرأء مريعاً.»

رأيتُ وميض التحدي في عينيه قبل أن ألمسه في نبرة صوته.

- «إذن، لمَ لا تضربين لي مثلاً على إطرأء جيد يا جراي؟»

كان يجدر بي أن أتوقع ذلك. بالطبع سيخذ من هذا ذريعة لأكيل له
المديح أخيراً - لكنني لن أفعل.

قلت بفضاظة:

- «حسناً. يبدو شعرك... ناعماً جداً.»

ردد كاي متعجباً، مقاطعاً نفسه بسعلة لعلها كانت ضحكة:

- «ناعماً؟ أوه، هيا الآن، بوسعك أن تأتي بما هو أفضل من ذلك.»

انحنى مقترباً أكثر، بنبرة مستفزة وهو يضيف:

- «وإن رغبت في تمرير أصابعك بين خصلات شعري، فلن أمانع في-»

قاطعته قبل أن يغريني عرضه:

- «ابتسامتك.»

وتابعت:

- «أحب ابتسامتك الصادقة. حين لا تضع قناع المنفذ المستقبلي أو

الأمير، وتسمح لي ببساطة أن أرى حقيقتك. إنها ابتسامة أتمنى لو تشاركني
إياها في كثير من الأحيان.»

ازدردت ريقى ولذت بالصمت. لم يكن هذا على الإطلاق ما اعتزمتُ قوله

له، ومع ذلك، لم ينتقص هذا من صدق الكلمات قيد أنملة. عند رؤية تلك

الابتسامة، يسهل عليّ نسيان هويته وما يقترفه. عند رؤية تلك الابتسامة، أرى

فتى بدلاً من بيدق الملك القاتل. عند رؤية تلك الابتسامة، أرى شخصاً يفوق

الصديق مكانةً، بدلاً من شخص سيقتلني إن علم بحقيقة كينونتي.

وفجأة، باتت تلك الابتسامة تبدو في غاية الخطورة.

كانت كلمات كاي رقيقة، متقطعة الأنفاس بعض الشيء:

- «حتى مع غمازتي الغبيتين، لا تزالين تحبين ابتسامتي؟»

وجاءت إجابتي ممائلة في رقتها:

- «حتى مع غمازتيك الغبيتين يا أزر.»

ارتجفت شفتاه متخذةً شكلاً آخر من تلك الابتسامة التي لا يجدر بي السعي وراءها، وإن كانت أرق من كل ما رأيته من قبل. فتح فمه ليقول شيئاً، ولكن-

- «مالا كاي.»

انتقلت أنظارنا بحدة نحو الملكة التي كانت تقف الآن على بعد أقدام قليلة، ترتسم ابتسامة لطيفة على ملامحها الفاتنة.

- «تفضل بمشاركتها مع السادة الآخرين، أليس كذلك؟»

عادت عينا كاي لتستقرا عليّ وهو يجيب:

- «إنها لي لهذه الليلة يا أمي. ثمن بخس تدفعه نظير إتلاف ملابسي.»

لكن الملكة كانت قد غادرت، مجروفةً في تيار الضيوف المثرثرين والأجساد الراقصة قبل حتى أن تفارق الكلمات فم كاي.

رمشتُ محدقةً فيه، عاجزة عن كبح الابتسامة التي افترشت شفتي.

- «اسمك هو مالا كاي؟»

- «أجل، حسناً، لقد نُعتُ أيضاً بالوسيم الشيطاني، وذو القوة الساحقة، ومؤخراً، بالوغد المتعجرف.»

- «من المؤكد أن من نعتك بذلك يعرفك حق المعرفة.»

قال بهدوء:

- «أجل، أكثر مما أود الاعتراف به.»

ملاً أنين آلات الكمان الصمت الذي امتد بيننا. وحين تحدث أخيراً، كان سؤال كاي خافتاً:

- «هل أنت مستعدة للغد؟»

استعدتُ في ذاكرتي سؤال كيت المماثل في الحفل الراقص السابق وأنا أقول:

- «وهل أنت مستعدة؟»

زفر أنفاسه ببطء وأجاب:

– «يتحتم عليّ ذلك.»

خيم صمت طويل.

رمقته بابتسامة حزينة.

– «لم يكن هذا هو سؤالي.»

غمغم تحت أنفاسه:

– «سليطة اللسان.»

ونجح حقاً في انتزاع ابتسامة مني.

ثم تابع:

– «تريدان الحقيقة إذن؟»

– «الحقيقة دائماً.»

تنهد، وخفض رأسه مقترباً من رأسي.

– «إذن لا. لست مستعداً. لكننا سنكون بخير. نحن دائماً كذلك.»

أومأت بخدر، في غنى عن تفسير لما يقصده. لقد كانت حياة كل منا سلسلة من المحن التي توجب علينا النجاة منها. والآن فحسب، نمر بإحداها معاً؛ محنة سنشق طريقنا للخروج منها كما فعلنا في الماضي.

وكأنه يؤكد كلماته، رفع يده ونقر طرف أنفي، مشاركاً إياي تلك الابتسامة المعهودة. وعوضاً عن دفعه بعيداً كما أوقن أنه يجب عليّ فعله، وجدتنني أبادلة الابتسامة.

غرقنا في صمت مريح ونحن ندور في حلبة الرقص. استحمت الحديقة الآن في ضوء القمر، وتراقصت أضواء المصابيح الدافئة على الوجوه الدائرة حولنا.

فجأة، أمانني كاي للأسفل، فلامست أصابعه بشرتي العارية التي تسترق النظر من شق فستاني، قبل أن تنزلق بكسل صعوداً نحو الخنجر البارد المستقر على بشرتي الساخنة. كتمت شهقة مفاجئة بينما اكتفى هو بالضحك.

– «ألم أخبرك من قبل أن الخناجر ليست ضرورية للرقص؟»

أعادني للوقوف على قدمي، فأجبت به بأنفاس لاهثة:

– «يعتمد الأمر على من يراقصني.»

أمقت أنه يجعلني أشعر وكأنني أحاول دائماً التقاط أنفاسي. وما أمقته أكثر هو أنه يدرك ذلك.

أنا أمقت ذلك. أمقت ذلك. أمقت ذلك.

غرست تلك الكلمات في عقلي، مجبرةً إياها على اختراق جمجمتي العنيدة. أرفض أن أقع في شباكه.

لا بد أنه قادر على رؤية المعركة المستعرة في عقلي، لأنه ابتسم لي. غمازات.

تلك الغمازات اللعينة.

كنتُ ألهث تقريباً الآن، محاولةً التنفس، محاولةً تجاهل هذا الفتى المائل أمامي. محاولةً تجاهل ابتساماته الآسرة وماضيه القاسي الذي صرتُ أعرف الكثير عنه. جانبه الحنون والساحر، تلك التفاصيل الصغيرة التي تشكل جوهره، ويداه اللتان تطوقانني—

أنا أمقت ذلك. أمقت ذلك. أمقت ذلك.

تنقلت عيناه الرماديتان بين عيني، وقد انعكس فيهما القلق.

– «هل كل شيء على ما يرام؟»

لم ألاحظ مدى تسارع أنفاسي، وكيف كنت أحاول التهام الهواء وأفضل فشلاً ذريعاً. بدا كاي فجأة بكامل وعيه، وفجأة جاداً للغاية، وهو ما لا يسعني سوى افتراض أنه نابع من رؤيته للذعر المرتسم على ملامحي. اشتد طوق ذراعه حولي قليلاً، بحماية بالغة.

أنا أمقت ذلك. أمقت ذلك. أمقت ذلك.

– «بيدي...»

أوه، لماذا لا يسعني مقت ذلك؟

– «ما الخطب؟»

جاء صوته صارماً، قاطعاً سديم هستيريتي.

كانت هناك أجساد كثيرة من حولي، قريبة جداً، تضغط عليّ. بدا الهواء ضئيلاً، شديد الحرارة في رئتيّ. شعرتُ بالاختناق، شعرتُ وكأنني حبيسة فخ. جسدي يتخشب، وقلبي يثب بين ضلوعي، وعقلي يهزأ من مدى ضعفي.

رأسي يدور ونحن كذلك. تعثرتُ حتى توقفت – وتوقف معي شريكي، وأفكاري، وأنفاسي. لا أقوى على ابتلاع الذعر، ولا أقوى على ابتلاع الهواء، ولا أقوى على ابتلاع كبريائي لأعترف لنفسي بأن خطباً ما قد ألمّ بي. اهدئي. أنتِ بخير.

فجأة، عُدْتُ تلك الفتاة الصغيرة العاجزة من جديد. تلك التي فجعت بموت والدها واغتيلت أحلامها. تلك التي تُضرب بقسوة ضد عمود لسرققتها كي تعيش، تركض لتتخلص من ذكريات تطاردها. تلك التي كانت تتكور على نفسها، يشلها الحزن وينهشها الذعر. تلك التي عجزت عن التواجد في الحشود الكبيرة أو المساحات الضيقة دون أن تلهث بحثاً عن الهواء أو تتخبط للهرب. ضعيفة من فرط القلق، مسلوقة الإرادة من فرط الذعر. لا، بل مسلوقة الإرادة وحسب.

اهدئي. أنتِ بخ... .

أنا أعاني من نوبة هلع.

أصبح الفستان فجأة ضيقاً للغاية، يعتصر ضلوعي، ويخنقني، ويطرد الهواء قسراً من رئتيّ. وفجأة، أخذ الحشد من حولي يفعل الشيء ذاته: يعتصرني، ويخنقني، ويضغط عليّ، متجاهلاً كيف أصبحت الحديقة المكتظة بالناس تصيبني برعبٍ مقلقٍ للكيان.

– «أنا... لا أستطيع التنفس.»

خرجت الكلمات كلهاث، وشعرتُ بالخزي لا اضطراري للاعتراف له، ولنفسي، بخوف لم يطاردني منذ سنوات.

– «خوف من الأماكن المغلقة.»

بالكاد تمكنتُ من إخراج الكلمة بأنفاس متقطعة، لكنه لم ينتظرني لأصارع لتقديم تفسير، بل سحبني إلى جانبه، فقادني نحو حافة الأشجار. غمغم وهو يدفعنا عبر الحشد للعودة إلى أسفل شجرة الصفصاف الداكنة:

– «مسافة قصيرة بعد. تماسكي.»

شعرتُ بلحاء الجذع الخشن يلامس ظهري، ففتحتُ عيني، غير مدركة أنني كنت قد أغلقتهما في المقام الأول. في العتمة، بالكاد استطعتُ تبين ملامح كاي الواقف أمامي، تعلو وجهه النظرة ذاتها التي رمقني بها حين كنت أنزف حتى الموت على أرض الغابة أمامه.

– «تنفّسي يا بيدي. تنفّسي.»

بدا وكأنه هو الآخر يصارع لالتقاط أنفاسه، عيناه تتفحصان وجهي بينما كانت عيناى تتجولان بجنون في الأرجاء.

قال برقة تفوق أي نبرة سمعته يتحدث بها من قبل:

– «مهلاً، مهلاً. انظري إليّ.»

وللمرة الأولى، أصغيتُ إليه. كنت أرمش بسرعة، أتأمل وجهه المظلل في العتمة، محاولةً تهدئة نفسي. رغم أنه، من الناحية الفنية، كان هو السبب في نوبة الهلع هذه بالأساس. هو مَنْ أصابني بالذعر. هو مَنْ يصيبني بالذعر. سمحتُ لعقلي بفقدان السيطرة والانزلاق نحو الهاوية، ولم يُستأصل خوفي العميق من الأماكن المغلقة من جذوره إلا بعد حالة الذعر الأولية التي تسبب هو فيها.

ذعر نابع من مشاعر محبطة تجاهه.

كنت لا أزال أتنفس بصعوبة، أصارع لإدخال ما يكفي من الهواء إلى رئتيّ. حافظ على مسافة فاصلة بيننا، ليمنحني مساحتي الخاصة. لكنه الآن يمرر ذراعاً حول ظهري، برفق، وببطء.

– «ما الذي فعله؟»

تدفق الهواء إلى رئتيّ وكأنني كنت أغوص تحت الماء طوال هذا الوقت واخترقتُ السطح للتو. ابتلعتُه بشراهة، مستمتعةً بشعور القدرة على التنفس بملء رئتيّ مجددًا. بدأ الذعر في التلاشي، واستقر عقلي أخيرًا بعد فقدانه السيطرة.

بدا كاي مرتاحًا، رغم أن ابتسامة جانبية خافتة كانت ترفع زاويتي شفثيه وهو يقول:

– «أفضل بكثير، أنا واثق من ذلك.»

وحينها فقط شعرتُ به.

فستانِي ينزلق.

نظرتُ إلى الأسفل وكدت أشهق عند رؤية القماش المنفرج الذي كان قبل لحظات مشدودًا بإحكام على صدري. ارتخى الخصر، ولم يعد مطوقًا ليبرز قوامي.

الفستان بأكمله على وشك السقوط عن جسدي.

قبضتُ على الجزء العلوي من الفستان عاري الأكماء ورفعته، محدقةً فيه بذهول.

– «بماذا كنت تفكر»

– «كنتُ أفكر، (دس كاي يديه في جيوب بنطاله، راسمًا صورة مثالية للامبالاة) في أنك لم تكوني قادرة على التنفس. وبقدر إعجابي بهذا الفستان عليك، خمنتُ أنك ستبددين بالروعة ذاتها والأربطة مفكوكة.»

أمال رأسه وابتسم لنفسه، بدا وكأنه يستمتع حقًا بالموقف.

– «كي تتمكني من التنفس بالطبع.»

غمز بعينه. لقد غمز بعينه حقًا!

كنتُ أستشيط غضبًا.

– «أقسم أنني سأ...»

قاطعني ساحباً أطراف سترته:

– «تشكريني؟»

كانت عيناى قد اعتادت على الضوء الخافت، ولم أفاًجأ برؤية التسلية تتراقص في عينيه حين التقت نظراتنا. لم يبقَ أي أثر للفتى القلق الذي كان يقف أمامي قبل لحظات.

كنتُ أرفع الجزء العلوي من الفستان بيد، بينما أطوق جزأى الظهر معاً باليد الأخرى، بما أن الأربطة، وبفضل كاي، لم تعد تؤدي تلك المهمة. قلتُ من بين أسناني المطبقة:

– «لو كان لدي يد طليقة الآن، لسحبتُ خنجري وصوبته نحوك.»
أمال رأسه ورمقني بنظرة تفحصية.

– «يسعدني أن أرى أنك قد تعافيت بما يكفي لتهديدي من جديد.»
إنه محق. يجدر بي أن أشكره. لم أدرك مدى ضيق الفستان إلا حين أصابني الذعر وأجبرني على اللهاث بحثاً عن الهواء. لم أدرك أن مجرد قدرتي على أخذ نفس عميق مرة أخرى سيصفي ذهني أكثر مما تخيلت. كان فك الأربطة خطوة عبقرية. لكنني لست مستعدة للاعتراف له بذلك.
إلهاء.

ترددت الكلمة في رأسي، وبدأتُ أتساءل عما إذا كان هذا هو ما يفعله كاي. مجدداً. يتخذ من مزاحه حاجزاً لصد ذعري. يحول انتباهي عن هلمي ويوجهه نحوه. يستغل غضبي وانزعاجي للإلهاء والتمويه. لكن ما عاد يصدمني هو دهائه، بل اهتمامه. حقيقة أنه يدرك بدقة ما أحتاج إليه.

– «بيدي.»

اقترب مني الآن، وقد مُسحت كل ملامح التسلية من وجهه.

– «هل أنت بخير؟ حقاً؟»

– «أجل. شكراً لك.»

ارتجفت شفتاه، فأضفتُ بحدة:

– «ليس لتجريدي من ملابسي، بل لـ... مساعدتك لي.»

هز كتفيه لامباليًا:

– «الأمر سيان.»

أقلبتُ عينيّ له بينما راحت يدي تعبتُ بأربطة فستاني رغم إدراكي التام لعجزني عن عقدها بمفردي.

– «هل يمكنك–»

زفرتُ تنهيدة، منزعة لاخطاراري لطلب ذلك منه.

– «هل يمكنك إعادة ربط الأربطة لي؟»

تأملني للحظة طويلة قبل أن يقول:

– «يجدر بك الانصراف الليلة. لتحصلي على بعض الراحة.»

– «حسنًا إذن، سيتعين عليّ شق طريقي عائدة إلى غرفتي دون أن يسقط

هذا الفستان عني.»

ارتجفت شفتاه، وأنا أعرفه حق المعرفة لأدرك أنه على الأرجح يصارع لكبح تعليق في غاية الوقاحة. لكنه اكتفى بالقول وهو يخطو نحوي:

– «منطقي.»

استدرتُ ببطء نحو الشجرة وقلت:

– «لا داعي لجعله مشدودًا. لكنني بحاجة ماسة لأن يظل الفستان على

جسدي.»

بالكاد استطعتُ سماع خطواته الناعمة خلفي قبل أن أشعر بأصابعه

تلامس ظهري العاري وهو يجمع الأربطة.

سحب الأربطة برفق، وكأنه متردد. كدتُ أضحك؛ فالفعل بدا خجولًا أكثر

من أن يصدر عن الأمير الواقف خلفي.

تمتم بشرود:

– «يجب أن أعترف أنني أبرع بكثير في فك الأربطة من عقدها.»

زفرتُ بضيق:

– «بالطبع تفعل.»

أثارت ضحكته الهادئة خصلات شعري، فتسمرتُ في مكاني. سحب الأربطة لمرّة أخيرة قبل أن يعقدها بسرعة، فلامست خشونة كفيه بشرتي. قمعتُ قشعريرة سرت في جسدي واستدرتُ نحوه، أسوي تنانير فستاني. انزلقت تلك النظرة الرمادية على جسدي قبل أن تلتقي بعيني، وقال بصوت أجش:

– «لستِ تختنقين؟»

ضحكتُ وأنا أجيبه:

– «لا، أنا أتنفس بشكل جيد. شكرًا لك.»

هممتُ بالخروج من تحت مظلة فروع الصفصاف المتدلية حين خطا كاي ليكون بمحاذاتي.

قال ببساطة:

– «سأرافقك إلى غرفتك.»

– «لست مضطرًا لفعل ذلك.»

– «أنتِ محقة. لست مضطرًا.»

طوق ذراعي بذراعه بينما بدأنا في السير عبر الحديقة المكتظة باتجاه القلعة.

– «لكنني أريد ذلك.»

أحنيّت رأسي وابتسمت.

– «بوسعي أن أعتاد على كونك نبيلًا يا آزر.»

الترم الصمت لفترة طويلة ظننت معها أنه لن يرد. لكن حين فعل، أمكنني سماع الابتسامة في صوته:

– «وبوسعي أن أعتاد على أن أكون كذلك من أجلك يا جراي.»



الفصل 38

كاي

– «أنت فاشل تمامًا في هذه اللعبة.»

رد كيت بضحكة مدوية لم تنقطع إلا حين رفع القارورة إلى شفثيه وارتشف منها رشفة. بعد أن ابتلعها، تلعثم قائلاً:

– «قواعد اللعبة تقتضي أن نشرب في كل مرة يطأ فيها جاكس قدمي أندي. كيف لي أن أكون فاشلاً في ذلك؟»

تأملتُ وجنتي أخي المتوردتين وشعره الفوضوي، موقناً أن مظهري لا يختلف عنه كثيراً. كنا نجلس على العشب ونراقب الضيوف يدورون فوق السجاد الملون تحت السماء المرصعة بالنجوم منذ قرابة الساعة. انغرز اللحاء الخشن للشجرة التي أستاذ إليها في ظهري، بعد أن تخلصت من سترة بدلتي، مكتفياً بارتداء قميصي الملطخ المزرق.

رمقني كيت بنظرة، منتظراً إجابة على سؤاله بصبر. ولم أتردد في منحه إياها:

– «أنت فاشل في ذلك لأنك تخطئ فمك في كل مرة.»



انفجرنا ضاحكين بينما مسح كيت قطرات الويسكي التي تسيل على
ذقنه. يبدو أننا لم نتجاوز بعد تقليدنا المتمثل في الشرب أثناء هذه الحفلات
الراقصة، ويسعدني أن أرى أن بعض الأشياء تأبى التغيير أبداً.
غمغم كيت وعيناه مصوبتان نحو آندي وجاكس اللذين كانا يرقصان مع
الأزواج الآخرين:
- «انتظر...»

تعثر جاكس مصحوباً بضحكة، واشتبكت ساقاه الطويلتان في الخطوات
قبل أن تستقر قدمه فوق قدم آندي.
- «وها قد فعلها. إنه لا يخيب الآمال أبداً.»
تنهدت متناولاً القارورة منه لأخذ رشفة كوت حنجرتي:
- «في نخب ذلك.»
راقبني كيت قائلاً:
- «هل أنت واثق أنه يجدر بك الاستمرار في الشرب وأمامك تصفية
غداً؟»

- «تحلى بالقليل من الإيمان بمنفذك يا أخي. لقد واجهتُ ما هو أسوأ
بكثير من دوار ما بعد السكر.»
وحين لم يجب، تتبعتُ نظراته، لأجدها متسمرة على والدي ووالدتي وهما
يتمايلان ببطء.

قال كيت بهدوء وقد مُسحت كل آثار المرح من صوته:
- «لم أره بهذه السعادة منذ... حسناً، منذ سنوات.»
أومأتُ موافقاً، وأنا أراقب الملك يبتسم لملكته بتلك الطريقة التي لم
يخص بها أحداً سواها. لا يفشل أبداً في غمرها بالعاطفة التي لطالما بخل بها
علينا. عليّ.

ومع هذه الفكرة التي جالت بخاطري، أخذتُ جرعة أخرى من القارورة.
أضاف كيت مع هزة كتف متراخية:

- «ربما بمجرد القضاء على المقاومة، سيصبح رجلاً أكثر سعادة.»
- ثم أشاح بنظره عن الراقصين لينظر إليّ متابعاً:
- «وبالحديث عن ذلك، هل تمكنت من انتزاع أي معلومات من الـ خامد (سايلنسر)؟»
- أجبت بهزة كتف متراخية مماثلة:
- «قتلته.»
- لم يرمش له جفن عند سماع ذلك.
- «هل أعتبر هذا نفياً إذن؟»
- تنهدت قائلاً:
- «أجل، اعتبره نفياً.»
- «همم.»
- قطب كيت حاجبيه متسائلاً:
- «ماذا عن العادية بالقرب من <حي النشّالين> التي أرسلت للعثور عليها؟ هل حصلت على أي معلومات منها؟»
- ومض وجه الفتاة الصغيرة في ذهني، بشعرها الأحمر المتوهج كالنار في عينيها.
- «العادية كانت مجرد طفلة. أشك في أنها كانت تعرف أي شيء عن المقاومة.»
- ساد الصمت لبرهة قبل أن يتنحى كيت ويسأل:
- «كم كان عمرها؟»
- «صغيرة جداً.»
- أوماً ببطء وقال:
- «إذن، لم تنفذ الأمر؟»

تصلب جسدي قليلاً. أنا وكيت لا نتطرق لهذا الموضوع أبداً. لا نتحدث أبداً عن تلك المرة التي عثر عليّ فيها في الإسطبلات، ملطخاً بالدماء وأتقياً بعد إحدى مهامى الأولى في المدينة لقتل أحد العاديين. كنت صبياً، بالكاد في الرابعة عشرة من عمري حين سلبت حياة طفل لا يصغرنى بكثير. وقد أقسمتُ ألا أفعل ذلك مجدداً أبداً.

أرسلني الملك في مهام لا تُحصى منذ ذلك الحين، كلها كجزء من تدريبي. قد يكون كيت هو السجين داخل القصر، لكنني لم أعرف يوماً التحرر من سفك الدماء. لم أعرف يوماً الخيار. لذا، أسترى ما تبقى لي من فتات العقلانية بنفي الأطفال العاديين مع عائلاتهم.

حتى وإن كان ذلك يعني الحكم عليهم بالموت.
أجبت ببطء، مؤتمناً أخي وحده على وطأة تلك الكلمات:
- «لا، لم أنفذ الأمر.»

استغرق الأمر منه سنوات من تجميع شتات الأحداث قبل أن يأتي إلى غرفتي للشرب في إحدى الليالي، ليواجهني حينما فقدت القدرة على الرؤية أو التفكير بوضوح.

الدمار هو واجبي، والملك جعلني أتبدل تجاه القتل. لكن عندما يتعلق الأمر بالأطفال، أجبر نفسي على الإحساس.
حتى الوحوش قد تملك أخلاقاً.

زفرتُ تنهيدة طويلة وأنا أرفع القارورة إلى شفتيّ.

- «لستُ ثملاً بما يكفي للخوض في هذا الآن.»

- «ولا أنا كذلك.»

خطف كيت القارورة من يدي بابتسامة عريضة قبل أن تهبط عيناه نحو البقعة على قميصي وكأنه يلاحظها للمرة الأولى، وسأل:

- «ما الذي حدث لك بحق الجحيم؟»

تنهدتُ مجدداً:

- «بيدن. بيدن هي ما حدث لي.»
- أطلق كيت ضحكة خافتة، لكنها بدت متوترة.
- «إنها بالتأكيد... شيء استثنائي.»
- «تمتلك بلاغة مذهلة يا كيتي.»
- هز رأسه ومسح وجهه بيده.
- «لا أملك حتى الكلمات لوصفها، ولكن بحق الطاعون، هي لا تعجز أبدًا عن إيجاد الكلمات لي.»
- تصلبت كتفائي، لكنني أجبرت نبرتي على أن تبدو مسترخية.
- «أحقًا؟»
- أطلق ضحكة قصيرة وأجاب:
- «أجل. إنها الشخص الوحيد الذي لا يطرب مسامعي بما أود سماعه، ولا تخشى البوح بما يجول في خاطرها. وغالبًا ما تفعل ذلك، إن جاز لي التعبير.»
- سأله بلامبالاة مصطنعة:
- «هل تود مني أن أوبخك على تفاهاتك بشكل متكرر يا أخي؟ هل هذا ما أسمعه الآن؟»
- دفعني بكسل متجاهلاً تعليلي، وأردف:
- «بداخلها نار متأججة. حتى أنها نعتتني بالأحمق قبل أيام.»
- ارتجفت شففتاي بابتسامة رغم التوتر الذي يسري في عروقي.
- «يبدو هذا مألوفًا منها.»
- قال بهدوء وهو يمسح الحديقة المزدهمة بنظراته:
- «إنه أمر غريب. لم أعرفها منذ وقت طويل، ومع ذلك، أجد نفسي راغبًا في معرفتها لوقت أطول.»
- امتد الصمت بيننا، وبقيت كلماته معلقة في الهواء.

قلتُ بتصلب:

– «ربما كنتُ مخطئاً. ربما تمتلك بلاغة في الكلمات حقاً.»

التفت نحوي بابتسامة ملتوية وسأل:

– «وما رأيك أنت فيها، همم؟»

هبطت عيناى نحو البقعة على قميصي. كنت أفوح برائحة النبيذ والويسكي واللمسة الأخف من اللافندر الذي يلزم بيدن دائماً. وبالطريقة التي تشبثت بها بي الليلة، تسرب عبيرها الأسر إلى ثيابي ليشئت أفكارى.

ما رأيي فيها؟

متى لا أفكر فيها أصلاً؟

اختطفْتُ القارورة من أصابع كيت ورددتُ الكلمات ذاتها التي قلتها آنفاً:

– «لستُ ثملاً بما يكفي للخوض في هذا الآن.»

محض أكاذيب.

حتى وأنا في كامل وعيي، تفقدني صوابي. لستُ بحاجة للسكر لأعترف بما فعلته بي، وبما جعلتني أشعر به.

دفعني حفيف التنانير وثرثرة الحماس لرفع بصري. راقبتُ الضيوف وهم يبدؤون بالتوجه خارج الحقائق صوب ساحات التدريب. رمقتُ كيت بنظرة حائرة، فأجابها قائلاً:

– «ليس لدي أدنى فكرة.»

نهضنا، بخطوات مترنحة قليلاً، وتبعنا الحشد. وقبل أن نصل حتى إلى ساحة التدريب المضاءة بالمشاعل، لمحتُ منصات مرتفعة تحيط بحلبة ترابية واسعة حيث بدأ الضيوف في اتخاذ مقاعدهم.

خطت تيالاً نحو منتصف الحلبة ودارت في حلقة، مبتسمة للضيوف المحيطين بها.

– «يا لها من متعة! لم نحظْ بحفل راقص فحسب، بل سنحظى بمعركة طاحنة أيضاً!»

من المؤكد أنني لم أكن أخطط للقتال الليلة.

هتف الجمهور وصفقوا وهم يتلفتون حولهم، بحثاً عن المتسابقين على الأرجح. وأنا كنت أفعل الشيء ذاته. لم يكن للفتيات أي أثر، فقط جاكس، وبراكستون، وآيس في الجهة المقابلة.

مررتُ يدي عبر شعري، شاعراً بدوار مفاجئ جراء الكحول وتأثير كل تلك القوى الضاغطة عليّ من حولي. تعرقت القارورة في يدي، و تمنيتُ لو أنني لم أشرب كل هذا القدر منها، رغم أنني كنت أفكر في تجرع ما تبقى فيها. حين هممتُ بالتوجه نحو المتسابقين، قبضت يد على ذراعي.

– «كاي.»

استدرتُ لأجد عيني كيت مسلطتين عليّ.

– «في حال لم أرك قبل الغد...»

– «أعلم.»

قلتها دون حاجة لسماع تلك الكلمات الثلاث لأوقن بأنه يقصدها.

– «أنا أعلم.»

قال مع طيف ابتسامة:

– «كن حذراً. وإياك أن تموت.»

– «لا تقلق. لن تتمكن من التخلص مني بهذه السهولة يا كيتي.»



الفصل 39

بيكان

غمغم ليني من وراء الباب الذي يفصل بيننا، بينما كنت أنزع فستاني داخل غرفتي:

– «ما الذي يؤخركِ هكذا؟ تعلمين، أنتِ تتصرفين كأميرة حقيقية أحياناً.»

تمتمتُ في المقابل:

– «اهداً. أحاول ألا أمزق فستاني.»

– «أجل. هذا بالضبط ما قد تقوله أميرة.»

أقلبتُ عينيّ وسحبتُ سروال التدريب الرقيق، ونسقتَه مع قميص قطني فضفاض.

– «حسناً، وهل تخرج الأميرة للقتال من أجل تسليّة الضيوف في حفل راقص؟»

أدخلتُ قدميّ في حذائي الطويل، وكانت يداي تحكانني رغبةً في اختطاف خنجري ودسه في أحدهما. لكن حين جاء ليني يطرق بابي ليخبرني أن حضوري مطلوب في ساحة التدريب لمعركة ارتجالية، حرص أيضاً على



الإشارة إلى أن إحضار أسلحة خارجية أمر محظور. زفرتُ تنهيدة وأنا أطلع خنجري الفضي، متمنية لو كان بوسعي حمله معي ولو لمجرد الشعور بالاطمئنان.

حين فتحتُ الباب، كاد ليني يسقط على وجهه بعد أن كان يسند ثقله بالكامل عليه. ضحكتُ بسخرية، فمنحني ابتسامة متهكمة قبل أن نسرع الخطى عبر الردهة.

همستُ بصوت خفيض، مقتربةً منه كي لا يتمكن أي من الإمبراطوريين الآخرين من استراق السمع:

– «هل هذا طبيعي؟ إجبارنا على القتال في حفل راقص؟ وقبل التصفية مباشرة؟»

رمقني بنظرة، ورغم أن القناع الأبيض كان يخفي نصف وجهه، إلا أنني لمحت القلق في عينيه. دائماً ما تكون مشاعر ليني مكشوفة، مرتسمة بوضوح على ملامحه.

أجاب:

– «لا شيء في تصفيات هذا العام يمكن اعتباره طبيعياً.»

أومأت برأسي بينما انعطفنا وتوجهنا نحو ساحة التدريب. كانت المنصات المرتفعة المحيطة بالحلبة الترابية تعج بضيوف يرتدون أزياء أنيقة باللونين الأخضر والأسود، وبدوا في غاية النشاط وسط الساحة الموحلة. وأحاطت المشاعل بالحلبة، ملقاةً ظلالاً موحشة على الوجوه المتحمسة في الحشد.

سألني ليني بهدوء:

– «هل حصلتِ على أي معلومات من أميرك بعد؟ ربما حول نفق معين؟»

تنهدتُ ورمقته بنظرة حادة:

– «ليس خلال الساعات القليلة التي مضت منذ آخر مرة سألتني فيها،

لا.»

ابتسم ابتسامة باهتة سرعان ما تلاشت حين اقتربنا من الحلبة والحشود المحيطة بها. مسحتُ المشهد بنظراتي، متأملَةً تيالا في المنتصف، والجمهور الذي يميل لسماع كل كلمة تتفوه بها رغم تضخيم صوتها بقوة.

تابعت تيالا وسط تصفيق الحضور:

– «بما أنكم جميعاً غير قادرين على مشاهدة التصفيات مباشرة كما جرت العادة، فقد أعدنا لكم مفاجأة خاصة الليلة! سيتم اختيار المتسابقين عشوائياً للقتال، وربما تساعدكم نتيجة المعركة في حسم قراركم بشأن من ستمنحونه أصواتكم!»

تخطى قلبي نبضة.

لن يقتصر الأمر على خسارتي لهذه المعركة فحسب، بل سأخسر أصواتهم أيضاً.

تفرستُ الحشد بحثاً عن زملائي المتسابقين، ولمحتهم في الجهة المقابلة من الحلبة. يبدو أن الفتيات فقط هن من سُمح لهن بتبديل ملابسهن، إذ تخلين عن فساتينهن، بينما ظل الفتیان محتفظين بسرّاويلهم وقمصانهم الرسمية.

تجولت عيناى بين آندي التي كانت تمارس تمارين الإطالة، وبجوارها بلير المتصلبة. وإلى جانبهما، كان جاكس وبراكستون يتحدثان بهدوء، بينما بدأ الأخير في تشمير أكمامه ليبرز ذراعيه الضخمتين. ووقف آيس بعيداً، مكتفياً برفع أنفه بتعالى ومراقبة الحشد.

ثم استقرت عيناى عليه، تتأملان بنطاله المشمر وقميصه الذي بات شفافاً يلتصق بجسده تحته. لقد سكب الماء على نفسه في محاولة لاستعادة وعيه، وارتسمت ابتسامة خافتة على شفتيّ عند رؤيته ينفذ شعره المبلل.

حين نادى تيالا باسمه، رفع كاي رأسه والتقى بعيني خصمه. بادل براكستون الأمير النظرات للحظة قبل أن يومئ له ويخطو نحو الحلبة. وخلال النبضات القليلة المتسارعة لقلبي، انخرط الفتیان في عراك طاحن.

كما كان متوقعاً، بدأ كاي أقل دقة من المعتاد، وهو أمر بديهي نظراً لأنه ليس في كامل وعيه بالضبط. لكن رغم هذا العيب، أسعفته سنوات التدريب

الطويلة فظل خفيف الحركة على قدميه، وسرعان ما اندمج في إيقاع مألوف. كان القتال شرساً، يأسر أنظار الجماهير مع كل لكمة ومراوغة. ولم ينفجر الحشد بالهتاف إلا حين بالكاد تمكن كاي من تثبيت براكستون أرضاً لثوانٍ معدودة. وسرعان ما تدخل الإمبراطوريون لفض الاشتباك بينهما قبل أن يلحقا المزيد من الضرر ببعضهما.

تلا ذلك نداء اسمي آندي وآيس، وكان نزالهما خاطفاً. فبمجرد ولوجها الحلبة، تحولت آندي إلى ذئبة تكسوها فروة خميرية ناعمة. وزمجرت حين لجأ آيس إلى حيلته المعتادة بمحاصرة خصومه بنسخ وهمية متطابقة منه. لكن آندي، في هيئتها الحيوانية، رفعت أنفها عالياً لتلتقط رائحة آيس الحقيقي من بينهم، فانقضت عليه قبل أن تسنح له حتى فرصة إبداء أي رد فعل. أطاحت به أرضاً وغرست مخالبها في صدره، وبدأت حينها أقرب إلى الوحش منها إلى آندي.

تصفحت تيالاً البطاقة قبل أن تعلن:

– «التالية هي بلير آرتشر و... بيدن جراي!»

أطلقت زفرة مرتجفة بينما راح قلبي يقرع بجنون ضد قفصي الصدري. بالطبع ستكون هي.

تقدمتُ نحو الحلبة، متأهبةً لمواجهة قدرتي، حين التفت أصابع خشنة حول معصمي وجذبتني بحدة. تطايرت جدiltي فوق كتفي وكادت تصفعني على وجهي حين استدرتُ لأجد كاي يطالعني من علٍ. بالكاد لمحت الجروح الدامية والكدمات التي بدأت تتفتح على وجهه قبل أن يجذبني نحوه.

بالنسبة لأي شخص آخر، لربما بدا المشهد وكأنني تعثرتُ وسقطتُ في أحضان الأمير.

أحنى رأسه حتى لامست شفاته أذني وهو يشرع في التحدث بنبرة خافتة وعجولة:

– «ابقي متأهبة وواصل التحرك. أنتِ أشرس منها في القتال، لذا استخدم عقلت واستغلي أي شيء تقع عليه يداكِ. إنها ضعيفة جسدياً بينما أنتِ لستِ كذلك، فاستغلي ذلك لصالحكِ.»

ثم تراجع للوراء بما يكفي لأرفع بصري نحو تينك العينين الدخانيتين وهو يهمس:

– «شتتي انتباهها. أنتِ بارعة في ذلك.»

وبعد ذلك، وجدت أصابعه طريقها إلى طرف جديلتي، فسحبها برفق قبل أن يغمز لي بسرعة ويمضي مبتعداً.

رمشتُ محاولةً تصفية ذهني وأنا أستدير وأخطو نحو الحلبة.

مسحت عيناى الحشد، ولم تتوقفاً إلا حين التقتا بعيني الملك من حيث يجلس على كرسيه الخشبي المنحوت بجوار ملكته. لا أظن أنني أتوهم تلك الومضة من الرضا المتعجرف التي عبرت وجهه، مما جعلني أتساءل عن مدى عشوائية هذه المواجهات حقاً. لن أتفاجأ على الإطلاق إن كان هذا من تدبير الملك، رغبةً منه في رؤية بلير تمزقني إرباً بقدر ما ترغب الجماهير في ذلك على الأرجح.

أما ابتسامة كيت فكانت أبعد ما تكون عن ابتسامة والده بجواره. منحني إيماءة صغيرة، شاجعاً إياي بحركة بسيطة. سحبني وميض أرجواني من أفكاري ليعيد انتباهي إلى الحلبة والخصم المنتصب أمامي. كان شعرها مربوطاً بشريط، يتأرجح جيئةً وذهاباً وهي تتقدم بخطى واثقة. وبمجرد أن لامست قدمها التراب، بدأت اللعبة.

أزيز سكين مرّ فوق رأسي تماماً حين انطرحتُ أرضاً. تناهت إلى مسامعي ضحكة ساخرة تنبعث من حنجرتها بينما انقلب فأس في الهواء منطلقاً نحوي. كانت تمطرني بالأسلحة من الرفوف المحيطة بالحلبة، ورغم شكوكي حول قانونية ذلك، لم أمتلك رفاهية الوقت للتفكير في الأمر وسط كل هذا المراوغة التي أمارسها.

اندفعتُ جانباً بينما شق سكين صغير شديد الحدة الهواء، مخلفاً جرحاً في بشرتي في طريقه. ألم حارق ولاذع شق طريقه عبر وجنتي، منحة من ذلك النصل.

تغنت بنبرة مستفزة وهي تواصل قذف الأسلحة المتناثرة نحوي:
- «ألم تحذركِ قدراتكِ التبصرية من قدوم هذا؟»

بالكاد تمكنتُ من تمييز صيحات الحشود المحيطة بنا وسط ضجيج الدماء التي تقرر في أذني.

جلّ ما حققته في هذه المعركة حتى الآن هو إنهاك نفسي. من الواضح أنها لا ترغب في إنهاء النزال في أي وقت قريب، وإلا لكانت خنقتني وأنتهت الأمر. لا، هي تريد أن تتسلى بي أولاً، تريد أن تستعرض قدراتها أمام الجماهير.

لا يسعني البقاء في موقف المدافع لفترة أطول، لكنني أيضاً لا أود أن ينتهي بي المطاف كوسادة دبابيس، مثقبة بالسكاكين.
ها قد حانت اللحظة.

انقضضتُ عليها. لكن بدلاً من الركض نحوها في خط مستقيم، سلكتُ مساراً متعرجاً. اتسعت عيناها قليلاً، إذ لم تكن تتوقع ذلك بوضوح، لكنها سرعان ما تداركت الموقف وواصلت قذف الأسلحة والفروع والحجارة نحوي.
لو أتمكن فقط من الإمساك بها...

إنها ليست مقاتلة، وهي تدرك ذلك جيداً. لهذا السبب تختبئ خلف قوتها كما يفعل معظم أفراد النخبة. لكانت هذه المعركة قد انتهت بالفعل لولا قدرتها تلك.

ورغم كل مراوغاتي المتعرجة، استمرت في دفعي للتراجع نحو حافة الحلبة. لم أستطع إحراز أي تقدم وهي تمطرني بالأشياء الحادة وتجبرني على تفاديها.

ارتطمت صخرة بكتفي، بقوة.

فكري. فكري.

أوقفت بلير وابل الأشياء الطائرة فقط لترفعني عن الأرض بحركة بسيطة من معصمها. انمزقت صرخة مكتومة من حلقي وأنا أحلق على ارتفاع متر فوق التراب المرصوص.

ثم أسقطتني.

ارتطمت بالأرض بصوت مكتوم. اندفع الهواء خارج رئتي، تاركاً إياي ألثت بحثاً عن الأنفاس. تصاعدت سحابة من الغبار من حيث استلقيت ممددة على الأرض، أختنق بالهواء الرطب.

انهضي.

كان كل إنش في جسدي يئن ألماً، لكنني تخبطت للوقوف على قدمي، بينما بدت بلير متفاجئة قليلاً من أنني تكبدت عناء المحاولة.

شتتي انتباهها.

ترددت كلمات كاي في رأسي، تلتها فكرة ومضت في ذهني.

اختطفتُ صخرة من الأرض، تلك التي تسببت على الأرجح في ألم كتفي، وقبضتُ عليها بإحكام. استأنفتُ رَشقي بالأشياء، وبينما كنت أتفادي، وأراوغ، وأتدحرج، تعثرت أصابعي بسكين ملقى في الحلبة إلى جانب عدة أسلحة أخرى.

وفي حركة خاطفة، لويتُ ذراعي للخلف ورميتُ السكين نحو وجهها، متبوعاً بالصخرة مباشرة. أوقفت كل شيء ورفعت يديها بكسل لتوقف النصل والصخرة قبل أن يبلغاها، مستمتعة بأن هذا هو أقصى ما يمكنني فعله.

أو هكذا ظنت.

وبينما كان جل انتباهها منصّباً على إيقاف الأشياء في منتصف الهواء، لم أضيع أي وقت. انقضضتُ عليها مطوقة خصرها، وتدحرجنا في الوحل. زفرت بقوة إثر انقطاع أنفاسها، مما منحني ثوانٍ معدودة قبل أن تلقيني بعيداً عنها.

لكن هذا كل ما احتجته.

لم يكن هدفي الفوز قط - بل إثبات وجهة نظري. إثبات لنفسي، ولكل من يشاهد، أنني لا أزال أشكل تهديداً. سواء كنت أمتلك قوة كقوتهم أم لا، سأجد طريقة لإيذائهم.

هوت قبضتي على فكها، فالتوى رأسها جانباً. من المرجح أنها لم تألف الألم الذي يرافق اللكمات، ولم تألف أن يقترب منها أحد لدرجة المحاولة حتى. لقد صُغت. وجهتُ لها ضربة قوية أخرى استقرت على أنفها الصغير المثالي، وراقبتُ الدماء تتدفق منه. رفعتُ قبضتي مجدداً-

لكنها ثابت أخيراً إلى رشدها.

وبصرخة حادة، قذفتني في الهواء كدمية قماشية مهترئة. ارتطمتُ بالأرض الصلبة ووجدتُ نفسي مرة أخرى أحرق في السماء المرصعة بالنجوم، ألثتُ بحثاً عن الهواء.

سمعتها تصرخ بإحباط، تفرك فكها المؤلم على الأرجح وتقبض على أنفها الدامي. أنبأني صوت حذائها الذي يبتعد بغضب أنها تهرع بحثاً عن معالج، رافضة أن تُرى بوجهها الخالي من العيوب وقد شوّهته الإصابات. وخاصةً حين أكون أنا من ألحقها بها. لن تتجراً أبداً على السماح بأن تُرى وقد أُصيبت على يد حثالة من العشوائيات.

سمعتُ التصفيق، والهتاف، والثرثرة المرتبكة تسري عبر الحضور كعدوى. رسمت ابتسامة طريقها إلى شفتي، وقبل أن أدرك ذلك، كنتُ أهتز من الضحك. لم أستطع كبحه من التدفق من أعماقي وأنا ممددة في الوحل. ربما أكون قد خسرت المباراة، لكن بلير هي من خسرت كبرياءها.



الفصل 40

كاي

استيقظت على حافة جبل.
جبل "الانحدار".

أعلم ذلك فقط لأنني زرت هذا المكان من قبل بصحبة والدي، نقهر المزيد من المخاوف وما شابه بكل بساطة.
لكنني لست وحدي.

أنت آندي بجانبني، ورفرفت أجفانها قبل أن تنتفض جالسةً، تدير رأسها في كل اتجاه تتفحص محيطها تمامًا كما فعلتُ أنا قبل بضع دقائق.

كان رأسي يقرع كالطبول. فبين الكحول، ومعارك الليلة الماضية، والمخدر الذي أطاح بوعيي ليتم سحبي إلى هنا، شعرتُ بحال أفضل في ساحات المعارك. لكن عند وصولي إلى جبل الانحدار، أول ما لفت انتباهي كان الحبر المخربش على يدي. كلماتي المائلة والمتسرعة خُطت على راحة يدي، حاملةً رسالة بالغة الأهمية:

قالت إنه يُسمح لي بلمسها حين أكون في كامل وعيي.



ذهلتُ لعدم تذكري كتابة هذا على الإطلاق، خاصة مع احتفاظ ذاكرتي بكل تفاصيل الليلة الماضية بوضوح تام. بيدن وهي تلتصق بي، محادثتنا، ذعرها قبل أن أفك أربطة فستانها. ارتجفت شفطاي عند تلك الفكرة قبل أن أكبح ابتسامه حين تذكرتُ كيف طرحت بلير أرضاً خلال نزالهما وأسالت دماءها.

– «بحق الطاعون، ما الذي يجري؟»

نهض براكستون الآن، يرمش في ضوء شمس ما بعد الظهيرة. وتلاً شعراً بلير الأرجواني خلفه وهي تعتدل في جلستها، وبدأت متخبطه ومشدودة الأعصاب بالقدر ذاته. تبادلنا النظرات، مسترجعين ضراوة قتالنا في الليلة الماضية وكيف فصلنا قسراً قبل أن نتمكن من حسم الأمر.

سحبتُ الملاحظة المجددة من جيبي وألقيتها على التراب أمامنا.

– «لقد تركنا مع هذه.»

سمعتُ بلير تسخر وهي تخطف الورقة وتقرأها بصوت مسموع، بنبرة خالية من أي اهتمام:

مرحباً بكم في التصفية الثانية،

نعتقد أن القليل من العمل الجماعي قد حان وقته.

أمامكم اثنتا عشرة ساعة لبلوغ القمة،

وللتغلب على الفريق الآخر، عليكم التسلق بلا توقف.

تذمرت آندي بجواري، ممررةً يديها على وجهها المتسخ:

– «لا بد أنكم تمزحون معي.»

تأففت بلير قائلة:

– «عفوًا، يُفترض بنا أن نتعاون؟»

يبدو أن والدي يستمتع بالتلاعب بنا.

لقد أجبرنا على قتال بعضنا الليلة الماضية لتأجيج التوتر بين المتسابقين وتركنا نتعطش لتمزيق بعضنا البعض. أُجبرنا على خوض جولات عدة من القتال ضد خصوم عشوائيين، امتدت حتى وقت متأخر من الليل ولم تزدنا إلا إرهاقاً. والآن، نُجبر على العمل جنباً إلى جنب بينما نصارع الرغبة في إنهاء ما بدأناه الليلة الماضية.

نهضتُ على قدمي، ورأسي ينبض بالألم بينما تفحصتُ السماء. تخبرني الشمس أننا في منتصف فترة ما بعد الظهر تقريباً، مما يعني أننا سنتسلق طوال الليل.

يا لها من إثارة.

تنهدتُ وقلت:

– «نحن نضيع ضوء النهار. لنتحرك.»

وهكذا بدأنا التسلق، تملكنا الحيرة من هذه التصفية وكيف يُتوقع منا التعاون بدلاً من أن يفتك بعضنا ببعض. لا يُعد جبل الانحدار جبلاً شاهقاً، لكنه مهيب، على أقل تقدير. في الوقت الحالي، كنا نتخطى عبر حاجز كثيف من الأشجار والتضاريس الصخرية عند قاعدته. وبمجرد أن نبلغ ارتفاعاً أكبر، ستتلاشى الأشجار، لتحل محلها صخور أكثر انحداراً ومنحدرات زلقة. وبخلاف تضاريسه المميّزة، فإن جبل الانحدار يمثل أيضاً موطناً لحيوانات أشد فتكاً. سنتسلق لاثنتي عشرة ساعة متواصلة بلا طعام، ولا ماء، ولا أسلحة، ولا ثقة في بعضنا البعض.

لمحتُ متبصرين بطرف عيني، يتحركون بخفة وصمت بجوارنا وهم يوثقون تقدمنا. لا بد أن هناك العشرات منهم متمركزين على طول سفح الجبل، يتناوبون الأدوار، في انتظار أن ندخل في نطاق رؤيتهم.

تسلقت بلير وبراكستون بتصلب بالقرب منا، يتبادلان نظرات الشك والريبة بمقادير متساوية، بينما ظلت آندي قريبة من جانبي، لتؤكد لي أين يكمن ولاؤها. لقد أصبحت مصدر تسلّيتي الوحيد، فثرثرتها المتواصلة أبعدت تفكيري عن الجبل الشاهق فوقنا. أصغيتُ إليها وهي تتذمر حول كيف أنها

كانت لتتحول إلى صقر وتتركنا جميعاً في الغبار لولا أننا نقيدها بهذا العمل الجماعي المزعج.

قالت آندي، وهي تلهث قليلاً بعد أن تسلقنا لساعتين تقريباً:

– «حسناً، أنا ألمح بعيني الصغيرة–»

تأففت بلير، وهي تلتقط كوز صنوبر بقدرتها وترميه نحو آندي:

– «أوه، بحق الطاعون، أوقفني هذا. لقد كنت تلمحين أشياء منذ ما يقرب من ساعة رغم أنك الوحيدة التي تلعب. إنك تغرينني بتناسي أمر العمل الجماعي هذا واقتلاع رأسك.»

كانت تزمجر تقريباً بينما كانت آندي تبتسم.

قالت آندي بابتسامة متكلفة:

– «تعلمين يا بلير، أنت لم تتغيري قيد أنملة.»

هزت كتفيها وتابعت:

– «عاهرة لمرة، عاهرة للأبد، على ما أظن.»

عندها، رفعت بلير جيشاً من أكواز الصنوبر عن الأرض في تهديد صامت.

– «لو كنت مكانك لأبقيت فمي مغلقاً. وإلا قد تجدين كوز صنوبر مستقرّاً في

حلقك.»

ردت آندي بنبرة غنائية:

– «أنت فقط تثبتين وجهة نظري.»

تخلت بلير عن أكواز الصنوبر لصالح إحدى الصخور العملاقة العديدة

المتناثرة على الأرض. أرسلتها محلقة نحو آندي، وفي طريقها، نحوي بطبيعة

الحال. وبحركة خاطفة من يدي، استعرت قدرة بلير لأغیر مسار الصخرة،

فطارت بعيداً عنا لتصطدم بشجرة قريبة.

قلت بنبرة باهتة، تعكس مزاجي الحالي:

– «هذا يكفي أيتها السيدتان. أفضل ألا أكون في قلب هذا النزاع.»

همهم براكستون موافقاً، فغرقنا في صمت مشحون بالتوتر بينما واصلنا التسلق. زحفت الشمس عبر السماء بخطى وثيدة، تسلط أشعتها اللاهبة علينا حتى أخذ العرق يتصبب من وجهي وراح حلقي يصرخ عطشاً للماء. ثم مزقت صرخة حادة ذلك الصمت. استدرتُ لأجد آندي تقبض على ربله ساقها، وعيناها مسمرتان على الأرض.

– «كاي.» كان صوتها أقرب إلى الهمس. «لا. تتحرك.»

تتبعُ نظرتها لأجد عشرات العيون السوداء الصغيرة واللامعة تحديق بي، بالسنة مشقوقة تتراقص في الهواء. ثعابين. ضخمة وجائعة. لم أستطع حتى تمييز عددها وسط الشجيرات الكثيفة والصخور المتناثرة على الأرض، لكنني أدركتُ أن عددها كافٍ ليثير قلقي.

كتمت بلير صرخة رعب حين لمحت المخلوقات الزاحفة تحيط بنا، بينما تتمم براكستون بشتيمة تحت أنفاسه.

قلتُ ببطء، دون أن أرفع عيني عن الأرض:

– «حسنًا. سيتعين عليّ وعليكِ تولي هذا الأمر يا بلير.»

حولت نظراتها المذعورة نحوي، وقد ذاب جلايد برودتها المعتاد أمام هذا الرعب.

همست بحدة، محاولة إخفاء فزعها:

– «ماذا نفعل؟»

سحبتُ نفساً عميقاً، غير واثق من امتلاكي إجابة لها. كان الثعبان الأقرب إليّ يزحف نحوي بمقدار كل ثانية، فرمقته بنظرة، وعقلي يتخبط بحثاً عن مخرج.

– «سأتولى أنا أمر الثعابين من هذه الجهة.» أومأت نحو حيث أقف أنا وآندي. «وتولّي أنتِ أمر الثعابين من جهتك.»

فحت بلير، وبدا صوتها أشبه بأحد الثعابين التي تطوقنا:

– «أتولى؟»

تنهدتُ مجيباً:

– «أجل. تتولين. إنها ليست خطة عبقرية، لكن فقط... اقذفها بعيداً.»

– «أقذفها؟»

تجاهلتُ سؤالها وسألت:

– «مستعدة؟»

غمغمت بشيء ما، فاعتبرتُ ذلك موافقة.

– «جيد. انطلقى.»

مددتُ يدي بشكل أعمى، مستعيناً بقدرة بلير، نحو الثعابين الزاحفة عند أقدامنا. رفعتُ ثلاثة من أجسادها الضخمة عن الأرض وأرسلتها محلقة بعيداً أسفل الجبل. تناهى إلى سمعي جوقة من الفحيح ولمحتُ ثعبانين آخرين قبل أن أرسلهما للإبحار في الهواء ليلحقا برفاقهما.

كان هناك العشرات منها. رحنا أنا وبلير نرسل الثعابين طائرة يمنة ويسرى، بينما كنا جميعاً نراوغ ونرقص على أقدامنا حين تقترب منا أكثر من اللازم. سمعتُ صرخة خافتة من آندي واستدرتُ لأرى ثعباناً ينقض نحوها، وفمه مفتوح عن آخره وأنيابه متأهبة للانغراس في لحمها. جمدته في الهواء قبل أن يضيف لدغة أخرى إلى ساق آندي.

وبعد أن تمكنا أخيراً من التدافع صعوداً والابتعاد عن وكر الثعابين، ترنحت آندي، فكنْتُ بجانبها في لمح البصر.

– «لقد لدغت.»

لم يكن هذا سؤالاً.

– «دعيني أرى.»

كان وجهها شاحباً وهي تسحب يدها عن ساقها، لتكشف عن جرحين عميقين خلفتهما أنياب الثعبان، والدماء تتساقط على قدمها وتتسلل إلى حذائها.

أبعدتُ خصلة من شعرها الأحمر القاني عن جبهتها اللزجة، باحثاً في عينيها.

– «بماذا تشعرين؟»

غصت بضحكة وقالت:

– «حسناً، يبدو أن كبريائي يتألم أكثر مني. لم أرَ الثعبان قادمًا حتى. ثم ظهر الباكون و... أنا آسفة.»

تلاشى صوتها، وركزت نظرها على الشمس التي بدأت تغوص خلف الجبل.

– «مهلاً، لم يرها أحد منا، أتذكرين؟ لكنني بحاجة لأن تخبريني بما تشعرين به.»

بحق الطاعون، أرجوكِ ألا تكوني مسمومة.

– «أشعر أنني بخير. الألم لا يُحتمل، لكنني بخير.»

في الوقت الحالي.

بقيت الكلمات غير المنطوقة معلقة في الهواء بيننا.

كنتُ آمل أن يكون الألم هو مشكلتنا الوحيدة ولا شيء سواه. آمل ألا أكاد أفقد شخصاً آخر من بين القلائل الذين لا أقوى على فقدانهم. سألتها:

– «هل يمكنك المشي؟»

خطت خطوة، فتقلص وجهها ألماً.

– «أجل. أنا بخير.»

تمتعتُ:

– «هراء.»

ثم جثوت أمامها.

– «هيا. اصعدي على ظهري.»

رمقتها بابتسامة صغيرة عبر كتفي.

- «تمامًا كالأيام الخوالي.»

ضحكت بصوت أجش.

- «بجدية، أنا بخير-»

قاطعتها بليز بانفعال:

- «حسنًا، من الواضح أنك لست كذلك. فاصعدي على ظهره اللعين كي تتمكن من التحرك.»

بدأت تتسلق صعودًا، متممة بشيء بدا وكأنه: «بحق الطاعون، أنا أمقت العمل الجماعي.»

بدت آندي مترددة:

- «هل يمكنني محاولة التحول إلى حيوان صغير ليسهل حملي؟ لكنني لست واثقة من قدرتي على الحفاظ على تلك الحالة لفترة طويلة...»

- «وفري طاقتك. هيا. اصعدي.»

ساعدتها على الصعود إلى ظهري، قابضًا على خلف ركبتيها بينما تشبثت هي بكتفي. كانت طويلة ونحيلة، ولم يشكل وزنها عبئًا يذكر.

في الوقت الحالي.

ثم استأنفنا التسلق مجددًا.



الفصل 41

بيدك

هناك حصة في حذائي. الحصة ذاتها التي لازمتني طوال النصف ساعة الماضية، لكن يداي مشغولتان للغاية بمنعي من السقوط نحو حتفي لدرجة تمنعني من فعل أي شيء حيالها.

كنا نتسلق لعدة ساعات. تضاعل عدد الأشجار الآن بشكل ملحوظ، مفسحاً المجال لمنحدرات قاسية تكسوها نباتات زلقة. كانت يداي تتشبثان بصخور ضخمة بينما كنت ألتقط أنفاسي، موجهة ناظري نحو وجهتنا. القمة.

رغم تسلقنا المتواصل، إلا أنها لا تزال تلوح عالياً فوقنا. كان جاكس بجواري، يلهث بشدة تماماً مثلي. قلت بأنفاس متقطعة:

– «أظن أن لياقتنا البدنية في الحضيض.»

منحني ابتسامة سريعة قبل أن يجيب بصوت أجش:

– «أتظنين ذلك حقاً؟»

زفرت ضحكة مكتومة بينما أجبرت قدمي على التحرك مجدداً. كانت ساقي ترتجفان، منهكتين من التسلق المتواصل لساعات طوال دون طعام أو



ماء يعيننا. مددتُ يدي لجاكس، لأساعده على تجاوز رقعة صخرية شديدة الانحدار، رادةً له جميلاً أسداه لي مرات عدة.

– «كم هذا لطيف.»

تصلبنا أنا وجاكس عند سماع ذلك الصوت، آخذين في الحسبان أن صاحبه حاول قتل كلينا. عضضتُ لساني، مجبرةً نفسي على إخماد شرارة الغضب التي اشتعلت بداخلي، وتجاهلته عوضاً عن ذلك.

أطلق آيس تنهيدة مسرحية بينما واصل التسلق بالقرب منا.

– «حسنًا، هذا محرج. أن نُجمع نحن الثلاثة لنكون فريقاً واحداً.»

هذا ليس محرجاً – بل متعمد.

كل ما يفعله الملك مدروس بدقة. وملتو. وهذه التصفية ليست استثناءً. المعارك، والفِرَق، والتوتر بين المتسابقين، كلها أمور محسوبة بعناية.

تغنى آيس من الخلف بنبرة مستفزة:

– «ماذا؟ هل ستتجاهلاني هكذا حتى نبلغ القمة؟»

أشكر الطاعون أن جاكس تصادف أن يكون النخبة الآخر الذي أقرنت به، كي لا أضطر لمحاربة الرغبة في قتل كلا زميلي في الفريق. رغم أن ذلك قد يكون أمرًا سيئاً بالنظر إلى أنني على الأرجح أثق بجاكس أكثر مما ينبغي. لكنني تجاهلت تلك الفكرة تمامًا كما تجاهلتُ الفتى خلفي، وواصلتُ التسلق بحذر.

– «على الأقل–»

ماتت كلمات آيس على لسانه قبل أن يصرخ:

– «بيدن! احذري!»

استدرتُ لأواجهه، وعوضاً عن ذلك وقع بصري على ثعبان عملاق يزحف ملتفًا حول كاحلي. انمزقت صرخة مكتومة من حلقي قبل أن أتمكن من كبجها، وتعثرتُ. اشتبك كاحلي بصخرة، ففقدتُ توازني، وسقطتُ للخلف–

آخر ما رأيته قبل أن أهوي من الجبل، وعلى الأرجح نحو حتفي، كان الثعبان يتلاشى متحولاً إلى ظلال حين ارتطمت قدمي به. وهم.

لكن الأوان قد فات. كان جسدي يهوي، وكنتُ على وشك التدرج أسفل المنحدر دون أي وسيلة لإيقاف نفسي. يا لها من طريقة مثيرة للشفقة للموت—

فجأة، استقرت يدان على ظهري، تدفعاني وتجذباني لأقف على قدمي قبل أن أرتطم بالصخور وأتدرج أسفل الجبل. قال جاكس من بين أسنانه المطبقة خلفي: — «أمسكتُ بك. أظن ذلك.»

مددتُ يدي وتشبثتُ بأقرب صخرة مسننة، لأساعد نفسي على تثبيت قدمي تحتي. وحين أصبحتُ واقفة بشكل شبه مستقيم على ساقين ترتجفان، ومض جاكس عائداً أمامي، يتصبب عرقاً ويلهث. أنا واثقة أن مظهري لا يختلف عنه كثيراً، لكنني منحته ابتسامة واهنة وأملتُ أن يرى الامتنان في نظرتي. لقد استخدم هذا الفتى قدرة الوامضين لينتقل خلف خصمه وينقذني من—

تبخرت الفكرة من رأسي، ومعها أي فكرة عقلانية أخرى ربما كانت تستوطن هناك. استدرتُ بحدة نحو آيس حتى وأنا أتشبث بصخرة، غير واثقة من قدرة جسدي المرتجف على دعمي. كانت ابتسامته باردة.

— «احذري. لا أود أن تتأذى زميلتي في الفريق.» بصقتُ الكلمة باشمئزاز: — «أنت.»

كنتُ على وشك الانزلاق أسفل المنحدر لخنقه بيدي العاريتين— قال جاكس بهدوء:

– «لا تفعلي. ليس بعد.»

ترددتُ، وأعدتُ عينيّ ببطء لتلتقيا بعينيه الداكنتين. وبعد صمت طويل ونفس عميق، أومأتُ برأسي. لم يكن جاكس محققاً فحسب بتذكيري بأنه لا يسع

ني قتل زميلنا في الفريق، بل كان من الواضح أنه أبرع مني بكثير في كبح غضبه. لذا، استدرتُ بتصلب نحو الجبل، مركزة كل انتباهي على تسلقه. تسلقنا بصمت لبرهة قبل أن أتنحى لترطيب حلقي الجاف، وأقول بصوت خافت:

– «شكراً لك يا جاكس. لم تكن مضطراً لمساعدتي، لكنك فعلت.»
أجاب بهزة كتف:

– «بالطبع ساعدتك. علاوة على ذلك، لست واثقاً من أن إخوتي كانوا ليغفروا لي لو لم أفعل.»
إخوته.

في تلك الليلة التي رقصتُ فيها مع كاي خلال التصفية الأولى – الليلة التي تحدثنا فيها بصراحة تامة عن حيواتنا – كانت المرة الأولى التي أدركتُ فيها مدى قرب الأمراء الحقيقي من جاكس. أخبرني كاي بإيجاز عن غرق سفينة مستشاري الملك في بحر «المستنقعات»، وكيف تبنيا ابهما حين كان بالكاد في السادسة من عمره.

أجبرتُ نفسي على إطلاق ضحكة خافتة:

– «لا أدري، أنا واثقة أن كاي لم يكن ليمنع في تقليص عدد منافسيه.»
رمقني بنظرة غريبة، بدا واضحاً أنه يحاول جاهداً كبح ضحكته.

– «ليس إن كنتِ أنتِ تلك المنافسة.»

زفرتُ استنكاراً، لكن جاكس واصل حديثه بمرح:

– «وبالحديث عن كاي، أتساءل كيف يتعامل مع هذا.»

– «يتعامل مع ماذا؟»

سحب جاكس نفسه فوق صخرة مسننة بأنة جهد، قبل أن يقول بأنفاس متقطعة:

– «الجبل.»

وحين ظلت ملامحي تعكس حيرتي، أضاف جاكس:

– «إنه يمقت المرتفعات.»

تلعثمتُ بذهول:

– «ماذا؟ لكنني رأيته يتسلق إحدى أشجار الصنوبر في غابة الهمسات

خلال التصفية الأولى. لقد بدا-»

أكمل جاكس عني بضحكة:

– «بخير؟ هادئاً حتى؟ أجل، إنه بارع جداً في إخفاء ما يشعر به.»

تمتمتُ تحت أنفاسي:

– «مجرد قناع آخر يرتديه.»

أوماً جاكس برأسه، مما تسبب في انزلاق قطرة عرق على وجهه.

– «لقد تحسن كثيراً في التعامل مع المرتفعات، ولكن فقط بفضل التدريب

القاسي الذي أخضعه له الملك.»

كنت أعرف ما يكفي عن تدريب الملك الملتوي، لكن كاي لم يأتِ قط على

ذكر خوفه من المرتفعات.

– «ما الذي فعله الملك؟»

– «لقد... لقد أجبره على تسلق أعلى الأشجار في غابة الهمسات، مراراً

وتكراراً، حتى اقتنع بأن كاي قد تغلب على خوفه.»

– «ماذا؟»

كان صوتي مرتجفاً كساقِي اللتين تحملانني صعوداً على هذا الجبل.

والده نفسه أجبره على عيش أسوأ مخاوفه مراراً وتكراراً.

يبدو أن التعذيب الذي تحدث كاي عن تحمله لم يقتصر على الجانب الجسدي وحسب.

قال جاكس وهو ينظر إلى قدميه، وقد بدا جادًا فجأة بشكل لم أعده عليه من قبل:

– «كنتُ صغيرًا حين كان كاي يخضع لمعظم تدريباته ليصبح المنفذ المستقبلي، لكنني لن أنسى أبدًا تلك الليالي التي كان يعود فيها إلى المنزل ملطخًا بالدماء والدموع.»
تابع قائلاً:

– «أظن أنه كان يخشى أن أخاف منه، لذا كان يتسلل عائداً إلى غرفته كل ليلة. لكنني كنت أسترق النظر إليه أحياناً، وأسمعه وهو ينهال بسيفه على أعمدة سريره تقطيعاً.»

تسلقنا بصمت لبرهة، وتجاهلتُ صراخ أفكارٍ تماماً كما تجاهلتُ الغصة في حلقي والضغط خلف عيني.

ثم ارتسمت ابتسامة متعبة على شفتي جاكس وهو يقول:

– «لكنني لم أكن لأتمنى إخوة أفضل منهما.»

قاطعنا آيس بلهجة متمهلة:

– «أكره مقاطعة حديثكما اللطيف، لكن هل أنا الوحيد الذي يشعر بهذا؟»

كنتُ على وشك تجاهل ما بدا وكأنه محاولة أخرى لخداعي بوهم، حين بدأتُ أشعر به. ارتجافة خفيفة تسري في جسدي، نابغة من الجبل. أخذت الصخور الصغيرة تتخبط حولنا، فانحنيتُ مقتربة من الأرض، متشبثة بأي شيء يحول دون سقوطي.

همستُ:

– «انهيار صخري.»

اجتاحني الرعب، لكن سرعان ما تبعه إصرار عنيد.

لن أموت اليوم. وخصوصاً ليس بسبب صخور.

ابتلعتُ ذعري عند سماع دوي الصخور الضخمة تتدحرج نحونا، تصطدم ببعضها البعض في سباق لسحقنا.

سأل جاكس وهو يلهث بجواري:

– «إذن، ما هي الخطة؟»

أجبتُ ببساطة:

– «ألا نموت.»

تمتم آيس، بلامبالاة مبالغ فيها مقارنة بوضعنا الحالي:

– «يا لها من مساعدة لا تقدر بثمن.»

تعالى هدير الصخور بينما راقبتُ الجلاميد تتدحرج نحونا. تفاديها كان أسهل قولاً من الفعل. كان سفح الجبل شديد الانحدار، مما جعل القفز من مكان لآخر صعباً دون الخوف من السقوط نحو حتفنا. كنتُ أتشبث بالنباتات والفجوات في الصخور تحتي بينما أتحبط للابتعاد عن مسار الجلاميد المتدحرجة.

كان جاكس يستخدم ومضاته للابتعاد عن مسار الصخور المتساقطة، يومض ويختفي من مجال رؤيتي. أما آيس فكان في مكان ما خلفي، وإن حالفني الحظ، فربما يكون جلمود قد أرسله يتدحرج أسفل الجبل بالفعل. تحببتُ نحو اليمين، وبالكاد أنقذتُ ذراعي من أن تُسحق. ثم قفزتُ نحو اليسار و-

اصطدم شيء ما بجانب رأسي.

تراقصت البقع أمام عيني. شعرتُ بالدوار، والتشوش، ولم أستوعب سوى بالكاد أن اسمي يُنادى بصراخ. رفعتُ بصري في الوقت المناسب لأرى أنني على وشك أن أُسحق تحت جلمود. غصتُ بعيداً عن مساره، وسقطتُ بقوة وأنا أتشبث بأي شيء أقع عليه. وبسرعة حدوثة، بدا الجبل وكأنه يسكن تحتي بينما توقفت الصخور ببطء عن الانزلاق.

تخبطتُ للنهوض على قدمي، أرمش لأبعد السائل الساخن الثقيل الذي كان يهدد بالانسكاب في عيني. شعرتُ بالدماء تنزف على جانب وجهي، وبنبض الألم الحاد من الجرح هناك. كنتُ شبه واثقة من إصابتي بارتجاج في المخ، تمامًا كما كنتُ شبه واثقة من أنني سأتقيأ.

ناديتُ وأنا أخطو خطوة للأمام وأمد يدي لأسند نفسي على الصخور:

– «جاكس؟ هل أنت بخير؟»

أجل، أظن أنني سأتقيأ.

أجاب وهو يومض أمامي:

– «أنا بخير.»

كنا كلانا مغطين بخدوش وكدمات بدأت تتفتح بالفعل على بشرتنا.

قال آيس، بصوت يفتقر إلى أي نبرة أو رقة:

– «شكرًا لسؤالك يا بيدن. أنا بخير تمامًا.»

مسحتُ عيني بظهر يدي، لأزيل الدماء التي تتقاطر من جرحي.

– «يا لسوء الحظ.»



الفصل 42

كاي

كان كل إنش في جسدي يئن ألماً. قدماي. ظهري. جسدي بأسره.

كنتُ متعباً حد الألم، جائعاً حد الألم، ومدركاً حد الألم لمدى انزعاجي من نفسي بسبب ذلك. لقد تحملتُ التعذيب، وواجهتُ أسوأ مخاوفي، وقدتُ الجيوش في المعارك، ومع ذلك، قد يكون تسلق جبل وأنا أعاني من دوار ما بعد السكر هو ما سيقضي عليّ في النهاية.

تشبث أندي بظهري لم يكن يساعد أيضاً. لم تكن المشكلة في وزنها، خاصة وأنني كنت أستعير قوة براكستون. لا، بل تكمن المشكلة في كونها نحيلة للغاية لدرجة أن أطرافها الطويلة كانت تعيق تسلقي.

غمغمتُ، متلقياً لكمة ضعيفة على كتفي:

– «من السخف مدى نحافتك وبروز عظامك.»

جيد. على الأقل لا تزال تملك القوة لضربي.

تابعتُ بلامبالاة:

– «حين نخرج من هنا، سأصنع لك كعكات لزجة بنفسي لزيادة وزنك.»



أصدرت شجرة موافقة على تلك الفكرة، وكان صوتها واهناً. كانت تتلاشى بسرعة. بشرتها شاحبة كالموتى، لا يبرزها سوى ضوء القمر، وأنفاسها سريعة وسطحية.

أعرف الفرق بين الألم والسم، وهذا بالتأكيد هو الثاني.

لذا، كنت أحرص على إبقائها مستيقظة، وأشغل انتباهها. كان صوتي خفيضاً وأنا أحدثها بهدوء، أمازحها وأسترجع ذكريات الأيام الخوالي. كانت تستجيب غالباً بضحكات متقطعة الأنفاس أو بإيماءة من رأسها، لكنني كنت لأرضى بأي شيء على الصمت.

كان القمر دليلنا الوحيد، يلقي بضوء شاحب بالكاد ينير الجبل الذي كنا نتسلقه منذ لحظة استيقاظنا. أصبحت التضاريس شديدة الانحدار الآن لدرجة أن آندي كانت تتشبث بي ولفّت ساقها حول خصري، محررةً يديّ لتساعداني على التسلق.

شعرتُ برأسها يتدلى على كتفي، وقد استسلمت للإرهاك والألم المبرح.

قلت برقة، وأنا أهزها بلطف لأبقيها مستيقظة:

– «هيا. لقد كدنا نصل. فقط القليل بعد.»

شعرتُ بإيماءتها المتعبة وحاولتُ تسريع وتيرتي.

أمكنني رؤية الهضبة المنبسطة للقمة تلوح فوقنا.

كدنا نصل.

كنت أتسلق، يداي تخذشان الحجر والصخور تنزلق من تحتي. فقدتُ موطئ قدمي، وفقدتُ قبضتي أكثر من مرة، وكدتُ أرسلنا في سقوط نحو حتف مشؤوم. لكننا كدنا نصل. هذا الكابوس كاد ينتهي. نحن على وشك التحرر.

رأيتُ ظلال شخصيات تصطف حولنا. تنتظرنا. كان المتبصرون يراقبوننا ونحن نتخبط للوصول إلى القمة، لاهئين ومكللين بالعرق، جائعين ومنهكين. ومنتشين.

لقد فعلناها.

سحبتُ نفسي فوق الحافة، وآندي تتشبث بي بشراسة. كرامتي وحدها هي ما أجبرتني على الوقوف على قدمي، رغم أن الإعياء كان يهدد بشل حركتي.

زفر براكستون بجواري بينما وقفنا جميعاً، مذهولين:
- «لقد فعلناها.»

كانت الهضبة عبارة عن لوح ضخم من الصخور غير المستوية والتراب، تمتد على مساحة أوسع بكثير مما تبدو عليه من الأسفل. نظرتُ حولي، متفحصاً محيطي، ورصدتُ العشرات من المتبصرين يتناثرون على القمة. ثم مسحت عيناي عموداً خشبياً طويلاً، مغروساً في الأرض عند الطرف الأقصى للقمة. وعُلّق في أعلاه علم أخضر ممزق، يصفعه الريح. أي لعبة جديدة هذه؟

لفتت حركة ما انتباهي بطرف عيني، فحدقتُ في الضوء الخافت لأركز على الشخصيات التي تتسلق الجانب المقابل من الهضبة، لتنضم إلينا. ورغم العتمة، عرفتُ هويتهم بالضبط. جاكس. آيس. بيدن.

حدقنا في بعضنا البعض، كل مجموعة مذهولة وساكنة. تقدم أحد المتبصرين، وكان صوته واضحاً وهو يقرأ رسالة من ورقة ممزقة في يده.

- «يسعدنا أنكم تعلمتم العمل كفريق واحد، لكن أوه، هذه التصفية لم تنتهِ بعد. لقد تغيرت قواعد اللعبة قليلاً، لذا فإن أول من يستولي على العلم سيكون الفائز.»

تنحنح قبل أن يتابع:

- «لا يمكن أن يكون هناك سوى فائز واحد بينكم. والسؤال الوحيد هو، من سيكون؟»
صمت.

سكون تام.

تغلغت كلماته في ذهني، متسربة إلى أعماق عقلي. لم يكن يجدر بي أن أتفاجأ. سيكون هذا مشهداً ترفيهياً رائعاً؛ مشاهدتنا نعمل معاً فقط ليمزق بعضنا بعضاً في النهاية.

لأن الأمر كان أسهل من اللازم، رغم الصعوبة البالغة لبلوغ قمة جبل الانحدار. وكان يجدر بي أن أدرك الآن أن هناك دائماً فخاً، دائماً ثمناً يجب دفعه. والذي نفسه هو من علمني ذلك.

حدقنا جميعاً في بعضنا البعض، تنتقل عيوننا بين منافسينا وبين العلم الممزق الذي غدا فجأة شريان نصرنا. ثم انقلبنا على بعضنا البعض. فوضى عارمة.



الفصل 43

بيدك

الظلام والدمار هما كل ما أعرفه. اصطدمت المجموعتان ببعضهما،
وتصادمت القوى، وشقت الصرخات سكون الليل. لكن حين التقت عيناى
بعينه فى الضوء الخافت، لم أتردد قبل أن تهوى قبضتى على فكه.
ترنح آيس للخلف، مذهولاً من القوة والغضب اللذين شحنتهما فى لىمتى.
ابتسمت عند رؤية ذلك. لقد كنت أتوق لفعل هذا طوال اليوم. بل طوال كل يوم.
تلاشى القتال من حولنا. كل ما رأيته كان هو، واللون الأحمر الذى غشى
رؤيتى، والذى كان مزيجاً من الدماء والغضب المتأجج معاً.
سأقتله.

غاصت قدمى فى معدته، طاردة الهواء من رئتيه، قبل أن أوجه لكمة
خاطفة إلى أنفه، شاعرة بتهشمه ببهجة مرضية. جسدى هو سلاحى الوحيد. لا
أملك سكاكين، ولا قوساً، ولا سيوفاً لأختبئ خلفها. لكننى لم أكن لأرضى
بغير ذلك. أريد أن أفعل هذا بيديّ العاريتين.
كدت أعجب بمدى التواء وبراعة الملك فى تقديم عرض مثير. لقد علم أننا
دخلنا هذه التصفية آملين فى الانتقام، وعوضاً عن ذلك أمرنا بالعمل معاً.



فتحول أعداؤنا إلى زملائنا في الفريق. لكن الآن، يمنحنا الملك ويمنح الجماهير ما يريدونه.

نحن نمزق بعضنا البعض.

التقط آيس أنفاسه أخيراً، وهو يلهث بينما يبتسم لي بخبث، مستنداً بيديه على ركبتيه.

– «أوه، لقد كنتِ تنتظرين فعل ذلك وحسب، أليس كذلك؟»

أجبتُ، مستذكرة كيف مقتته حتى في ذلك الحين، حتى قبل أن يحاول قتلي. مرتين.

– «منذ تلك الرحلة بالعربة إلى القلعة، في الواقع.»

بصق الكلمات بينما كانت الدماء تنزف من أنفه وتتقاطر على ذقنه:

– «حسناً، لم أكن معجباً بك قط أنا الآخر.»

تحركتُ، مصوبة ركلة لتحطيم صدغه، لكنني فجأة غُمرتُ في الظلام. بدا الأمر وكأنه ألقى ببطانية ثقيلة على رأسي، خانقاً النور من حولي. الآن أنا غاضبة ومنزعجة.

لكنني أعرف كيف تسير هذه اللعبة، فلوحتُ بذراعيّ وتقدمتُ بضع خطوات للأمام. تمزق الوهم، وكالدخان، تبدد الظلام في مهب الريح. رمشتُ، وعينا ي تتكيفان بينما حاولتُ العثور على آيس وسط الفوضى. ثم شعرتُ بالاختناق.

كان الهواء ينقطع عن رئتيّ، وقصبتني الهوائية تُسحق. ضُغط جسم صلب وخشن ضد حنجرتي، مجبراً إياي على اللهاث محاولةً ابتلاع الهواء. خدشتُ الشيء الذي يضغط على عنقي، الشيء الذي يفصل بيني وبين الحياة والموت.

ركلتُ آيس خلفي، أتلوى وأقاتل للإفلات من قبضته. انغرز اللحاء الخشن في أظافري بينما كنتُ أمزقه، محاولةً تخليص نفسي من قبضته الخانقة. لقد كان يشنقني بغصن.

بغصن.

بدأت الرؤية تتلاشى أمام عينيّ، والجرح في رأسي ينبض بشدة، ورئتاي تصرخان بحثاً عن الهواء.

لا. ليس اليوم. يمكن للموت أن يطالب بي حين يجد طريقة أقل إثارة للشفقة لإنهاء وجودي.

أوقفتُ يديّ المذعورتين وكففتُ عن المقاومة، مجبرةً نفسي على التراخي، والانهيار، والتوقف عن الظهور وكأنني حية وأغلي من الغضب. تركتُ ركبتيّ تلينان، فانزلق الغصن عن عنقي بينما تهاويتُ إلى الأرض.

«لا تنسي أبداً أن دهائك سلاح يُشهر، فقط إن كان عقلك حاداً كنصلك.»

ترددت كلمات والدي في رأسي، مذكرةً إياي بأن ليست كل المعارك تُحسم بالقوة الغاشمة. لذا، سأحسم هذه المعركة بالدهاء.

تشابكت أطرافني في فوضى على التراب، واستقر رأسي بألم على صخرة مسننة. لكنني تمكنت من التنفس مجدداً. بالكاد. أجبرتُ نفسي على أخذ أنفاس سطحية، راجيةً أن يتقدم مهاجمي خطوة وينهي المهمة.

سُحقت الحصى تحت وقع حذائه قبل أن يجثو جسد فوق جسدي المرتخي. غمرتني تنهيدة عميقة ومجهدّة، وكادت أطراف أصابعه التي مرّت بخفة على حاجبي أن تجعلني أجفل.

تحدث آيس وهو يزيح خصلة شعر خلف أذني، برقة كادت تكون حنونة. أثار ذلك غثياني.

– «يا له من عار أن الجميلات دائماً ما يكنّ عاهرات.»
وأضاف:

– «يا له من عار. يا له من هدر.»

بدأت يده تتراجع، وأدركتُ أن عليّ التحرك. فتحتُ عينيّ فجأة، ففعل هو المثل حين نظر إليّ بصدمة. كان جاثياً فوق جسدي، إحدى يديه أسيرة يدي، والأخرى تقبض على صخرة بالكاد تصغر حجم رأسي.

كان ينوي تهشيم جمجمتي.

بحركة خاطفة، لويتُ ذراعه بزاوية غريبة، فسمعتُ طقطقة العظم وصرخة انمزقت من حلقه. رفعتُ ساقِي وضغطتُ بقدمي على صدره، مقذفةً إياه جانباً بدفعة قوية. طار ليستقر على ظهره بجواري، وسقطت الصخرة من يده.

كنتُ فوقه في النبضة التالية لقلبي المطرّق.

ضغطتُ بركبتيّ على ذراعيه لتثبيتهما أرضاً، تاركةً كامل وزني يستقر على صدره. هويتُ بيدي على معصمه، ضاغطةً على العظم المكسور الذي يبرز الآن ضد بشرته. لم أكن أتصور يوماً أن صرخة قد تمنحني هذا القدر من النشوة.

ابتسمتُ، منتشيةً بالكراهية الخالصة التي تشتعل في عينيّه، موقنةً أنه يرى الكراهية ذاتها تنعكس في نظرتي، وقلت:

– «يا له من عار أنني لا أملك خنجري لأقتلع قلبك الأسود.»

وتابعت:

– «يا له من عار.»

متى أصبحتُ بهذه الشراسة؟

لفت انتباهي شيء ما، فانتقلت نظراتي نحو الشخصيات الباهتة التي كانت تحيط بنا الآن.

إنها أنا.

عشرات من نُسخ بيدن الشاحبة العليّة. كنّ يترنحن مقتربات، بأذرع ممدودة تحاول الإمساك بي. كنّ يتدافعن نحوي وهنّ يتوسلن النجدة، يتوسلن أن أريحهن من بؤسهن.

حدقتُ فيهن، وحدقن فيّ.

ثم ابتسمتُ، ابتسامة حزينة وبطيئة.

همستُ:

– «لم أعد خائفة من نفسي بعد الآن.»

تلك الفتاة – تلك الفتاة المسكونة بالخوف، الضعيفة التي تتسول النجدة، وتتسول الحب – هي أنا. وبدونها، لما أصبحتُ ما أنا عليه اليوم. لا أزال مسكونة بالخوف، وربما لا أزال آمل في الحب، لكنني لم أعد ضعيفة بسبب ذلك.

وحين انزلت نظرتي عائدة إلى آيس، لم أكن أبتسم.

– «أتظن أن بإمكانك استخدامي ضد نفسي؟ مجددًا؟»

أطلقت ضحكة جافة بلا مرح.

– «إن خدعتني مرة، فالعار عليّ. وإن خدعتني مرتين... حسنًا، لن

تحظى بفرصة لفعل ذلك، أليس كذلك؟»

أملت رأسي، محدقةً في وجهه الذي التوى الآن ألمًا.

أمسكتُ الصخرة التي كانت مخصصة لجمعتي ورفعتها فوق رأسه بدلاً من ذلك.

– «وداعًا يا آيس.»

قلتها بأنفاس متقطعة، متسائلة عما إذا كان يجدر بي الشعور بأي ندم تجاه هذا الفتى.

تغير شيء ما في مجال رؤيتي المحيطية.

تلاشت الأوهام الآن، منجرفةً بعيدًا بينما ضعف آيس من الألم تحتي، مما سمح لي باستراق النظر إلى الشخصية الواقفة بالقرب مني.

كان مغطى بالدماء، والتي على الأرجح لا يخصه معظمها. التقت عيوننا، وبدأ صوت القتال حولي، الذي كان يصم الآذان، يتلاشى شيئًا فشيئًا. كان التواصل بيننا مكهربًا، بل وممكنًا، وهو يراقبني دون أن يفعل شيئًا ليقف في

طريقي. دون أن يفعل شيئاً لمحاولة إقناعي بعدم إزهاق روح. دون أن يفعل شيئاً لأنه يعلم أنني قادرة على تدبر أمري.

لم يفعل شيئاً لأن كاي لم يكن ليتصرف بشكل مختلف.

الفتى القابع تحتي حاول قتل أخيه، وحاول دفع كاي للقيام بذلك نيابة عنه. وأنا أهدق في عيني الأمير الرماديتين، المنفذ المستقبلي، وجالب الموت، أدرك أنه كان ينتظر بصبر لقتله. ينتظر الانتقام بصبر.

ومع ذلك، ها هو يقف هناك، يقطر دمًا، ولا يفعل شيئاً لمنعي من سلب انتقامه منه.

ليست هذه الروح لي لأسلبها.

– «كنت لأقتلك...»

كان صوتي صارماً وقوياً، عالياً بما يكفي ليسمعه كاي. رأيت عيني آيس تلمعان بافتراض أنني أضعف من أن أمضي قدماً في إنهاء حياته. كم هو مخطئ.

أكملت، وأنا أراقب عينيه تعتمان، والكراهية تحل محل الأمل:

– «لكنك لست ملكي لأقتلك.»

وجدت نظرتي طريقها إلى كاي مجدداً، كانت عيناه تلمعان في ضوء القمر وتلتهبان كدخان متصاعد من حريق. نبضت عضلة في فكه، وارتجفت يداه إلى جانبيه. منحته إيماءة واحدة، بطيئة.

ثم تقدم نحونا بخطى واسعة، والظلال تتشبث بظله.

بالكاد كان لدي وقت لانهض عن آيس قبل أن يرفعه كاي على قدميه بذراعيه القويتين.

– «من حسن حظك أنني لا أملك الوقت ولا الصبر لتمزيقك إرباً في هذه اللحظة.»

ثم تنقلت عينا كاي نحوي، لتتفحصني. كان المنفذ المستقبلي يقاوم رغبته في الانتقام، مفضلاً تفحص جسدي بحثاً عن إصابات. تلك الفكرة

جعلتني أبتلع الغصة في حلقي بينما تريت نظراته عند الجرح الذي لا يزال
ينزف في رأسي، قبل أن تنزلق ببطء نحو عنقي الذي بدأ يتقدم بالفعل على
الأرجح. ثم اندفعت عيناه نحو شيء بعيد خلفي.
العلم.

لم يصل إليه أحد بعد، فقد كانوا منشغلين بالقتال ومسلطين جل تركيزهم
على الانتقام لدرجة تمنعهم من الانفصال. حين نظرتُ عائدةً إلى كاي، كانت
عيناه مصوبتين نحوي بالفعل.

غمغم بالكلمة، مومناً نحو العلم الذي سيجلب لي النصر:

– «أذهبي.»

ثم أضاف:

– «فوزي بهذا الشيء اللعين يا جراي.»

رمشتُ محدقةً فيه، لكن انتباهه كان قد عاد بالفعل إلى المهمة التي أمامه.
لذا استدرتُ نحو العلم. حكّت حذائي الصخور تحتي وأنا أخطو مسرعة نحو
تلك القطعة من القماش التي تبدو عديمة الأهمية.

انضمت الصرخات إلى هتافات وبكاء المعركة، ولم أكن بحاجة للالتفات
لأعلم أن كاي قد بدأ عمله مع آيس. تجاهلتُ ذلك، وكرست كل تركيزي على
العلم وحسب.

وفجأة وجدتني أقف أسفله، أنظر لأعلى نحو جائزتي. أنظر لأعلى نحو
نصري.

ولم يوقفني أحد حين انتزعتُ العلم.



الفصل 44

كاي

هن المضحك كيف أن القتل هو ما يجعلني أشعر بنبض الحياة حقاً. أشعر بخفة لم أعهد لها منذ أيام. لقد انقشع الضباب عن ذهني، وبات أكثر حدة وشفاءً، الآن وقد تلاشت الأفكار حول آيس التي كانت تلتهمه.

أسفي الوحيد هو أن الوقت لم يتسع لي لأتلاعب به أكثر، ولو كنت رجلاً أنبل، لربما أثار هذا خاطر اشمئزازي.

كان العرض الملخص للتصفية مملاً، حيث اقتصر في مجمله على مشاهدة كل فريق وهو يتسلق الجبل بصمت مطبق. لكن المعركة النهائية التي دارت رحاها على القمة كانت كفيلة بانتزاع هتافات الجماهير التي نال منها الضجر. فقد وثق المتبصرون الفوضى العارمة، وعُرضت أمامي لأعيش تفاصيلها من جديد.

راقبتُ بيدن وهي تلاقي عينيّ وتمنحني هديتها.
هدية سلب حياة. هدية إنهاء حياة.

لقد سلمتني آيس على طبق من فضة رغم رغبتها العارمة في أن تذيقه مرارة الموت بيديها. سمحت لي بالانتقام دون أن تدرك حتى أن جزءاً من هذا



الانتقام كان لأجلها. فقبل أن تتملكني الرغبة في قتل آيس لأنه كاد يقتل جاكس، كنت أود قتله لأنه كاد يقتل بيدن.

الموت ليس غريباً عني. لقد أزهرتُ أرواحاً تعجز الأرقام عن حصرها، والدماء التي تلتخ يديّ وتصبغ روعي لن تُغسل أبداً. ومع ذلك، نظرتُ إليّ وكأنني أستحق آيس، أستحق الرحمة، أستحق — هي. أنا لا أريد سوى أن أكون مستحقاً لها.

راقبتُ الموت وهو يطوي ضحية أخرى بين براثنه. كانت بلير هي من أزهرت روح براكستون بوحشية. حسناً، لا يمكنها أن تنسب الفضل كله لنفسها. ربما أكون قد أسديت لها معروفاً صغيراً. لقد وجهت بعقلها غصناً غليظاً كان ملقى على الأرض ليخترق صدره. تمزق اللحم وتهشم العظم، ليفسح المجال للضيف الجديد الذي اخترق جسده. امتص الحياة ببطء من عينيه المذهولتين قبل أن ينهار أرضاً.

لكن الدهول الذي سكن نظرات براكستون انعكس في عيني بلير. لم تكن تصوب نحو براكستون. لا، بل كان ذلك الموت البطيء والوحشي متجهاً نحو الفتاة ذات الشعر الفضي التي كانت تخطو نحو نصرها بخطى واثقة. قد أكون سلبت الموت ضحيته المقصودة، لكنني قدمت له حياة أخرى عوضاً عنها. استعرت قوة بلير ووجهت دفعة القدر في اتجاه آخر. فكان براكستون هو الوجهة.

لكنني لن أتردد في فعل ذلك مراراً، وتكراراً، وتكراراً، لإنقاذ تلك الفتاة ذات الشعر الفضي.

يا لنا من فريق رائع، أنا والموت.

لكنني حظيت بثلاثة أيام لألتقط أنفاسي بعد التصفية. ثلاثة أيام طويلة قضيتها في ساحة التدريب، أتصيب عرقاً، أو محتجراً داخل مكتبة مع الـ خامد (سايلنسر) الخاص بوالدي، حيث أكون على الأرجح غارقاً في العرق أيضاً. يدفعني داميون لأقصى حدودي، يخنقني بقدرته بينما أصارع لاستخدامها ضده. وسواء كان جسدي أو عقلي هو ما يئن تحت وطأة أي من التدريبين،

فإنني أرحب بذلك. الإلهاء هو أفضل وسيلة لتمضية الوقت، ويبدو أن لدي الكثير من الأشياء التي أتمنى التلهي عنها هذه الأيام.

– «كاي، هل تصغي إليّ يا فتى؟»

هزئت رأسي، عائداً إلى المحادثة الدائرة.

– «بكل جوارحي يا أبي.»

زفر الملك تنهيدة عميقة، ورمقني كيت بنظرة ذات مغزى. لقد احتججنا في مكتبه لساعات، نناقش كل شيء بدءاً من مناوبات الحراس وصولاً إلى المقاومة، التي لم نعد نملك أي معلومات جديدة عنها، نظراً لأن الأسرى القلائل الذين أسروا بعد الهجوم على الحفل الراقص الأول قد لقوا حتفهم جميعاً الآن. ورغم ذلك، لا يبدو أن هذا الأمر يثير قلق والدي بشكل خاص الآن، بل استرسل في الحديث عن التصفيات لفترة تفوق بكثير الوقت الذي قضيته أنا في الإصغاء إليه.

تأملنا كلانا بينما سأل ببطء:

– «من المثير للاهتمام كيف فازت فتاة العشوائيات بالتصفية الأخيرة، ألا تظنان ذلك؟»

تصلب جسدي، وأظن أن كيت قد فعل الشيء ذاته.

لقد سلمتها النصر على طبق من فضة، مفضلاً الانتقام على الفوز. التعذيب على الانتصار. أتساءل عما إذا كان والدي يعلم بذلك. يعلم أنني سمحت لها بالتقدم نحو ذلك العلم دون أي تفكير آخر. يعلم أنني ابتسمت لرؤيتها، قوية وواثقة، وهي ترفع ذلك العلم عالياً في الهواء.

– «لقد فازت بجدارة. لا أجد في ذلك أي شيء مثير للاهتمام.»

خرجت الكلمات من فمي قبل أن أتمكن من التفكير في عواقبها.

ملأت ضحكة جافة أرجاء الغرفة.

قال والدي وعيناه الخضراوان تخترقانني بطريقة لم يتمكن كيت من فعلها

أبدًا:

– «هذا هو بيت القصيد. حثالة العشوائيات لا يفوزون.»
تصلبتُ عند الكلمة التي بصقها لكنني لم أجروُ على قطع تواصلنا
البصري.

– «ومع ذلك، فقد فازت.»
رمقني كيت بنظرة، لكن عينايا ظللتا مسمرتين على الملك وهو يقول:
– «ويجدر بك ألا تسمح بتكرار ذلك أبداً. لا تنسَ أنك أنت من يجب أن
يفوز بهذه التصفيات، وإن احتجتني لأذكرك بما سيحدث إن لم تفعل، فسأقوم
بذلك.»

انحنى للأمام، وصوته يقطر تهديداً مميتاً:
– «لقد دربتك لهذا، لذا لن تخيب ظني بك. هل هذا مفهوم أيها المنفذ؟»
كان التهديد في نبرته جلياً، وسمعته يتردد في أذني.
إن خسرت، فلن تكون سوى نكرة.
– «مفهوم يا جلالة الملك.»

وبذلك، نهضتُ على قدميَّ وخرجتُ من الباب بخطى واسعة. رحت أذرع
الممرات جيئةً وذهاباً، شاعراً بحاجة ماسة لضرب شيء ما، حاجة لغرس
سيفي في عمود سريري للمرة المئة. بعد كل سنوات التدريب وإتقاني لارتداء
الأقنعة، لطالما كان والدي هو الشخص الوحيد القادر على جعلني أفقد
السيطرة. مررتُ يدي عبر شعري وأنا أشق طريقي عائداً إلى غرفتي، مستعيداً
رباطة جأشي مع كل خطوة.

– «كاي.»
مسحتُ وجهي بيدي، مزدرداً تنهيدة وأنا أستدير لأواجه كيت الذي بدا في
غاية الاستياء.

سأل بحدة:

– «ما الذي حدث بحق الجحيم؟»
كدتُ أضحك.

– «لقد كانت تلك إحدى أكثر المحادثات تحضرًا بيننا، وأنت تعلم ذلك.»
أطلق كيت تنهيدة مثقلة بالتعب.

– «اسمع، أعلم أن علاقتك بوالدنا... معقدة. أتفهم ذلك. بعد كل التدريب القاسي الذي أخضعك له والتوقعات العالية التي يضعها على عاتقك الآن، صدقني، أتفهم سبب صعوبة التفاهم بينكما. لكن كل ما يفعله هو لمصلحتنا.»
سخرت وهزرت رأسي نحو السقف، متسائلًا عما إذا كان كيت سيكف يومًا عن محاولة إثبات جدارته أمام الملك.

– «تعلم، ربما كنت لتفكر بطريقة مختلفة لو أنه شق جسدك وأنت صبي وراقبك وأنت تحاول تقطيب الجرح بنفسك.»
خطوت نحوه خطوة.

– «أو ربما بعد أن تُجبر على مواجهة أسوأ مخاوفك مرارًا، وتكرارًا، وتكرارًا، كنت لتدرك أن ليس كل ما يفعله هو لمصلحتك.»
أطلقت ضحكة مريرة، وكاد كيت أن يجفل عند سماعها.

– «لقد جعلني قاتلاً، وقولبني لأصبح وحشًا. لكن ذلك كان لمصلحتي، أليس كذلك؟»

وكزته بإصبعي في صدره وأنا أقول:

– «بل كان ذلك لمصلحتك أنت، كي تتمكن من استغلالني حين تصبح ملكًا. تمامًا كما فعل هو.»
يا له من كلام خاطئ.

نزلت كلماتي عليه كضربة موجعة. رأيت الصدمة والألم يرتسمان على وجهه، فأجبرت نفسي على التراجع خطوة للوراء، لأهدأ. كنت أفقد أعصابي لأسباب لا أستوعبها حتى، وهذا لم يزدني إلا غضبًا. وكأن كل ذكرى مكبوتة من ماضي تكافح لتحرير نفسها، تكافح لتطفو على السطح.

– «كاي-»

قاطعته بهدوء، شاقًا طريقي عبر كلماته:

– «أظن أنك ستكون ملكاً عظيماً يا كيت. وسأتشرف بخدمتك. لكن عليك أن تتعلم كيف تفكر بنفسك، لأنه سيأتي يوم لن يكون فيه والدي موجوداً ليفعل ذلك نيابة عنك. لذا، أقترح أن تبدأ في تحديد ما تظن أنه الأفضل حقاً.» وبعد ذلك، استدرتُ ومضيتُ في الردهة.



الفصل 45

بيكان

يسود السكون حدائق القصر ليلاً، ولا يرافقني في طريقي سوى جوقة صراصير الليل تعزف ألحانها، وهدير الرياح الخافت يعانقني وأنا أشق طريقي نحو شجرة الصفصاف المألوفة التي تحرس الحديقة الفسيحة، حيث أقيم الحفل الراقص الأخير.

ترددتُ على هذا المكان كثيراً منذ تلك الليلة، أنشد السكينة في كنف شجرة الصفصاف المظلة كلما جافاني النوم. لقد ألفتُ الجلوس هنا لساعات طوال، أختلي بنفسي وأترك العنان لأفكاري.

أزحتُ الأغصان المتدلّية جانباً، وخطوتُ لأحتمي تحت المظلة الوارفة. تنفستُ هواء الليل الدافئ، وشعرتُ براحة مفاجئة تسري في أوصالي. لكن تلك السكينة سرعان ما تبددت حين لاح لي ظل يتحرك بجوار الجذع.

استدرتُ بحدة، وطارَت أصابعي نحو الخنجر المستقر على فخذي، لكن يداً خشنة اعترضت طريقي.

— «على رسلك يا جراي، هذا أنا وحسب.»



رمشتُ في العتمة حتى تكيفت عيناى مع الضوء الخافت، لتستقرا على
تينك العينين الرماديتين اللتين تفيضان تسلية.
تلعثمتُ متسائلة:

– «ما الذي تفعله هنا؟»

– «بوسعي أن أطرح عليك السؤال ذاته.»

– «كان بوسعي أن أطعنك!»

ارتفع حاجبا كاي وهو يقول:

– «إذن لن تحاولي فعل ذلك؟ أود القول إن هذا يعد تقدماً ملحوظاً.»

– «أوه، بل يجب عليّ فعل ذلك عقاباً لك على إخافتي هكذا.»

أقلت يدي ببطء، ولا تزال نظراته تتفحصني.

– «أنا من أخافك؟ أنت من تسلفتِ نحوي خلسة.»

همستُ بحدة:

– «حسناً، لم أكن أعلم بالتحديد أنك ستكون هنا.»

قال وابتسامة ساخرة تلتوي على شفتيه:

– «من الواضح ذلك. لكنك مرحب بك أكثر من أي وقت للبقاء.»

ثم استقر على الأرض، وبدا مرتاحاً للغاية وذراعه مسندة خلف رأسه.

حدقتُ فيه وسألته:

– «ما الذي تفعله؟»

– «أنتظركِ حتى تجلسي هنا وتشاركيني اللحظة.»

وقفتُ هناك، أراقب الابتسامة البطيئة التي بدأت تفتersh وجهه.

سأل وهو يعتدل في جلسته ويشرع في خلع سترة بدلته:

– «هل السبب هو الفستان؟»

وبمجرد أن انزلت عن كتفيه، بسطها على الأرض بجواره.

– «تفضلي، الآن لن تتسخي.»

نظرتُ إلى فستان الحرير البسيط الذي ارتديته لحضور العشاء مع الملك والملكة. إنه مريح للغاية، وكنت أكسل من أن أخلعه قبل المجيء إلى هنا. لا بد أن كاي قد شعر بشعور مماثل، إذ لا يزال يرتدي ملابسه الأنيقة.

لكن ترددي في الانضمام إليه لم يكن له أي علاقة بتلويث فستاني، بل كان دافعه الوحيد هو الإدراك التام بأنه لا يجدر بي البقاء هنا. ما يجب عليّ فعله هو الاستدارة، وتمني ليلة سعيدة له، والعودة أدراجي إلى غرفتي دون أن أنبس بكلمة أخرى. ومع ذلك، تسمرت قدمي في مكانهما، ترفضان حملي بعيداً عنه.

ربت على السترة بنظرة ترقب، مما انتزع ضحكة مكتومة من شفتيّ.

– «كم هذا نبيل منك، لكن هذه السترة أبعد ما تكون عن الحجم الكافي لحماية فستاني من الاتساخ.»

قال بلامبالاة:

– «بوسعي أن أخلع قميصي أيضاً وأفرشه لك إن شئت.»
تمتمت:

– «في الواقع، السترة ستفي بالغرض.»

ضحك بخفوت، ووجدت نفسي فجأة أخطو نحوه، متجاهلة كل التحذيرات التي تصرخ في عقلي وتأمروني بعكس ذلك. جلستُ، ثم تمددتُ ببطء بجانبه، حتى تلامست كتفانا. غرقنا في صمت طويل، كلانا راضٍ بالتحديق في مظلة الأوراق المتدلّية فوقنا، بينما نصغي لجوقة صراصير الليل تعزف ألحانها من حولنا.

كنتُ شبه ممانعة لتبديد هذا الهدوء المريح، لكنني سألتُ بصوت خافت:

– «لماذا أنت هنا؟»

كاد يضحك وهو يجيب:

- «ل طالما أتيتُ إلى هنا منذ طفولتي. في الواقع، لقد سقطتُ من هذه الشجرة تحديداً بعد أن تحداني كيت لتسلقها. وكُسرت ذراعي أيضاً-»
- قاطعته فقاعة ضحك فلتت من شفتي.
- «هل تضحكين عليّ يا جراي؟»
- كان يصارع لكبح ابتسامته وهو يضيف:
- «يسعدني أن تجدي في ألمي تسلية لك.»
- تنحنحتُ محاولةً استعادة رباطة جأشي.
- «إذن، وماذا؟ هل تأتي إلى هنا لتسترجع هذه الذكرى العزيزة؟»
- تنهد قائلاً:
- «شيء من هذا القبيل. آتي إلى هنا لأفكر، لأروّح عن نفسي. لطالما أحببتُ الهدوء هنا. الملاذ بعيداً عن القصر.»
- ثم استرق النظر إليّ قبل أن يسأل:
- «إذن، لماذا أنتِ هنا؟»
- ابتسمتُ ابتسامة خفيفة ورددتُ كلماته:
- «لأفكر. أحب الهدوء. الملاذ.»
- لمحتُ بطرف عيني زاوية شفتيه ترتجف بابتسامة، وغرقنا في صمت لبرهة قبل أن أسأل:
- «هل هناك سبب محدد دفعك لجعلي أجلس على التراب معك؟»
- نظرتُ إلى ملامح وجهه المظلمة وهو يحدق في الأغصان فوقنا.
- «لنتحدث. لنستلقي هنا في صمت.»
- هز كتفيه بكسل.
- «لا يهم حقاً.»
- أشحتُ بنظري عنه وقلت:
- «إذن، أنت فقط تريد شخصاً ليؤنس وحدتك؟»

– «ليس شخصًا. أريدك أنت.»

شعرتُ بعينه تستقران عليّ، لكنني لم أستدر لألتقي بنظراته.

– «وهل تفضل رفيقة صامته أم متحدثة؟»

أصدر صوتًا بدا وكأنه ضحكة خافتة.

– «لا أحد سواك قد يسألني عن تفضيلي في طريقة رفقتك.»

أدرتُ رأسي أخيرًا لألتقي بنظراته.

– «هذه ليست إجابة.»

التمز الصمت للحظة طويلة، بدا وكأنه يدرس ملامح وجهي، ويغوص في أعماق عيني.

– «تحدثني إلي.»

حدقتُ فيه، وسألته بصوت خافت جدًا فجأة:

– «عن ماذا؟»

راقبتُ ابتسامة باهتة ترسم على شفتيه.

– «أي شيء. كل شيء. عما تفكرين فيه في هذه اللحظة بالذات يا

عزيزتي.»

كدتُ أضحك وأنا أقول:

– «حسنًا، أفكر حاليًا في أن هذه السترة التي أستلقي عليها تسبب حكة

شديدة لا تليق بأمير ليرتديها.»

ضحك كاي، فأضفتُ:

– «وأتساءل أيضًا كم عدد العظام التي كسرتها أنت وكيت.»

تنهد كاي، وهو يهز رأسه.

– «كثيرة جدًا. كنتُ أنا في الغالب من يُصاب بكسور العظام والإصابات،

رغم أن بعضها لم يكن نتيجة لأفكار كيت العبقرية.»

توقف لبرهة وتابع:

– «معظمها كان بسبب تدريبي. خاصة حين كنت أتعلم كيفية استخدام قدرة المعالج.»

حين تغلغت كلماته في ذهني، تصلب جسدي.

– «أنت لا تقصد...»

تلاشى صوتي قبل أن أحاول مجددًا.

– «لم تكن مضطرًا لـ...»

قال ببساطة، ناظرًا في عيني مباشرة:

– «بلى، كنت مضطرًا. كان عليّ كسر عظامي ثم شفاؤها. أو في بعض

الأحيان كان جسدي يُشق بسيف وكان عليّ تعلم كيفية تقطيب جلدي مرة أخرى.»

قال ذلك بلامبالاة لدرجة أنني لم أستطع حتى البدء في تخيل الفظائع التي أُجبر على خوضها.
همست:

– «كيف لا تمقته؟»

امتد الصمت بيننا.

كانت الابتسامة الصغيرة التي اعتلت شفتيه حزينة.

– «لأنه جعلني قويًا.»

قال ذلك بهدوء مفرط، وشعرتُ برغبة عارمة في هزه لانتزاعه من رباطة جأشه الباردة. لا يهم مدى القوة التي منحه إياها الملك. فالأمير الماثل أمامي لم يكن يومًا سوى بيدق صنعه الرجل الذي يدعوه أبا. مجرد التفكير في الأمر يثير اشمئزازي، ويجعلني أرغب في الصراخ.
ومع ذلك، أنا أتفهم الأمر تمامًا.

اخترقت كلماته قلبي، لتلامس وترًا حساسًا فيه. يبدو أن حياتينا تتشاركان في تشابهات حزينة، وأقدار بائسة. كلانا أمضى طفولته في التدريب ليصبح ما فرض عليه أن يكون، ولم يكبر أي منا بالطريقة التي تمنّاها.

- باستثناء أن الآباء الذين تولوا تربيتنا لا يمكن أن يكونوا أكثر اختلافاً –
أحدهما فعل كل شيء بدافع الحب الخالص، والآخر بدافع الجشع المطلق.
الناس لا يولدون أقوياء؛ بل تصقلهم الحياة ليصبحوا كذلك.
وهذا الأمير وأنا ندرك تلك الحقيقة أكثر من أي شخص آخر.
واصل كاي حديثه بلامبالاة وكأن كلماته لم تسلبني أنفاسي للتو.
- «حسناً، لقد تكبدتُ أنا وكيت إصابات عدة بسبب حماقاتنا، لكن لم
تكن كل ألعابنا محفوفة بالمخاطر. في الواقع، ولأن نشاطاتنا المفضلة كصبيان
كانت تتضمن غالباً نوعاً من العنف، كانت معلمتنا تجبرنا على الجلوس ولعب
ألعاب تعتبرها هي آمنة.»
- زفر تنهيدة عميقة وأضاف:
- «أما نحن فكنا نعتبرها مملة.»
- أطلقت ضحكة مكتومة وسألته:
- «أحقاً؟ وما هي هذه الألعاب؟»
- مدّ يده ليمسك بيدي وهو يقول:
- «حسناً، لعبة الأنسة بلات المفضلة لتعذيبنا كانت صراع الإبهام. رغم
ذلك، كنا نجد طريقة لجعل حتى تلك اللعبة عنيفة.»
- عقدتُ حاجبي في حيرة.
- «صراع الإبهام؟ إنها تحمل كلمة صراع في اسمها، ومع ذلك تُعتبر
آمنة؟»
- لم أرَ كاي يبدو بهذا القدر من الحيرة من قبل، وكدتُ أضحك مرة أخرى.
- «ألم تسمعي قط بصراع الإبهام؟»
- مرر إبهامه على مفاصل أصابعي، مما أجبرني على التركيز في كلماتي
التالية.
- «حسناً، في العشوائيات، اللعبة الوحيدة التي كنتُ ألعبها غالباً هي
محاولة تخمين عدد العملات في جيب أحدهم قبل أن أسرقها.»

ارتجفت زاوية فمه صعودًا.

– «وهل لعبت تلك اللعبة قبل أن تسرقيني؟»

زفرتُ قائلة:

– «لا، لكنني كنت لأخسر لو فعلت. لقد كنت تحمل من الفضيات أكثر مما

رأيتَه في مكان واحد طوال حياتي.»

– «حسنًا، فقط حتى سرقت نصفها.»

ابتسمتُ لذلك، وراقبني هو بصمت لبرهة. وحين انخفضت عيناى نحو حيث لا يزال ممسكًا بيدي ومشتتًا إياي بذلك الإبهام الذي ينزلق على مفاصل أصابعي، تنحنح وقال أخيرًا:

– «حسنًا، اللعبة التي سأعلمك إياها ليست بمتعة لعبتك على الأرجح،

أنا واثق من ذلك.»

ثم هز رأسه متأملًا إياي، وتمتم تحت أنفاسه:

– «لا أصدق أنك لا تعرفين ما هو صراع الإبهام.»

– «حسنًا، من الطريقة التي تتحدث بها عنها، لا يبدو أنني أفقد الكثير.»

ارتجفت شفتاه بابتسامة خبيثة.

– «وجهة نظر وجيهة جدًا. ولهذا السبب تحديدًا سأعلمك إياها، لنتمكن

من المعاناة معًا.»

استدار على جنبه واستند على مرفقه، يراقبني وأنا أفعل الشيء ذاته.

– «قواعد هذه اللعبة المشوقة للغاية بسيطة.»

شبك أصابعنا معًا وأنا أراقبه. ثم ضحك بخفوت ومد يده الأخرى ليرفع

إبهامي في الهواء.

– «الآن، تفوزين بتثبيت إبهام الشخص الآخر للأسفل، لكن عليك إبقاء

يدك وذراعك ثابتتين.»

استرق النظر إليّ وسأل:

– «هل فهمت؟»

عبستُ وأنا أنظر إلى يدينا المتشابكتين.

– «بدأت أدرك لماذا تجد هذه اللعبة مملة للغاية.»

ضحك قبل أن يتمتم:

– «انطلقى.»

لم يتسن لي حتى الوقت للرد قبل أن يسحق إبهامه إبهامي، ويثبته على يدي. وحين نظر إليّ، كانت ابتسامته تقطر ثقة.

– «لقد ظننتُ حقاً أن ردود أفعالكِ ستكون أسرع من ذلك يا جراي.»

– «لم أكن مستعدة يا آزر.»

– «حسناً، هذا هو بيت القصيد من ردود الأفعال.»

أقلبتُ عينيّ له بلا مبالاة.

– «أنت لا تُطاق.»

قال بصوت خافت، وعيناه تلمعان حتى في الضوء الخافت وهما تنتقلان بين عينيّ:

– «ومع ذلك، لا تزالين هنا.»

غرقنا في صمت لبرهة بينما كنت أقيم أفضل السبل للتغلب عليه في هذه اللعبة. وكالعادة، بدا الإلهاء هو الخيار الأمثل، لذا قلت:

– «أخبرني بشيء لا أعرفه عنك.»

بدا مندهشاً قليلاً من طلبي المفاجئ، لكنه لم يستغرق سوى لحظة ليجيب:

– «التوت الأزرق. أنا لا أحبه.»

كتمتُ ضحكتي بصعوبة.

– «أنت لا تحب التوت الأزرق؟»

– «لا، أسحب كلامي.»

توقف لبرهة، وبدا وكأنه يفكر في شيء ما.

– «أنا أمقت التوت الأزرق.»

– «وهل هناك سبب لهذا المقت الشديد؟»

سألني:

– «هل تذوقته من قبل؟»

فأومأت برأسي إيجاباً.

– «إذن، هذا هو. هذا هو سببي. طعمه مقزز.»

زفرت ضحكة مكتومة، وحين فتح فمه ليقول شيئاً، قاطعته بهمسة خافتة:

– «انطلق.»

هبط إبهامي على إبهامه وكنت على وشك التباهي بانتصاري حين سله بسهولة من أسفل إبهامي. ثم، ومرة أخرى، ثبت إبهامي.

– «محاولة فاتنة لتشتيت انتباهي يا عزيزتي.»

تنهدت بإحباط.

– «أدركت الآن لماذا تمقت هذه اللعبة.»

– «لا، أنا أمقت هذه اللعبة لأنها مملة. أنتِ تمقتين هذه اللعبة لأنكِ سيئة

فيها.»

رمقته بنظرة حانقة، فابتسم لي باتساع. مرر إبهامه على طول إبهامي، ورفضت أن أزيح عيني عن عينيه.

قال ببطء:

– «الآن، أخبريني بشيء لا أعرفه عنكِ.»

منحته ابتسامة مشرقة.

– «سهل جداً. أنا أعشق التوت الأزرق.»

تأوه كاي قائلاً:

– «بالطبع تعشقيه.»

– «إنه ببساطة لذيذ للغاية. أعني، يا له من مزيج مثالي من الحموضة والحلاوة و-»

– «ألن أتوقف عن سماع هذا أبدًا، أليس كذلك؟»

– «وبصراحة، أظن أنه قد يكون أفضل فاكهة على الإطلاق. بوسعي بكل سهولة أن أتناوله مع كل وجبة و-»

انحنى كاي مقتربًا وزفر تنهيدة يائسة:

– «بيدن.»

أطبقتُ فمي عند سماع اسمي.

– «أنا راضٍ تمامًا عن الإصغاء لحديثك لساعات طوال، لكن إن كان لا بد أن تتحدثي عن الفاكهة، فعلى الأقل اختاري واحدة نستمتع بها كلانا.»

زمنتُ شفتي لأكتم ابتسامتي. المنفذ المستقبلي مستعد للإصغاء لثرثرتي عن الفاكهة. هذه الفكرة جعلتني على وشك الانفجار ضاحكة والاحمرار خجلًا من قمة رأسي حتى أخمص قدمي في آنٍ واحد.

قلتُ ببساطة:

– «عادل بما فيه الكفاية. ماذا عن البرتقال؟»

عبس بوجهه.

– «لا أحب اللب.»

– «حسنًا. الموز؟»

– «أمقت قوامه.»

زفرتُ وهزرتُ رأسي يائسة:

– «هل هناك أي فاكهة تحبها؟ أنت أكثر أمير انتقائي عرفتته في حياتي.»

– «أنا واحد من أميرين تعرفينهما، وصدقيني، كيت ليس أفضل مني

بكثير.»

رمقته بنظرة ذات مغزى.

– « لا زلتُ بانتظار سماع اسم فاكهة لا تجدها منفرة. »
صمت للحظة، يفكر في إجابته بينما كان إبهامه يمرر بكسل على إبهامي.
– « الفراولة. »

رمشتُ محدقةً فيه.

– « أنا أعشق الفراولة. »

ارتسمت ابتسامة بطيئة على شفتيه.

– « وأنا لا أجدها منفرة. »

– « جيد. »

– « جيد. »

– « انطلق. »

اندفعت الكلمة من فمي، واستغللتُ مفاجأته لصالحي. قادني الإصرار
بينما كنت أصارع لتثبيت إبهامه، محركةً يدي وذراعي في هذه العملية. كدتُ
أسقط فوقه لأتمكن أخيرًا من إرساء إبهامي على إبهامه، رغم أنني خرقت
القواعد لفعل ذلك.

ثم فجأة وجدتني أسحب لألتصق بجسده تمامًا.

جذب ذراعي، صاحبًا إياي لدرجة باتت كافية لأتمكن من إحصاء الأهداب
الداكنة التي تظل عينيه.

– « لقد غششتِ يا جراي. »

– « فعلتُ ما كان عليّ فعله لأفوز يا آزر. »

همهم قائلاً، وشعرتُ بالاهتزاز يسري عبر صدره:

– « همم، أظن أن الخطأ خطئي لنسياني كم أنت شرسة وصغيرة. »

– « حسنًا، أنا- »

ماتت الكلمات في حلقي حين فك أصابعه عن أصابعي ومررها على ذراعي. قمعتُ قشعريرة سرت في جسدي إثر لمسته المفاجئة، لكن الابتسامة التي اعتلت شفتيه أنبأتني بأنها لم تفت ملاحظته.

قال بصوت خافت:

– «أسحب كلامي. هذه اللعبة ليست مملة على الإطلاق حين ألعبها معك.»

انحدرت نظراته نحو الأصابع التي تنساب على ذراعي، فتسمرت تحت لمسته الرقيقة.

لا أدري كم طال بنا الوقت على هذه الحال، نصغي لحفيف الريح وهي تداعب الأوراق فوقنا بينما نتأمل بعضنا البعض. ولم أستعد رشدي أخيراً إلا حين صعدت أصابعه نحو عنقي لتزيح خصلة شعر متمردة خلف أذني.

– «يجدر بي الذهاب.»

بقيت الكلمات المترددة معلقة بيننا، بالكاد تتجاوز همسة كادت الريح أن تختطفها.

تمتم قائلاً:

– «هذا لا يبدو على الإطلاق ما ترغبين في فعله.»

رفضتُ حتى محاولة فك طلاسّم ما أرغب في فعله حقاً، فقلت عوضاً عن ذلك:

– «في أحد الأيام، سأهزمك بإنصاف في صراع الإبهام، وحينها لن تجد اللعبة ممتعة هكذا.»

ضحك بخفوت، وأتبع ذلك بهمهمة خافتة مماثلة:

– «ليس الفوز هو ما أجده ممتعاً. بل أنتِ يا عزيزتي.»

وبعد لحظة طالت أكثر مما ينبغي، سحبْتُ نفسي من بين ذراعيه وجلستُ ببطء. كان الليل قد ازداد برودة، وبدون دفء جسد كاي بجانبني، لم يفلح فستاني الرقيق في منحي أي دفء يُذكر.

جلس كاي بجواري ولف سترته حول كتفيّ.

– «أنتِ محقة. هذه السترة تسبب حكة شديدة لا تليق بأمير ليرتديها.»

ثم ارتجفت شفّته بابتسامة متكلفة.

– «لذا، سأدعك ترتديها بدلاً مني.»



الفصل 46

بيدك

غطيت أذنيّ بيديّ، لأحميهما من الصرخات الحادة التي كادت تصمهما.

قالت أدينا وهي تفيض حماساً وتومئ بيدها نحو الفستان شبه المكتمل المفرد على سريري:

– «حسناً، ما رأيكما؟!»

همست إليّ وهي تنحني فوق كتفي لتتمكن من رؤيته بوضوح أكبر:

– «واو. إنه...»

وتلاشى صوتها بينما كانت عيناها تتفحصان القماش.

أكملت عنها:

– «مثالي. يخطف الأنفاس ببساطة. لقد تفوقتِ على نفسك يا أدينا.»

منحتها ابتسامة عريضة، مفعمة بالانبهار من حجم الموهبة التي يمكن أن يختزنها شخص واحد.

تأففت وهي تخطف الفستان شبه المكتمل من على السرير لتضعه على حجرها مجدداً، وقالت:



– «حسناً، لم ينتهِ بعد. لم يتبقَ أمامي سوى يومين حتى الحفل الراقص النهائي، ويجب أن يكون مثاليًا تمامًا»

رمقتها بنظرة ذات مغزى وقلت:

– «أدينا. لا ترهقي نفسك بالتفكير، سيكون مثاليًا.»

ثم زفرتُ ضحكة مكتومة، وهزرتُ رأسي مضيفة:

– «بوسحك أن تلبسيني كيس طحين وستجعلينه يبدو رائعًا بطريقة ما.»

بدت أدينا في غاية الفزع من هذا الاقتراح.

– «لن ألبسك كيس طحين أبدًا.»

نقرت بإصبعها على شففتها مفكرة.

– «وليس فقط لأنه سيكون بشعًا، حتى عليك، بل لأن القماش خشن

وصلب للغاية بحيث لا يمكن»

تنقلت عيناها العسليتان الواسعتان بين إيلي وبينني ونحن نحاول كبح

ابتساماتنا ونفشل.

– «ماذا؟»

كانت تضع يديها على وركيها، وحاجباها معقودان، وساقاها متقاطعتان ومغطتان بالقماش. لم أر قط شخصًا يحاول أن يبدو صارمًا بهذا القدر بينما يبدو في الوقت ذاته بريئًا ولطيفًا إلى هذه الدرجة.

كان من المنعش أن أضحك، أن أفعل أي شيء بخلاف التدريب والتسلل في أرجاء القلعة على أمل العثور على النفق بمفردي. لكن يبدو أن كيت هو مفتاحي الوحيد، وأنا عاجزة تمامًا عن بلوغ غايتي إن لم يرشدني هو إلى الممر. عاجزة إن لم يمنحني ثقته. لقد أمضيتُ جل أيامي برفقته، متوخيةً الحذر كي لا أبدو يائسة حين أتعمد ذكر تفاصيل عن العشوائيات، في محاولة بائسة لإغرائه بالتسلل معي.

لكن دون جدوى.

كنا نتجاذب أطراف الحديث بهدوء حين جعلنا طرق على الباب ننتفض جميعاً. رمقتني إيلي بنظرة متسائلة، وكأنها تسألني بصمت عما إذا كنت أنتظر قدوم أحد، فبادلتها بهزة كتف تعكس جهلي التام. أسرعت بخطواتها نحو الباب وفتحته بتردد، لتكشف عن شخصية طويلة ترتسم على وجهها ابتسامة كيت.

انحنت إيلي بأدب، ووجدت نفسي فجأة أقف بجوارها، وعلى شفتي ابتسامة ساخرة بعض الشيء وأنا أقول:

– «يا صاحب السمو، يا لها من مفاجأة غير متوقعة.»

أحنى كيت رأسه نحوي بلباقة.

– «حسنًا يا آنسة جراي، آمل ألا أكون قد تطفلتُ عليكِ؟»

انتقلت نظراته المتسلية من إيلي إلى سريري حيث تجلس أدينا، بعينين لا اتسعت من الصدمة وهي محاطة بالقماش.

– «آنسة إيلي، آنسة أدينا، هل تمانعان إن اختطفْتُ بيدن منكن؟»

منحته إيلي ابتسامة خجولة بينما حاولت أدينا كتم صرخة دهشة قبل أن تهتف:

– «لا، يا صاحب السمو، على الإطلاق!»

أحنيت رأسي محاولة إخفاء ابتسامة امتزج فيها الإحراج بالتسلية. كان كيت يطالعني من علٍ بالفعل حين رفعتُ بصري إليه، وابتسامة تزين شفتيه.

– «هل نذهب؟»

رافقتنا ضحكاتهما طوال سيرنا في الردهة، فتنهدتُ قبل أن أسأل:

– «إذن، إلى أين تختطفني؟»

تلفت كيت حوله بتوتر وقال:

– «في الواقع، كنتُ آمل أن تختطفيني أنتِ.»

رمشتُ محدقةً فيه، وبدأ قلبي يتسارع في نبضاته. لكنني سيطرتُ على ملامحي، مصطنعةً الحيرة.

– «لست واثقة من أنني أفهم مقصدك.»

أبطأ كيت خطواته وقادنا نحو زاوية الردهة قبل أن ينحني نحوي. جفلتُ من هذا التحول المفاجئ في الأحداث، ومن اقترابه المباغت، ومن رائحة التوابل التي باغتت حواسي.

اقترب رأسه من رأسي، وانخفض صوته إلى همس خافت.

– «إلى <حي النشالين>.»

وها هي الكلمة المنشودة.

تلك الكلمة الواحدة كانت كفيلة بجعل قلبي يقرع كطبول الحرب.

– «أريدك أن تأخذيني إلى هناك.»

– «حقاً؟»

خرجت الكلمة بأنفاس متقطعة وحماس فاق ما كنت أتمناه.

لم يبدُ أن كيت قد لاحظ ذلك، إذ كان منشغلاً بتفحص الردهة للتأكد من عدم وجود من يسترق السمع.

– «أجل.»

عادت عيناه لتستقرا على عيني، باحثتين عن الإجابة.

– «لا يجدر بي ذلك، لكنني... يجب عليّ ذلك. كان كل ما قلتيه صحيحاً.

بأكمله. أنا بحاجة لرؤية شعبي. لا يمكنني حكم مملكة بالكاد أعرفها، أو شعب لا أعني احتياجاتهم.»

توقف لبرهة، مفكراً في أمر ما.

– «أنا بحاجة لأن أبدأ في تقرير ما أراه الأفضل بنفسي.»

تنهد قائلاً:

– «لا بد لي من فعل هذا. رغم كراهيتي لمخالفة والدي، وإدراكي التام بأنها فكرة مريعة بحق،» ضحك لكن صوته كان متوترًا. «أعلم أنني إن لم أفعلها الآن، فلن أفعلها أبدًا. وأنا مدين لك بالشكر لتذكيري بنوع الملك الذي لا أتمنى أبدًا أن أكونه.»

تبددت الفرحة التي غمرتني قبل لحظات، لتحل محلها أصابع الذنب الجليدية القارسة. تذكرت فجأة لطفه، وسعة صدره حين أوبخه، واستعداداته الدائم للإصغاء.

وانظروا إلى أين قاده ذلك.

نحو الخيانة.

ازدردت الغصة التي تعاظمت في حلقي.

– «أنت تفعل الصواب. وسيسعدني أن أريك موطني كما تفضلت وأريتني موطنك بلطفك.»

ابتسمت، محاولةً أن أبدو عفوية وغير مبالية على الإطلاق بينما أنتظر منه أن يكشف لي عن الشيء الوحيد الذي لطالما بحثت عنه. الأنفاق.

أوماً برأسه ببطء، وقد اكتست ملامحه بالجدية فجأة.

– «هل أنت واثقة من قدرتك على إيصالي إلى هناك وإعادتي دون أن يتعرف عليّ أحد؟»

– «هل تثق بي؟»

بدت الكلمات في فمي كطعم الرماد، ومع ذلك انزلقت عن لساني بنعومة الحرير. انقبض صدري، ومع ذلك تنفستُ بعمق أكبر. كادت ركبتاي أن ترتجفا، ومع ذلك وقفتُ أكثر استقامة.

أنت تخونين رجلاً واحداً لتنقذي حيوات المئات. لتنقذي حيوات أبناء شعبك.

كانت ابتسامة كيت رقيقة.

– «أجل.»

من المذهل كيف يمكن لكلمة واحدة أن تهوي بشخص إلى الهاوية.
ثم تشابكت أيدينا وهو يقودني، دون أن يدري، نحو الخطوة الأولى في
طريق العثور على خلاص شعبي.



لم أتخيل يوماً أن طريق الخلاص سيكون قابلاً في الدجن.
دفع كيت باباً ضخماً وثقيلاً متصلاً بأحد الممرات، قبل أن نهبط الدرج
القابع خلفه بخطى ثقيلة. كان الهواء يزداد رطوبة وبرودة مع كل خطوة
نخطوها. أوماً للحراس المتناثرين في هذا السرداب الرطب أسفل القلعة،
بملامح تنضح باللامبالاة. وكأنه معتاد دائماً على جلب صديقاته إلى هنا في
زيارة.

مررنا بعشرات الزنازين القذرة والمتهاكة، بعضها لا يزال مزيناً بعظام
نزلتها السابقين، بينما كان البعض الآخر يعج بالأحياء. كانوا يراقبوننا ونحن
نمر، وتخترق نظراتهم بشرتي كالإبر، بينما امتدت أذرعهم عبر القضبان
الصدئة.

– «من هنا.»

انتزعني صوت كيت من شرودي ليعيد انتباهي إلى المهمة التي بين
يدينا. مسح الرواق بنظراته جيئةً وذهاباً، وبعد أن تأكد من خلو المكان، دلفنا
إلى الزنزانة الأخيرة.

قفز قلبي إلى حلقي، فازدردتُ ريقي. الممر يقع داخل زنزانة. فكرة عبقرية
حقاً. لم أكن لأتخيل يوماً أن مخرج الهروب من القلعة سيكون متصلاً بالمكان
الوحيد الذي لا يرغبون أبداً في أن يهرب منه أحد.

غمغم كيت بينما كانت يداه تنزلقان على الجدار:

– «نحن لا نضع أي سجناء في هذه الزنزانة، رغم أنهم ما كانوا ليتمكنوا أبداً من ولوج الممر حتى لو علموا بوجوده هنا.»

ضغط على حجر ضخّم يقع فوق مستوى رأسه مباشرة، حجر بدا عادياً تماماً وسط الأحجار الأخرى. انزلق الحجر للوراء بمقدار بوصة تقريباً، فأشحتُ بنظري عنه بينما شرعتُ في إحصاء الأحجار، لأحفر موقعه على الجدار في ذاكرتي.

كان كيت يمسك بحلقة مفاتيح ترن في يده، ويتلأأ معدنها البراق في الضوء الخافت، قبل أن يقبض على المفتاح الأخير ويسلّه من الحلقة. كان مفتاحاً ضخماً باهت اللون بفعل الزمن، وتزيّنه نقوش بارزة باهتة تلتف في دوائر عبر رأسه.

رمقني كيت بابتسامة عبر كتفه وهو يدس المفتاح في ثقب صغير لم يظهر إلا بعد أن دفع الحجر للوراء. كان يتحدث بلامبالاة بينما يحرك المفتاح.

– «كما قلتُ، حتى لو احتجزنا سجناء في هذه الزنزانة، وحتى لو عثروا على هذا الحجر بالذات، فلن يتمكنوا من الخروج أبداً. حلقة مفاتيحي لا تفارقني أبداً.»

سمعتُ نقرة معدنية تنبعث من الجدار.

– «أيقنتُ أن المكان الأكثر أماناً لها هو في حوزتي.»

أصدرتُ همهمة موافقة، ونبضي يتسارع ترقباً. أعاد كيت المفتاح إلى حلقة الفضية قبل أن يدسهما معاً في أعماق جيبه.

ثم دفع جزءاً من الجدار، فانفرج ردّاً على ذلك.

الأحجار التي كانت تبدو عادية تماماً منذ لحظات استحالت الآن باباً مموهاً. أمسك كيت بيدي وسحبني خلفه للداخل قبل أن يغلق الباب، ليغرقنا في ظلام دامس. سقط السواد علينا كبطانية ثقيلة خانقة.

لم أتمكن حتى من رؤية يدي أمام وجهي، فقفزتُ فزعاً حين اصطدمت ب صدره. اهتز ذلك الصدر نفسه بالضحك قبل أن تندلع النيران في قبضته، وكادت تعميني بوهجها الساطع.

ابتسم كيت سائلًا:

– «هل نذهب؟»

مشينا عبر نفق واسع، رطب ولزج، وخطواتنا تتردد على الجدران. وزنتُ كلماتي التالية بعناية، مدركةً ضرورة صياغتها لتبدو وكأنها نابعة من فصول بريء لا من يأس ملح.

سألتُ بنبرة حاولتُ جعلها عفوية قدر الإمكان:

– «إلى أين يؤدي هذا النفق بالتحديد؟ وهل هناك الكثير منها، كالمتاهة أسفل المتاهة التي تمثل القلعة؟»

تعثرت خطواتي حين وصلنا إلى مفترق طرق حيث ينقسم النفق إلى فرعين. توقف كيت معي، وكانت إجابته عفوية كطبيعة سؤالي.

– «في الواقع، يُصادف أن يكون هذا أحد الأنفاق الرئيسية والأكبر حجمًا، ولهذا السبب فهو من الأنفاق القليلة التي أمتلك مفتاحًا لها. فالعديد منها مغلق أو بات خطيرًا جدًا للاستخدام الآن.»

حافظتُ على حيادية ملامحي رغم القلق الذي يثقل كاهلي. ماذا لو كان الممر المؤدي إلى الصحن أحد الأنفاق المسدودة؟ ماذا لو أُغلق أو انهار أو— أوما كيت برأسه نحو النفق الواقع على اليسار، قاطعًا حبل أفكاره وهو يقول:

– «ذلك النفق يؤدي إلى الخارج بالقرب من ساحات التدريب، لكن لا يمكنك فتح الباب من الخارج.»

ثم أشار نحو النفق الواقع على اليمين.

– «أما النفق الذي نسلكه فيؤدي إلى حلبة الصحن وإلى الغرفة الواقعة أسفل المقصورة. تلك التي أقمنا فيها قبل المقابلات.»

كدتُ أغص برريقي. ومن بين سعلاتي، ألقى اللوم في هذا الانفعال المفاجئ على الهواء الخانق، لا على المعلومات التي شاركني إياها بتلك السهولة. المعلومات الدقيقة التي كنت بأمس الحاجة إليها.

كان رأسي يدور. لقد اختلقتُ فكرة استخدام كيت لأحد الأنفاق لزيارة «حي النشّالين» بغية معرفة مواقع الأنفاق الأخرى، وتحديد ذلك الذي يؤدي إلى الصحن. وها نحن الآن، نسير بلامبالاة عبر النفق عينه الذي كنت أسعى جاهدة للعثور عليه.

سحبني كيت عبر النفق باتجاه الصحن، وغمرتني راحة عارمة بعد اكتشافي للممر أخيراً. سرنا وتجاوزنا أطراف الحديث لعشر دقائق تقريباً قبل أن يكشف ضوء نيران كيت عن باب ثقيل. ها هو. باب الخلاص.

دفعه بقوة، ليكشف عن الغرفة المظلمة القابعة أسفل المقصورة، قبل أن يثبت الباب مفتوحاً بحجر صغير لنتمكن من الدخول مجدداً حين نعود. ثم اتجهنا نحو الباب الخفي في السقف، ودفعناه لنفتحه قبل أن أسحب نفسي مرة أخرى من خلاله. شعرتُ بطيف يديه على ظهري قبل أن أتسلق إلى المقصورة الزجاجية. تبعني كيت بسرعة، وخطونا نحو الحلبة الخاوية. سألته رافعةً حاجبي:

– «كيف نخطط بالضبط للوصول إلى «حي النشّالين»؟»

منحني كيت ابتسامة عريضة وأجاب:

– «بما أنه لا يمكن لصبية الإسطبل أن يعلموا أننا ننوي بكل ما للكلمة من معنى امتطاء الخيل نحو الغروب، (ثم غمزني) فسننتجه إلى الحقل المجاور للصحن حيث ترعى العديد من الخيول خلال النهار.»

شقينا طريقنا خارج الحلبة عبر أحد الأنفاق الخرسانية العديدة، والذي بدا موحشاً حتى في غياب الجماهير الصاخبة. وحين بلغنا البقعة الخالية أخيراً، كان مبنى الصحن الشاهق بجوارنا يحجب عنا دفء الشمس.

هرول نحونا حصان أبيض فاتن ليرحب بنا، وبدا جلياً أنه متحمس للفرار من هذا المكان الذي تخطى عنه الطاعون. تنحنحتُ وابتلعتُ كبريائي قبل أن أغغم:

– «أنا لا أجيد امتطاء الخيل.»

أجاب كيت بابتسامة وهو يرمقني بنظرة سريعة:

– «إذن، يجدر بكِ التشبث بقوة.»

بدون سرج، ساعدني كيت في الصعود على ظهر الحصان قبل أن يمتطيه هو الآخر برشاقة. لم أدر أين أضع يديّ، وشعرتُ بحرج مفاجئ وصدري ملتصق بظهره.

أدار رأسه لينظر إليّ، وشعره الذهبي يلمع تحت أشعة الشمس.

– «هل أنتِ واثقة من قدرتكِ على اختطافي؟»

أجبتُه بتأمل:

– «أرجوك. أنا لصّة. السرقة هي ما أجيد فعله.»



لم يتوقف كيت عن السعال منذ وصولنا إلى «حي النشّالين».

قال وهو يحاول كتم سعلة لتنقية رئتيه من الهواء الخانق:

– «بحق الطاعون، الرائحة هنا كريهة حقاً. تباً.»

أطلقت ضحكة مكتومة، وأنا أراقبه يتفحص محيطه الجديد، محاولاً استيعاب كل ما تقع عليه عيناه. جالت نظراته على عربات التجار المتهالكة المتناثرة في أرجاء المكان، والمزينة جميعها برايات باهتة أو لافتات ممزقة. تأمل المباني والمتاجر المتداعية التي تصطف على جانبي الشارع الواسع، وراقب شعبه وهم يتجولون دخولاً وخروجاً منها.

كان رأسه يدور في اتجاه كل صرخة، مصغياً لرجل يروج بصوت عالٍ لصيده الطازج من الأسماك، بينما يساوم آخر بصخب مع امرأة على سعر قطعة قماش. الفوضى تعم المكان من حولنا، نوع من الجنون المبهج. وها نحن نقف في قلبه، محاطين بحشود من البشر يمارسون حياتهم اليومية. يبيعون ويشتررون. يحيون ويحاولون البقاء على قيد الحياة. يبدو «حي

النشّالين، وكأنّه يضج بالناس، ومع ذلك، كل ما أراه هو ضجيج الوجود والمكابدة للعيش.

مددتُ يدي وسحبتُ القبعة التي تستقر على رأس كيت للأسفل. لقد اختطفقتها مع قميص رث ليرتديه، رغم أنني أشك في أن أحداً يعيرنا أي انتباه. بادلني الحركة بسحب قبعتي فوق عينيّ وهو يضحك بخفوت، بينما انسدت خصلات فضية من شعري حول وجهي. زفرتُ بضيق وعدلتُ قبعتي وابتسامة ترتسم على شفتيّ قبل أن أقوده أعمق في الشارع، متفادين أطفالاً يضحكون ويتراكمون حول أقدامنا.

كان كيت يحاول استيعاب كل شيء، ليتشرب كل تفصيل في «حي النشّالين». كل راية باهتة جُردت من ألوانها، كل شخص يصطدم بنا في الشارع المزدهم. هناك شخص من الـ مُخفيين (فيل) يؤدي عرضاً سحرياً لبعض المتفرجين، مبهراً الحشد ومستغلاً قدرته لجني بضع فضيات. دائماً ما يحقق نُخبة الدفاع نجاحاً كبيراً في هذا الجزء من العشوائيات، حيث يبرزون بوضوح وسط الجموع الغفيرة من العاديين.

راقبتُ كيت وهو يسترق النظر إلى الأزقة والشوارع الضيقة المتفرعة من الغنائم، ملتقطاً لمحات من الخيام المؤقتة والمشردين المتجمعين داخلها. تصلب جسده عند رؤية أطفال صغار ووحيدين ينسلون بين العربات، وأيديهم تتشوق بوضوح لاخطاف أي نوع من الطعام.

قلتُ بنبرة خالية من المشاعر:

– «سيُجلدون حين يُلقى القبض عليهم.»

تسمرت عيناه على عينيّ الآن.

– «حين يُلقى القبض عليهم؟»

تنهدتُ وواصلتُ قيادته في الشارع المكتظ.

– «أجل. حينها. الصغار متهورون وأقل صبراً من أن يكونوا لصوصاً بارعين في هذه السن. وبما أن معظم النخبة في العشوائيات هم من العاديين،

فإن قدراتهم غالباً ما تكون غير مجدية حين يتعلق الأمر بالبقاء على قيد الحياة. صدقني، أنا أعرف ذلك جيداً.»

أوقفنا أمام العمود الملطخ بالدماء القابع في قلب «حي النشالين»، حيث يُجلد اللصوص والمجرمون على حد سواء.

– «هنا سيعاقب إمبراطوريوك أولئك الأطفال على جرائمهم.»

أومأت برأسي نحو الحراس المصطفين على جانبي الشارع، والذين كانوا يمسحون الحشد بحثاً عن ضحيتهم التالية.

اقترب كيت مني، مقلصاً المسافة الفاصلة بيننا. التمتعت عيناه الخضراوان بمشاعر لم يحاول إخفاءها.

– «هل سبق لك أن...»

– «أجل. كنت واحدة من أولئك الأطفال يوماً ما. أكثر من مرة. ولديّ الندوب التي تثبت ذلك.»

بدأت الخطوط المحفورة على أسفل ظهري وكأنها توخزني عند ذكرها واسترجاع ذكرياتها. نظر إليّ بآلم، بشفقة في عينيه لدرجة أنني، ولأول مرة منذ تنزهنا في الحديقة، لم أحتمل مبادلتها النظرات.

لذا، سحبته بعيداً قبل أن يتمكن من نطق كلمة أخرى.

– «هيا. أريد أن أريك شيئاً.»

جررته في الشارع، قابضة على يده بإحكام كي لا تبتلعه الحشود. لم يعر أحد أدنى اهتمام للملك المستقبلي الذي يمشي بينهم، أو للفتاة العادية التي تقوده على مرأى من الجميع.

توقفت عند نهاية زقاق مألوف. لا يزال منزلي الصغير المؤقت يقبع في الزاوية حيث ذهلت للعثور عليه سليماً لم يُمس. خدشت ذكريات حلوة ومرة سطح عقلي بينما خطوت نحو حاجز القمامة والسجاد الذي أطلق عليه اسم "الحصن".

كان كيت بجانبني فجأة، وذراعه تلامس ذراعي وهو يطالع الكومة.

– «هنا كنتِ تنامين.»

لم يكن هذا سؤالاً.

همستُ، متفاجئة من مدى توتر صوتي:

– «يا له من وطن دافئ.»

وفجأة وجد وجهي نفسه بين يديه، واكتسى صوته بنبرة حازمة رقيقة.

– «أنا آسف جداً. أنا آسف جداً لاضطرارك للعيش هكذا.»

تنهد بينما كانت عيناه تبحثان في عينيّ.

– «شكراً لك. شكراً لك لأنكِ أريتني هذا. <حي النشأين>. شعبي.»

توقف لبرهة وتابع:

– «أنت. شكراً لك لائتمانكِ إياي على تفاصيل حياتكِ.»

ارتجف حلقي حين ضربني شعور الذنب مجدداً، مجبراً إياي على الكفاح

للحفاظ على ثبات صوتي وأنا أقول:

– «لا، بل شكراً لك لثقتك بي يا كيت.»



الفصل 47

بيكان

– «**ها** الذي يؤخره هكذا؟ بحق الطاعون، الجو متجمد هنا.»

كانت أسناني تصطك ببعضها بفضل تلك الليلة التي اتسمت ببرودة غير معتادة، ولم يفلح قميصي الرقيق في منع النسيم البارد من التسلل ليلامس بشرتي.

تمتم ليני بجواري:

– «صبرًا أيتها الأميرة.»

دفعته بابتسامة منزعة قبل حتى أن تكتمل الكلمات على لسانه. قمع رغبته في دفعي بالمثل، فمنحته ابتسامة خبيثة، أتحداه أن يفعل ذلك تمامًا. وبينما ظننت أن الأمور على وشك أن تصبح مثيرة للاهتمام، انفتح الباب على مصراعيه.

قال كالوم، وصوته يفيض بالتسلية وهو يتنحى جانبًا ليسمح لنا بدخول المنزل:

– «أعتذر عن مقاطعة شجاركما، لكن الجو بارد جدًا في الخارج، ويجدر بكما الدخول حقًا قبل أن تصابا بالزكام.»
منزلي.



شقيّنا طريقنا إلى المكتب، ومن ثم هبطنا الدرج السري المؤدي إلى القبو بالأسفل. لقد زرتُ هذا المكان مرات عدة منذ تلك الليلة التي غامرتُ فيها بالعودة إلى منزلي للمرة الأولى، وبات مشهد مكتب والدي مألوفاً لا يثير فيّ المشاعر كالسابق. خفّت وطأة الذكريات التي تطاردني، لكنني ما زلتُ بعيدة كل البعد عن التعافي التام. أظن أن الصدمة نفسها تسأم من تعذيبها المستمر، ولو لفترة وجيزة.

استقبلني صوت عميق ومستفز حين بلغتُ أسفل الدرج:
- «ها هي ذي.»

لوحتُ لفين من حيث يجلس، مقاطعاً كاحليه فوق طاولة وذراعاها خلف رأسه. رد بابتسامة مأكرة، فأنحدرت نظراتي نحو لنا التي كانت تفترش الأرضية المتناثرة عليها الخرائط.

إلى جانب كونهم قادة مختلفين للمقاومة في أنحاء إيليا، علمتُ أن لكل منهم غاية، شيئاً يسهمون به في القضية. لنا فنانة موهوبة، وكل خرائطنا المفصلة هي بفضل براعتها، في حين يبرع فين في تصميم الدروع الجلدية والأقنعة. ليني هو عيونهم وآذانهم في القلعة، بينما ميرا هي الـ خامد (سايلنسر)، مما يجعلها ذات قيمة لا تُقدر بثمن بطبيعة الحال.

ابتسمت لنا حين رأيتني وتركت عملها لتنضم إلينا، وتبعها فين ليجلس في حلقة الكراسي.

سألتُ وأنا أجول بنظري في الغرفة الواسعة المليئة بطاولات مكدسة بالوثائق وأسرة نقالة تغطيها أغطية غير مرتبة:

- «أين ميرا اليوم؟»

أجاب كالوم بهدوء:

- «لا توجد ميرا اليوم. إنها تعتني بوالدتها في منزلها.»

كنتُ أزن في عقلي طرح أسئلة ربما لا يجدر بي طرحها حين سارع كالوم بتغيير مجرى الحديث:

- «إذن يا بيدن، ماذا لديك لنا؟ أي شيء؟»

أمكنني سماع اليأس ذاته في صوته، ذلك اليأس الذي كان حاضراً في كل مرة زرتهم فيها واضطرتُّ للاعتراف بفشلي.

لكن ليس اليوم.

– «لقد عثرتُ على النفق. حسناً، في الواقع، قادني كيت عبره مباشرة في وقت سابق من اليوم.»

كنتُ ألثتُ تقريباً، وأنا أزفر الكلمات أخيراً لتصبح حقيقة واقعة.

انحنوا جميعاً للأمام، وعيونهم متسعة وأنا أسرد لهم تفاصيل خطتي وكيف نجحت بشكل لا يُصدق.

حين أنهيتُ حديثي، كان فين هو من كسر حاجز الصمت:

– «كنتُ أعلم أنك ستطوعين الملك المستقبلي ليصبح طوع بنانك.»

قال ليني بابتسامة ملتوية:

– «أنا فخور بك أيتها الأميرة.»

ومع ذلك، غصتُ في شرح كل ما رأيته وتحديد موقع بداية الممر ونهايته بدقة.

– «بعد دخول النفق عبر الزنزانة الأخيرة على اليسار، وفي منتصف

الطريق تقريباً، سترون مفترق طرق. المسار الواقع على اليسار يؤدي إلى

الباب المحاذي لساحات التدريب، بينما المسار الواقع على اليمين يؤدي

مباشرة إلى الصحن والغرفة الواقعة أسفل المقصورة.»

كانت لينا تخربش المعلومات بنهم، تتشرب كل كلمة أتكلم بها وتدونها

على الورق. وفي غضون دقائق معدودة، باتوا يعلمون أين يقع الممر، وإلى أين

يؤدي، وكيف يعثرون عليه.

أضفتُ وأنا أعبث بالخاتم في إبهامي بتوتر:

– «هناك مشكلة واحدة فقط. أنتم بحاجة إلى مفتاح لولوج الممر،

ويصادف أنه لا يفارق كيت أبداً.»

أطلق فين شجرة سخرية:

– «سهل جداً. جرديه من ملابسه.»

رمقته بنظرة حادة قبل أن أعود لكالوم.

– «بإمكاني الحصول عليه. في الحفل الراقص، سأخطف المفتاح وأسلمه لليني. وبما أن التصفية في اليوم التالي، فلن يتسع الوقت لكيت ليدرك اختفاء المفتاح قبل ذلك الحين.»

عضضتُ على باطن خدي قبل أن أضيف:

– «أمل ذلك.»

قال ليني وهو يتثائب:

– «تبدو خطة محكمة بالنسبة لي.»

رمقته بنظرة ثاقبة.

– «أي شخص سيعبر النفق متجهاً إلى المقصورة يجب أن يدخل من

الباب المحاذي لساحات التدريب. لذا، يا ليني، سيتعين عليك السماح لهم بالدخول بما أن الباب لا يُفتح إلا من الداخل، ومن هناك، يمكنكم التوجه عبر النفق نحو الصحن. هل هذا مفهوم؟»

أوماً ليني إيماءة سريعة.

– «مفهوم.»

تحدثنا لساعة أخرى على الأقل، نناقش التفاصيل. ثم نهضنا أنا وليني للمغادرة، نمطت أجسادنا المتبيسة قبل أن نلوح مودعين ونتجه عائدين صعوداً عبر الدرج.

حين خطونا للخارج، باغتني النسيم البارد، ووجدتُ نفسي أرتجف مرة أخرى. ألقى ليني ذراعه حول كتفي وضممني إليه، وبعثر شعري بيده الأخرى في الوقت ذاته. ضحكتُ، ودفعتُ يده بعيداً بينما حاولتُ تسوية الخصلات الفضية المتمردة التي تتساقط الآن على كتفي.

قال ليني بصوت كاد أن يكون مهيباً:

– «الحفل الراقص غداً.»

رددتُ بصوت بالكاد يتجاوز الهمس:

– «الحفل الراقص غداً.»

كان يحدق في النجوم التي تطل علينا من علٍ وهو يقول:

– «وبعدها التصفية النهائية.»

زفرتُ ضحكة مرتجفة، وكأنني عاجزة عن صياغة كلماتي الخاصة فقلت:

– «وبعدها التصفية النهائية.»

نظر إليّ ليني بعينين تفيضان بالضحك.

– «ما أنتِ، ببغاء أم بيدن؟»

زفرتُ ضحكة مكتومة وتركتُ رأسي يتدلى للخلف لأطالع السماء

المرصعة بالنجوم. كانت إجابتي هادئة، ومثقلة بالتفكير:

– «لا أعرف ماذا أكون.»

شعرتُ بضغط خفيف على كتفي واستدرتُ لأرى ليني يبتسم لي من علٍ.

– «أنتِ بيدن جراي. المنقذة الفضية، ذات اللسان الفضي، والتي لا

تتوانى عن غرس خنجرها الفضي في أجساد الناس.»



الفصل 48

كاي

صرخات. صرخات مروعة ومعذبة تتردد في جمجمتي، ويتردد صداها في عقلي.

إنها هي.

إنها هي.

أركض عبر أروقة القلعة، أتصيب عرقاً، أبحث، أصرخ منادياً إياها. وليس من مجيب سوى صرخة استغاثة، وتوسل للرحمة. أدفع باب غرفتها بقوة، مقتحماً إياها وماسحاً الظلام بنظراتي. شيء فضي يلتصع في ضوء القمر المتسلل عبر نافذتها المفتوحة. هناك.

شعرها. لا بد أن يكون ذلك شعرها الفضي الفاتن.

لكن ما تقع عليه عيناى ليس فاتناً بالمرّة.

لا، بل هو محطم.



إنها مغطاة بالدماء، تجلس في بركة منها. تنهمر الدموع على وجهها،
الذي التوى الآن من شدة العذاب.
ألم يفوق التصديق.
معاناة لا أمل في النجاة منها.
ألمح ذلك البريق الفضي مرة أخرى، لكنه ليس شعرها يتلألاً كما ظننتُ
من قبل.
خنجر.
إنه خنجرها.
نصله الحاد يضغط على صدرها، مستنزفاً دماءً تسيل على جسدها
لتطابق الدموع التي تسيل على وجهها.
يا له من تماثل مروع.
أجد نفسي فجأة بجوارها، راكعاً في بركة من الدماء. دمائها.
لا تراني، لا تتحدث، لا تفعل شيئاً سوى الصراخ.
كرب شديد. لم أرَ كرباً كهذا قط.
- «بيدن! بيدي انظري إلي!»
لا شيء. لا ردة فعل.
المزيد من الشهقات. المزيد من الدماء.
أقبض على المقبض الزلق للخنجر الذي تدفعه ببطء نحو قلبها.
إنه مغطى بالدماء.
دماء شديدة اللزوجة لدرجة أنها تلتصق بيديّ، تزحف على ذراعيّ،
تكسوني بالشيء الوحيد الذي لن أتمكن أبداً من غسله.
لم أرد يوماً أن تتلطح يداي بدمائها. أبداً ليس دمائها.
يدور رأسها، ببطء شديد، ووجهها الملطخ بالدموع يميل الآن نحوي.
- «أوقفه.»

إنها تنن.

بيدن لا تنن أبداً.

– «إنه يؤلمني كثيراً. فقط أرجوك أوقفه. أوقفه. أوقفه!»

الشهقات تعصف بجسدها، وأنا أثبت السكين بينما تحاول هي بيأس أن تغرسه في قلبها الجميل.

– «قلبي يؤلمني.»

المزيد من الشهقات. المزيد من صرخات التوسل لأدعها تموت.
هذا خطأ. هذا خطأ فادح.

بيدن قوية جداً، عنيدة جداً، مميزة جداً.

لا يمكنها أن تموت. لن أسمح بذلك. ليس بيدها ولا بيد أي شخص آخر.
صرخاتها تمزق روحي، رأسي، قلبي.

لا أستطيع تحمل ذلك. لا أستطيع. لا أستطيع التحمل أكثر من ذلك.
أشعر بالدموع تلسع عيني، وتنهمر على وجهي.
الآن أنا من يتوسل.

أتوسل إليها أن تبقى. أن تعيش. من أجلي.

ربما أكون أصرخ أيضاً، أشهق أيضاً، أرتجف أيضاً.

– «كاي؟»

ألتفتُ برأسي بحدة، ومن خلال ضباب هستيريتي، أميز شخصية نحيلة تطل عليّ.

هناك ابتسامة صبيانية مألوفة على وجهه رغم الدماء التي تتدفق من صدره حيث انغرس نجم رمي عميقاً.

يسقط على ركبتيه، وعيناه الزجاجيتان تخترقان عينيّ.

هذه المرة أسمع الصرخة تنمزق من حلقي وأنا أندفع نحوه، أضمه،
أتوسل إليه أن يعيش.

تتردد أصداًء خطى على الجدران، وأرفع بصري لأرى العشرات من
الأجساد تحيط بي. جميعهم ملطخون بالدماء ويتوسلون. جميعهم ضحاياي.
يحدقون بي، والكراهية تشتعل في نظراتهم وهم ينظرون إلى الرجل الذي
سلبهم حيواتهم.

أعرف كل وجه من وجوههم. كل جرح من جروحهم التي ألحقتها بهم.
يطوقونني. نسور تترقب الموت.

ثم أسمع صوتاً أعرفه حق المعرفة.

الصوت المروع لتهشم المعدن وهو يخترق العظم، لتمزق الأوتار، لالتواء
العضلات حول نصل.

تتهاوى إلى الأرض - الخنجر في قلبها، وابتسامة على شفيتها.
أنا أصرخ.

أرفعها بين ذراعيّ، أبعد شعرها الملطخ بالدماء للخلف، أقول شيئاً ما،
لكنني لا أعرف ماذا.

عقلي مخدر. قلبي مخدر.

كل شيء مخدر.

إنها تبتسم في الموت، وكأنها سعيدة بالتخلص من الحياة.

سعيدة بالتخلص مني.

أنا الحزن. أنا الأسى.

أنا العذاب ذاته.

أظن أنني ربما أكون ميتاً أنا الآخر.

أتحلل من الداخل وحسب.



الفصل 49

بيكان

صرخات. لم أسمع قط عذابًا يمثل هذه الصورة الخام.

كنتُ قد أويت للتو إلى فراشي بعد عودتي من «حي النشّالين»، فقط لألقي بالأغطية بعيداً وأقفز على قدمي. تعثرتُ في خطاي عبر الغرفة المظلمة، متخبطة في حذائي الطويل الذي ألقيته بإهمال على الأرض. وحين أطبقت أصابعي أخيراً على مقبض بابي البارد، فتحتَه بقوة وخطوتُ نحو الردهة المظلمة.

تردد صدى صرخة، فتسمرتُ في مكاني عند سماعها.
إنه هو.

لا أعرف كيف أدركتُ ذلك، إذ لم يسبق لي أن سمعتُ المنفذ المستقبلي يصرخ من قبل، لكن شيئاً ما جذبني باتجاه غرفته. كانت قدماي تتحركان من تلقاء نفسيهما، ترشدانني نحوه أكثر مع كل خطوة.

توقفتُ أمام بابه، ساحبةً قدمي المتلهفتين للتوقف.

ما الذي أفعله؟

لا يمكنني ببساطة اقتحام غرفته. أليس كذلك؟



خطأ.

هذه فكرة سيئة.

أجل، لكنها فكرة سيئة أرغب في تنفيذها.

انمزقت صرخة ألم أخرى من حلقه، فلم أتردد قبل أن أدفع الباب بقوة. ابتلعني الظلام وأنا أتخبط مجدداً في غرفة غريبة، عيناى تجهدان للرؤية، ويديا ممدودتان لتوجيهي.

برز طيف سرير في العتمة، ومعه طيف الجسد الممدد فوقه. شققتُ طريقي نحوه، أرمش بينما تكيفت عيناى أخيراً مع غياب الضوء، فقط لتتجول على صدره العاري، الذي كان يعلو ويهبط، مبللاً بالعرق.

كان رأسه ملقى للخلف على وسادة، وخصلات شعره الفحمي تلتصق بجبهته. كان يلهث بأنفاس سطحية ومرتجفة، وكل إنش فيه متوتر. لا يسعني حتى البدء في تخيل ما يطارد نومه، ما يسلبه راحته ويتركه بهذا الإنهاك. أي كابوس هذا الذي بلغ من الرعب مبلغاً يعجز معه حتى الأمير عن الدفاع عن نفسه؟

كانت شفثاه تتحركان بكلمات متممة لم أستطع تبينها، والآن بتُّ قلقة حقاً.

أنا قلقة عليه.

تركتُ هذه الفكرة تتغلغل في ذهني للحظة قبل أن أضع يداً رقيقة على كتفه، وكدتُ أشهق من حرارة بشرته. إنه يحترق.

قلتُ بصوت خافت، لا أرغب في إفزاعه:

– «كاي.»

لا شيء.

– «كاي.»

نطقتُ اسمه بصوت أعلى هذه المرة، هازةً كتفه في محاولة لإيقاظه من كابوسه.

صرخ مجدداً، وكدتُ أن أفعل الشيء ذاته. كنتُ الآن ألّهتُ، أذعر، أتوسل إليه أن يستيقظ لنتمكن من العودة إلى مناوشاتنا المعتادة بدلاً من توسلي إليه ليفتح عينيه.

تسلقتُ إلى سريرهِ، ممرّةً ساقي فوق جسده ليصبح محصوراً بين فخذيّ، بينما وضعتُ كلتا يديّ على صدره الزلق.

– «كاي!»

كنتُ أهزه بقوة، مصرةً على إيقاظه.

– «كاي!»

كنتُ منزعجة من مدى اهتمامي. منزعجة من اهتمامي بما إذا كان يتألم أم لا. منزعجة من عجزِي عن تحمل رؤيته هكذا–

ثم انفتحت تانك العينان الرماديتان بحدة.

وفجأة قبضت يدان قويتان على خصري وطرحتاني أرضاً. ضُغَطَ ظهري ضد المرتبة بينما ثبتني، يداه تسحقان ذراعيّ، وجسده يسحق جسدي.

ثم ضُغَطَ شيء بارد ضد حنجرتي.

بوسعي تمييز ملمس الخنجر في أي مكان، لذا لم أكلف نفسي عناء النظر إلى ذلك الذي يدفعه الآن ضد عنقي. كنتُ أتنفس بصعوبة، محتفظةً بتواصل بصري مع عينيه الهائمتين، وصوتي هادئ.

– «كاي، هذه أنا.»

كانت قوته مذهلة، ولا أظن أنني كنت لأتمكن من الإفلات من تحته حتى لو حاولت. كان يلهث بشدة تماماً مثلي، وكأنه مشلول فوقِي.

– «كاي. لقد كان مجرد كابوس.»

حافظتُ على هدوء صوتي بينما تجاهلتُ دقات قلبي المدويّة التي تؤكد أنني أبعد ما أكون عن الهدوء.

– «كاي، هذه أنا. بيدن.»

رمش. ثم رمش مجدداً، مراراً وتكراراً وكأنه يصفى ذهنه. وكأنه يراني للمرة الأولى. غلف الهواء البارد عنقي حين سحب الخنجر بعيداً، وعيناه لم تحيدا عن عينيّ أبداً.

– «هذه أنا. بيدي.»

ارتجف صوتي، ولم يعد يتجاوز الهمس الآن.

– «كاي؟»

ثم تهدج صوتي، وبدا أن شيئاً ما تهشم بداخله أيضاً.

أخذ نفساً مرتجفاً، ناظراً إلى ما اقترفته يداه. أفلت ذراعي من قبضته المروعة، ودس الخنجر عائداً تحت وسادته بينما حاول تهدئة أنفاسه. لقد تشقق قناعه البارد، وانهار في زعره، وبوسعي رؤية كل عاطفة تومض عبر وجهه.

لم أره قط بهذا القدر من التشّت، والضياع، والاشمئزاز من نفسه.

كانت عيناه مسكونتين بالرعب، تفيضان بالفزع وهما تجولان في الغرفة، رافضتين ملاقاتة نظراتي. أدركت أنه على وشك النهوض عني دون أن ينبس بكلمة، ورفضت السماح بحدوث ذلك. رفضت أن أنسى هذه اللحظة التي تجرد فيها الأمير من ألقابه ولم يكن سوى فتى.

أغمضت تانك العينان الشبحيّتان، الرماديتان، عند ملامسة يدي لوجنته. أحطت وجهه بيديّ، بخجل، وبرقة، وأنا أتعجب بصمت من ملمسه ضد راحتي. كان فكه متصلباً، وارتجفت فيه عضلة بينما مررت إبهامي على وجنته. أحنى رأسه، ولا تزال عيناه مغلقتين بقوة كي لا يضطر لملاقاتة عينيّ.

– «انظر إليّ.»

كان أمري رقيقاً وحازماً، واثقاً ومرتجفاً في آن واحد. استقرت يدي الأخرى على وجهه الآن، لتساعد في توجيهه عائداً للأعلى ليلتقي بنظراتي. أخذ نفساً عميقاً ومرتجفاً قبل أن يفتح عينيه، وكانت قسوتهما الفولاذية مذهلة بقدر ما هي فاتنة.

همستُ، وقد عجزتُ فجأةً عن التقاط أنفاسي أمام الطريقة التي كان ينظر بها إليّ:

– «لا تختبئ مني. ليس بعد الآن.»

أريد أن أطلع وجهه، ذلك الوجه الخالي من القناع الذي لمحته مرات عدة من قبل. راقبته بينما كانت عيناه تتجولان عليّ، على جسدي الذي لا يزال محتجزاً أسفل جسده، وعلى شعري المتناثر بفوضوية على وسادته. وكأنه يحفر صورتني في ذاكرته.

ازدردتُ رiquي تحت وطأة نظراته، مما جعل عينيه تهبطان إلى عنقي حيث شعرتُ بحرارة التورد تتصاعد. لا، لم يكن مجرد تورد. كان عنقي يؤلمني. تذكرتُ فجأةً أن يدي لا تزالان على وجهه، فأنزلهما ببطء لأتحسس عنقي بأصابعي.

أمسكت يده السريعة بمعصمي قبل أن يمرر أصابعه برقة على حنجرتي. بالكاد تمكنتُ من قمع قشعريرة سرت في جسدي إثر لمسته، إثر خشونة كفيه وهي تلامس بشرتي المتوردة.

قال بصوت أجش، لا يزال مثقلاً ببقايا النوم وخشناً إثر الصرخات التي انمزقت من حلقة:

– «انظري إلى ما فعلته.»

سحب أصابعه التي تلطخت الآن بدماء لزجة.

بدا متألماً جداً من فكرة جرحي بخنجر لدرجة أنني أطلقت ضحكة متقطعة الأنفاس رغم الموقف الحالي. بدا فزعاً من نوبة ضحكي المفاجئة، مما لم يزدني إلا ضحكاً. زفرتُ قائلة:

– «مضحك، في العادة أكون أنا من يضع خنجراً على حنجرتك.»

تمنيتُ بصمت أن ترسم ابتسامة على شفتيه، أن تظهر تانك الغمازتان لتسخرنا مني. لكنه اكتفى بالتحديق فيّ قبل أن يقول بهدوء:

– «ستلطين شعركِ بالدماء.»

لربما كنتُ سأضحك مجدداً على ذلك لولا أصابعه المستقرة على حنجرتي، والتي ألجمتني الصمت. اعتدل قليلاً، ومرر إحدى يديه ببطء إلى مؤخرة عنقي قبل أن يرفع رأسي برفق عن الوسادة ويبعد شعري باليد الأخرى. أخذ وقته، تاركاً أصابعه تنساب عبر الخصلات الفضية بينما احتضن رأسي.

قال بصوت خشن، يتناقض تماماً مع الطريقة الرقيقة التي أعاد بها رأسي إلى الوسادة:

– «كنتُ لأضفره لكِ مجدداً، لكنكِ أخبرتني أنني لا أجيد ذلك أبداً.»

ودون تردد، أمسك بزاوية غطاء وشرع يمسح الدماء المتبقية عن عنقي برقة.

– «أنت فقط بحاجة للمزيد من الممارسة، هذا كل ما في الأمر.»

سكناً كلانا، راضيين بترك الصمت يمتد بيننا.

كان ينظر إليّ من علٍ، وكنتُ أنظر إليه. لقد تهتُ في اللحظة، تهتُ في عينيه. لا أثر لابتسامة ساخرة، لا ابتسامة لنتبادلها، لا جملة متهكمة لنتفوه بها. فقط نحن الاثنان، بقلوب تقرر بجنون، وأنفاس تخرج مرتجفة.

رمشتُ، مدركةً ما أفعله، ما يجري، ما يحدث بيننا. لذا تنحنحتُ، متزحزحةً ببطء من تحته. أخذ نفساً، مستوعباً ما أريده، وابتعد عني ببطء. وحين لفحني الهواء البارد فقط أدركتُ مدى توردي، ومدى الحرارة التي اكتست بها بشرتي.

جلستُ، ساحبةً قميصي لأسفل وأنا أفعل ذلك، وانزلتُ إلى حافة سريره. شعرتُ بنظراته الثاقبة تستقر عليّ وأنا أقف على قدمي، وفجأة أصبحتُ مدركة تماماً لقلّة القماش الذي يغطي جسدي.

خطوتُ خطوة مبتعدة.

وأخرى.

لامست أصابع باطن معصمي.

– «ابقي.»

تسمرتُ في مكاني. توقف الزمن. وانقطعت أنفاسي.
من المذهل كيف يمكن لكلمة واحدة أن تؤثر في شخص ما بهذا العمق.

– «أرجوك.»

تعثر قلبي في نبضاته عند سماع تلك الكلمة من شفتيه.

«قليلون هم من يملكون القدرة على جعلني أتوسل.»

كان ثقل كلماتي التالية يضغط عليّ، يسحق رئتيّ حتى تعذر على أي صوت الخروج من فمي. ما سأقوله تالياً إما أن يضع إسفيناً بيننا أو يقربنا أكثر. أقرب مما ينبغي.

هل أبقى؟ أم أذهب؟

يصرخ عقلي دافعاً إياي نحو خيار، بينما يخفق قلبي متوسلاً إليّ لاختيار آخر. ورغم ذلك الصمت الممتد بيننا، كان ضجيج أفكار المشوشة يصمّ الأذان.

وحتى وأنا أوليه ظهري، كنت أستشعر نظراته المصوبة نحوي، وأتلمس طيف يديه على جسدي، وأشعر بكل ما يفعله بي.

ماذا لو لم أقل شيئاً؟

فالكلمات لا تجلب اللعنة إلا إن نُطقت.

وهذا تحديداً ما سأفعله. لن أتحدث، ولن أفكر – سأشعر فحسب. سأغرق هذه الأفكار الملحة، وأكتفي بالشعور.

أستدير ببطء، وتلتقي نظراتنا. تنحبس أنفاسه، وترقّ عيناه. لم يكن يظن أنني سأبقى. فهو يتوقع من الجميع أن يتخلوا عنه.

وأمام تلك الفكرة التي تعتصر القلب، لم أتردد لحظة وأنا أرفع أغطية سريره. تابع حركتي بعينه، راقب يدي وهما تطويان الأغطية، وراقب جسدي وأنا أنزلق تحتها.

لا أظنه كان يتنفس، وكان رأسي يدور بشدة لدرجة أنني أظنني توقفت عن التنفس أنا الأخرى. غصتُ في فراشه، بين وسائده الوثيرة، وفي تلك الرائحة التي تغمرها. رائحته هو. لقد أصبحت محاطة به من كل جانب. تكورتُ على جانبي، وقلبي يتسارع بينما أشعر بالفراش يهبط بجواري. ثم أصبحت محاطة به حقاً. لامس صدره ظهري في تساءل صامت، وكأنه يستفسر عما إذا كنت أريده أقرب أم أبعد. ابتلعت ريقى قبل أن أميل بظهري إلى الوراء، بخفة متناهية، كإجابة على سؤاله. أريدك أقرب.

لم يتردد. التفت ذراعه حول خصري لتجذبني نحوه قبل حتى أن ألتقط أنفاسي. التصقتُ بجسده القوي، مختبئة بين الأغطية وبينه. شعرت بالأمان والسكينة، وبراحة بين ذراعيه لم أعهد لها منذ سنوات. أنا أشعر.

ثمة شيء مختلف في هذا الموقف، وفينا نحن. شيء مقصود. كلانا أراد هذا. لم نُجبر على التواجد معاً بسبب البرد أو الإصابة. كان بإمكانني الانصراف، لكنني اخترت هذا. لا، بل نحن من اخترنا هذا. اخترنا بعضنا البعض.

وهذا ما يزعيني.

أخذ إبهامه يرسم دوائر لاهية أسفل بطني، ولم يكن قميصي القطني بقادر على منع حرارة أصابعه من التسلل إلى بشرتي. أغمضت عيني، شاعرة بإنهاك غريب، لكنني كنت مدركة تماماً لجسده الملتصق بي لدرجة تمنعني من الاستسلام للنوم.

أسند رأسه في تجويف عنقي، وأنفاسه تدغدغ بشرتي وهو يهمس:

– «شكراً لك.»

باغتتني هاتان الكلمتان لدرجة جعلتني أدير رأسي لأنظر إليه. تساءلت في نفسي عن ندرة أن يتفوه الأمير، المنفذ المستقبلي، بمثل هذه الكلمات بكل هذا الصدق.

كان وجهه قريباً من وجهي، يتأملني بتفكير وعمق، وكأن الوقت كله ملك يديه. أمال رأسه قليلاً، وأرجع خصلة من شعري برفق خلف أذني. تعثرت أنفاسي حين انزلت أصابعه على طول عنقي، فابتسم ابتسامة رقيقة، عذبة، ومفعمة بالرضا. رضا تام غمر تلك اللحظة.

ابتسامة صاغها خصباً من أجلي.

سألني بصوت خفيض وهادئ:

– «هل يصدرك ذلك؟ أن أقدم لك الشكر؟»

تأملت تقاسيم وجهه، وتلك المثالية التي تتجسد فيه، وأجبت:

– «لا ينبغي لذلك أن يصدمني. ليس بعد الآن.»

ابتلعت ريقاً وأنا أستوعب حقيقة كلماتي. لقد بتّ أعرفه، وتمكنت من رؤية الرجل القابع خلف تلك الأقنعة العديدة، الرجل الذي يتجاوز بكثير مجرد القلب الذي صنعه فيه والده.

لست واثقة كم مضى من الوقت وأنا أتأمله حين أدركت مدى ثقل جفوني. أخذت أرمش، باذلة قصارى جهدي لأقاوم النوم الذي كان ينهشني بشراسة، كي أتمكن من حفظ ملامح وجهه في ذاكرتي لفترة أطول.

كان هو يفعل الشيء ذاته، يتأمل كل إنشٍ في بنظرة تملؤها الدهشة. رمشت بعيني، فهددتني جفوني بألا تفتح مجدداً، إذ تجرأ النوم على سحبي بعيداً عن تلك اللحظة.

لامست شفتاه أذني فجأة، وكان ذلك كافياً لتتفتح عيناى بوهن. همس بصوت أشبه بلمسة حانية، يهدئني لأنام بجملة واحدة:

– «بقدر ما يغريني أن أراقبك وأنت تتأمليني طوال الليل، نامي يا

بيدن.»

تمكنت من رسم ابتسامة ناعسة قبل أن أسأله:

– «هل ستنام أنت؟»

أجابني:

– «آه يا عزيزتي، أنا أعيش حلمًا بالفعل.»

جذبني نحوه بقوة أشد حتى تلاشت المسافات بيننا، فأشحت بوجهي.
أغمضت عيني، وكانت نبضات قلبه المنتظمة بمنزلة تهوية لي. شعرت
بأصابعه تتخلل شعري، تضفر خصلاته المتناثرة معًا، فهمست:

– «ماذا تفعل؟»

قرب رأسه من رأسي، وشعرت بشفتيه تلامسان شعري وهو يهمس:
– «أدرب.»

غفوت على إحساس أصابع كاي وهي تضفر شعري، أتساءل في غمرة
النعاس عما إذا كان يجدر بي الخوف من مدى الأمان الذي أشعر به برفقته.
وعما إذا كان يجب أن أقلق لكوني أشعر بالرضا والسكينة بين ذراعيه.
كنت أشعر بالسعادة، أشعر بكلمات تُهمس في أذني، وبحفيف أصابع
تداعب شعري.

ثم لم أعد أشعر بشيء سوى نعيم النوم.



الفصل 50

كاري

لا أقوى على إبعاد عيني عنها.

لا أقوى على إبعاد عيني عنها.

لا أقوى على صرف أفكاري عنها.

ولا أقوى على انتزاع جسدي من جوارها.

انعكس ضوء شمس الصباح المنسدل من نافذتي على شعرها، لتتألق خصلاته الفضية ببريق ساطع. كانت عيناها مغلقتين في نوم عميق، ورموشها الداكنة تستريح على وجنتيها لتخفي خلفها تلك النظرة الزرقاء العميقة التي أعرف أنها تسبح بداخلها. تتنفس بعمق، وتغط في سبات هادئ. تبدو كفوضى فاتنة من الأطراف المتشابكة والشعر المتناثر.

تحفة فنية فوضوية.

أخذت أعد النمش الباهت المتناثر على أنفها. مرة. مرتان.

ثمانٍ وعشرون نمشة.

تململت في نومها، فتسمرت في مكاني وأنا أراقبها تدس يديها تحت جانب وجهها الذي غطته الآن خصلات فضية. مستنداً على مرفقي، مررت أصابعي



برقة على بشرتها الناعمة، مبعداً شعرها عن وجهها لأتمكن من مواصلة تأمل الملامح التي كنت منشغلاً بحفظها.

ألومها على هذا الإرهاق المستوطن في عظامي. إنها غلطتها أنني لم أحظَ بقسط وافر من النوم. بقيت مستيقظاً معظم الليل أستمع إلى أنفاسها - وأتنبس عبيرها. تماماً كما كنت أفعل منذ وقت أطول بكثير مما أود الاعتراف به. إنها آسرة، حتى وهي متكورة على نفسها وغارقة في سلطان النوم.

تنهدت، ومررت أصابعي عبر خصلة فضية أخيرة قبل أن أنسحب بخفة من الفراش وأتسلل نحو الباب. أبقيت سروالي الخفيف عليّ، وارتديت قميصاً على عجل قبل أن أخطو إلى الردهة متوجهاً نحو المطابخ. أقل ما يمكنني فعله هو أن أجعلها تستيقظ على رائحة الطعام الطازج، لا سيما بعد ما فعلته من أجلي الليلة الماضية.

بعد كابوس مفزع احتضنت فيه جثتها الباردة، كان استيقاظي لأجدها حية ترزق ودافئة فوق صدري أمراً مباغتاً، أقل ما يُقال عنه. كانت ردة فعلي عفوية ومتهورة. لقد آذيتها. ورغم أن خدشاً صغيراً لا يعني شيئاً لفتاة اعتادت نزف الدماء، إلا أنه يعني لي الكثير.

القتل هو مهنتي. القتل والإيذاء هما ما تدربت عليه، وخلقنت من أجله، وأُجبرت على فعله.

لكن ليس معها.

كنت على بُعد حركة خاطفة واحدة من احتضان جثتها الحقيقية بين ذراعي، ومع ذلك لم تفعل شيئاً لتقاومني. احتضنت وجهي بكفيها بينما كنت أقبض على حياتها بيدي. نظرت إليّ وكأنني أستحق أن أرى، وكأنها ترغب حقاً في رؤيتي. وحين نطقت باسمي، كان وقع حروفه المتدحرجة على لسانها كفيلاً أخيراً بتصفية ذهني، وتسارع نبضات قلبي، وتأرجح أفكاري.

ثم طلبت منها شيئاً لم أطلبه من أحد قط.

- «أبقي.»

غادرت باب المطبخ متوازناً بصينية طعام ساخن عبر الردهة في غضون دقائق. أثارت النظرة المندهشة التي رمتني بها الطاهية جایل ابتسامتي، ولم يمض وقت طويل حتى كنت أستند إلى باب غرفتي وأدفعه بظهري لأدخل، متشبثاً بالصينية أمامي.

استدرت وإذ بـ

حذاء موجه نحو وجهي.

كانت تقف عند حافة الفراش، تمسك بإحدى يديها بطانية تضمها حول كتفيها، بينما تقبض بالأخرى على حذائي الرسمي، والذي بدا عذراً بئساً لسلاح. كانت ذراعها مشدودة إلى الخلف، متأهبة لصد الدخيل بقذف الحذاء. رأيتهما تزفر في ارتياح حين أدركت أنه أنا، ثم أنزلت الحذاء على مضض. لكن بصعوبة.

قلت مبتسماً وأنا أكتم ضحكة:

– «ليس سلاحك المفضل المعتاد.»

رمقتني بيدن بتلك النظرة الحانقة التي ألفتها كثيراً، وقالت:

– «لقد أخفتني.»

أزاحت ستار الشعر الذي يحجب عينيها بابتسامة واثقة، وتابعت:

– «وأنا واثقة من قدرتي على إلحاق ضرر بالغ باستخدام حذاء.»

أردفتُ قائلاً:

– «أوه، لا يساورني شك في ذلك.»

أصبحتُ أقف أمامها الآن، رغم أنني لا أذكر كيف تحركت للوصول إليها. مددت ذراعي خلف ظهرها ببطء لأضع الصينية على فراشي، ما أدى إلى تناثر بعض العصير من حواف الأكواب وتدحرج قطع البسكويت. ثم اعتدلت في وقفتي، أطلع تلك العينين اللتين تهددان بإغراقي، وقلت:

– «صباح الخير يا جراي.»

ارتسم عبوس طفيف على شفتيها حين استخدمتُ اسم عائلتها، وردت بلامبالاة:

– «عدنا إلى الرسميات إذن؟»

نطقت بها بعفوية، لكن عينيها كانتا تطرحان سؤالاً لن تنطق به أبداً.

ما الذي يجري بيننا؟

أجبتها:

– «حسناً، لقد كنتِ على وشك مهاجمتي للتو. لذا تبدو الرسميات

منصفة.»

تقدمت خطوة نحوها، فأمالت رأسها إلى الخلف لتلتقي نظراتنا.

قالت:

– «أجل، حسناً، كان ينبغي لك أن تعتاد على ذلك الآن.»

أردفتُ:

– «أوه، لكنني أشك في أنني سأعتاد عليك أبداً أو على ميولك العنيفة يا

عزيزتي.»

رمقتني بابتسامة مأكرة وقالت:

– «أحب أن أعتبر ذلك وسيلة لإبقائك متأهباً أيها الأمير.»

قلت:

– «أجل، لأن الحياة تصبح أكثر متعة بكثير حين لا تتوقعين سكيناً على

الحنجرة أو حذاءً في الوجه.»

انحدرت نظراتي إلى الحذاء المذكور الذي ما زالت تقبض عليه في يدها،

وأضفت:

– «وبالحديث عن ذلك، هل ما زلتِ تنوين استخدامه ضدي؟»

أجابت:

– «ما زلت أقرر.»

منحتها ابتسامة حقيقية، وهي ندرة باتت مؤخراً حدثاً متكرراً في حضورها. أدارت رأسها لتومئ نحو الصينية على فراشي وقالت:

– «لقد أحضرت لي طعاماً.»

عقدت ذراعيّ على صدري وقلت:

– «وما أدراك أنه ليس لي؟»

أجابت:

– «هناك توت أزرق على الثريد يا آزر.»

برغبة مستمرة في مشاغبته، هزرت كتفيّ وقلت:

– «بعد ثرثرتك المستمرة عن هذه الفاكهة، تمكنت من إقناعي بمدى

لذتها.»

ضحكت بملء فيها على ذلك وقالت:

– «إذن هذا يعني أنك تعترف بأنني كنت محقة، وهذا أمر مستبعد

تماماً.»

تنهدت مبتسماً لها وقلت:

– «أنت تعرفيني جيداً. بالطبع الطعام لك. ما كنت لألمس هذا الثريد

أبداً.»

ارتسمت ابتسامة على شفتيها وهي تقول:

– «أمير يصعب إرضاءه.»

رددت:

– «بيدن ذكية.»

حدق كل منا في الآخر، وقد علت شفتي كل منا ابتسامة خفيفة.

انخفضت نظراتي إلى يدها الحرة التي لا تزال تقبض على البطانية حول

كتفيها، لتشدّها بقوة أكبر حين جالت نظراتي عليها. سألتها:

– «هل تشعرين بالبرد؟»

تبيست قليلاً وأجابت:

– «لا.»

سألته وعيناى تتفحصان البطانية:

– «إذن ما هذا؟»

مررت أصابعى بخفة فوق أصابعها التى لا تزال متشبثة بشراسة بثنيات القماش. انسحبت نظراتها من وجهى لتستقر على يدي التى كانت تنزلق الآن فوق مفاصل أصابعها، ومعصمها، وقبضتها والقماش الذى تحويه.

تعثرت أنفاسها بطريقة جعلت قلبى يتوقف للحظة، قبل أن تجيب:

– «إنها بطانية.»

ضحكت بخفوت وقلت:

– «أرى ذلك أيتها المتذاكية.»

مسحت بأصابعى بكسل على ذراعها، رغم أن تلك الحركة جعلت عقلى يتعثر، ونبضى يتخطى إيقاعه. كل لمسة كانت مسكرة، وكل نظرة متبادلة كانت تسلب اللب.

قلت لها:

– «تبدين متوردة يا جراى.»

التقطت أصابعى خصلة من شعرها الطويل المنسدل على كتفها، وأضفت:

– «بسبب البطانية على الأرجح.»

شعرت بالابتسامة الماكرة تتسع على وجهى وأنا أتابع:

– «ما لم أكن أنا السبب فى هذه الحمرة المتوردة.»

راقبت المشاعر تتقلب على وجهها. فى البداية، ظهر شيء أشبه بما أنا واثق أنه ينعكس فى نظرتى أنا – الرغبة. ثم رمشت بعينيها، فلمحت فيها صدمة، وإدراكاً، وإنكاراً، قبل أن تستقر أخيراً على الانزعاج.

قالت واثقة كعادتها، رغم التوتر الواضح في نبرتها:
- «لا، أنا فقط أشعر بحرارة مفرطة.»

أمالت رأسي، وعيناي تتراقصان بين البطانية ونظرتها الباردة، وقلت:
- «إذن أفترض أنني سأمد لك يد المساعدة مرة أخرى، لكن هذه المرة ستكون البطانية هي ما سيسقط على الأرض، وليس فستانك الذي كاد يفعل الشيء ذاته.»

ابتسمت لفكرة الحفل الراقص الأخير، ولكن قبل أن تُطبق أصابعي على أصابعها، أفلتت البطانية لتسدل متموجة حول كاحليها.

كانت تقف قريبة جداً مني، لا ترتدي سوى سروال قصير وقميص حريري بحمالات. تغريني، تستفزني، وتتلاعب بي. لم أتمكن من رؤية القماش الأسود الملتصق بجسدها الليلة الماضية، إذ ذاب في عتمة الظلام المحيط بنا. لكن الآن، يمكنني رؤيته، ورؤيتها بوضوح تام.

التمعت في عينيها نيران مشتعلة وآسرة للأنفاس، وقالت:

- «فقط لنكون واضحين أيها الأمير، أنا لا أحتاج إلى مساعدتك - في خلع ملابسني أو في أي شيء آخر.»
رددت:

- «أوه، بالطبع لا. مجرد أمنيات خيالية على ما أفترض.»
أطلقت ضحكة ساخرة وقالت:

- «وهل أنت عاجز أيضاً عن التوقف عن كونك مغازلاً وقحاً؟»
أجبت:

- «على ما يبدو، ليس عندما أكون برفقتك.»
سألت باهتمام مصطنع:

- «أوه؟ وماذا تكون أيضاً عندما تكون بقربي، هم؟»
جعلتني أبتلع ريق، وجعلتني أتوتر، قبل أن أجيب:

– «أنا أحمق.»

منحتني ابتسامة تجمع بين التسلية والجاذبية وقالت:

– «فقط عندما تكون بقربي؟»

رددتُ:

– «فقط لأجلك.»

تشابكت نظراتنا بينما لاذت بالصمت، متصلبة فجأة. تقدمت بخطوة صغيرة نحوها لتتراجع هي بخطوة طفيفة إلى الوراء، وأصبحت ساقاها الآن مضغوطتين ضد حافة الفراش. ابتلعت ريقِي، مخفياً عبوسي.

لماذا تبتعد؟

تابعتُ قائلاً:

– «وبما أنني أصبح ألطف بطريقة ما حين أكون بقربك، فينبغي لي أن أشكركِ. مرة أخرى.»

لا أظنني تحدثت من قبل بمثل هذه الرقة وهذا الهدوء لأي شخص. وما يخيفني أكثر، هو أنني لا أظنني سأفعل ذلك أبداً لأي شخص سواها.

لامست يدي معصمها فجأة، وراقبتها وهي تصعد ببطء على ذراعها، كشبح لمسة تسافر عبر بشرتها. انتفضت مسامها إثر مسار أصابعي المنزلة، ما رسم ابتسامة على شفتي.

ثم عدت لألف تلك الخصلة الحريرية من شعرها حول إصبعي مجدداً، وقلت:

– «شكراً لك يا بيدن. على الليلة الماضية.»

ارتجفت، ومع ذلك، كان التورد لا يزال مهيمناً على وجهها. لم أستطع مقاومة الابتسامة التي ارتسمت على ملامحي وأنا أهمس:

– «رغم رغبتني في المساعدة، يبدو أنك ما زلتِ تعانين من الحرارة

المفرطة.»

قالت والكلمات تكاد تندفع كطلقات من بين شفتيها، وبدت منزعة من نفسها:

– «ويبدو أنك ما زلت الملام على ذلك.»

دستت تلك الخصلة الفضية خلف أذنها بابتسامة كسولة، وتاركا أصابعي تتلأأ على بشرتها، وسألتها:

– «هل تعترفين بأنني أجعلك تتوردين؟ وأجعلك تتوترين؟»
قاطعتني مكلمة:

– «وتجعلني منزعة؟ لأنك تفعل ذلك بالتأكيد.»
أشحت بوجهي وهزرت رأسي قائلاً:

– «كاذبة.»

سألتنني بنبرة مستوية:

– «هل قدمي اليسرى هي ما فضحني أم أنك توصلت إلى هذا الاستنتاج بمفردك؟»

عادت نظراتي إليها، إلى زرقة عينيها الفاتنة والمربكة. ثم انخفضت عيناها إلى شفتيها، الناعمتين والمزمومتين في عبوس بدت وكأنها تقاتل للحفاظ عليه على وجهها.

تقدمت بخطوة أقرب. فمالت هي نحوي.

قلت:

– «لا أقوى على إبعاد عيني عنك لفترة تكفي لأهتم بما تفعله قدمك. لذا أجل، توصلت إلى هذا الاستنتاج بمفردني.»

كانت نظرتها مشتتة، تخترقني، وتتوسل إلي لأقترب أكثر. وهذا ما فعلته.

لا أقوى على البقاء بعيداً عنها.

ولا أريد البقاء بعيداً عنها.

أبعدت الشعر عن عينيها، تاركاً أصابعي تلامس بشرتها. مجرد لمسها كان يسري كصدمة كهربائية في جسدي، ويجعل قلبي يتسارع. وأعلم أنها تشعر بذلك أيضاً. كانت عيناها تتنقلان بين عينيّ وفمي، ورموشها ترفرف. لم أعد أحتمل أكثر من ذلك. لا أستطيع منع نفسي من الرغبة في هذا. الرغبة فيها.

اقتربت أكثر، تفرقت شفاتها، و -

كان هناك شيء ينغرز في حنجرتي.

بحق الجحيم -

لقد ضغطت بذلك الحذاء اللعين على عنقي.

همست قائلة:

- «يجب أن أذهب.»

بالكاد كانت كلماتها تتجاوز الهمس المتطاير على شفتيّ، وكأنها تحدث نفسها، لتذكرني بوقتنا تحت شجرة الصفصاف حين نطقت بنفس تلك الكلمات المترددة.

تنحنحت، وسحبت يديّ من خصلات شعرها، ثم اعتدلت في وقفتي.

ما الذي حدث للتو بحق الجحيم؟ ولماذا بحق الجحيم لم يحدث ما كان يفترض أن يحدث؟

قلت:

- «صحيح. ستحتاجين إلى متسع من الوقت لتتزيني من أجل أخي

الليلة.»

لم أكلف نفسي عناء إخفاء مرارتي، أو غيرتي، أو حيرتي. هل تريد رؤيتي بلا قناع؟ حسناً. لترّ كل شيء إذن. لترّ إحباطي من هذه المشاعر التي تتحمل هي مسؤوليتها.

جفّلت.

الفتاة التي قتلت الذئب، وتسقلت الجبال، ونجت من «العشوائيات» جفلت للتو. لم أر شيئاً كهذا قط. ولم أظن أبداً أنني سأراه. جعلني المشهد أشعر بقلبي يهوي في صدري، وجعلني أرغب في جذبها إلى أحضاني وإبقائها هناك. لكن بدلاً من ذلك، وجدت نفسي آخذ خطوة محسوبة إلى الوراء، خالقاً مسافة بيننا. لا أثق بنفسي حولها. لا أثق بأنني لن أمد يدي لألمسها، لأتذوقها. فتحت فمها، تتصارع مع الكلمات التي ترغب بشدة في قولها. الكلمات التي لن يتسنى لي سماعها أبداً لأنها أطبقت فكيها بإحكام، لتغلق أفكارها عني. راقبتها لعدة ثوانٍ بطيئة. راقبتها وهي تأخذ نفساً عميقاً قبل أن تصوب نحو نظرة هادئة.

قالت بنعومة:

– «على الرحب والسعة. من أجل الليلة الماضية. لا ينبغي لأحد أن يتحمل أهوال أفكاره بمفرده. فالكوابيس يمكن أن تكون أسوأ أعدائنا. وأنا أعلم حقيقة هذا الشعور.»

ثم أمسكت بيدي وأسقطت الحذاء فيها، قبل أن تخرج من الغرفة بخطوات واسعة.



أنا أفكر جدياً في السكر مرة أخرى.

الكحول المتماوج في الكأس المقبوضة بين أصابعي مغرٍ، يغويني بإنهائها قبل أن أتبعها ببعض الكؤوس الأخرى. كل ذلك لمجرد أن أتمكن من تجاوز هذا الحفل الراقص اللعين الأخير.

بدأت الثنائيات في الرقص بعد أن تباطأ تدفق النساء الوافدات بشكل ملحوظ. يبدو أن هذا الحفل الراقص الختامي سيكون اللمة الوحيدة من الطبيعية في التصفيات هذا العام.

قايضت بلير مع رجل نبيل شاب مقابل كأس من النبيذ، وأتساءل لماذا لم أفعل ذلك في وقت أقرب. وبينما كنت أفكر فيما إذا كنت سأبتلع ما تبقى من مشروبي، رفعت نظري لأجد مجموعة من السيدات يحيطن بي، كلهن يرتدين درجات متفاوتة من اللون الأخضر. كن يوزعن الضحكات والابتسامات الخجولة، بينما أكتفي بالهز برأسي والتحدث بأدب، مشعراً نفسي بالملل من مدى برودي وتجردني من أي انفعال.

كنت على وشك الانسحاب من المحادثة مستخدماً عذراً مبتذلاً، حين لفت انتباهي شخص ما.

شخص جعلني مصدوماً ومحدقاً.

شخص يقف وسط بحر من السواد.

مرتدية قماشاً بلون منتصف الليل، وتتألق اللمعات الخافتة المنثورة على فستانها وكأنها ضوء النجوم. يلتصق القماش بجسدها كالظل. وكجلد ثانٍ، برزت انحناءاتها وهي تنزل على الدرج.

تألق ذراعاها وصدرها الأسمر المائل للبرونزية أمام القماش الحالك الملفوف حولها. من خصرها فصاعداً، كان الفستان عبارة عن مشد مفصل، يعانق خصرها ويبرز صدرها وعظمتي ترقوتها. كانت منطقة البطن في المشد شفافة، تزدان بتصاميم أزهار متموجة وخرز تتباين مع بشرتها السمراء التي تظهر من تحتها. شرائط سوداء فضفاضة، وأكمام معقدة التصميم متصلة بأعلى المشد، تتدلى من كتفها بارتخاء متعمد.

وتنسدل طبقات من الساتان من خصرها وصولاً إلى الأرض لتشكل بركة واسعة حولها. تتبعت عيناها ساقبيها العاريتين، اللتين كشفت عنهما شقوق تمتد على جانبي الفستان وتنتهي عالياً عند فخذيهما. وهناك، مثبتاً ومعرضاً ليراه الجميع، كان خنجرها الفضي، بمقبضه المتموج الذي يتماشى ببراعة مع إطلالتها.

كان شعرها الفضي مسحوبًا في عقدة مرتخية بالقرب من مؤخرة عنقها، وتتساقط منها خصلات مموجة على ظهرها وحول وجهها، تغريني بلف أصابعي حولها ودسها خلف أذنيها.

كل جزء من جسدها كان مكتسبًا بالظلام، متدثرًا بالليل. وجدت نفسي أشكر الطاعون بصمت على إطلالتها المختلفة والداكنة، لأنني لم أكن لأرغب في أن تندمج مع الآخرين. لم أكن لأرغب في أن تضيع وسط الزحام.

ليس وكأنها واجهت هذه المشكلة من قبل على أية حال.

وليس وكأنني واجهت أي مشكلة في العثور عليها من قبل.

رؤيتها بذلك السواد الفاحش كانت كفيلة بجعلي مصابًا بعمى الألوان، لتجعلني لا أرى شيئًا ولا أحدًا سواها.

انزلقت ساقاها عبر شقوق فستانها وهي تهبط الدرج، والخنجر ظاهر بوضوح. مئات العيون كانت تتبع كل حركة لها، وشعرت فجأة بالغيرة لأن الجميع يشاركونني متعة مشاهدة حضورها.

أبت أن تلاقي نظراتي، وللمرة الأولى منذ أن التقيتها في ذلك الزقاق، أعتقد أن هذه هي أشد لحظات جبنها على الإطلاق.

إنها خائفة. خائفة مما يوجد بيننا، أيًا كان ماهيته. لطالما كانت كذلك. ولهذا السبب اختارت أن تكون عدوتي، ومنافستي، بدلًا من أن تسمح لنفسها بأن تشعر – وهو أمر لست معتادًا عليه أنا نفسي.

ألومها على ذلك. ألومها على إحداث شروخ في قناعي المصنوع بعناية، وتحطيمه إلى أشلاء عندما تكون بالجوار. لم يسبق لي أن شعرت بمثل هذا القدر من المشاعر، ولم أخف بهذا القدر من قبل. ولكن إذا كان لزامًا عليّ أن أحمل عواقب مشاعري تجاهها، فعليها هي الأخرى أن تفعل ذلك.

إنه أشبه برباط ملموس بيننا، هذا الارتباط المهلك.

أرسلتُ رغبتني الصامتة لتلاقي عيني، وحين فعلت –

شرر.

كهرباء.

كل ما هو جميل، كل ما هو جريء، كل ما يخطف الأنفاس - هذا هو ما أشعر به في نظرتها.

هذا، مع رعب قابع. رعب مما تفعله بي.

إنها رؤيا، وكابوس، وحلم في آن واحد.

حاصدة أرواح متسرلة بالسواد، جاءت لتسرق روعي وقلبي.

لم أر قط شيئاً يمثل هذا الجمال، يمثل هذه الجرأة، ويمثل هذا الخطأ الفادح بالنسبة لي.

إنها شيطان.

إنها معبودة.

إنها هلاك الرجل في هيئة بشرية.

إنها هلاكي.

ثم انحرفت عيناها نحو كيت.

فانقطع الاتصال.

وتركت لشعور بالخواء، فضلاً عن الغيرة التي راحت تتعاضم في داخلي.

لماذا تصورت يوماً أنني أستطيع الفوز بها، أو ظننت يوماً أنها قد

تتقبلني؟

لأن الوحوش لا يظفرون بالجماليات.



الفصل 51

بيكان

أنا أتحاشاه. أعترف أن هذه ليست الطريقة المثلى للتعامل مع المشكلات، لكن كاي يمثل مشكلة ملحة للغاية. ومصدر تشتيت مرغوب بشدة. لذا، أشغل نفسي، رغم أنني لا أزال ألاحظ أنه يفعل الشيء ذاته. فتاة فاتنة تلو الأخرى تجد طريقها إلى ذراعيه وإلى حلبة الرقص، وكلهن يرتدين ابتسامات مشرقة وفساتين خضراء. أدفن ذلك الشعور الذي أرفض تسميته بالغيرة، رغم أنه ينهشني بشراسة.

لدي مهمة يجب إنجازها. أُعيد انتباهي إلى شريكي في الرقص للمرة الثانية عشرة. يبتسم كيت، مواصلاً حديثنا السلس الذي يأبى عقلي إلا أن يشرد منه. أُجبر نفسي على التركيز في كلماته بدلاً من الشيء الذي يتعين عليّ سرقة منه. ندور معاً، وألمح حلقة المفاتيح داخل جيب سترته الأنيقة. ترتعش أصابعي، تتوق لإيقاظ غريزة اللصوصية التي قمعتها طوال فترة وجودي في القلعة - في الغالب -.

قال كيت بصوت ناعم باغتني:



– «تبدین فاتنة.»

أجبرت نظراتي على الارتفاع لتلتقي بعينيهِ، فابتسم لتعابير وجهي وهو
يُضيف:

– «لا ينبغي أن تتفاجئي هكذا.»

ساد الصمت بيننا للحظة قبل أن أتمكن أخيرًا من صياغة الكلمات، فقلت:

– «أنت تفاجئني.»

سأل:

– «أفعل؟»

أجبتَه بصدق:

– «أجل، لستَ كما توقعتك أبدًا.»

بدت ابتسامته العريضة صبيانية جدًا على أن تنتمي إلى ملك إيليا
المستقبلي. سألني:

– «هل خيبت ظنك؟»

كم أتمنى ذلك.

قلت:

– «لا.»

اتسعت ابتسامته عند سماع الكلمة، فسارعت لإضافة:

– «ليس بعد.»

ثم انحنيت نحو الأرض في حركة رشيقة، وضحك هو من فوقني بينما
شهقت متفاجئة. أبقاني في ذلك الوضع، وهنا لاحت فرصتي. هذه هي اللحظة
التي كنت أخشاها، وأخطط لها. سترته مفتوحة، وعيناه مسمرتان عليّ،
وأفكاره تحوم حول أي شيء إلا المفاتيح القابعة في جيبه.
لذا فعلت ما أبرع فيه – السرقة.

تعثرت، متظاهرة بالانزلاق، وهو أمر قابل للتصديق تمامًا بالنظر إلى الكعبين العاليين اللذين أنتعلهما. رميت يديّ أمامي لأستعيد توازني، فاستقرت إحداهما على كتفه، والأخرى على صدره بالقرب من الجيب الداخلي لسترته.

التفت ذراعه بإحكام أكبر حول خصري بينما حافظت على التواصل البصري معه، أبتسم حتى وأنا أدس يدي في جيبه. أبتسم حتى وأنا أخون الفتى الذي لم أرى منه سوى اللطف. أبتسم حتى وحلقة المفاتيح تفتح، وأسحب المفتاح الأكبر من طرفها، شاعرة بالنقوش البارزة التي تزينه تنغرز في باطن يدي.

جذبني ببطء إلى الأعلى، وأوقفتني ذراعه القويتان باعتدال. لكن يدي كانت قد غادرت جيبه بالفعل واستقرت خلف كتفه، بريئة ولا تثير أي ارتياب. قال كيت بابتسامة مازحة:

– «وها أنا ذا، أظن أن رقصك يتحسن.»

زفرت أنفاسي ببطء، وأجبتة مبتسمة:

– «وها أنا ذا، أظن أنك ستحذرنني قبل أن تدفعني للتخليق نحو الأرض. والآن أظنني بحاجة إلى مشروب.»

رمقني بابتسامة عريضة قبل أن يلتفت نحو طاولة المشروبات، وقال:

– «ليس الكثير من الشرب. أنت بالكاد تتذكرين خطوات الرقص كما هي. لكنني سأحضر لك واحدًا على أي حال.»

أطلقت تنهيدة مهتزة وأنا أراقبه يذوب في الزحام، وشعرت فجأة أن مشد فستاني أضيق مما ينبغي. كان المفتاح أملس في راحة يدي، وساخنًا على بشرتي.

– «هل تسمحين لي بهذه الرقصة؟»

استدرت، فلامس وجهي تقريبًا وجهًا تتناثر عليه حبات النمش. كان شعر ليني الفوضوي عادة ممشطًا، وخصلاته الحمراء مروّضة من أجل الأمسية. وكان يرتدي بدلة سوداء أنيقة، متماهيًا مع بقية الرجال من حولنا.

أجبتة وأنا أرسم ابتسامة مصطنعة على شفتي:
- «بالتأكيد.»

استقرت يده على خصري، ووضعت يدي على كتفه، ثم تلاقت يدانا
الحرتان.

استقر المفتاح بين راحتينا، فمنحني ليني ابتسامة واسعة حين شعر به،
وقال:

- «أحسنَتِ صنعًا. كان الأمر سهلًا، أليس كذلك؟»

أجبتة بصوت شارد ومشئت:

- «أجل. سهل.»

سأل:

- «هل تتذكرين الخطة؟»

تنهدت وقلت:

- «حسنًا، أنا لا أفعل الكثير حقًا، أليس كذلك؟ كل ما عليّ فعله الآن هو
النجاة من التصفية الأخيرة.»

قال:

- «أجل، حسنًا، قد تكون هذه أصعب مهمة على الإطلاق.»

أومأت برأسي مرة واحدة، وركزت بصري على الأجساد الدائرة من
حولنا، فلمحت آندي ترقص مع فتاة متوردة الوجدتين لم أرها من قبل. شردت
عيناى نحو حيث يقف كيت وجاكس يضحكان، والأول يبعثر شعر شقيقه
الأصغر بابتسامة واسعة. كنت قد رأيت بلير في وقت سابق، رغم أنه ليس من
الصعب العثور عليها مجددًا بفستانها الأخضر الفاقع الذي يحرق عيني.
أشحت بنظري قبل أن أجد نفسي أبحث مرة أخرى عن أمير معين وسط
الحشد.

لم يتبق منا سوى خمسة.

تساءلت لبرهة كم منا سيعيش ليرى غروب شمس الغد. تساءلت لبرهة أي الآباء سيكون أبناءهم. الموت هو كل ما تجلبه هذه التصفيات – لا شرف، ولا مجد، ولا سعادة. الموت فحسب.

غمرني صوت ليني الهادئ وهو يسأل:

– «هل أنت بخير؟»

أعدت انتباهي إلى عينيه البنيتين الواسعتين وأجبت:

– «هل أي منا بخير حقاً؟»

هز كتفيه نصف هزة وقال:

– «وجهة نظر.»

انتهت الرقصة وأفلتت يدانا، ولكن ليس قبل أن ينقل ليني المفتاح إلى راحة يده ثم إلى جيبه. همس بصوت خفيض تشوبه مسحة من القلق:

– «كوني حذرة غداً.»

قلت بنبرة مداعبة:

– «أوه، هل تشعر بالقلق عليّ يا ليني؟»

كاد يقلب عينيه وهو يرد:

– «ربما قليلاً أيتها الأميرة. لا تموتي، اتفقنا؟»

قلت:

– «لا أستطيع تقديم أي وعود، لكن من أجلك، سأحاول البقاء على قيد

الحياة. لا أود أن أضطرك للعيش بدوني.»

ابتسم وهز رأسه يأساً مني، لكنني أمسكت بذراعه قبل أن يتمكن من الالتفاف.

تابعت قائلة:

– «مهلاً، حظاً موفقاً. وتذكر ما قلته لك عن الممر. أوه، و–»

قاطعني ضحكه وهو يقول:

– «بحق الطاعون، تحلي بالقليل من الإيمان بي يا بيدن. أنا أسيطر على الأمر.»

تنهدت وأومأت له برأسي قليلاً قبل أن يلتفت ويتوارى وسط الزحام. مسحت يدي المتعركة على المشد السميك لفستاني قبل أن أمررها على القماش الناعم المنسدل تحته. ثم استدرت على عقبي، لتنزلق ساقي بسهولة عبر شقوق التنورة التي توصلت إلى أدينا أن تجعلها عالية للغاية حتى لا أشعر بتقييد القماش. ربما هو خوفي من الأماكن المغلقة، أو ربما أحب ببساطة أن أمتلك خيار توجيه ركلة عالية نحو وجه أحدهم إن لزم الأمر.

كدت أصطدم بجاكس على حلبة الرقص، فابتسم اتساعاً عند رؤيتي وقال:

– «مرحباً يا بيدن! هل تودين الرقص؟ لقد تخلت آندي عني. ناهيك عن أنها شربت الكثير من النبيذ، ولا آمن ألا تقع فوق.»

بضحكة خفيفة، أومأت له قبل أن نبدأ في الدوران حول الحلبة. بدأت موسيقى فالس هادئة، من ذلك النوع الذي يتطلب خطوات محددة وتبديل الشركاء، وهو النوع الذي أحاول عادةً تجنبه. لكنني تركت قدمي تقودانني، واثقة من تذكري للخطوات الصحيحة، بينما أحاول نسيان السبب الدقيق الذي يجعلني قادرة على أداء ذلك أصلاً. أحاول نسيان كيف احتضنت في الظلام، وانقدت بين ذراعين قويتين و-

توقفي.

بحق الطاعون، تماسكي.

نظرت إلى الفتى المائل أمامي، وقد كسته الابتسامات والحماس، فقلت:

– «تبدو وسيماً للغاية يا جاكس.»

تحولت ابتسامته إلى شيء أشبه بالخجل، ورد:

– «شكراً لك. أمم.. وأنت تبدين-»

درنا، فسُحبتُ إلى ذراعي رجل نبيل آخر. أومأت بأدب للشاب، فبادلني الإيماءة ونحن نتحرك على الإيقاع. وقبل أن أدرك الأمر، كنتُ أُمَرر بين شركاء الرقص، وتُمسك بي أيدي رجال لم ألتق بهم من قبل. كانت رقصة الفالس طويلة، ما جعلني أندم على نزولي إلى حلبة الرقص. قدماي تقتلانني.

ثم استدرت لأصطدم بجسد آخر، وتطوقني ذراعان تعودان إلى كيت المبتسم.
قال:

– «ها أنتِ ذي. كنت أعلم أنني سأستعيدكِ.»

رسمت ابتسامة صغيرة وقلت:

– «لقد استغرقك الأمر وقتاً طويلاً.»

سمعت ضحكته قبل أن أُسحب لألتصق بشريك جديد.

– «أنتِ تتحاشينني.»

خفق قلبي عند سماع ذلك الصوت، وتراقصت الفراشات في معدتي حين غمرتني رائحة الصنوبر الخفيفة. رمشت وأنا أطلع ذلك الصدر العريض، مدركة تماماً للبنية القوية المختبئة تحت القميص الأبيض الناصع. أخذت نفساً عميقاً، ورفعت نظراتي لتلتقي بعينه.

أوه، وكم تمنيت لو لم أفعل.

عيناه فاتنتان، كفولاذ منصهر، أو ضباب صباحي. تخترقانني وكأنه لا يخشى رؤية كل جزء مني. بدت نظارته مألوفة، وفي محلها تماماً. وحين تشابكت عيناه بعيني، تساءلت عن السبب الذي يدفعني لتكبد عناء النظر إلى أي شخص آخر.

لا. لا. لا.

رغم أن حضوره يبدو مألوفاً وصائباً، إلا أنني أشعر بخطأ فادح وبتخبط شديد.

لم يبعد عينيه عني، وكان ثقل نظراته طاغياً وهو يراقبني بصبر وأنا أحاول فك رموز الأمور. فك رموز هذه المشاعر.
قلت:

– «لن أسمى ذلك... تحاشياً.»

بدا صوتي غير مقنع بالمرة، وبدا ذلك منطقياً لأنني كنت أفعل ذلك تحديداً. ورغم أن حياتي بأكملها عبارة عن كذبة، إلا أنه يبدو أن مهاراتي في الخداع قد نفدت لهذه الأمسية لأنني لا أستطيع خداعه.

ارتعشت زاوية فمه صعوداً، واضطرت إلى بذل جهدٍ واعي كي لا أُطيل النظر إلى شفتيه. لكن تماماً كما حدث هذا الصباح، وجدت نفسي أرغب في الميل نحوه. لا أعلم ما كان سيحدث لو بقيت في غرفته لفترة أطول، ومع ذلك، قضيت اليوم بأكمله ألوم نفسي لعدم معرفتي ما كان ليحدث.

استلزم الأمر كل ذرة قوة في داخلي لأدفعه بعيداً، رغم مدى رغبتني العارمة في جذبه نحوي. لكنني بعد ذلك أذكر نفسي بمن يكون، وماهية هويته. فبينما هو الأمير، والمنفذ المستقبلي، وابن الرجل الذي أمقته، أنا فتاة من «العشوائيات»، عادية، التجسيد الحي للشيء الذي تعلم أن يكرهه.

تبددت أفكارني حين خطفت غمازته نظري، وقال:

– «إذن نوريني. ماذا تسمين ذلك يا جراي؟»

أدارني بيد واحدة قبل أن يجذبني نحوه مجدداً، ليلتصق ظهري ب صدره. كانت يداي متقاطعتين فوق معدتي حيث يمسك بهما من خلفي، وتمايل جسدانا معاً على إيقاع الموسيقى.

قلت وأنا أستحضر في ذهني النساء اللواتي رقص معهن:

– «لقد بدوت مشغولاً، ولم أشأ المقاطعة.»

أخبرتني ضحكته الساخرة أنه يتذكر ذلك أيضاً.

تسارع نبضي حين لامس فكه شعري. انحنى ليصبح وجهه بمحاذاة وجهي، ولامست شفاته صوان أذني وهو يقول:

– «همم. هل تودين معرفة ما أعتقد؟»

جذب يديّ، مقرباً إياي أكثر، وتابع:

– «أعتقد أنك تتحاشين الرقص معي لأنك لا تستطيعين تحمل هذا القدر من القرب.»

كدت أختنق من الضحكة التي أفلتت مني وقلت:

– «أرجوك. ليس لدي أي مشكلة في أن أكون قريبة منك.»
أكاذيب. أكاذيب. كاذبة.

يبدو أن مهاراتي في الخداع قد عادت.

همس وشفته تلامسان أذني، وأصابعه متشابكة بأصابعي، وجسده ملتصق بي:

– «أحقاً ذلك؟»

أشعر بالحرارة والبرودة معاً، بالموافقة والرفض، بالصواب والخطأ. أنا تجسيد للمتناقضات، مزيج فوضوي من التخبط والتناقض.

أريد هذا.

لا أريد هذا.

خفض رأسه ليستند بذقنه على كتفي.

أوه، أنا بالتأكيد أريد هذا.

أوه، لكن بالتأكيد لا ينبغي لي ذلك.

سألني:

– «إذن لماذا تدفعينني بعيداً؟»

تسمرت في مكاني. كان هناك الكثير من العاطفة في صوته، والكثير من الشكوك العارية وهي تغادر شفتيه. أدارني لأواجهه ببطء، ولم يكلف نفسه عناء التراجع خطوة إلى الوراء أو ترك مسافة بيننا.

ارتفع صدري وهبط بانفعال، ودق قلبي بعنف. اصطدمت عيناه بعيني،
وسمحت لنفسي بتأمل، وبالإعجاب بهذا الفتى الذي صرت أعرفه.

إنه مهلك. كل شيء فيه مذهل وحاد ويخطف الأنفاس. لكن طريقته في
النظر إليّ هي ما جعلت الابتلاع يبدو فجأة وكأنه صراع، والتنفس يبدو وكأنه
عبء شاق. لم يسبق أن نُظر إليّ وكأن مجرد الوجود في حضرتي امتياز، أو
كأن ملاقة نظراتي شرف، أو كأن استراق لمحة مني هدية ثمينة. ليس حتى
التقيته.

انزلق قناعه، وتشظى، وتحطم، تاركاً وراءه فتى يتأمل فتاة وكأنها
تستحق رغبته العارمة.

وما يرعبني أكثر هو ظني بأنني قد أكون أبادله النظرة ذاتها، أنظر إليه
بنفس تلك اللفظة. مهما حاولت المقاومة، لا يسعني سوى التوق إلى هذا الفتى
الذي أنقذ حياتي مرات تفوق ما أود الاعتراف به. هذا الفتى الذي يجمع بين
الدهاء والسحر، وبين البرود والاهتمام الحاني. الشخص الذي ضمد جراحي،
وتعرف على ماضي، وكان مصدر إلهائي حين كنت في أمس الحاجة لذلك.
الشخص الذي يفهمني حقاً.

ثم توقف قلبي، وهوى نبضي.

لكنه لا يفهمني، أليس كذلك؟

هو لا يعرف حتى من أكون على حقيقتي. ما هي حقيقتي. ولو علم،
لقتلني. لأن هذا ما سيفعله المنفذ. لأن هذا ما سيفعله ابن الملك. لأن هذا ما
خلق ليفعله.

ولهذا السبب تحديداً أدفعه بعيداً. لأنني إن لم أفعل، سأجذبه نحوي. وإذا
جذبتة نحوي، فلن ينتهي الأمر إلا بخنجر ينغرز في قلبي. هذا القلب الذي
ينبض بسرعة زائدة في حضوره، وينكسر بسهولة بالغة، ويتألم كثيراً من
أجله.

حدقت فيه في المقابل، غير مدركة لما يجب أن أقوله أو أفعله أو—

اختطفت فجأة من بين ذراعيه إلى ذراعي شخص آخر قبل أن تتاح لي فرصة الإجابة.

توقيت مثالي.

اندفع جاكس قائلًا وابتسامته تمتد من الأذن إلى الأذن:

– «تبدين فاتنة. هذا ما كنت سأقوله سابقاً.»

نفخ صدره قليلاً، فخوراً بنفسه لتمكنه أخيراً من التعبير عن إطرائه.

قلت وأنا أبتسم له:

– «شكراً لك يا جاكس.»

حين انتهت الأغنية، غادرت حلبة الرقص مسرعة. كنت تواقّة للابتعاد عن زحام الأجساد، فاختطفت مشروباً من صينية أحد الخدم واتجهت نحو حافة قاعة الرقص. إلا أنه بدا من المستحيل الهروب من الحشود. فكل زاوية وقع عليها بصري كانت مشغولة بمجموعات من الضيوف يتهايمسون في ثرثرة، أو بخدم صامتين.

جالت عيناى عبر قاعة الرقص المكتظة، لتستقرا على النوافذ الكبيرة والهواء الطلق الذي ينتظر في الخارج. كنت أتحرق شوقاً للحظة أختلي فيها بنفسى، لحظة أتححر فيها من هذه الغرفة المزدحمة والمغلقة.

ارتشفت من النبيذ، وأنا أراقب الضيوف المتمايلين قبل أن أضع الكأس على الطاولة وأتجه نحو الرواق الممتد خارج قاعة الرقص. أُجبرت على الانزلاق بين الأجساد، كارهة هذا الشعور بالضيق والاختناق.

أخذت نفساً عميقاً وأنا أتوجه نحو الأبواب الضخمة المهيبة التي تفضى إلى الفناء الخارجى. ملأ صوت نقرات كعبيّ على الأرضية مساحة الصمت وأنا أقترّب من تلك الأبواب المرهبة.

مددت يدي، متلهفة لدفع المخرج وفتحه بقوة، حين اندفع وامنض (فلاش) بسرعة خاطفة ليقف بينى وبين خلاصى.



الفصل 52

بيكان

كانت ابتسامة الإمبراطوري باردة وهو يرمقني من أعلى، بزيه الأبيض شديد الأناقة والذي تفوح منه رائحة النشا.

قال بنبرة استخفاف جعلتني أكتم الرد اللاذع الذي كاد يقفز من شفتي:
- «لا يمكنني السماح لكِ بذلك أيتها السيدة الصغيرة.»
لست في مزاج يسمح بذلك.

قلت:

- «أحتاج فقط إلى بضع دقائق في الخارج لاستنشاق بعض الهواء النقي.»

لو كنت في «حي النشّالين» الآن، لما كلفت نفسي عناء التحدث بتهذيب.
ابتسم بسخرية وقال:

- «كما قلت، لا يمكنني السماح لكِ بذلك.»

ضحك بعض الإمبراطوريين المصطفين في الرواق معه، وكأنهم يشاركونه دعابة مضحكة أجهلها. وتابع:

- «لا تملكين تصريحًا للخروج من القلعة أيتها السيدة الصغيرة.»



شدت قبضتيّ جانبي، أقاوم رغبة عارمة في تحديه بأن ينعطني بـ
"السيدة الصغيرة" مرة أخرى ليرى ما سيحدث. وقلت:

– «كل ما أطلبه هو لحظة في الخارج.»

انحنى نحوي، وفاحت رائحة الكحول النتنة من أنفاسه وهو يقول:
– «حقاً؟ وما الذي أنتِ مستعدة لفعله مقابل ذلك؟ وما المقابل الذي
سأجنيه؟»

ثم لف ذراعه حول خصري، ساحباً إياي نحوه.
حركة خاطئة.

أطبقت أصابعي حول مقبض خنجري، متحسّسة الفولاذ البارد الذي
أوشك أنـ

– «احذر، ستضع تلك الشفرة على حنجرتك. وأنا أدري الناس بذلك.»
تسمرت في مكاني، وأدّرت رأسي قليلاً لأرى كاي واقفاً على بُعد خطوات،
داساً يديه في جيبه بلامبالاة. قال بصوت بارد وحاد كفولاذ خنجري:
– «والآن، أطلق سراحها وافتح الباب.»

تلعثم الإمبراطوري وهو يرد:

– «ولكن يا سيدي، لدينا أوامر بعدم السماح للمتنافسين بمغادرة الـ»
قاطع كاي:

– «والآن لديك أوامر جديدة. لذا أقترح أن تفتح هذا الباب اللعين.»
لم تتغير تعابير كاي الخالية من المشاعر رغم نبرته المميّزة. بل إنه أسند
ظهره الآن إلى الجدار، ولا تزال يداه مدسوستين في جيبه. كان يجسد لوحة
مثالية للسلطة. وأضاف:

– «أوه، وإن كنت ترغب في الاحتفاظ بوظيفتك، ويدك، ورأسك، فأقترح
أن تطلق سراح السيدة الصغيرة.»

كدت أبتسم عند سماع ذلك. لم يضيع الإمبراطوري ثانية واحدة قبل أن يقفز مبتعداً عني حرفياً. فهو يعلم تمام العلم، شأنه شأني، أن تهديدات كاي لا تكون جوفاء أبداً.

سار الإمبراطوري بخطوات سريعة متجاوزاً كاي، لكن ليس قبل أن تندفع يد الأمير لتقبض على قميصه وتدفعه بعنف نحو الجدار. همس كاي بالقرب من وجه الرجل:

– «لقد كذبت. ستكون محظوظاً إن سمحت لك بالاحتفاظ برأسك، فضلاً عن يدك، لجرأتك على المساس بشعرة منها.»

انفتحت الأبواب على مصراعيها، لتنتزع عيني من ذلك المشهد الذي لست واثقة من رغبتني في رؤيته. لفحني هواء رطب ولزج بمجرد أن بدأت في هبوط الدرج نحو الفناء الممتد أمامي. كانت السماء داكنة ومكتظة بسحب ثقيلة تدمدم منذرة بهطول المطر.

أخذت نفساً عميقاً، مستمتعة بالهواء النقي والمساحة المفتوحة من حولي. تناثرت قطرة بلل على وجنتي، فرفعت وجهي نحو السماء الملبدة بالغيوم التي بدأت الآن تمطر رذاذاً عليّ. بسطت ذراعيّ وأمالت رأسي إلى الأعلى، عاشقة لإحساس حبات المطر وهي تداعب بشرتي.

ثم تحول الرذاذ إلى هطول غزير. انهمر المطر بكثافة بينما وقفت أبتسم ببلاهة. شعرت بصفاء في ذهني لم أعده منذ أيام، بينما كسا الماء البارد بشرتي، وفستاني، وشعري. درت حول نفسي في مكاني، وتمايلت أطراف فستاني حول كاحليّ؛ شعرت كبلهاء، ومع ذلك كنت أعشق هذا الإحساس حد الثمالة.

خلعت حذائي من قدميّ المتألمتين، وسرت حافية عبر برك المياه تماماً كما كنت أفعل حين كنت طفلة صغيرة، مما أعادني إلى زمن كنت فيه أصغر سناً، أتعطش لحب أب لم يعد بجانبني. حين كنت مرعوبة ومصدومة بشدة. كانت الشوارع المكتظة في «حي النشالين» تضيق عليّ الخناق باستمرار، لتشعرنني وكأنني أسيرة في قفص وتثير داخلي فوبيا الأماكن المغلقة.

لكنني حينها كنت أتسلق أسطح المتاجر والمباني القديمة، متخذة من النجوم رفيقاً وحيداً. كنت أشعر بحرية أكبر في الهواء الطلق، وبسكينة لا توصف. فعلت ذلك لأشهر، بل لسنوات، قبل أن يتبدد خوفي ويغدو «حي النشألين» أقرب إلى الوطن، وأقل ترويعاً.

تفجرت ضحكة من أعماقي. هستيرية. أنا في حالة هستيرية تامة.

بحق الطاعون، كم كأساً من النبيذ شربت؟

أخذ المطر يلصق خصلات شعري بوجهي ويقطر من طرف أنفي، بينما أواصل الابتسام رغم كل شيء، متناسية همومي للحظات ومكتفية باغتنام فرصة لأحيا فقط.

– «لا أظنني عشت يوماً قبل أن تقع عيناى على مثلك.»

استدرت أرمش عبر ستارة المطر المنهمر قبل أن تعثر عيناى على تينك العينين الرماديتين المندمجتين مع سيل المياه الهائل علينا. كان شعره يقطر ماءً، مموجاً ومبعثراً. وقميصه الأبيض ذو الأزرار قد التصق بجسده وبات شفافاً، ليبرز من تحته صدره الموشوم وجذعه الأسمر.

ورؤيته على تلك الحال رسمت ابتسامة على ثغري.

قلت وأنا أضحك في حالة شبه هستيرية:

– «أنا واثقة أنك تقول هذا لكل السيدات الصغيرات اللواتي يخطفن

أنظارك.»

أجاب وصدره يعلو ويهبط بسرعة تضاهي سرعة انهمار المطر، بينما كان قلبي يدوي بصخب يضاهي صخب العاصفة:

– «أوه، لكنني لا أملك عينين إلا لسيدة صغيرة واحدة، ويبدو أنني عاجز

عن إبعاد ناظري عنها.»

اكتست ملامحه بالجدية فجأة، وتفرس في وجهي سائلاً:

– «هل كنت بحاجة لبعض الهواء النقي؟ استراحة من تلك الغرفة

المزدحمة؟»

ها هو ذا مجدداً، يفهمني.

أجبتة برقة:

– «أجل. أشعر بتحسن كبير هنا في الخارج. أشعر بحرية أكبر.»

انحنى بالقرب من أحواض الزهور المحاذية للدرج، وقطف زهرة من التربة المشبعة بالماء قبل أن يعتدل واقفاً.

قال بهدوء:

– «جيد، لأنني سأقترب منك جداً، جداً.»

أطلقت زهرة بطيئة حين اتخذ خطوة نحوي. ثم أخرى. وأخرى. صار قريباً بما يكفي لأستشعر حرارة جسده، وأستشعر الدفء الذي يسري في عروقي حين يقترب مني أكثر من اللازم.

أمالت رأسي لأعلى لأتلقى نظارته، أرمش نحوه محاولة الرؤية عبر ستارة المطر. مسحت عيني، مدركة فجأة أن مساحيق التجميل ربما تسيل على وجهي، قبل أن أقرر أنني لا أكثرث حقاً.

انفرجت شفتاه عن ابتسامة وهو يرفع الزهرة نحوي، ذابلة وتقطر ماءً. كانت بتلاتها الصغيرة تتألق بدرجة مذهلة من الأزرق النابض بالحياة، والذي يميل قليلاً إلى الأرجواني.

قال كاي بابتسامة رقيقة وضحكة خافتة:

– «زهرة (لا تنسيني)، بما أنك تبدين دائماً وكأنك تنسين من أكون.»

رفع يده ليدس الزهرة خلف أذني، قبل أن يترك أصابعه تتخلل شعري المبلل.

قلت وأنا ألهث:

– «أوه، أنا أعرف من تكون. وغد مغرور.»

هز رأسه يأساً مني، بينما لا تزال أصابعه تعبت بخصلات شعري، وقال:

– «لا يهمني على الإطلاق إن نسيت لقي ومنصبي، طالما أنك تتذكرين ما أعنيه بالنسبة لك.»

حدقت فيه، ولا بد أن شيئاً ما كان مثيراً للتسلية، لأنني من خلال رمشاتي السريعة، راقبت ابتسامة بطيئة تتسع على شفتي كاي. فتحت فمي لأقول شيئاً، لكنني أطبقته فوراً حين بدأ يخلع سترة بدلته. انزلت عن ذراعيه، لتتركه واقفاً أمامي بقميص أبيض مبلل بالكامل.

حسناً، هذا ليس مشتتاً للانتباه على الإطلاق.

تقدم خطوة أقرب، وبسترته المتدلّية على ذراعيه، رفعها فوق رأسي ليقيني من المطر.

– «كاي...»

أوقفتني الابتسامة التي أضاءت وجهه، وخطفت أنفاسي. إنها إحدى ابتساماته الحقيقية النادرة التي اعترفت بأنني أرغب في رؤية المزيد منها. ابتسامة تخصني أنا وحدي.

غمازتان.

كلتاهاما ظاهرتان. كلتاهاما مشتتتان للانتباه. وكلتاهاما مهلكتان.

سألت بصوت يملؤه الضحك:

– «ماذا؟»

هز كتفيه، والابتسامة لا تزال تفتersh وجهه، وأجاب:

– «أنا ببساطة أعشق وقع اسمي وهو ينزلق من بين شفتيك.»

تنحنحت بعد أن جف حلقي فجأة بشكل ملحوظ، وقلت:

– «حسناً، كاي ليس اسمك الحقيقي، أليس كذلك؟»

لاذ بالصمت، مكتفياً بابتسامة وحدة مفاجئة في عينيه، تتحداني أن أنطق باسمه الكامل. يريدني أن أنطق باسمه. وعلى ما يبدو، كنت أرغب أنا الأخرى في قوله، لأنني عندما فتحت فمي، خرجت كلمة واحدة.

– «مالاكاي.»

أغمض عينيه، وأرجع رأسه إلى الخلف، تاركاً للمطر حرية العبث بوجهه. جعلتني الابتسامة المرسومة على شفثيه وامتداد عنقه أبتلع ريتي بصعوبة. ظل رأسه مائلاً نحو السماء، كأنه يخاطبها حين قال:

– «أنتِ وحدكِ من يجعل اسمي يبدو جديراً بالذكر.»

قلت وصوتي يبدو لاهثاً لدرجة أنني تمنيت لو كان بإمكانني إلقاء اللوم على نوبة هلع:

– «حسناً، ماذا تفضل أن أناديك؟ كاي؟ مالاكاي؟»

جاءت إجابته بسيطة ومباشرة وهو يخفض رأسه لينظر إليّ:

– «ناديني بأي اسم تفضليته. لن أفوت أبداً أي فرصة لسماع صوتكِ يا عزيزتي.»

شعرت بابتسامة ترفع زاويتي شفثيّ، وقلت:

– «حسناً إذن، وغد مغرور كما اتفقنا.»

لم أكن مستعدة لتلك الضحكة التي أفلتت منه. كان صوتاً غنياً وجميلاً تمنيت لو أمتلك الوقت الكافي لحفره في ذاكرتي.

قلت:

– «احذري يا كاي...»

اتسعت ابتسامته الماكرة عند سماع اسمه مجدداً، فتابعته:

– «ها أنتِ تعود للتصرف كرجل نبيل مرة أخرى.»

انتقلت نظراتي إلى السترة السوداء التي لا يزال يرفعها فوق رأسي ليحميني من المطر. وأضفت:

– «لكنك تعلم أنني مبلة بالكامل بالفعل، أليس كذلك؟»

تنهد وخفض رأسه لنصبح في مستوى نظر واحد، وقال:

– «أجل، حسناً. بقدر ما بدوتِ فاتنة وأنتِ ترمشين نحوي تحت المطر،

أريدكِ أن تريني بوضوح عندما أخبركِ بهذا.»

ها هي تلك الخفقة الغبية تعود إلى صدري.
قال:

– «لقد كنت أعني ما قلته. لا أقوى على إبعاد عيني عنك. ولا أقوى على
صرف تفكيري عنك.»

أشحت بنظري عن نظراته المشتعلة، وهزرت رأسي متممة:
– «كاي، أنا-»

– «بيدن.»

تسمرت. ارتجفت. لقد نطق باسمي وكأنه شيء مقدس، وكأنه قَسَم يؤديه.
أمال رأسه جانباً، وعيناه تطوفان على وجهي. همس قائلاً:
– «أخبريني، بماذا تريد أن أناذك؟»

التقت عينا بعينيه ببطء، مرتبكة من سؤاله، فأجبت:
– «بماذا تريد أن تنادينني أنت؟»

قال:

– «أريد أن أناذك بفتاتي.»

تبادلنا النظرات. كلانا يتنفس بصعوبة، وكلانا يتشرب تفاصيل الآخر.
كان المطر لا يزال يضرب وجه كاي، ويتشبث برموشه الكثيفة ويقطر من فكه.

قال بهدوء:

– «أعلم أنك تشعرين بذلك أيضاً.»

سأله:

– «أشعر بماذا؟»

أجاب:

– «أن شعري بالحياة. بالاحتراق. أن شعري وحسب.»

كانت هناك حدة في عينيه وصوته زادت من تسارع نبضات قلبي. أشاح بنظره لاعبًا بالكلمات تحت أنفاسه، قبل أن تصطدم نظراته بعينيّ مجددًا ويقول:

– «باي، حين أنظر إليك... أشعر بالهلاك. أكون غارقًا. أستميت لالتقاط أنفاسي.»

غادر الهواء رئتيّ، ولم يعد لرمشي المتكرر الآن أي علاقة بالمطر. كانت كلماته التالية أقرب إلى الهمس:

– «انظري إليّ وأخبريني أنك لا تشعرين بالشيء ذاته.»
صمت. وبعد ذلك–

– «أنا لا أشعر بالشيء ذاته يا كاي.»
أكاذيب. أكاذيب. كاذبة.

خفض رأسه، وحين رفعه لينظر إليّ مجددًا، ارتسمت على شفتيه ابتسامة ملتوية. ثم أنزل ببطء السترة التي كانت تقيني المطر ولفها حول كتفيّ، وتباطأت أصابعه عند ملامسة عظمتي ترقوتي العاريتين، لترسل تيارًا مكهربًا في جسدي.

كانت السترة واسعة للغاية، فالتفت يداها حول القماش قبل أن يجذبني نحوه بشدة، ليلتصق جسدي بجسده. كان لا يزال يقبض على مقدمة السترة، ومفاصل أصابعه تلامس بشرتي العارية قبل أن تستقر شفثاه على صوان أذني.

همس بنبرة مسلية:

– «الآن أجيبي مرة أخرى، لكن دون أن تنقري بقدمك اليسرى هذه المرة.»

انفرج فمي من الصدمة.

كانت شفثاه تبتسمان ضد أذني، وكنت أحاول ألا أركز على هذا الشعور. تمتمت:

– «أنا... أنا لا–»

قاطعتني ضحكته العميقة:

– «يا إلهي، أنتِ مذهلة.»

لم يسبق لأصابع خشنة أن بدت بهذه الرقة على بشرتي وهو يبعد خصلة من شعري المبلل عن عينيّ. وأردف:

– «لكنكِ عنيدة بحق الجحيم.»

لا يمكنني الاستمرار في هذا. لا يمكنني ألا أستسلم لإغوائه. عجزت فجأة عن التفكير في سبب واحد يدفعني لمحاربة هذا، ولماذا لا ينبغي لي أن أغلق الفجوة بيننا الآن. أريد أن–
التقت شفتاه بشفتيّ.

بالكاد.

كانت همسة قُبلة، ووعداً بالشغف. ومع ذلك، كدت أذوب من تلك اللامسة. كانت يده تطوق وجهي، وإبهامه يمسح على عظمة وجنتي، ثم–
لا شيء.

تراجع.

كدت أشهق، راغبة في الإمساك به، وجذبه نحوي، وضغط شفتيّ على شفتيه. وكنت على وشك فعل ذلك تمامًا حين تذكرت فجأة وقتاً كانت فيه أدوارنا معكوسة. حين كنت أنا من يستفزه باللمسات.

الآن أدرك تمامًا مدى تأثير كاي بانقطاع لمستتي أثناء لعبتنا في الرماية والتشتيت. إن الإحساس بشيء ثم الحرمان منه يُعد قسوة بالغة حين تُسلط على أحدهم، وها قد تركني أحترق بسببها.

وجدت يده الأخرى طريقها حول خصري تحت سترته الكبيرة، وكانت حرارة راحة يده عبر مشدّي كأنها وسم مشتعل. أمال رأسه، يتفرسني بابتسامة صغيرة.

إنه يعرف تمامًا ما يفعله.

ومع ذلك، كان يستوعبني وكأنه لا يريد استعجال هذه اللحظة. وجد إبهامه طريقه إلى شفتي السفلى ليتلمسها بكسل، مشعلًا نارًا في داخلي.
قال:

– «لقد وعدت أن بإمكانني لمسك عندما أكون في كامل وعيي.»
تعثرت أنفاسي، وارتعشت زاوية شفتيه ردًا على ذلك. لم أكن أتوقع منه أن يقول ذلك. ولم أكن أتوقع حتى أن يتذكر وعدي المتسرع في الحفل الراقص الأخير.

خفض رأسه، ليصبح فمه فجأة على بُعد نفس من فمي مرة أخرى، وقال:
– «لكنني لست في كامل وعيي أبدًا حين أكون حولك يا بيدن. لست سوى ثمل بكل تفصيلة فيك.»

انعقد لساني. عجزت تمامًا عن الكلام لاكتشافني أن هذا الفتى قادر على الإحساس بكل هذا. الإحساس بكل هذا من أجلي.
سألني بصوت خشن ونظرة جشعة:

– «إن قبلك – قبلك حقًا، كما أردت دائمًا، وكما انتظرت – هل يجب أن أتوقع خنجرًا على حنجرتي؟»

وحينها رفعت يدي ببطء ونقرت طرف أنفه.
هذه المرة، أخذت لحظة لأحفر الابتسامة التي منحني إياها في ذاكرتي.
قلت:

– «أظن أنه سيتعين عليك تقبيلي لتكتشف ذلك.»



الفصل 53

كاي

نقرت أنفي. لم أعلم قط أن قلباً يمكن أن يشعر بكل هذا، أن يتأثر إلى هذا الحد بنقرة إصبع.

– «أظن أنه سيتعين عليك تقبيلي لتكتشف ذلك.»
أوه، وهذا تحديداً ما أنوي فعله.

بالكاد استطعت كبح نفسي عن الرغبة في احتضانها. إنها بالغة الجمال لدرجة أنني أكاد لا أصدق، وأكاد أعجز عن التنفس. روحها مذهلة. جوهرها مشرق وجريء، وتفوقني خيراً بدرجة لا تُصدق. إنها نور يفوق متناولي، نور لست جديراً باستراق النظر إليه، ناهيك عن الإمساك به.

ومع ذلك، ها هي ذي رغم كل شيء. تختارني.

إنه لامتياز أن أنظر في تينك العينين، أن أغرق في جوهرها.

لأن كل شيء فيها بالغ الصواب وكل شيءٍ بالغ الخطأ. لكنني أنا. آخذ ما أريد، وما أريده قد يكون راغباً فيّ، لمرة واحدة.

لا تزال سترتي متدلّية على كتفها، والمطر ينحدر على وجهها وشعرها، يتشبث برموشها الطويلة ويسيل مساحيق التجميل. امتزجت قطرات الماء



بحبات النمش الخفيفة المتناثرة على أنفها، بثمانيتها وعشرين حبة. كان تيار المطر المستمر يصفع الحصى المرصوف عند أقدامنا، ويبللنا حتى العظم.

همست وأنا أقبض بأصابعي على ذقنها لأرفع وجهها نحو وجهي:
- «سأجازف.»

ارتسمت على فمها ابتسامة رقيقة لم تفعل شيئاً سوى جذب شفتي أكثر نحو شفتيها.
لم تبتعد.

ربما يمكن للوحش أن يفوز بالجميلة في نهاية المطاف.

أغمضت عينيها مستسلمة للمطر الذي لا يزال ينهمر علينا بلا هوادة، ولا أظنني شهدت لحظة أجمل من هذه في حياتي. همست وأنفي يلامس أنفها:

- «باي الجميلة، ماذا فعلت بي؟»

هل هذا هو ما يعنيه أن تشعر حقاً؟
أقرب.

كان الشرر بيننا يكاد يكون ملموساً، يتلوى صعوداً في جسدي ليصعقني.
أقرب.

تلامست شفاهنا.

- «سموك.»

توقفت.

ثم تنهدت على شفتيها، ما جعلها ترتجف.

تراجعت للوراء، بالكاد، لمسافة تكفي فقط لأتأمل عينيها وذلك الفم الذي كان لدي كل النية لاستكشافه بكسل.

لم أعر أي اهتمام للإمبراطوري الذي تجرأ على تشتيتي عنها. ظلت عيناى مسمرتين على بيدن، وصوتي هادئاً بشكل خادع وأنا أقول:

– «آمل أن يكون ما لديك لتقوله يستحق أن تفقد لسانك من أجله لمقاطعتك لنا.»

من زاوية عيني، رأيت الإمبراطوري يتململ في وقفته، وقد بدا غير مرتاح وقلقاً في آن واحد. قال:

– «سيدي، أمم، أنت، آه–»

بدت بيدن وكأنها تود طعنه، وكنت أدرس فكرة السماح لها بفعل ذلك تماماً. وبما أنني لم أعتبره جديراً بالنظر إليه حتى، وجهت حديثي نحو باي بينما أخاطبه:

– «انطق بما لديك قبل أن أُجبرك. أو قبل أن أترك للسيدة شرف القيام بذلك.»

ارتعشت شفاتها، وتلك الحركة أفقدتني السيطرة، وجعلتني أجذب وجهها نحو وجهي، متجاهلاً الحارس المصدق تماماً.

اندفع الإمبراطوري قائلاً، مدركاً بلا شك أنه لن يتمكن من لفت انتباهي مجدداً بمجرد أن يلتقي فمي بفمها:

– «إنه الملك، الأمر عاجل.»



في الواقع، لم يكن الأمر عاجلاً.

وكنت، في الواقع، أفكر جدياً في اقتلاع لسان ذلك الإمبراطوري بسبب هذا.

رغم علمي بأنه لا يلام، إلا أنني كنت بحاجة لتفريغ غضبي في أحدهم، ولم يكن ذلك الشخص أبي بالتأكيد.

تنهدت قائلاً، غير مهتم بإخفاء انزعاجي:

– « لا أحتاج إليك لترعاني كطفل. »

– « إذن توقف عن التصرف كطفل وربما سأتوقف عن معاملتك كواحد. »

كانت نظرة أبي ثاقبة، تسمرنى في مكاني. تدفقت ذكريات طفولتي، ذكريات تلك العينين الصارمتين تراقباني وأنا أتحمل اختباراً تلو الآخر. تراقباني حين أجبرني على تعذيب شخص للمرة الأولى، حين أجبرني على قتاله.

تسللت ضحكة باردة إلى حنجرتي لتضيع وسط أصوات الموسيقى والثرثرة التي تملأ قاعة الرقص. قلت:

– « هذا هراء. »

ارتفع صوته قائلاً، ما دفع الضيوف للالتفاف بسرعة في الاتجاه الآخر لتجنب الملك المزاجي:

– « لا، هذا ضروري. الهراء هو أن شعبي شاهد للتو أميرهم، منفذهم المستقبلي، يهرع من حلبة الرقص خلف فتاة من «العشوائيات». »
بصق الكلمة وكأن طعمها يثير اشمئزازه.

رددت بحدة، وقبضتاي مشدودتان جانبي كي لا أفعل شيئاً أندم عليه:
– « ما أسرع نسيانك أن سكان «العشوائيات» هم شعبك أيضاً يا أبي. شعبي أنا. »

لكنني بالتأكيد لا أندم على اللحاق بها.

واجهني بكامل جسده، وصدره يعلو ويهبط من فرط الغضب، متوعداً بالعقاب. لو كنت أصغر بخمس سنوات وأقصر بخمس بوصات، لربما أرعبتني تلك النظرة. لكن ليس بعد الآن.

قال بصوت خفيض ومهلك:

– « لن أسمح لك بأن تبدد احترام مملكتك من أجل فتاة. من أجل تلك الفتاة. سأجد لك ألعبه جميلة أخرى لا تكون من العاديين إن كان هذا ما تحتاجه. »

مرة أخرى، أجد نفسي في حيرة إزاء كراهيته الواضحة لبيدن، وكراهيتها الواضحة له. لكن، لعلمي بأنه لن يجيب على هذا السؤال، سألته بدلاً من ذلك:

– «إذن لقد أرسلت أحد الإمبراطوريين التابعين لي ليتجسس عليّ؟
ليكذب على أميره ويدّعي أن هناك أمراً عاجلاً؟»

انخفض صوتي، واتخذت خطوة نحوه مضيفاً:

– «رجل بريء سيفقد لسانه بسبب الأمر الذي أصدرته له.»

– «حقيقة أنك لا ترى في هذا أمراً عاجلاً تثير قلقي.»

اتسعت فتحتا أنف الملك بطريقة بتّ أربطها بالعقاب الذي سيعقبها.

– «ظننت أنني دربتك بشكل أفضل من هذا أيها الفتى. ربما تحتاج إلى بعض الدروس الإضافية.»

عندها، كاد يبتسم وهو يكمل:

– «واجباتك تكمن هنا تجاه هؤلاء الناس، تجاه مملكتك. مكانك هنا،

لتكون جزءاً من هذه الرقصة، حيث يمكن للجميع رؤيتك. رؤية مستقبلهم.»

التوت شفتاه في سخرية لازعة وأضاف:

– «وليس في الخارج تلهو بلعبتك الجديدة الجميلة.»

حدقت فيه بغضب، والدم يبدأ في الغليان في عروقي.

– «ما الذي تظن أنه قد يحدث بينكما، هم؟»

جاءت ضحكة أبي باردة وهو يتابع:

– «من يدري، ربما تحظى بمتعة قتلها في التصفية القادمة.»

انقطع شيء ما في داخلي.

اندفعت القوة في عروقي بينما ضغطت عليّ كل قدرة سحرية في الغرفة، متوسلة إليّ لإطلاق العنان لإحداها. حين أغضب بهذا الشكل، يصبح الحفاظ على السيطرة أصعب، ويغدو قمع كل تلك القوة التي تنبض بداخلي أمراً شاقاً. ترددت كلمات الملك في رأسي، تسخر مني، وتجعلني أشعر بالضعف لسماحي بضياع سيطرتي.

– «ظننت أنني دربتك بشكل أفضل من هذا أيها الفتى. ربما تحتاج إلى بعض الدروس الإضافية.»

استقرت يد قوية على كتفي.

همس كيت بخفوت قبل أن يتدخل ويقف بيني وبين أبي:

– «هون عليك يا أخي.»

بدت ابتسامته وكأنها تخفف من حدة التوتر كما تفعل دائماً. فلم يكن هذا الشجار الأول الذي يفضه بيننا.

شبك كيت يديه أمامه بعفوية، وكأنه لم يرني للتو أنا وأبي على وشك تمزيق بعضنا البعض، وقال:

– «عذراً على المقاطعة. أبي، تبدو وكأنك بحاجة إلى مشروب. وربما رقصة أو رقصتين مع الملكة.»

الابتسامة التي منحه إياها هي ذات الابتسامة التي لطالما قدمها منذ كنا أطفالاً. الابتسامة التي تصرخ لتُعتبر جديرة في عيني أبينا. الابتسامة التي يرسمها على وجهه، آملاً أن يجعل الملك فخوراً به. آملاً أن يرقى إلى مستوى التوقعات العالية، وأن يملأ تلك الأحذية العملاقة التي كُلف بانتعالها.

لطالما تعطش لاستحسان الملك واهتمامه. يحب كيت أن يكون محبوباً، وحتى هو يشعر بنقص في ذلك حين يتعلق الأمر بوالدنا رغم العلاقة الأفضل بكثير التي تجمعهما. لذا، سيفعل كل ما يتطلبه الأمر لكسب ذلك.

وأنا لا ألومه على ذلك. ربما لو لم أنشأ مع أب عذبي بالتدريب، لكنت أحببته بما يكفي لأرغب في أن يبادلني الحب. لكن كيت نشأ مع نسخة مختلفة من الملك، أب وجهه وعلمه عبر طاولة مكدسة بالأوراق بدلاً من شفرة حادة. أب علمه سبل الملك بدلاً من أساليب التعذيب. أب صاغ كيت ليصبح رجلاً، وليس وحشاً.

وضع كيت يداً مشجعة على ذراع أبينا، حثاً إياه على التوجه نحو طاولة المشروبات والحلوى. رمقني كلاهما بنظرة أخيرة، إحداها تحمل اللطف، والأخرى تحمل النقيض تماماً.

لحسن الحظ، لم أكن يوماً ممن يلهثون وراء الحب. لاسيما حب والدنا. لقد تخلّيت عن ذلك في اليوم الذي التقت فيه شفرته ببشرتي للمرة الأولى. مسحت الغرفة بعينيّ بحثاً عن بيدن، وأنا أعلم سلفاً أنني لن أجدها. من المرجح أنه قد تم اقتيادها إلى غرفتها لتخلد إلى النوم مبكراً في تلك الليلة، بأمر من الملك. كدت أضحك من محاولاته الواهنة لإبعادي عنها. إذا كنت أنا نفسي عاجزاً عن الابتعاد عنها، فمن المستحيل بحق الجحيم أن ينجح هو في ذلك.



الفصل 54

كاي

كان «الصحن» مكتظاً بالناس حتى حافته.

كنا نسمع صياحهم وضربات أقدامهم من القلعة ونحن نسير عبر الممر المشجر نحو تصفيتنا الأخيرة.

للمرة الثالثة، نواجه ما قد يكون يومنا الأخير.

على الأقل في هذه التصفية، لم نُخدر قبل أن نُسحب إلى موقع عشوائي أولاً. استيقظت على دقات عنيفة على بابي، تلتها رسالة مُررت من تحته، تخبرني أن التصفية النهائية ستُقام في «الصحن».

لم يترك لي ذلك أي وقت حتى لأُحدث إلى بيدن، ناهيك عن التفكير فيها قبل أن أُقتاد بصمت خارج القلعة.

لدينا جمهور حي هذه المرة، وقد تعالت هتافاتهم المدوية حين خطونا داخل الحلبة الضخمة. تجمع الإمبراطوريون من كل جانب، وقادونا إلى السور المطل على «الحفرة» التي تنخفض عنا بعدة أقدام. سمعت شهقة جماعية من زملائي المتنافسين، وتسمرت أنظارنا جميعاً على ما يقبع بالأسفل. إنها متاهة.



قاع «الحفرة» الرملي بأسره مغطى بصفوف من الشجيرات والنباتات المتشابكة. الجدران النباتية كثيفة وشاهقة، وتملأ القاع البيضاوي للحلبة بالكامل. إنها هائلة.

قادونا لأسفل الدرجات الواسعة المنحدرة نحو المتاهة. كنت الأخير في صف المتنافسين، وحين غاصت قدماي قليلاً في الرمال، توقفنا.

– «مرحباً بكم أيها الشباب من أفراد النخبة في تصفيتم الأخيرة.»

وجهت انتباهي إلى المقصورة الزجاجية المريحة المستقرة أسفل المدرجات، والمزينة بمقاعدھا الثلاثة الوثيرة. يجلس كيت إلى اليمين، وتجول عيناه عبر المتاهة قبل أن تستقرا عليّ. رأيت رأسه يميل قليلاً، متمنياً لي حظاً موفقاً في صمت. وبعد أن أومأت له ببطء، انزلت عيناى نحو حيث تجلس أُمى بأناقته المعتادة، تضع ساقاً فوق أخرى بوجه مسترخٍ وهي تراقب زوجها الواقف عند حافة السور، ينظر إلينا من أعلى وهو يتحدث.

تابع أبى، بينما كانت تبالا تضخم صوته من جانبه واضعة يدها برقة على كتفه:

– «رغم أنكم جميعاً قد وصلتُم إلى هذه المرحلة، لا يمكن أن يكون هناك سوى فائز واحد.»

هل الحشد، وكان الصوت أشبه بصيحة حرب ألفتها جيداً.

تابع ووجهه يتلوى بتسلية باردة:

– «تصفيتكم الأخيرة ممتدة أمامكم. متاهة. رغم أن لا شيء يبدو بالبساطة التي يظهر بها.»

ثم تحركت المتاهة.

لمحت الحركة بطرف عيني، فالتفت برأسي نحوها بشدة، أراقب جدران أوراق الشجر وهي تنطوي وتتشكل من جديد. تلتوي الشجيرات في اتجاهات جديدة، لتغير المسارات وتخلق أخرى جديدة.

مُزهرين (بلومز).

ألمهم الآن، عشرات الأشخاص يقفون على حواف المتاهة وأذرعهم ممدودة. لقد صنعوا هذه التصفية من أجلنا، وهم الآن يتحكمون فيها.

قال الملك، ثم توقف لبرهة:

– «لكي تفوزوا في هذه التصفية، وتعززوا فرصكم في الفوز بـ تصفيات التطهير بأكملها، يجب أن تكونوا أول متنافس يصل إلى قلب هذه المتاهة المتحركة. لكن هذا ليس كل شيء.»

هناك دائماً فخ.

تابع بصوت جهوري شق طريقه بسهولة عبر مهمات الحشد:

– «ليس عليكم فقط أن تكونوا أول من يصل إلى المنتصف، بل يجب عليكم أيضاً قتل الشخص الذي ينتظركم هناك.»

وأضاف:

– «الشخص الموجود هناك يستحق هذا العقاب. لقد ارتكب جرائم في حق المملكة، وسيدفع ثمنها بحياته.»

لم أكن متفاجئاً. بهذه الطريقة يضمن الملك عملية قتل واحدة على الأقل لتسلية الجماهير خلال هذه التصفية. رحت أقلب في ذهني كل سجين أعرف أنه يتعفن في زنازيننا، متسائلاً أي روح بائسة ستلقى حتفها اليوم.

اختتم الملك:

– «أتمنى أن تجلبوا الشرف لمملكتكم، لعائلتكم، ولأنفسكم.»

ردد الحشد كلمات الملك بينما قاد أحد الإمبراطوريين كل واحد منا إلى مدخل منفصل للمتاهة. تنقلت عيناى عبر «الحفرة»، متفحصاً الإمبراطوريين والمتنافسين الذين يرافقونهم.

ثم رأيتهما.

شعر فضي مرفوع لأعلى، يتمايل مع كل خطوة. ثمان وعشرون نمشة تتناثر على أنفها، رغم أنني لا أستطيع عدها من هنا. شفتان لم أذق طعمهما حقاً بعد ومزمومتان معاً، وعينان بلون المحيط تصطدمان بعيني.

منحتها شيئاً حينها - ابتسامة. ابتسامة خُصصت لها وحدها.
لم يكن هناك ما يسعني قوله لها، ولا وقت لاستفزازها بكلمات مازحة ولو
لمجرد ضمان بقائها على قيد الحياة لفترة تكفي لتلكمني في وجهي حين ينتهي
كل هذا.

لذا لم أقل شيئاً.

رفعت يدي، ونقرت الهواء أمامي في حركة عبثية وأنا أواصل التحديق
فيها.

بحق الطاعون، تلك الابتسامة المشرقة التي منحتني إياها كانت مذهلة.
رفعت يدها، ونقرت الهواء، و-
ثم اختفت.



الفصل 55

بيدك

اليوم هو اليوم المنشود. في الواقع، قد يكون اليوم هو يومي الأخير.

قادني الإمبراطوري إلى مدخل بالقرب من الجانب الآخر للمتاهة، وتركني هناك لأحرق في الجدران النباتية الشاهقة والمخيفة التي تتحداني للدخول. تتحداني أن أضيع بين تعرجاتها ومنعطفاتها.

فقط انج اليوم. هذا كل ما عليك فعله.

أخبرني صوت طقطقة الأغصان والتواء الشجيرات من داخل المتاهة أن المسارات تتغير من جديد. المتاهة تتحرك.

جعلتني حركة إلى يساري أدير رأسي نحو فتاة شابة، عيناها زجاجيتان ولا ترمشان وهي تحرق في، رافعة يدها فوقنا، لتعرض ما آمل أن يكون تعبيراً خالياً من المشاعر على إحدى الشاشات العملاقة ليراها الجميع. لا بد أن هناك العشرات من المتبصرين ينتظروننا بصبر داخل المتاهة، مستعدين لبث مشاهد إراقة الدماء.

حافظت على جمود ملامحي وأنا أستدير عائدة نحو مدخل المتاهة أمامي، رغم أنني كنت أتحرق شوقاً للركض للداخل والانتهاء من هذا الأمر.



كل شيء سيتغير بعد اليوم.

– «لتبدأ التصفية النهائية.»

بالكاد سمعت كلمات الملك تتردد في الحلبة قبل أن تغرق في صياح الحشد المسعور. رمشت بعيني لأطرد أفكارى، محدقة في المدخل المائل أمامي والجدران التي تنتظرني. ثم انطلقت أركض.

بمجرد أن خطوت داخل المتاهة، خنقتني بطانية من الظلال. كان المكان مظلمًا ورطبًا، لكنني لم أبطئ وتيرتي. ركضت عبر مسار النباتات والجدران المشجرة، وتوقفت بانزلاق حين واجهت أول قرار لي. يسار أم يمين.

لم أمتلك الوقت لتأمل خياراتي، لذا انعطفت يسارًا لأواجه فورًا القرار ذاته.

يمين.

ركضت وركضت و–

طريق مسدود.

تراجعت عن خطواتي، وانعطفت يسارًا بدلًا من اليمين، وزدت من سرعتي رغم لهائي الخفيف. سقطت في دوامة من التخمين العشوائي، وتتبع خطواتي السابقة، وإطلاق الشتائم. الكثير والكثير من الشتائم.

صرخت وأنا لا أواجه سوى الطريق المسدود السادس الذي كان من دواعي سروري التعثر به:

– «اللعة!»

استدرت على عقبي وعدت من حيث أتيت، بالكاد أختلس نظرة إلى المتبصر الذي شهد للتو – وسجل – فورة غضبي الصغيرة. زفرت بضيق، شاعرة بتخدر حواسي في هذه المتاهة الرطبة. كانت صيحات الحشد في الخارج مكتومة، تخنقها طبقات أوراق الشجر الكثيفة التي تفصلني عنهم.

كان الهدوء هنا مريباً، لا شيء يملأ الصمت سوى وقع خطواتي الراكضة،
ودقات قلبي العنيفة، وأنفاسي اللاهثة.
ثم تحركت المتاهة.

ضاق المسار الذي أقف فيه، وبدأت الشجيرات من كلا الجانبين في
التدافع نحوي.
سأسحق عما قريب.

هذا هو كابوسي. كابوسي الأكثر ترويعاً وإثارة لفوبيا الأماكن المغلقة.
ركضت بأقصى سرعة نحو نهاية المسار حيث ينتظرني مسار آخر،
مسار لا يتحرك ولن يسحقني إن وصلت إليه في الوقت المناسب. كانت رئتاي
تحترقان، وقدماي تنزلقان في الرمال مع كل خطوة متعثرة.

حفت الأغصان والأوراق والنباتات الكثيفة بكتفي من الجانبين، مهددة
بابتلاعي بالكامل وهي تواصل الانغلاق. لكنني واصلت الركض نحو خلاصي،
نحو المسار الذي ينتظرني على بُعد ساحات قليلة.

أخذت الفروع والأشواك التي لم أرها من قبل تمزق البشرة العارية
لذراعي، قاسية ولا ترحم بينما استمرت الجدران في الضغط عليّ. لو بقيت
لفترة أطول قليلاً، سأحتجز بين الأوراق، وأخزق بالفروع والأشواك.
ميتة. سأموت إن لم أخرج. الآن.

قفزت.

ارتطمت بالمسار الخالي بقوة، وتدحرجت لأخفف من حدة السقوط.
وحينها انفجر الألم متصاعداً في ساقي.

استلقيت على جانبي، وصدري يعلو ويهبط بعنف، متتبعة الإحساس
اللاسع وصولاً إلى قدمي اليسرى – تلك العالقة بين الشجيرتين اللتين التحمتا
الآن.

أفلتت من شفتي صرخة مكتومة، فوضعت يدي على فمي لأكتمها. كانت
الدماء الحمراء الساخنة تسيل على ساقي، وتقطر على الرمال تحتها. اعتدلت

في جلستي، محاولة تهدئة أنفاسي بينما مددت يدي المرتجفتين نحو كاحلي الذي بالكاد يغطيه حذائي الممزق الآن.

انحنيت للأمام وبدأت أخلّص ساقي بمخالبي من تشابك الفروع والأوراق والأشواك الملتفة حولها. بعد أن تمكنت بصعوبة من كسر غصن واحد، لم أتمنّ قط وجود خنجري أكثر مما تمنيته في هذه اللحظة.

هذه المتاهة من صنع مُزهرين (بلومز)، من صنع أفراد النخبة. تتدفق القوة في الأوراق التي تشكل هذه الجدران، وتتشابك مع الفروع والأوراق والأشواك لتجعلها أكثر كثافة وقوة وفتكاً.

ابتلعت جرعات من الهواء، مجبرة نفسي على تجاهل الألم المشتعل في قدمي. أطبقت يديّ حول ربلّة ساقي. أخذت نفساً مهتزاً. ثم سحبت. كان الأمر أشبه بالنار. ألم حارق، وكاؤٍ بشدة. عضضت على لساني حتى تذوقت طعم الدماء، وأنا أراقب سحب المزيد والمزيد من قدمي لتظهر للعيان، بينما أسحب الحذاء الممزق من قدمي في الوقت ذاته. توقفت، ألّهت طلباً للهواء واستراحة من الألم.

بدون حذائي ليحمي قدمي من الأشواك والفروع المسننة، تحولت القدم إلى كتلة مشوهة من اللحم الممزق. حسناً، الجزء الذي يمكنني رؤيته منها على الأقل. النصف الآخر من قدمي لا يزال مبتلعاً داخل الشجيرات التي التحمت الآن، رافضة إطلاق سراحني.

ابتلعت صرخة ألمي حين سحبت قدمي مرة أخرى. ظهر المزيد من اللحم الممزق، مدمى ويبدو كأشرطة حمراء غائرة في بشرتي. لكن مع سحبة أخيرة تلتها صرخة أخيرة، تحررت قدمي.

سقطت على ظهري، ألّهت طلباً للهواء، وألّهت من الألم. رمشت نحو السماء، مانحة نفسي لحظة أخرى لأتنفس قبل أن أعتدل وأمزق الشريط السفلي من قميصي القطني. امتزج القماش العنابي مع الدم النازف من جرحي وأنا ألّفه حول قدمي بأفضل ما أستطيع.

لربما كانت أدينا ستشعر بالانبهار والاشمئزاز في آن واحد لمدى تطابق الألوان بمثالية.

نهضت عن الأرض ووقفت مترنحة.

ألم. ألم حاد وسيل من الشتائم.

تقدمت أعرج، محاولة تجاهل الألم النابض الذي يتسلق ساقي من قدمي. لكنني أستطيع المشي، مما يثبت أن الإصابة كان يمكن أن تكون أسوأ بكثير.

التصق العرق بي، مبللاً القميص الذي تمزق الآن ليصبح قصيراً بشكل خطير، كاشفاً عن جزء لا بأس به من بشرتي قبل أن يلتف حزام سروالي أسفل سرتي. ورغم النسيم البارد والرطب الذي يهب عبر شجيرات المتاهة، كنت أشعر بحرارة ولزوجة مزعجتين.

واصلت التقدم، فاقدة للتوازن بسبب الألم وغياب كلا الحذاءين. ازداد الظلام قتامة كلما توغلت أكثر نحو ما آمل أن يكون مركز المتاهة وما ينتظرني هناك.

وإذا وصلت إلى هناك أولاً، فسأقبض على حياة شخص ما بين يدي.

يسار. يمين. يسار. يسار. طريق مسدود. يمين. يسار. طريق مسدود.

جعلتني فوبيا الأماكن المغلقة أشعر وكأن الشجيرات تنقض عليّ—

تباطأت حتى توقفت. إنها تنقض عليّ بالفعل.

مذعورة، أدت رأسي في كل اتجاه، محاولة إيجاد مسار لا يحاول

ابتلاعي حياً. لا حظ. أجبرت نفسي على الركض المتعثر، منزلقة عبر

المسارات بشكل عشوائي، لأجدها جميعاً تتحرك.

هذا لا يمكن أن يكون صحيحاً.

الملك لن يلقي بالمتنافسين في هذه المتاهة لمجرد سحقنا من أجل

التسلية، أليس كذلك؟ ألم يكن من المفترض أن تكمن التسلية في مشاهدتنا

نسحق بعضنا البعض؟

توقفت وسمحت لنفسي باللهاث، وبالهلع. إذا كان الملك ينوي سحقي بالشجيرات، فلا حيلة لي في الأمر إذن. لذا، توقفت وكدت في جدران المساحات الخضراء التي تنغلق عليّ من كلا الجانبين. ثم أغمضت عينيّ، مستعدة للأسوأ. يبدو أنه سيكون هناك شخص عادي أقل للقلق بشأنه. لامست الفروع كتفيّ فتصلبت، مستعدة فجأة وبحزن لاستقبال الموت. سأراك قريباً يا أبي. لا شيء.

فتحت عيناً واحدة لأختلس النظر، فلم أجد سوى جدار من النباتات أمامي. رمشت. الشجيرات لم تعد تتحرك. استدرت، فشبك أحد الفروع في قماش قميصي مع حركتي. المسار الآن أوسع بقليل من عرض كتفيّ. ترنحت نحو النهاية وانعطفت إلى مسار آخر، لأجده بنفس الضيق. ابتلعت ريقِي، منعطفة بحدّة إلى اليسار نحو مسار ضيق بنفس القدر. كم هو قاسٍ وماكر هذا الملك. كدت أرغب في التصفيق له على هذه اللعبة المروعة. لقد كنت محقة. المتعة في التصفيات هي مشاهدتنا نسحق بعضنا البعض. ولقد قام للتو بإعداد مسرح العرض. شقت صرخة سكون المكان، رنت للحظة قبل أن تُكتم في اللحظة التالية، لترسل قشعريرة باردة أسفل عمودي الفقري. مرة أخرى، نُجبر على القتال. ولا يوجد مساحة كافية في هذه المسارات سوى لمرور جسد واحد. أخذت نفساً مرتجفاً، شاعرة بفوبيا الأماكن المغلقة تضغط عليّ تماماً كالجدران التي تلامس كتفيّ.

لا يتسع المسار إلا لمتنافس واحد في كل مرة. لذا، إذا صادفت أحدهم— قال الصوت من خلفي وهو يقطر سمّاً:

– «شكرًا لـ الطاعون، كنت قلقة من ألا أتمكن من قتلكِ قبل أن تنتهي هذه
التصفيات.»



الفصل 56

كاي

يهين.

يمين.

يسار.

طريق مسدود.

اللعة.

أرجعت رأسي إلى الوراء نحو السماء الملبدة بالغيوم بعيداً فوقنا، والتي تبدو أكثر قتامة من داخل هذه المتاهة المعتمة. أخذت نفساً عميقاً، واستدرت لأركض عائداً من حيث أتيت، مختاراً الانعطاف يميناً هذه المرة. خطأ.

طريق مسدود آخر يغريني بتوجيه لكمة إليه، رغم علمي بأن ذلك لن يلحق الضرر سوى بي وليس بالنباتات.

زدت من سرعتي ومررت بجوار متبصر، متجاهلاً إياه ونظرته المربكة. كنت في مزاج متعكر. ولم يكن ذلك مفاجئاً تماماً، بالنظر إلى أنني كنت أركض في متاهة وسط الحر، ولا أواجه سوى طرق مسدودة تدفعني للجنون.



باستثناء التهرب من السحق بواسطة الجدران المتحركة، ومصادفة بضع عشرات من الثعابين التي تنزلق من تحتها، فقد أبقيت نفسي مشغولاً نسبياً بالركض المستمر. ليس لدي أي إحساس بالوقت هنا، لكن من دقات قلبي المتسارعة وأنفاسي اللاهثة، أعلم أنني أركض منذ فترة.

تحركت الرمال تحت قدمي، ثم تحركت الشجيرات على جانبي.

سمعت صيحات حماس الحشد المكتومة عندما بدأت المتاهة في إعادة ترتيب نفسها مجدداً، فاندفعت خارجاً من المسار إلى مسار آخر أخذ يتقلص بنفس السرعة. بانعطافي يميناً، لم أواجه سوى المزيد من الشجيرات المنغلقة. استدرت، وعيناي تبحثان. كل مكان أنظر إليه يبدو وكأنه يعدني بالموت سحقاً بالنباتات. طريقة بائسة للموت. وقفت في المسار، أراقب الجدران تنغلق عليّ. لم أشعر يوماً بهذا القدر من العجز، وبعد القدرة على فعل أي شيء لإيقاف هذا الهلاك الوشيك.

ثم توقفت الجدران.

انضغط كتفائي في الشجيرتين اللتين كانتا تهددان بسحقي قبل قليل. تقدمت خطوة للأمام، واحتكت ذراعي بالجدران النباتية شديدة الضيق على كلا الجانبين.

أفلتت مني ضحكة مريرة، ابتلعها الجدران الكثيفة.

ماكر يا أبي.

تنهدت، مواصلاً طريقي عبر المتاهة، عالماً أنني إذا واجهت متنافساً آخر، فلن يكون هناك سوى طريقة واحدة لتجاوزه.

يسار.

يمين.

يمين.

فهد.

رمشت.

لم يكن هذا ما أتوقعه.

رمش الفهد في المقابل، معطفه بلون النبيذ الداكن، وعيناه بلون العسل الصافي.

قلت:

– «مرحباً يا آندي.»

أمالت رأسها إلى الجانب، في سلوكيات تحاكي قطة تتلاعب بفأر. وهذا ما يقلقني. لا أعرف كم مضى من الوقت وهي في هيئتها الحيوانية، لكن يمكنني أن أرى أنه كان وقتاً كافياً لتفقد فيه نفسها داخلها.

قدرة آندي تمثل خطورة على الآخرين بقدر ما هي خطيرة عليها. كلما طال بقاؤها متحولة، زادت صعوبة احتفاظها بعقلها. وهذا هو السبب الدقيق لتدريبها المكثف على قدرتها، والسبب الدقيق لعدم استخدامي لها كثيراً. عندما كنا أطفالاً، كانت تبقى في هيئتها الحيوانية لأيام متواصلة، عاجزة عن العودة إلى هيئتها البشرية حتى تستيقظ أخيراً كأنسانة مرة أخرى دون أي ذاكرة عما حدث.

بمرور السنين، تعلمت السيطرة عليها، وتعلمت البقاء بكامل وعيها العقلي حتى وهي داخل جسد مختلف. لكن مع كل الأدرينالين الذي يضخ في جسد الفهد، يبدو أن سيطرتها تتلاشى. وهو بالضبط السبب الذي يجعلها تحرق بي وكأنني قطعة لحم.

قلت وأنا أرفع يديّ ببطء في الهواء وأراجع خطوة للخلف:

– «هوني عليك يا آندي.»

تقدمت خطوة إلى الأمام. لا، لقد تسللت نحوي في وضعية هجوم. اللعنة.

هذا المسار ضيق جداً لدرجة أنه لا توجد أي طريقة لتتمكن من المرور بسلام من حولي حتى لو أرادت ذلك. ليس وكأن هناك أي شيء سلمي في الطريقة التي تنظر بها إليّ، أو الطريقة التي تنخفض بها في الرمال.

لا أريد إيذاءها، لكن بحق الجحيم، هي تريد إيذائي. إنها تراقبني كما يفعل المفترس، واعدة فريستها بموت مؤلم.

مددت حواسي بحثًا عن أي قدرة قريبة كما فعلت عدة مرات منذ دخولي إلى هذه المتاهة. يعلم الطاعون أنني حاولت الإمساك بقوة أحد المزهريين (بلومز) لأتمكن من تسوية هذه الجدران والسير مباشرة إلى مركز المتاهة. وهذا بالضبط ما كنت لأفعله لولا أنهم يبقون خارج نطاقي عمدًا.

كان طنين قدرة آندي طاغياً، القدرة الوحيدة القريبة بما يكفي لأشعر بها—

مهلاً.

هناك دغدغة خافتة في عروقي، إحساس بقدرة تقترب. أمسكت بها و— انقضت آندي.

مخالبها ممدودة نحو حنجرتي، وأسنانها الحادة مكشورة، وكتلة بلون العنابي تندفع نحوي.

ثم وجدت نفسي أقف خلفها.

ارتطمت آندي بالرمال في ذات البقعة التي كانت تنوي السقوط فيها فوقي. أطلقت زئيراً يفيض بالإحباط، وبالكاد تمكنت من الالتفاف في ذلك الممر الضيق. فلم يكن لشيء سوى رشاقة الهررة أن يُمكنها من طي جسدها لمواجهتي في تلك المساحة الشحيحة.

وبزئير آخر، انقضت عليّ مجدداً. وبومضة أخرى من قدرة جاكس، صرت خلفها. مجدداً. واستمرت في اتباع ذات النمط، تلتف محاولة غرس أنيابها في لحمي مراراً وتكراراً.

ثم تعثرت قدرة جاكس التي تسري في عروقي، وتذبذبت.

لا، لا—

ثم خذلتني.

لقد ابتعد عني كثيراً الآن، تائهاً في المتاهة، وآخذاً قدرته معه.

حسناً، لم يترك لي هذا أي خيار.
وبقدرة واحدة فقط متاحة لي، قررت أخيراً استغلالها.
تحولت.

بحق الطاعون، لقد نسيت كم كنت أمقت هذا. ومض ضوء ساطع قبل أن
تبدأ عظامي في التحول، وتتمدد عضلاتي، ويدرك كل جزء من جسدي بوجع
كل تغيير يطرأ عليه. أصبحت قريباً من الأرض، بجسد أملس وقوي يكسوه
فراء لامع. شعرت بأنيابي تطول وتصبح حادة كأنصال مميتة. واشتد بصري
حدة معها، مركّزاً على النمر الأصغر الماثل أمامي.

حافظ على وعيك. حافظ على وعيك. حافظ على وعيك.

بسبب قلة تدريبي مقارنة بآندي، من السهل جداً أن أفقد عقلي لصالح
الحيوان الذي تحولت إليه للتو. لذا، كلما انتهى هذا القتال أسرع، كان ذلك
أفضل.

بدت آندي متفاجئة قليلاً فقط لكوني تحولت من بشري إلى نمر، مجارياً
لها، ومحاكياً إياها. لكنها سرعان ما استعادت رباطة جأشها، وفاجأتني
بضربة خاطفة من مخالبي خدشت جانب وجهي. ثم وجهت ضربة أخرى
للأعلى، بالكاد أخطأت عيني.

تأوهت من الألم. لا، بل زمجرت من الألم.

قفزت نحوها، موجهاً ضربات بمخالبي الحادة كالشفرات. خدشت
صدرها، فأطلقت صرخة ألم قبل أن تقفز فوق.

لربما كان هذا أغرب قتال خضته في حياتي. وهذا يعني الكثير.

ومع ذلك، بدا الأمر طبيعياً جداً في هذا الجسد. كانت مخالبي وأنيابي
تعرف بالضبط ما يجب فعله وأنا أمزقها. امتزج الدم الأحمر بفرائها العنابي
ونحن نتدحرج فوق بعضنا البعض، نزمجر ونمزق لحم بعضنا في أي مكان
تطاله أنيابنا ومخالبنا.

كنا نتعارك حرفياً كحيوانات مسعورة.

تركت الغريزة تتولى القيادة، وسمحت لنفسي بالانغماس في هذا الجانب الحيواني قليلاً.

حافظ على وعيك. حافظ على وعيك. حافظ على وعيك.

كانت تعطيني حين أطبقت أسناني لتنهش الجلد الرقيق لعنقها. صرخت، فطوحتها عني، مراقباً إياها تتدحرج على الرمال وتتصطدم بسياج نباتي. تسالت نحوها، ومخالبها تخطو بصمت وأنا أضيق الخناق على فريستي. لا. ليست فريستي. إنها عائلتي. آندي.

كانت تحاول النهوض، وتحاول تمزيقي بمخالبها وأسنانها مع اقترابي. رابضت فوقها، هذا النمر الصغير الذي تجرأ على تحديي. كشرت عن أنيابي، وتعالى هدير في حنجرتي.

أنا كاي آزر، أمير إيليا والمنفذ المستقبلي. أنا كاي آزر، أمير ومذ- ألم.

انغرزت أسنان حادة في كتفي، تمزق اللحم والفراء. زارت ورفعت ذراعي السليمة، مستعداً لإنهاء هذا بضربة واحدة.

لكن وميضاً ساطعاً أعمى عيني الحادتين للحظة، فترنحت إلى الخلف مذهولاً وقد استعدت رشدي.

كنت على وشك قتلها.

أحتاج إلى العودة لشكلي البشري. الآن.

رمشت بعيني، ناظرًا للأسفل حيث كان يُفترض أن ترقد آندي تحتي. لكن لم يكن هناك شيء. ولاح ظل مفاجئ من الأعلى، ليجذب انتباهي نحو السماء. حسناً، نحو المكان الذي كانت لتكون فيه السماء لو استطعت رؤيتها.

كانت الكروم وأوراق الشجر الكثيفة قد شكلت حاجزاً فوق المتاهة، قبة من الخضرة تغلفنا تماماً. سمعت حفيف ريش، ولمحت وميض أجنحة بلون النبيذ الأحمر ترفرف ضد السقف السميك.

لقد تحولت إلى صقر، محاولة بيأس التحليق عاليًا وتجاوز المتاهة دون جدوى. محاولة شجاعة، لكن العلماء لن يسمحوا بها أبدًا.

أطلقت آندي صرخة حادة، محاولة تمزيق الأغصان التي تحبسها في هذا القفص بمخالبها. ثم غاصت عائدة نحو الرمال، معمية إياي بوميض ساطع. رمشت بعيني لأجدها قد عادت إلى هيئة النمر، ولم تعرني أي انتباه قبل أن تبتعد بخطوات عرجاء.

لم أضيع ثانية أخرى قبل أن أعود إلى شكلي البشري. كانت ملابسي لا تزال سليمة، وإن كانت مشبعة بالدماء. وكنت مغطى بجروح غائرة، وكان الجرح على وجهي يلسعني بينما يتدفق الدم منه إلى عيني. لكن أثر العضة كان هو ما سلب انتباهي. كان جرحًا عميقًا يقطر دمًا، مطبوعًا كمخطط لأسنان حادة على جلد كتفي.

وكان يؤلمني كالجحيم.

مزقت شريطاً من القماش من حاشية قميصي ولففته حول الجرح، محاولاً إيقاف التدفق المستمر للدم. بدت عظامي وكأنها تتن ألمًا وأنا أنطلق مجددًا عبر المتاهة، بعد أن أضعت وقتًا أطول من اللازم في العراك مع ابنة عمي.

يمين.

يسار.

يسار.

صرخات.

تسمرت في مكاني.

صرخة أخرى.

يمين.

يسار.

يمين.

توقفت فجأة.

سرى وخز خافت لقدرة ما في عروقي. ركزت عليه، مريدًا له أن يشدد. وقد فعل. ولم أتردد في التشبث به.

ارتسمت ابتسامة على وجهي الملطخ بالدماء.
يبدو أن أحد العلماء اقترب أكثر من اللازم.



الفصل 57

بيدن

– «تقلقي، سأُنهي هذا بسرعة. للأسف، لا أملك الوقت الكافي للعب معك.»

استدرت ببطء في الممر الضيق، لأواجه صاحبة ذلك الصوت البارد وتلك العينين البنيتين الأكثر برودة.

قلت بجمود:

– «بلير.»

تقدمت نحوي وابتسامة ملتوية تعلو شفثيها قائلة:

– «مرحباً يا بيدن.»

سألتها ببرود:

– «هل أنت واثقة من رغبتك في هذا؟ هل نسيتِ بالفعل ما فعلته بأنفك في آخر مرة تواجها فيها؟»

كادت تزمجر وهي ترد:

– «لا، لم أنس.»



تراجعت خطوة للوراء، والأغصان تחדش ذراعيّ، وقدمي تتن من الألم. فتحت فمي لأطلق تعليقاً آخر أكسب به المزيد من الوقت، لكن لم يخرج شيء. في الواقع، لم يكن الهواء يدخل إلى رئتيّ.

ثم ارتفعت قدماي عن الأرض.

كنت ألّهت، أخذش عنقي رغم علمي بعدم وجود يد تخنق قصبه هوائي. لا، هذا لم يكن سوى صنيع عقل بلير الملتوي. حركتها المميزة. كنت أتدلى في الهواء، على ارتفاع عدة أقدام، أختنق.

تذمرت بشفتيها وقالت:

– «فقط لأنني سأنهاي هذا بسرعة، لا يعني أنه لن يكون مؤلماً. عذراً يا بيدن. نحن لا نحصل دائماً على ما نريد، أليس كذلك؟»

غامت الرؤية في عينيّ، ما صعب عليّ رؤية اليد الممتدة نحوي أو الابتسامة الخبيثة التي ترسم على شفتيها. كنت بالكاد أستطيع التنفس. ورغم وعدها بإنهاء الأمر بسرعة، إلا أنها كانت تتعمد إطالته.

فكري. فكري.

عليّ أن أقرب منها بما يكفي لتوجيه ضربة. لقد علمني نزالنا بعد الحفل الراقص كل ما أحتاج معرفته عن افتقارها لمهارات القتال الجسدي. إن تمكنت فقط من الاقتراب منها...

إن تمكنت فقط من التنفس.

قلت بصوت مبجوح كان عذراً بائساً لمحاولة البدو هادئة:

– «أنت خبيرة بعدم الحصول على ما تريدين.»

مجرد استهلاك الهواء المحدود المتبقي لدي لنطق تلك الكلمات جعل رأسي يدور، وجعلني أصلي كي تبتلع الطعم.

تراخت قبضتها. بالكاد.

كان هناك تساؤل في عينيها، تساؤل نويت الإجابة عليه.

قلت لاهثة وسقط اسمه من فمي:

– «كاي.»

كانت نظرة بلير أشد حدة من خنجري الذي تمنيت بشدة لو كان بحوزتي الآن. واصلت كلامي مع سعال متقطع:

– «الأميران. كاي وكيت معًا. لا يمكنك الحصول على أي منهما.»
توقفت لبرهة قبل أن أختنق بالكلمات الباقية:

– «لأنهما لا يريدانك.»

ارتطمت بالأرض بقوة.

طُرد القليل من الهواء المتبقي في داخلي. تُركت ألْهث ووجهي نصف مدفون في الرمال.

انهضي.

رفعت رأسي ودفعت ذراعي المرتجفتين تحتي، لأقف على قدمي ببطء.
وما أثار قلقي، هو أن بلير سمحت لي بذلك. أفلتت مني نوبة ضحك ممزوجة بالسعال حين التقت عيناها بعينيها.

واجهت نظرتها التي كانت تحترق غضبًا الآن.

هذا هو المطلوب. اغضبي بما يكفي لتؤذيني بيدك العاريتين.
قلت:

– «أخبريني، كيف يبدو الأمر؟ أن تُرفض مرارًا وتكرارًا و-»

لم أُنح حتى فرصة إنهاء جملتي قبل أن أطّوح في الهواء لأرتطم بالرمل مجددًا. كنت أسعل محاولة التقاط أنفاسي وأنا أَدحرج لأستلقي على ظهري.

اجتاح ألم معمي أضلاعي.

تكورت على نفسي، ليكون ذلك دفاعي الوحيد ضد الحذاء القاسي الذي ركل معدتي. فتحت إحدى عيني بصعوبة، لألمح وجه بلير الشاحب فوق، والذي كان مشوهًا من فرط الغضب.

«لا تنسي أبدًا أن دهائك سلاح يُشهر، إذا ما كان عقلك حادًا كسيفتك.»

ابتسمت رغم الألم.

لقد أوقعت بها حيث أردتها تمامًا.

غاصت قدمها في معدتي مرة أخرى، وهذه المرة، أمسكت بها. سمعت شهقة تفاجئها حين لويت قدمها بقسوة قبل أن أجذبها نحوي، لتسقط مدوية على الأرض.

أفقدتها توازنها وأنفاسها، وهو شعور أعلم أنها لم تعتد عليه، ليس وهي تختبئ دائماً خلف قدرتها. زحفت فوقها في لمح البصر، وثبتت ذراعيها تحتي ركبتني. زمجرت في وجهي، وعيناها تفيضان بغضب أهوج.

كنت أعلم أنني لا أملك وقتاً سوى لضربة واحدة قبل أن تستعيد وعيها وتطيح بي باستخدام قدرتها. لذا كان عليّ أن أجعل هذه الضربة حاسمة. أدخلت خاتم والدي في إصبعي الأوسط ووجهت خطافاً يمينياً قاسياً نحو صدغها، ضاربة تلك المنطقة الحساسة في رأسها بقليل جداً من الرحمة. وهكذا، فقدت الوعي.

لكن ليس لفترة طويلة. ستستيقظ في غضون الدقائق القليلة القادمة، وبحلول ذلك الوقت، سأكون قد تهت في المتاهة، وآمل أن أكون بعيدة جداً. لأنني أشعر أنها في المرة القادمة التي نلتقي فيها، ستسحق قلبي بمجرد رؤيتي.

ترنحت واقفة على قدمي، وجسدي يئن ألماً. كان كل إنشٍ في يصرخ احتجاجاً، ويترنح مع كل خطوة. لكنني أجبرت نفسي على المضي قدماً، أجبرت نفسي على الإسراع.

ضعت في جنون المتاهة مجدداً، أشك في كل مسار أسلكه، وأتساءل عما إذا كان المسار الآخر سيقودني إلى النصر.

يمين أم يسار؟

يسار. يسار بالتأكيد.

بالتأكيد لا، بالنظر إلى أنه طريق مسدود.

كل بضع دقائق كنت أسمع صرخة ألم أو أصوات عراك تمتزج بصرخات الحشود خارج هذه الجدران. كان المُخفيون (فيل) يقفون في الممرات، ليفزعونني لدرجة أنني كدت ألكم نصفهم. لكن بمجرد أن يروني قادمة، كانوا يبتعدون عن طريقي قدر استطاعتهم. شعرت بالأسف تجاههم، للأسف أن ما شهدوه قد حُفر في عقولهم إلى الأبد.

تغير تصميم المتاهة للمرة الثانية عشرة، مجبراً إياي على مغادرة مساري الذي يضيق نحو مسار جديد. أردت أن أصرخ.

انعطفت يميناً في مسار عشوائي قبل أن أنزلق متوقفة. هناك، في نهاية هذا المسار الضيق، كانت توجد دائرة رملية مفتوحة. المركز. النصر. نصري أنا.



الفصل 58

كاي

كانت الأرض ذاتها طوع أمري. يمكن للمرء أن يقول إنني أقبض على العالم في راحة يدي، رغم أن هذا تفسير درامي للغاية لقدرتي. حسناً، للقدرة التي أستعيرها.

انهار الجدار النباتي أمامي. وغاصت الكروم وأوراق الشجر التي تشكل السياج عائدة إلى الأرض، منزلقة تحت الرمال. ركضت للأمام، مستعيناً بقدرة معزز (إنهانسر) لتمزيق الجدران أو شطرها إلى نصفين.

كنت أدمر كل جزء من المتاهة يقترب مني، وأفكك الكروم والأغصان. شققت مساراً واضحاً وواسعاً، آملاً طوال الوقت أنني أركض في الاتجاه الصحيح. ولم أبطئ. ذابت الأسوار النباتية لأمر من خلالها بينما انزلق البعض الآخر عائداً إلى الأرض التي نبت منها.

تعالى هدير الحشود مع كل جدار أسقطه. وتردد صدى اسمي بين الجمهور، لكنني تجاهلته، مركزاً على قدرتي. مركزاً على القدرة التي كانت تتذبذب. خفتت القوة في داخلي.



لقد أدرك العلماء أخيراً ما أفعله وكانوا يفرون من المتاهة بلا شك،
محاولين الخروج من نطاق قدرتي.

شطرت جداراً أمامي، خالقاً مساراً لأركض عبره. اتسع أكثر فأكثر ثم-
توقف.

تلاشت القدرة من عظامي، تاركة إياي بلا حيلة، ممداً يدي نحو السياج
بلا جدوى. شققت طريقي عبر الفجوة التي أحدثتها، والأشواك والأغصان
تخدشني.

سمعت المتاهة تعيد بناء نفسها خلفي بينما حاول العلماء إصلاح الضرر
الذي أحدثته. لكن الألوان كان قد فات.
كنت قد وصلت بالفعل إلى المركز.

خطوت إلى داخل الدائرة المفتوحة، التي لا تحوي سوى الرمال
وشخصين بداخلها. جاء الأول من مسار في المتاهة مقابل لمساري، ووميض
الفضة المتألئ في الضوء أخبرني بهويتها بدقة.

كانت بيدن تعرج. وبدا جسدها بأكمله وكأنه يُجرّ حتى وهي تجبره على
الركض. كانت ساقها وجسدها ملطخين بالدماء وتكسوهما الكدمات.
تقدمت نحوها.

لكن نظراتها لم تلاقِ نظراتي أبداً. لا، بل كانت تلك العينان الزرقاوان
مسمرتين على الشخص القابع في وسط الدائرة. تعثرت خطوات بيدن
وتخبطت وكأنها عادت إلى غرفتي حيث علمتها كيف ترقص.
ثم انطلقت راكضة نحو المجرم المقدر له أن يموت.



الفصل 59

بيكان

عجزت عن التنفس فجأة مرة أخرى، وتساءلت بضبابية عما إذا كانت
بليز قد عادت لتعصر الهواء من رئتيّ بقبضتها الخفية.
ترنحت في مكاني، وقد غاصت قدماي في الرمال تحتي عند حافة الدائرة.
أنا أتخيل الأشياء. لا بد أنني أتخيل الأشياء.
تقدمت بخطوات مترنحة، لأتعثر وأبدأ في الركض. أجبرت نفسي على
الإسراع، متجاهلة صرخات الألم التي تجتاح قدمي.
- «أدينا؟»

هذا لا يمكن أن يكون صحيحًا. هذا لا يمكن أن يحدث.
كان جسدها الجميل محطمًا وينزف. وغاصت ركبتيها في الرمال، ويدها
مقيدتان بإحكام خلف ظهرها. كانت الدموع تنحدر على بشرتها الداكنة
المتوهجة سابقًا، والتي بدت الآن باهتة ومضرجة بالدماء.
أفلتت منها شهقة باكية، وكاد قلبي يتوقف عند سماعها. لم أسمع أدينا
تبكي قط. حتى بعد فقدانها لوالديها كما فقدت أنا والديّ، وبعد تعرضها
للضرب لمحاولتها سرقة تلك الكعكات اللزجة التي تعشقها بشدة، وبعد



ارتجافها في الشوارع - لم يكسرهما شيء أبداً. ولم يطفئ شيء قط ذلك النور الذي يسكنها.

إنها نوري.

كنت أتعثّر نحوها، وشعور بالخدر والغثيان يجتاحني في آن واحد. هذا ليس صحيحاً. هذا لا يمكن أن يكون صحيحاً-

- «بيدن!»

تهدج صوتها وأظن أن قلبي فعل الشيء ذاته. جاهدت لتقف، محاولة السير نحوي رغم قدميها المقيدتين. وتسلس الذعر إلى كلماتها التالية التي خرجت سريعة ومحمومة:

- «باي، أنا آسفة جداً. أنا-»

بدا وكأن الزمن قد توقف.

وبدا المشهد وكأنه يتباطأ، ليتكشف بوضوح شديد، وبعنف شديد. وأدركت في هذه اللحظة أنني سأرى هذا المشهد في كل مرة أغمض فيها عيني.

لم يتطلب الأمر سوى غصن غليظ ووحشي.

غصن واحد مكسور ليكسرهما.

طار الخشب المتعقد، موجهاً بقوة خفية قبل أن يرتطم بظهرها، ويخترق صدرها. ولم تستطع الصرخة حتى التحرر من حنجرتي بالسرعة الكافية.

- «أدينا!»

ترنحت، ترمش ناظرة إلى الغصن الملطخ بالدماء والبارز من صدرها. ثم تسقلت نظراتها ببطء لتلتقي بنظراتي بينما تعثرت في ركضتي، والدموع تعمي رؤيتي.

ملاً صدى الصراخ أذني.

وأظنه كان صادراً مني.

انهارت.

وحين فعلت، لمحت الابتسامة الخبيثة والشعر الليلي على الجانب الآخر من الدائرة، واليد ممتدة. اليد التي وجهت ومنحت هبة الموت، مستخدمة لا شيء سوى عقلها لإصابة الهدف.

– «لا!»

كانت صرختي مبحوحة، ممزقة لحنجرتي.

وصلت إلى أدينا قبل أن ترتطم بالأرض، وتلقفتها بين ذراعيّ بينما أنزلتها برفق على الرمال. كنت أحتضن رأسها بينما كان جسدها المدمى مسجى عبر حجري. والدموع تنهمر على وجهي. والصرخات تزحف في حنجرتي.

كانت بشرتها لزجة من العرق حين أبعدت الخصلات الداكنة عن وجهها، وسويت غرتها غير المتساوية التي جعلتني أقصها لها في الحصن بيدين مرتجفتين. كانت عيناها العسليتان الواسعتان تحدقان في عينيّ، ممتلئتين بدموع لم تُذرف.

قلت ويديا ترتجفان وأنا ألمس جرحها برفق:

– «ستكونين بخير يا آي.»

كان صوتي يرتجف وكلماتي تندفع من فمي بسرعة تضاهي سرعة دموعي:

– «هل تسمعينني؟ ستكونين بخير، وحين تتعافين، سأحضر لك من الكعكات اللزجة ما يجعلك تملين منها. اتفقنا؟»

رفعت نظري بذعر وصرخت:

– «النجدة! أرجوكم، فليساعدني أحدا!»

لكن صرخاتي غاصت في هتافات الحشود، لتتركني أهمس بتوسلاتي:

– «ساعدوها. أرجوكم. أرجوكم.»

نظرت إلى الأسفل نحو أدينا عبر الدموع في عينيّ وقلت:

- «يجب أن تبقي معي.»
- انكسر صوتي. وانكسرت أنا. وتابعت:
- «يجب أن تعديني بأنك ستبقيين-»
- سحبت أدينا نفساً حاداً، ضعيفاً ومتردداً:
- «باي.»
- انفلتت الشهقة الباكية التي كنت أكتمها من بين شفتي حين نطقت اسمي،
بنبرة رقيقة وعذبة. وكأنني أنا من يحتاج إلى المواساة.
- قالت وصوتها يزداد خفوتاً مع كل كلمة، وقد استنفدت طاقتها:
- «تعلمين أنني لا أقطع وعوداً لا أستطيع الوفاء بها.»
- ومع نفس لاهث آخر، سحبت شفتيها المتشققتين في ابتسامة. حتى في
وجه الموت، كانت تبتسم.
- الموت.
- إنها تحتضر.
- «لا، لا، لا...»
- كانت كلماتي عبارة عن شهقة باكية، وصرخة مرتجفة:
- «لا تقولي ذلك. أنت بخير. كل شيء سيكون بخيراً!»
- كانت لا تزال تبتسم لي بينما تنساب الدموع على وجهها من تينك
العينين العسليتين الدافئتين اللتين أصبحتا الآن تفتقران للتركيز قليلاً. وسألت:
- «هل تعديني بارتدائها من أجلي؟»
- رمشت نحوها، ما لم يفعل سوى زيادة ضبابية رؤيتي بالمزيد من
الدموع، وسألت:
- «ماذا؟»
- كان صوتها بالكاد يغادر الهمس، ما أجبرني على الانحناء لسماعها وهي
تقول:

– «السترة.»

أخذت نفساً لاهثاً قبل أن يهز السعال العنيف جسدها:

– «الـ.. الخضراء ذات الجيوب.»

لطح الدم شففتها وانزلق من زوايا فمها، لكنها واصلت، مصممة كعادتها:

– «استغرقني خياطتها وقتاً طويلاً، وسأكره أن يذهب كل... عد... عملي

الشاق سدى.»

أفلتت مني شهقة باكية وضحكة هستيرية في آن واحد وقلت:

– «أعدك يا أي. سأرتديها كل يوم من أجلك.»

ابتسمت تلك الابتسامة الحزينة التي يعتقد المرء أن الشمس ترسمها عند الغروب. دافئة ورائعة. منهكة ومتعبة. مستعدة للوداع، لأخذ استراحة من الاضطرار لكونها مصدرًا دائمًا للنور. راحة لآفاق السكينة.

أغمضت عينيها، وتملكني فجأة رعب شديد من ألا أحظى بلمحة من تينك العينين العسليتين مجددًا. همست وأنا أجذبها نحوي:

– «أرجوك. أرجوك لا تتركيني يا أي. أنتِ كل ما تبقى لي.»

إنها الشخص الوحيد الذي يعرفني حقًا.

قلبي يعتصر ألمًا.

الموت أشد قتامة من أن يليق بأدينا، أشد كآبة من نورها، ولا يستحق روحها البهية.

تفتحت جفناها بصعوبة، كاشفة عن شق من تينك العينين العسليتين لأحفرهما في ذاكرتي لمرة أخيرة. جاهدت للتحدث، وجاهدت لالتقاط أنفاس سطحية وقالت:

– «هذا ليس وداعًا... إنها فقط طريقة جيدة لقول إلى اللقاء حتى أراك في

المرة القادمة.»

انتفض جسدي بالشهقات الباكية وأنا أمسح على وجهها الجميل، متذكرة

أن هذه الكلمات هي ذاتها التي قالتها لي قبل أن أغادر «حي النشالين». لكن

حينها، كانت عبارتها مصحوبة بابتسامات وتلويحات، لفرط يقينها بأنها ستراني مجدداً.

والآن لن تراني أبداً.

كان يجب أن أكون أنا. كان مقدراً لي أن أكون أنا. كنت أنا من يُفترض أن يموت في هذه التصفيات، وليس هي. أي شخص سواها.

اجتاحني موجة من الشعور بالذنب، مهددة بإغراقي كدموعي. هذا كله خطأي. إنها هنا فقط بسبب نسياني وأنا نيتي. أنا من جلبها إلى هنا بعد أن نسيت أمرها. أنا من ساقها إلى حتفها.

اختنقت بكلماتي عبر شهقاتي الباكية:

– «أحتاجك أن تعلمي أنني لن أنساك أبداً يا آي. لا في هذه الحياة ولا في التي تليها.»

أبداً مجدداً.

بالكاد تمكنت من الإيمان قبل أن تغمض عينيها.

شهقت، وانهار جسدي فوقها وأنا أسند جبهتي على جبهتها وقلت:

– «أنتِ المفضلة لديّ يا آي.»

وبشفتين مسحوبتين في ابتسامة رقيقة، سمعتها تأخذ نفساً مهتزاً. تأخذ نفساً أخيراً.

تاركة إياي أرتجف.

تاركة إياي أصرخ.

تاركة إياي أشهق بالبكاء.

تاركة إياي.



الفصل 60

كاري

حزن مطبق.

ألم مطبق.

وحدة مطبقة.

هذا ما سمعته في صرختها.

تسمرت في مكاني، عاجزاً عن انتزاع قدمي من الرمال أو إبعاد عيني عن جسدها المنهار. بالكاد رأيت الغصن قبل أن يخترق المجرم. لا، ليست مجرمة – إنها أدينا.

اكتنفت الحيرة أفكاري حين شقت صرخة أخرى من صرخات بيدن الهواء. لم يكن ينبغي لأدينا أن تكون هنا. لم تكن سجيئة لدي، وبالتأكيد لم تكن مجرمة تستحق هذا الموت.

كانت بيدن تغوص في الرمال، تترنح ذهاباً وإياباً وهي تضم الجسد الهامد لأعز صديقاتها إلى صدرها. لقد سمعت قصصاً لا حصر لها عنهما معاً خلال التصفية الأولى. كان حب بيدن لصديقتها جلياً حينها، لكنه الآن مرتسم



على كل إنش من وجهها، ومحفور في كل صرخة. لم أتخيل يوماً أن أراها تبكي، لكن حتى الأقوى بيننا ينكسرون، حين يثقلهم ويدفنهم الحزن.

أردت الذهاب إليها. أردت أن أطوقها بذراعيّ، أن أشئت انتباهها، وأن أواسيها بالطريقة التي أعلم أنني يجب أن أفعلها ولكنني لست واثقاً من الكيفية. الإيذاء هو ما أتقنه، وليس المساعدة.

انفجرت الحشود في هتافات وأناشيد. وتقدمت بلير أكثر نحو الدائرة، تبتسم للعمل المروع الذي ارتكبته. لقد فازت لتوها في هذه التصفية والجمهور يمجدها لذلك.

انتهى الأمر.

انتهى كل شيء.

تقدمت نحو بيدن وأكثر نحو الحلبة المفتوحة. ولمحت رأس جاكس يطل من خلف جدار قبل أن يومض على بُعد أقدام داخل الدائرة. ومن زاوية عيني، رأيت آندي تترنح نحو الدائرة، في هيئتها البشرية الكاملة ومغطاة بالدماء. كانت تمسك برأسها، مشوشة بعد أن تمكنت أخيراً من التحول مجدداً. على الأرجح أن الألم الناجم عن الجروح التي ألحقتها بها قد صعق عقلها، ما سمح لها بالتفكير بوضوح كافٍ للعودة.

أصبحت قريباً بما يكفي من بيدن الآن لأرى الدموع تنحدر على وجهها، وتشق طريقها عبر التراب والدم الذي يغطي بشرتها. كانت جبهتها تستند إلى جبهة صديققتها وعيناها مغلقتان بقوة والشهقات تهز جسدها.

كانت صرخات الحشود تصم الآذان وأنا أشق طريقي نحوها بخفة، مستعداً للسقوط على ركبتيّ و-

شيء ما في حركة الحشود الهائجة تغير.

تحولت هتافات الابتهاج والحماس إلى صرخات رعب بشعة. كنت شديد التركيز على بيدن لدرجة أنني لم أسمعها في البداية، لكن الصوت الآن اجتاحني، وأربكني.

سمعت صرخة إمبراطوري يلهث بالقرب مني، وبدا صوته متقطعاً وكأنه ركض إلى هنا:

– «الأنفاق! لقد تسللوا عبر الأنفاق إلى المقصورة!»

استدرت بسرعة، بذعر يكاد يضاهي زعر الحشود التي تملأ المدرجات. كانوا جميعاً يصرخون في آن واحد، محاصرين في مقاعدهم من قبل شخصيات ملثمة بالسواد تسد مخارج كل مدرج. وبوجود الخامدين (سايلنسرز) لتغطيتهم، لم يملك الناس أي قوة للمقاومة. مسحت عيني وجوههم المذعورة قبل أن تستقرا على المقصورة الزجاجية حيث يتواجد والداي وكيت.

ثم رأيت ذلك. رأيتهم.

المقاومة.

كان رجل يقف بجانب أبي مرتدياً قناعاً أسود ويضغط بسكين على حنجرتة. وكان هناك أعضاء آخرون من المقاومة في المقصورة، يحيطون بالملك والملكة وكيت. كانوا يمسكون بهم باسترخاء تقريباً، ويقبضون جميعاً على خناجر في أيديهم رغم أنهم لم يبدو وكأنهم ينوون استخدامها. وهو ما لا يمكن أن يعني سوى شيء واحد. أنهم خامدون.

وربما حتى قاتلون (فاتالز) آخرون.

وإلا لكان أبي قد مزق أطرافهم الآن، ولكان كيت قد أشعل فيهم النيران، ولكانت أُمي قد ساعدت بصعقهم بالكهرباء لولا أن قدراتهم كانت مقموعة أو مسيطر عليها.

بالكاد استطعت تمييز وجوههم الملتوية، والمتقلصة تحت وطأة قوة أحد القتالين التي تسحقهم. لكنني أعرف ذلك الألم جيداً. ألم أن يُقمع كل ما أنت عليه بينما تُسلب منك القدرة ذاتها التي تمتلكها. أعرف تلك الملامح التي ترتسم على وجوههم لأنني حملتها مرات عديدة من قبل.

إنهم يُسحقون من قبل الخامدين.

ثم حدث لي الشيء ذاته.



الفصل 61

بيد

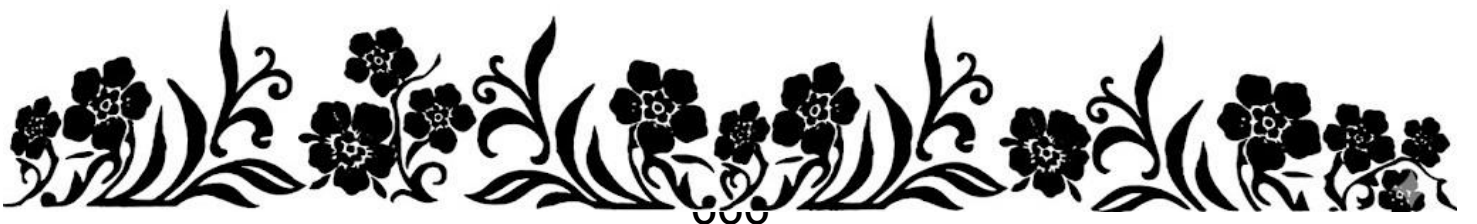
أواصل تمتمة الكلمة مرارًا وتكرارًا، وكأنها قادرة على إعادتها إليّ.
كدعاء، كتوسل:

– «أرجوكِ. أرجوكِ، أرجوكِ، أرجوكِ.»

بالكاد أسمع هتافات الحشود وسط هدير الحزن الذي يعصف برأسي
وقلبي. أضمها إليّ، وجبهتي تستقر فوق خصلات شعرها الناعمة. لا أزال
أستطيع تمييز أثر باهت لرائحة العسل التي تعبق بشعرها وجسدها. لطالما
كانت تفوح منها رائحة العسل. لطالما كانت رائحتها كالملاذ.

أشعر بالخدر في وجهي، ولم أعد قادرة على الإحساس بالدموع التي
تنحدر على وجنتيّ. أرفعها برفق، وأسند ظهرها لأحتضنها بقوة أكبر. وتتسمر
عيناى المضببتان بالدموع على يديها المقيدتين والمدسوستين خلف ظهرها،
وما رأيته يرسل شهقة باكية تهز كياني.
لقد كسروا أصابعها.

كانت ملتوية بزوايا غريبة، وتنزف، وتكسوها الكدمات. تلك اليدان
الصغيرتان النحيلتان أصبحتا مشوهتين، كأنما هما سخرية مما كانتا عليه



يومًا، ومما كانتا قادرتين على صنعه. وقبل أن يسلبوا حياتها، سلبوها الشيء الذي كان يمنحها إحساسًا أعمق بالحياة.
يداها الخياطتان. أصابعها الموهوبة.
مكسورة.

ثم كسروها هي.
اجتاحتنني موجة من غضب أبيض لاهب، جرفت في طريقها الشعور بالذنب والأسى لتستبدلها بحنق مستعر.
لقد كسرتها.
بلير.
سأقتلها.

أرمش ناظرة إلى جسد أدينا الهامد. حتى في الموت تبدو جميلة، ومشركة، وتخطف الأنفاس. مجرد رؤيتها ساكنة هكذا، وصامتة هكذا، يؤجج نيران غضبي، ليوجهها نحو قاتل آخر.
لقد كسرها هو.
الملك.

هو من جلبها إلى هنا لتُقتل. أدينا - أدينا كانت - لم تكن مجرمة. اشتعلت كراهيتي له. لقد فعل هذا عن عمد. لقد حذرني بأنني لن أفوز في هذه التصفيات، وتأكد من ذلك. ليس حين يتوجب عليّ قتل أعز صديقاتي لأفعل.
لقد سلبني هذا الرجل كل شيء.

لقد قتل هذا الملك العائلة الوحيدة التي عرفتتها يومًا. أبي أولاً، والآن أدينا.

وصلت صرخات الحشود أخيرًا إلى أذنيّ، لترتكزني من حالي البائسة للحظة. رفعت نظري لأرى أن جدران المتاهة قد تلاشت، تاركة إياي أجلس في وسط الحفرة الرملية.

كان المتنافسون الآخرون يقفون في الجوار، ويبدو على وجوههم جميعاً ارتباك مماثل. وكانت الحشود في حالة هستيرية. وأفراد النخبة يصرخون ويشيرون و-

- «الأنفاق! لقد تسللوا عبر الأنفاق إلى مقصورة الملك!»
تسمرت في مكاني.
إنهم هنا.

مسحت عينيّ الحشود بحثاً عن أي وجه مألوف قبل أن تستقرا على المقصورة الزجاجية. وبالتأكيد، لمحت كالوم يقود الملك للخارج، إحدى يديه تقبض على خنجر يلامس حنجرة الملك بينما تقبض الأخرى على ذراعه. وكان رجل لم أره من قبل، والذي لا يسعني إلا أن أفترض أنه أحد الخامدين، يتبعهما عن كثب نحو السور المطل على الحفرة.
سمعت إمبراطورياً آخر يصرخ وسط الحشود، وهو يوجه أوامر أخرى في الوقت ذاته:

- «- تسللوا عبر الأنفاق!»

لكن لم يتبق سوى قلة من الحراس غير محاصرين في المدرجات التي يكتنفها صمت المخفيين حيث يسد أعضاء المقاومة المخارج. وتلك الحفنة من الإمبراطوريين الأحرار لم يحركوا ساكناً للاندفاع إلى جانب ملكهم. لا يمكنهم ذلك. ليس دون المخاطرة بذبح حنجرة قائدهم إن اقتربوا أكثر من اللازم.
ولمرة واحدة في حياتهم، يشعر أفراد النخبة بالعجز الحقيقي.
ثم شعرت بعينه تحترقان في.

كانتا كزمردتين خضراوين، حادتين وثاقبتين من حيث لاقتا نظراتي داخل المقصورة الزجاجية. كم كنت مخطئة حين ظننت أن عينيه لا تشبهان عيني والده.

لأنه حين اخترقت نظراته نظراتي، لم أره هو. بل رأيت والده.
إن ملك إيليا المستقبلي يعلم أن هذا من صنيعي.

يعلم لأنه أراني ذلك النفق ومفتاحه.

يعلم لأنه ائتمني على تلك المعلومات.

يعلم كيت أنني خنته.

ظل محافظاً على التواصل البصري معي، وبدا مجروحاً جداً، ومرتبباً جداً، ومفعماً بالكراهية. كانت عيناه باردتين لدرجة أنني كدت أرتجف تحت وطأة تحديقه. الفتى الذي يرمقني بغضب كان مجرداً من كل ذرة دفء، وكل ذرة سحر عهدتها فيه. كان بارداً. وقاسياً. لقد أصبح هكذا بسببي. إنه والده.

سمعت حفيف الرمال تحت الأقدام فانتزعت عيني من كيت لأجد أربعة من الخامدين يسرون نحونا، وأيديهم ممتدة، وقدراتهم تضغط علينا. ترددت صرخات مكتومة من المتنافسين القريبين مني، واستقرت نظراتي على كاي الذي كان على بُعد بضع خطوات فقط، وقد أغمض عينيه بقوة مقاوماً الألم. انقبض قلبي لرؤيته يقبض على رأسه، ويهوي على ركبتيه في الرمال. وفعلت بلير، وجاكس، وآندي الشيء ذاته، يتقلصون من ألم إسكات قدراتهم، وخنقها، وقمعها.

– «وبهذا تُختتم تصفيات التطهير السادسة.»

دوى صوت كالوم عبر حلبة الصحن، ليجمد ويُسكت الجميع بجملة واحدة. كانت تبالاً بجانبه، تبدو مرعوبة وهي تضغط بيدها على ذراعه. أما الملك، فبدا هادئاً بشكل خادع وهو يحاول أن يبدو غير متأثر تماماً بالخنجر المسلط على حنجرته وبأفراد المقاومة المحيطين به.

وتابع كالوم بصوت جهوري وعيناه تجولان على الحشود:

– «قد لا يعلم الكثيرون منكم من نحن. وذلك لأننا السر الأكثر فتكاً

لملككم. وسره الأقدّر. نحن العاديون. نحن القاتلون. نحن المقاومة.»

ترددت شهقة جماعية في المدرجات، وهيمن صدمة مذهولة على الحشود. لم يكن بوسعهم سوى مشاهدة المشهد يتكشف أمامهم بعد أن قُمعت قدراتهم بفعل الصحن وحظر أعضاء المقاومة طريق هروبهم.

– «اليوم، نخرج من الظلام لنريكم من نحن. وما الذي نسعى لتغييره.»

لم أتمكن من الحراك، وعيناي مسمرتان على كالوم وهو يلتفت الآن لينظر إلى الملك. كان كل حارس، وكل مواطن يراقب في صمت مذهول، عاجزين عن إيقاف هذا. وأضاف مشيرًا إلى الحشود بيده:

– «يمكن أن ينتهي هذا كله. لا مزيد من الموت، ولا مزيد من القتال. نحن في كل مكان. لم نُبد من هذه المملكة، رغم ما يوهمكم به ملككم. لم نتوقف يومًا عن التكاثر، ولم نتوقف يومًا عن محاربة المظالم التي جلبها التطهير. ولقد تجمعنا هنا اليوم.»

بدا الناس مرعوبين من فكرة عيش كل هؤلاء العاديين المصابين بالطاعون بينهم. كان من الواضح أن أفراد النخبة سيفعلون أي شيء للحفاظ على قدراتهم، وللبقاء على قيد الحياة، وإذا استمروا في الاعتقاد بأن العاديين سيبيدونهم، فلن يستمروا إلا في إبادة نحن أولًا.

توسلت إلى كالوم بصمت أن يفصح كذبة الملك لهم، أن يخبرهم بأننا أصحاء ومعافون. قد لا نملك دليلًا قاطعًا، لكن حقيقة أننا عشنا بينهم لعقود دون أن يتفشى أي مرض أو تُفقد أي قدرة من قدرات النخبة يجب أن تكون كافية في الوقت الحالي. رغم أنه يبدو أن معظم المملكة لا تكثر حقًا للعاديين لدرجة تدفعهم حتى للتفكير في ذلك. لقد وثقوا بملكهم الملتوي ثقة عمياء.

تنقلت نظرات كالوم بين ملك إيليا المستقبلي في المقصورة الزجاجية ومنفذه المستقبلي الذي يتقلص ألمًا جانبي. وقال:

– «يمكننا أن نتحد معًا بسلام، أو ألا نفعل. وأظن أن حياة وريثيك الوحيدين ستكون كافية لإقناعك بتنحية كبريائك جانبًا وإعادة توحيد شعب إيليا بأسره.»

توقف قلبي عن النبض قبل أن يتلعثم عائدًا للحياة.

سيقتلون الأميرين إن لم يرضخ الملك.

إنهم يقامرون بمستقبل إيليا. يقامرون بالأرواح.

لم يخبروني بذلك.

لا، لا، لا.

كان رد فعل الحشود عبارة عن زئير من الغضب الأعمى. لم يكن من المفترض أن تسير الأمور على هذا النحو. إن تهديد حياة الأميرين لن يؤدي إلا إلى توجيه غضب الناس نحونا، ونحو قضيتنا. إنه أمر ضار، وليس نافعا. كان رأسي يدور بينما يصرخ الإيليون احتجاجا. قال كالوم بصوت صارم:

– «يا شعب إيليا، رحبوا بعودتنا إلى ديارنا. نحن لا نشكل أي تهديد لـ»

«

أفزعتني شهقة حادة من الخلف، لتنتزع انتباهي من كالوم والملك. تسمر الخامد الواقف أمام كاي في مكانه. اتسعت عيناه، وغطى العرق جبينه. فتح فمه وكأنه يهم بصراخ شيء ما، تحذير ما. ثم— انفجر كاي بلهب مشتعل.



الفصل 62

كاي

كان عقلي يبدو محجوبًا، ورأسي مشوشًا. هذا لا يمكن أن يحدث. كان أربعة من الخامدين يقفون أمام كل منا، يخنقون قدراتنا.

كان أربعة من الخامدين يقفون أمام كل منا، يخنقون قدراتنا.

كان جميع المتنافسين باستثناء بيدن يشعرون وكأن رؤوسهم تنشط. أعلم أنها لا تتأثر بقدرة الخامد، لكن لماذا لا يلمسها أي عضو من المقاومة، أو يحرسها، أو يقترب منها حتى؟

تلاشت الفكرة من ذهني حين اجتاحتني موجة أخرى مما لا يسعني وصفه إلا بالثقل الشديد.

كان الألم والعذاب الناجمان عنه بالكاد يُحتملان، حتى مع كل التدريب الذي خضته مع داميون. كان الخفقان في رأسي يجعل من الصعب عليّ التركيز على الرجل الواقف بجوار أبي، وكان وجهه يسبح في مجال رؤيتي. مما استطعت سماعه عبر الطنين في أذني، كان خطابه يتمحور حول كيف أن العاديين يرغبون في العيش، حتى رغم المرض الذي سينقلونه إلى النخبة.



لكن إن كان هناك العديد من العاديين يعيشون بيننا كما يدّعي، فلماذا لم نشعر بالتأثيرات؟ بفقدان القدرات؟

ازداد الخفقان في رأسي بينما كنت أحاول فك رموز هذا اللغز. استمر الرجل في الحديث لكنني كشرت عن أنيابي وتجاهلته. أخذت نفساً عميقاً، دافعاً الألم جانباً لأركز على الإحساس بالقدرة القابعة تحته. ركزت على الرجل الذي يسكتني حالياً بينما تنامي وخز قدرته تحت بشرتي.

أغمضت عيني، ممداً إدراكي نحو تلك القدرة تماماً كما فعلت مرات عديدة من قبل مع داميون. بالطبع، لم أتمكن يوماً من فعل ذلك في الواقع—لا. يُجدي. نفعاً.

امتزج الأدرينالين بذلك الإحساس الخافت بالقدرة، والذي كان خفيفاً كالريشة تحت بشرتي. وتشبّثت به.

كان من الغريب التفكير في أن القدرة ذاتها التي يستخدمها الخامد لقمع قدرتي، لا تزال في النهاية قدرتي.

متشبّثاً بقدرة الخامد، وشاعراً بها تغمر جسدي، قذفتها عائدة نحوه. اتسعت عيناه لصدمة إحساسه بقدرته وهي تقاتله. لم يكن مستعداً لهذا، ولم يكن يتوقعه. لقد تخطى عن حذره.

وحده الخامد يمكنه هزيمة خامد آخر.

وهذا بالضبط ما فعلته.

هزمته بقدرته هو.

انزاح ثقل صمته عن كاهلي.

ثم التهمتهم ألسنة النيران.



الفصل 63

بيكان

ملأت الصرخات الأجواء. غُمر الخامدون بألسنة اللهب، وأثارت رائحة اللحم المحترق غثياني.

كان الخامدون يتدحرجون على الرمال، محاولين إخماد النيران التي تلتهم بشرتهم، وتحرق ملابسهم. وانكسر صمتهم الخانق الذي كان مفروضاً على المتنافسين، ليحررهم.

لا أزال أجهل تمامًا كيف حدث ذلك، كيف تحرر كاي فجأة من سيطرة الخامد واستحوذ على قدرة كيت المزدوجة. إن انفجار نيرانه، وهجومه الوحشي، قد أرسل الحلبة بأكملها إلى حالة من الفوضى العارمة مجددًا. تنقلت عيناى نحو المدرجات حيث بدأت الحشود في الرد على المقاومة، واندلع اشتباك عنيف.

بدأ الإمبراطوريون بالتدفق فجأة إلى الحلبة للانضمام إلى القتال، وذهلت من العدد الكبير الذي وصل بهذه السرعة. أدت رأسي، مدركة أن عدد الشخصيات المقنعة بالسواد آخذ في التضاؤل.

لم نكن نتوقع هذا. لم نكن مستعدين للقتال، وللهزيمة.

أحتاج إلى الخروج من هنا. الآن.



جعلت فكرة الهرب في وقت كهذا معدتي تتقلص، لكن ملك إيليا المستقبلي يعلم بما فعلته. دقت الفكرة في جمجمتي وأنا أبحث عنه بعيني في الحلبة. كان الآن يشق طريقه عبر الحشود التي تجمعت حول المقصورة الزجاجية بعد أن تغلبوا على المقاومة وتفرقوا من مدرجاتهم. وكانت أسنة اللهب تتراقص على ذراعيه وهو يقاتل أي شخص يقترب منه.

اندفع كاي للانضمام إلى القتال، وكانت حركاته دقيقة ومثالية وهو يُسقط أعضاء المقاومة يمناً ويسرة. أثار المشهد اشمئزازي. لم يكن لدي أدنى فكرة عن مكان جاكس، لكنني لمحت شعراً عنابياً قصيراً في بحر الناس وعرفت على الفور أنه يعود لآندي.

ومن حسن حظ بلير أنني لم أتمكن من العثور عليها.
أوه، لكنني سأفعل. وسأستمتع بقتلها.

تحركت لأقف على قدمي، وتوقفت فجأة عند شعوري بثقل يضغط على حجري.
أدينا.

وخزت الدموع عيني مرة أخرى، لكنني رمشت مبعدة إياها، مجبرة نفسي على التماسك. نظرت من وجهها الهادئ والساكن إلى الفوضى التي تعمنا والمعركة الدامية التي تستعر. حاولت رفعها معي، لكنها كانت ثقيلة – ثقل الموت. حرفياً. اختنقت عند تلك الفكرة وأنا أزيحها عن حجري وأمددها على الرمال.

لا أستطيع أخذها معي.

لن تحظى أبداً بدفن لائق. ولن تحظى أبداً بالوداع الذي تستحقه.
همست مقبلة جبهتها:

– «أنا-أنا آسفة جداً يا آي. أنا آسفة، آسفة جداً.»

نهضت على قدمي، وماسحة الدموع التي حاولت عبثاً منعها من السقوط. بدأت في الابتعاد عن جسدها الهامد، غير قادرة على تحمل رؤيته لفترة أطول.

– «أحبك.»

ثم انطلقت راكضة.

جبانة. تمامًا كما فعلت مع والدك.

كان التشابه في طريقة موتهما يثير الغثيان.

كلاهما طعن في صدره.

كلاهما نزع حتى الموت أمامي.

كلاهما ترك مسجى على الأرض، ليتحلل دون دفن.

وكلاهما انتهى موته بهربي.

أردت أن أصرخ.

في وجه نفسي. في وجه قاتليهما. في وجه العالم.

شقت طريقي عبر حشود الناس، عبر الغوغاء الهائلة التي تتقاتل في الحفرة، وعلى الدرج، وفي المدرجات. اشتبكت الأقنعة السوداء والبيضاء في قتال مرير بين أعضاء المقاومة والإمبراطوريين. لكن القتال لم يكن متكافئاً. كان هناك عدد هائل من الإمبراطوريين، وحتى مع وجود القاتلين إلى جانب العاديين، كانت المقاومة أقل عدداً بكثير.

راوغت بين الأجساد وانحنيت لتجنب اللكمات وأنا أتدافع صعوداً عبر الدرج المزدحم الذي يؤدي إلى خارج الحفرة وإلى مسار مزدحم بنفس القدر في الأعلى. ساعدتني سنوات عديدة من التملص والتسلل غير المرئي عبر «حي النشالين» حيث اتخذت قدماي إيقاعاً مألوفاً، تدوسان بخفة وسرعة.

غمرتني الهتافات، وترددت الصرخات في أرجاء الحلبة. كان القتال كهدير مكتوم في أذني، لكنني أجبرت نفسي على اتباع تيار الناس الذين يحاولون الابتعاد عن المعركة بدلاً من الانضمام إليها.

أردت أن أستدير. أردت أن أقاتل مع المقاومة، مع شعبي.

ما النفع الذي كنت لتجلبيه؟

تسللت هذه الكلمات إلى رأسي، ملتفة حولي بإحكام شديد لدرجة أنني شعرت وكأنني أختنق. ولم تزداد قبضة هذه الفكرة الخانقة إلا حين اجتمعت بعض الحروف معاً، لتشكل كلمة لا تقل تدميراً عما سبقها.

بلا قوة.

بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

التيار البشري الذي سمحت لنفسي بالانجراف فيه لفظني أخيراً خارج الصحن. صفعت الرياح شعري حين خرجنا، نتدفق جميعاً إلى المسار الطويل والواسع المحاط بالأشجار. المسار الذي يؤدي إلى القصر.

تفرق الإيليون من حولي. وانطلقوا يركضون حول السطح الخارجي للوعاء حتى وجدت أقدامهم طريقاً آخر يتجه في الاتجاه المعاكس. الطريق الذي يؤدي إلى المدينة.

بدأت في اتباعهم، وقدمائي تتحركان من تلقاء نفسيهما، تقودانني إلى «حي النشألين». تقودانني إلى الوطن.

ثم توقفت.

كان هناك شيء يؤلمني في صدري - قلبي.
سترة أدينا.

استدرت، محدقة في القلعة التي تحتضن الوعد الذي قطعته.

«أعدك يا آي. سأرتيها كل يوم من أجلك.»

دوى الوعد في رأسي، وكان هذا كل ما احتاجه لأبدأ في الركض بأقصى سرعة على طول المسار المحاط بالأشجار. الزهور الوردية والبتلات الرقيقة التي أمطرت عليّ في المرة الأولى التي سرت فيها في هذا المسار قد اختفت منذ زمن. لقد ماتت الآن ودُهِست على الأرض، تاركة فقط براعم فارغة وأغصاناً مورقة تتمايل فوقها وأنا أتسابق تحتها.

لتذهب الإصابات وقدمي الملطخة بالدماء إلى الجحيم. الحفنة القليلة من الإمبراطوريين الذين طاردوني في «حي النشالين» بسبب السرقة لم يكونوا ليجعلوني أركض بهذه السرعة، وإلى هذا الحد.

حين لامست قدماي الفناء المرصوف بالحصى، لم أكلف نفسي عناء الإبطاء. تسابقت فوقه بينما بدأت قطرات المطر في وخز بشرتي وجعل الأرض زلقة تحتي. تسلقت الدرجات الحجرية المؤدية إلى الأبواب المذهبة الضخمة للقلعة.

ادخلي. التقطي السترة. اخرجي. شقي طريقك إلى «حي النشالين» و-
- «آنسة جراي!»

جفلت، ورفعت نظري لأرى أربعة إمبراطوريين متمركزين خارج الأبواب الثقيلة التي كنت مشغولة بالركض نحوها لدرجة أنني لم أرهم. اندفع رجل مسن لمقابلتي، والقلق يرسم تجاعيد حول عينيه اللتين تطلان من خلف قناعه الأبيض.

- «آنسة، هل أنت بخير؟ هل توقف القتال؟ هل هُزمت المقاومة؟»
بحث عيناه في عيني عن إجابات.

إذن هم يعلمون بوضوح ما يجري داخل أسوار الصحن، ومع ذلك فهم عالقون هنا. لا شك أنهم تلقوا أوامر محددة بالبقاء وحراسة القلعة، إلى جانب العديد من الإمبراطوريين الآخرين الذين أنا واثقة من أنهم يتجولون في الداخل. أولئك الذين يجب أن أتجاوزهم للوصول إلى غرفتي.

- «أجل، أنا-»

أحتاج إلى خطة. وبسرعة.

والتي خطرت ببالي لم تكن واحدة أفخر بها.

تركت جسدي يرتخي وأنا أتعثر إلى الأمام على الدرج. رميت يديّ لأتلقى سقوطي، لكن الإمبراطوري سبقني إلى ذلك. لف ذراعه حول خصري ليسندني، وقمعت الرغبة في شطرها إلى نصفين.

انحنيت وأمسكت بقدمي وبالقماشة الملطخة بالدماء والملفوفة بلامبالاة حولها، والتي كانت تكاد تسقط الآن من فرط الركض الذي قمت به. رسمت أفضل تعبير ألم أستطيعه على وجهي، رغم أنه لم يكن من الصعب فعله مع الأدرينالين الذي بدأ يتسرب ببطء من جسدي ليُستبدل بالألم مرة أخرى.

قال الإمبراطوري وعيناه تندفعان نحو قدمي حين هسهست من الألم: - «أنت مصابة.»

كم هو دقيق الملاحظة.

- «أجل، لكني بخير. أنا فقط-»

وضعت قدمي مرة أخرى على الدرجة وشهقت بألم مسرحي. كنت أستغل هذا الموقف لأقصى حد. التفت أصابعي حول زي الإمبراطوري الأبيض المنشى، وعيناي تتوسلان:

- «بالكاد تمكنت من الخروج من هناك. إنها فوضى عارمة. وأنا-» أخذت نفساً مهتزاً وتابعت:

- «أنا خائفة جداً وقدمي تؤلمني بشدة ولا أعرف ماذا أفعل-»

بحق الطاعون، لا أصدق أنني انحدرت إلى هذا المستوى.

بدوت هستيرية، وهذا بالضبط ما كنت أهدف إليه. رمق الإمبراطوري أصدقاءه في أعلى الدرج قبل أن يعيد نظره القلق إليّ وقال:

- «ما رأيك أن نرافقك إلى غرفتك لترتاحي وتعالجي تلك القدم؟ سينتهي هذا كله قريباً.»

تدحرجت دمعة على وجنتي وأنا أومئ له بحرارة، آملة أن أبدو خائفة ومذهولة، رغم أنني لم أكن أياً من ذلك. كنت أحتاجه فقط لأتمكن من الوصول إلى غرفتي دون أن أبدو مثيرة للريبة. دون لفت انتباه الإمبراطوريين الآخرين الذين سيطرحون أسئلة لا أملك إجابات لها. ولكن إن رافقني إمبراطوري، فستكون مشكلة وجودي قد حُلّت وتمت السيطرة عليها بالفعل.

وهما صفتان أخريان لا أتمتع بهما.

قال الإمبراطوري مشيرًا إلى رجل عريض المنكبين بعضلات منتفخة تبرز حتى من خلال زيه العسكري القاسي:

– «رانكين، اصطحب الأنسة جراي إلى غرفتها. ثم أبلغ أحد المعالجين (هيلرن) بأنها بحاجة إلى مساعدة.»

قوي (براوني).

أوماً برأسه وتبخرت نحوي، قائلاً بصوت عميق:

– «سيكون هذا أسرع وأقل إيلاًماً لكِ بكثير إن فعلناه بطريقتي.»

على ما يبدو، تضمنت طريقته حملي كالطفلة العاجزة. كانت يداها تحت ركبتيّ وحول ظهري، يحملني بسهولة قبالة صدره ونحن نخطو عبر الأبواب الضخمة وإلى الرواق الداخلي. كانت غريزتي الأولى هي لف ساقيّ حول كتفيه وإحكام قبضتي على عنقه قبل طرحه أرضاً. لكن ذلك كان قبل أن تذكرني غريزتي الأكثر ذكاءً واستراتيجية بأن هذا ما أريده، وما أحتاج إلى فعله.

لذا، ابتلعت كبريائي وتركته يحملني. تركته يخطو عبر كل رواق وأنا بين ذراعيه، وعشرات الإمبراطوريين يطوفون حولنا. قاومت ابتسامتي حين بالكاد رمقونا بنظرة.

وقبل أن أدرك ذلك، وضعني الإمبراطوري على سرير، متمماً بشيء عن استدعاء معالج. انتظرت حتى تلاشى صوت خطواته قبل أن أقفز من المرتبة وأفتح أبواب خزانتي بقوة.

نبشت بين الفساتين ومعدات التدريب الأنيقة وصولاً إلى رف في الخلف. كانت السراويل والقمصان المريحة مطوية بدقة هناك، وهذا من صنيع إيلي وتنظيفها المستمر. مددت يدي تحت كومة من القمصان القطنية، فلامست أصابعي قماشاً خشناً مألوفاً.

انقبض قلبي وأنا أسحب السترة التي أبقيتها مخبأة. كان لونها الزيتوني باهتاً، ومع ذلك، لم أر شيئاً أكثر مثالية منها قط. مررت أصابعي على الجيوب المبطنة للسترة من الداخل والخارج، مما يجعلها الإكسسوار المثالي لأي لص.

أخذت نفساً عميقاً قبل أن أرتديها فوق قميصي الممزق والمبلل بالعرق. ثم التقطت زوجاً جديداً من الأحذية وكنت على وشك ارتدائه حين انفتح الباب بصري، كاشفاً عن رجل بدين لا يمكن أن يكون سوى المعالج. وسألني:

- «سمعت أنك مصابة؟»

قلت متسربة قبل أن أتصنع التعثر نحوه:

- «أجل. إنها قدمي.»

قال المعالج وهو يتهاذى نحوي، مشيراً لي بالجلوس على السرير:

- «أرى ذلك.»

فكرت في إفقاده الوعي قبل أن أقرر الاستفادة من علاجه السريع أولاً. أخذ قدمي بين يديه برفق، وراقبته بينما رقصت أصابعه فوق الجروح الغائرة التي تزحف على كاحلي. رؤية لحمي وهو يلتئم أثارت سيولاً من ذكريات والدي في ذهني، مما آلمني أكثر من الإصابة.

رمشت محاولة إبعاد تلك الذكريات حين انتهى المعالج، ولم يتبق سوى خطوط وردية باهتة كدليل على جروحي.

- «حسناً، إذا كان هذا كل ما في الأم-»

سحبت خنجري من تحت الوسادة بجانب، وسقط المعالج مغشياً عليه حين ارتطم مقبضه بصدغه. حاولت قصارى جهدي تخفيف حدة سقوطه، لكنه كاد يسحقني حين ارتطم بالأرض. تخطيته، وارتديت حذائي، هامسة بشكري رغم أنه لن يسمعه أبداً.

انزلقت بصمت إلى الردهة. يظن الإمبراطوريون أنني بأمان في غرفتي، أئن بسبب جرحي، ورغم أن هذه الصورة تثير حنقي، إلا أنني أفضل إبقاء الأمر على هذا النحو. إن رأني أحد، فسينكشف أمري.

لحسن الحظ، لدي الكثير من الخبرة في التحرك دون أن يُلاحظني أحد. كنت أسير على أطراف أصابعي بينما أتسلل عبر الردهة، مستعدة للقفز إلى أي غرفة أو تغيير اتجاهي عند أول علامة على الحركة. انطلقت عبر

الأروقة، متجنباً الكبيرة منها والأكثر استخداماً قدر استطاعتي. القلة من الإمبراطوريين الذين تصادف وجودهم في طريقي كانوا مشتتين وتمكنت من تفاديهم بسهولة وأنا أتوجه نحو مخرجي - الحقائق. إنه المخرج الأقرب إلى مكاني، بالإضافة إلى كونه الوحيد الذي من المحتمل أن يكون غير محروس. ومع الفوضى الحالية التي تسببت في نقص أعداد الحراس في القلعة كما هي، أراهن أن المخرج سيكون بعيداً عن تفكير كل إمبراطوري.

وكنّت محقة.

وصلت إلى الباب المؤدي إلى المناظر الطبيعية الخلابة في الخارج وفتحته. كان المطر لا يزال يهطل بلا هوادة، مستمراً في الانهمار من السماء الملبدة بالغيوم. أسرع عبر المسارات المليئة بزهور من كل لون، وحجم، وشكل. ثم مررت مسرعة بجوار النافورة حيث كدنا أنا وكيت أن نرشف نصف مائها على بعضنا البعض - كيت.

أبعدت التفكير فيه وفي خيانتني له، مركزة كل انتباهي على العودة إلى «حي النشالين» بأسرع ما يمكن. وهو ما لن يكون سريعاً على الإطلاق، نظراً لأنني سأضطر للذهاب إلى هناك سيراً على الأقدام.

عدت إلى المسار المؤدي نحو الصحن، شاقة طريقي نحو المسار المؤدي إلى «حي النشالين». كنت ألهث، وساقاي تتحركان بسرعة، وأنا أركض مرة أخرى على طول المسار المحاط بالأشجار. امتزج الحزن والغضب مع الأدرينالين، ما جعلني أشعر بالنشاط والإنهاك في آن واحد.

بدا الصحن أكثر ترويعاً من أي وقت مضى. كانت العوارض المعدنية والخرسانية تلوح فوق، ولم تزد الصرخات وأصوات العراك داخله إلا من حضوره المخيف. لا بد أن كل مواطن لم ينضم إلى القتال قد غادر منذ زمن طويل، تاركاً المقاومة والإمبراطوريين يتقاتلون داخل الحلبة.

مررت بنفق يؤدي إلى داخل الصحن. ثم نفق آخر.

أبقيت عينيّ مثبتتين على طريق العودة للوطن بينما كان يقترب أكثر فأكثر.

ترنح رجل عريض المنكبين فجأة ليقف في المسار الذي كنت أسعى جاهدة للوصول إليه. كان يمسك برأسه، ورغم ذلك لم أتمكن من تمييز أي من ملامحه بينما كنت أرمش بسرعة وسط المطر.

كل ما أعرفه هو أنه يقف في طريقي.

استدار، ويده لا تزال تضغط على صدغه، ولمحني. لم أكلف نفسي عناء إبطاء سرعتي. أيّا كان هذا الرجل، فلن أتردد في الإطاحة به إن حاول إيقافني.

كنت أركض، وأقترب مع كل خطوة، محاولةً في الوقت ذاته الرؤية عبر المطر لأحصل على صورة واضحة لوجهه.

كان يبتسم لي.

كانت من تلك الابتسامات التي ترسل قشعريرة في عمودك الفقري. من تلك الابتسامات التي لا تمت للطف بصلة. من تلك الابتسامات التي تخبرني أن هذا الرجل يعلم هويتي تمامًا.

تعثرت قدماي. لم تكن تفصلنا سوى مسافة تقل عن اثني عشر ياردة الآن.

وحينها رأيته.

رأيت عينين خضراوين، أبرد من المطر الذي يتسرب عبر ملابسني الخفيفة.

رأيت شعراً ذهبياً، أبهت من السماء الملبدة بالغيوم.

رأيت شفّتين ملتويتين في ابتسامة، أخبث من العاصفة الهوجاء التي تزمجر فوقنا.

نادى عليّ بصوته الحاد والحريري في آن واحد عبر الرياح العاتية:

– «آه، بيدن جراي. أم يجب أن أدعوك عضو المقاومة؟ عادية؟ خائنة؟»

تقدمت خطوة، رغم أنني كنت أعرف بالضبط من يقف أمامي.

رأيت الملك.

كلمة الغضب لا تكفي لوصف المشاعر التي كانت تعصف بي حين نظرت إلى هذا الرجل - هذا الوحش، هذا القاتل.

كانت عيناه مجنونتين، وشعره ملطخاً بالدماء من جرح غائر بالقرب من صدغه لا يزال يقطر دمًا. كيف تمكن من الفرار من الحشود المتقاتلة داخل الصحن كان أمرًا يفوق فهمي. ومع ذلك، ها هو هنا، يترنح ليقف في طريقي. يترنح بمفرده.

الملك وحيد تمامًا.

كدت أرغب في شكر الطاعون على هذه الهبة. كدت.

واصلت السير بخطوات واسعة للأمام، رافضة الهرب منه، من هذه الفرصة. دوى صوت انزلاق الفولاذ عبر الرعد المدمدم حين استل سيفاً من الغمد المثبت على جانبه.

قال بنبرة تثير اشمئزازي وتجعل دمي يغلي:

- «أوه، لا تبدي مصدومة هكذا لأنني اكتشفت الأمر. كنت أعلم أن هذا قادم. لقد تسللت إلى عقل ابني الساذج، وإلى قلبه، وحصلت على ما تحتاجينه من أجل مقاومتك الصغيرة. أما بالنسبة لمعرفتي بأنك عادية، حسنًا، لقد كنت أعلم ذلك منذ بعض الوقت الآن.»

التوى وجهه بابتسامة عند رؤية الصدمة على وجهي وأضاف:

- «ناهيك عن أنني كنت أعرف من هو والدك، وما الذي كان جزءًا منه. كنت أعرف الكثير من الأشياء عنه قبل نهايته المؤسفة. طُعن في صدره، أليس كذلك؟»

كانت ابتسامته تجسّدًا للشر.

تصلبت في مكاني، وكل جزء فيّ يشتعل غضبًا. لكنني فرضت قناعًا باردًا على ملامحي، متجاهلة تصريحه الأخير ومُشيّرة إلى الأول قائلة:

– «وبماذا يجب أن أناديك؟ ملك أم جبان؟ كاذب أم قاتل؟ كلها ألقاب تليق بك، ألا تظن ذلك؟»

أطلق ضحكة عالية، وبالكاد استطعت السيطرة على غضبي عند سماعها. ارتجفت يداي وأنا أقوم بصنع قبضتين جانبي، وأظافري تنغرز في باطن كفي. سقطت الكلمات من فمي قبل أن أتمكن من إيقافها:

– «لقد قتلتها.»

تنهد وكأن الأمر يسليه:

– «من، صديقتك الصغيرة؟»

التمعت عيناه، فاضحة الغضب الذي كان يبقيه مدفوناً وتابع:

– «لا. أنت من قتلها. لقد حذرتك بشأن التصفيات. حذرتك بالابتعاد عن أبنائي. لقد جعلت مملكتي تبدو ضعيفة. لقد جعلت ورثتي يبدو ضعفاء.»

بصق الكلمة، مشمئزاً من لحمه ودمه. وأضاف:

– «جعلت كاي يساعدك في التصفيات، ويركض خلفك أثناء حفل راقص. وجعلت ملك إيليا المستقبلي خاتماً في إصبعك، يُفشي كل سر ومعلومة احتجت إليها. أنت القاتلة يا بيدن.»

تقدم خطوة نحوي، وتسمرت في مكاني أهز رأسي بينما تابع:

– «أنت تنسين ما تكونين، أيتها الفتاة من «العشوائيات». عادية محكوم عليها بالموت. أنت لا شيء.»

صرخت:

– «إذن لماذا لم تقتلني؟ إن كنت تعرف حقيقتي، فلماذا لم تقتلني كما فعلت مع كل عادي آخر؟»

قال ببساطة:

– «لأنني احتجتك حية. لكنك الآن لم تعود ذات نفع لي، وبما أن التصفيات لم تقتلك، فسأحظى بمتعة القيام بذلك بنفسي.»

توقف لبرهة وابتسامة ساخرة تلوي شفتيه وأضاف:

– «هل يمكنكِ قراءة ما سأفعله تالياً بقدرة المتبصرة تلك التي تملكينها؟»

اندمج وميض مفاجئ من الفضة مع المطر.
كان سيفاً يتأرجح نحوي.



الفصل 64

كاي

اصطدمت ركبة بعمودي الفقري. حسناً، يبدو أن أحدهم يسعى لموته.

استدرت، وغرست السكين التي انتزعتها من آخر رجل قتلتته في صدر هذا الرجل بسهولة، مخترقاً الجلد القاسي الذي يغلفه. شعرت برذاذ الدم المألوف يلطخ ملابسي، ووجهي. كنت مغطى به. انتزعت الشفرة، تاركاً الرجل يسقط على الأرض بضربة مكتومة. جميعهم يسعون لموتهم.

كانت الحلبة تعج بفوضى عارمة. اشتبك الإمبراطوريون وأعضاء المقاومة، بعضهم يرتدي الأبيض، والبعض الآخر يرتدي الجلد. العاديون، والنخبة، والقاتلون يقاتلون جنباً إلى جنب. إنه مشهد سريالي.

وهو أيضاً السبب الوحيد لعدم انتهاء هذه المعركة حتى الآن. لولا القاتلون والنخبة الذين انضموا إلى المقاومة، لكانت هذه مجزرة. لكنهم لا يزالون يفوقونهم عدداً بكثير مقابل جميع الإمبراطوريين الذين يملؤون الصحن الآن.



اندفع شخص ملثم بالسواد نحوي، ودرعه الجلدي مشبع بالدماء والمطر الذي ينهمر علينا. ثبت قدمي على الخرسانة الزلقة، تاركاً إياه يقترب مني. أصعب جزء في هذا القتال هو عدم معرفتك ما إذا كنت ستواجه عادياً، أم نخبة، أم قاتلاً. بالكاد كان لدي ما يكفي من الوقت لمد إدراكي نحو قدرتي قبل أن ينقض عليّ.

لم أشعر بشيء. عادي.

لكن لا يجب الاستهانة به.

أشهر سكينين في وجهي، حادين ومميتين وتأرجحا بمهارة. كانت خناجره تقطع بحركات سريعة، مجبرة إياي على التراجع. انحنيت متفادياً ضربة هوجاء كانت تهدف لجزء عنقي، مباغتاً إياه بلكمة سريعة في بطنه المكشوف. أطلق تأوهاً مكتوماً، لكن الدرع الجلدي الذي يغطي صدره ومعدته تكفل بامتصاص صدمة ضربتي. تفرست في القدرات السحرية المحيطة بي، مستشعراً طنين العشرات منها يسري تحت جلدي.

لماذا يبدو القتال ضد شخص من العاديين بطريقة غير عادية أمراً خاطئاً؟

حتى الآن، لم أستخدم سوى قوتي الجسدية الخالصة للقضاء عليهم، متجنباً اللجوء إلى أي قدرة سحرية. بدا الأمر أشبه بالغش لسبب ما، وأنا أفضل كسب معاركي بشرف ونزاهة. لم أطأ حتى تخوم قدرات القاتلين (فاتالز)، رغم أنني أستشعرها، جبارة ومهلكة. فاستخدام إحدى قدراتهم على الوجه الصحيح قد يتطلب سنوات من التدريب، لذا أكتفي بما أتقنه؛ القتل بيدي العاريتين وبالقدرات المألوفة من حولي.

هوى بسكينه طاعناً نحو صدري.

متوقع.

قبضت على معصمه ولويته بعنف، وبالكاد تناهت إلى مسامعي صرخة ألمه حين اندفع خنجره الآخر صعوداً، قاصداً قلبي. استدرت، متفادياً الطعنة المميتة بشق الأنفس، لأتلقى بدلاً منها جرحاً سطحياً على امتداد أضلاعي.

وبينما لا أزال قابضاً على ذراعه الملتوية، وجهت نصل سكينته عائداً نحوه بقوة مقبضاً على كتفه في الوقت ذاته. ثم جذبته إلى الأمام بعنف. انغرزت سكينته عميقاً في صدره، واتسعت عيناه في صدمة وهو يحدق إلى الأسفل نحو المقبض القابع في يده والشفرة التي استقرت الآن في صدره هو. ترنح وتهاوى نحو الممر الخرساني، لكنني كنت قد استدرت بالفعل قبل حتى أن يرتطم جسده بالأرض. ضغطت بيدي المخضبة أصلاً بالدماء على الجرح الجديد الذي شق أضلاعي، ومسحت الحشود بنظراتي. استقرت عيناى على كيت، أراقبه وهو يغمر من حوله بألسنة اللهب. ثمّة شيء غير مألوف في هذا.

لم يسبق لي أن رأيت أخي على هذه الحال قط. متعطشاً للدماء، وبالغ الوحشية هكذا. عادةً ما تُحجز هذه الصفات لي أنا، المنفذ المستقبلي، وليس لكيت، ملك إيليا المستقبلي، اللطيف والرحيم. لكنه الآن، يبدو مستشيطاً غضباً، متوحشاً بطريقة لم أعدها فيه من قبل. واصلت شق طريقي قتالاً عبر الحشود، محاولاً استراق نظرة للاطمئنان على أبي وأمي. انتابني شعور يمزج بين الارتياح والقلق حين لم أعثر لهما على أثر، آملاً أن يكون الإمبراطوريون قد وصلوا إليهما أولاً واقتادوهما بأمان عائدين إلى القلعة.

حينها فقط لاحظت مدى تضائل أعداد الحشود. انحرفت نظراتي لتلتقط طيف شخص يركض خارجاً من أحد الأنفاق ليتجاوز أسوار الصحن. ولحقه آخر، متسربلاً بدروع جلدية ومقنعاً بقناع أسود.

إنهم يحاولون الهرب.

وأنا أنوي اللحاق بهم.



الفصل 65

بيكان

يتمزق الفولان الحاد ساعدي بعمق. كنت قد قفزت بعيداً عن مسار النصل، لكنني رغم محاولتي، حصدت جرحاً حارقاً يمتد عبر ذراعي. أكتم صرخة ألم، وأنخفض بجسدي نحو الأرض، ساحبة خنجري من حذائي لأقبض عليه براحة يدي المتعركة.

يضحك الملك، موجهاً ضربة أخرى بسيفه نحوي، مجبراً إياي على التراقص حوله لتفادي التمزق إلى شرائط. من الواضح أنه يمتلك الأفضلية بفضل سلاحه الأطول الذي يكمل قدرته كقوي (براووني). لكنه، رغم ذلك، يبدو مترنحاً على قدميه بسبب الجرح الغائر في صدغه. لذا أفعل تحديداً ما اقترحه ساخرًا: أقرأ حركاته.

يترنح مع كل تلويحة، مضطراً لتثبيت نفسه قليلاً قبل محاولة تسديد ضربة أخرى. تتقدم قدمه اليمنى مع كل ضربة سيف، تليها نصف خطوة صغيرة بقدمه اليسرى. يمسك السيف بيده اليمنى، لكنه يحمل غمدين إلى جانبه، مما يخبرني أنه كان يحمل سلاحاً آخر في وقت ما، وأنه يجيد القتال بيده اليسرى أيضاً.



يلوح بسيفه مجدداً، وهذه المرة يوجه ضربة عالية، فتجبرني على الانحناء والتدحرج نحو اليمين. ندور حول بعضنا البعض، وابتسامته الملتوية تبدو واضحة حتى عبر ستارة المطر المنهمر.

أحتاج إلى الاقتراب منه. أحتاج إلى تشتيت انتباهه.

لأنني لن أبرح هذا المكان حتى أقتل هذا القاتل.

ولعل هذا لا يجعلني أفضل منه في شيء.

أصرخ فوق صوت الرعد المزمجر فوقنا:

– «لقد قتلتك! لقد قتلت والدي!»

أتقدم خطوة، فيهوي سيفه في قوس واسع كان ليشقني نصفين لو لم أتفاداه في اللحظة المناسبة. يترنح تماماً كما توقعت بعد ضربة كهذه، فأستغل الفرصة لأمرر خنجري عبر صدره. يشق النصل خطأً عبر قميصه وبشرته، تاركاً الدماء تتفتح في أثره.

يرتطم شيء صلب بصدغي، وتنفجر الرؤية في عيني في بقع ضبابية. أترنح إلى الخلف وأنا أرمش. ومن خلال رؤيتي المشوشة، ألمح صدر الملك المدمى والسيف الذي يقبض عليه، ومقبضه لا يزال ممتداً بعد أن هوى به على جمجمتي.

يضحك. لكنني أسمع الارتجاف في صوته. إنه قلق. يكره حقيقة أنني – فتاة من «حي النشالين»، عادية، ونكرة – قد تركت للتو علامتي عليه. أوه، سأفعل ما هو أكثر بكثير من مجرد ترك ندبة.

يقول وصوته يفيض بالضحك:

– «أجل، حسناً، لقد أخبرني صديق بنواياه وبأمر المقاومة التي كان

جزءاً منها. لذا، فعلت ما كان يتحتم عليّ فعله.»

تأخذني ضربة أخرى من سيفه على حين غرة، لتشق خطأً سطحياً عبر بطني قبل أن أندفع مبتعدة.

يقول:

– «لا تقلقي يا بيدن، لم أقتل والدك لمجرد بعض الشائعات، رغم أنني قتلت رجالاً لأسباب أهون من ذلك. لقد قتلته لضمان بقاء مجتمع النخبة الخاص بي.»

أبدو عاجزة عن استيعاب ما يقوله، ولعل ذلك يعود إلى الغضب الذي طمس كل منطق في عقلي. أبصق كلماتي قائلة:

– «اعترف بذلك. لقد كذبت لتخلق مجتمع النخبة الخاص بك. لا يوجد مرض ينشره العاديون. نحن لا نضعف أفراد النخبة ولا نسلبهم قدراتهم.»
يجيب:

– «فعلت ما كان ضرورياً، وأنت لا تملكين أي دليل.»
أختنق بكلماتي وأنا أقول:
– «أنت وحش.»

يقوم بحركة تشبه هز الكتفين ويقول:

– «وحش؟ ربما. الملك الأقوى الذي حظيت به إيليا على الإطلاق؟ بكل تأكيد. لا توجد مدينة تضاهي إيليا، ولا يوجد شعب يضاهي أفراد النخبة التابعين لي. وأنا أنوي إبقاء الأمر على هذا النحو.»

أنقض عليه، وخنجري يمزق الهواء. يصطدم فولاذ سيفه بفولاذ خنجري الأقصر بكثير، بقوة. بقوة شديدة. حتى وهو ضعيف، فإنه قوي (براووني) يمتلك قوة تفوق قوتي بأشواط. يطير خنجري من يدي، ويُطاح به إلى الأرض من فرط قوة الضربة.

لم أتردد حتى، ولم أمنح نفسي وقتاً للذعر، بل سارعت للإمساك بمعصمه الممتد، ودفعت ركبتي لتصطدم بمرفقه. امتزج صوت تهشم عظمه المثير للغثيان مع دوي الرعد المزمجر فوقنا.

انزلق السيف من يده وارتطم بالأرض بينما أطلق صرخة ألم.
ثم اندفعت الأرض لتلتقي بي.

لقد طرحني أرضاً مستخدماً كل ذرة من قوة الأقوياء وغضبه الأعمى الذي تمكن من استجماعه. ارتطم مؤخرة رأسي بالأرض الصلبة، وعدت فجأة أرى تلك البقع الضبابية. لا أستطيع الرؤية.

أرمش بعنف، محاولة يائسة لتصفية رؤيتي. رأسي ينبض بشدة، وأشعر وكأنه ينشطر إلى نصفين، وربما كان كذلك بالفعل. سائل ساخن ولزج ينزف من مؤخرة رأسي، وحتى في حالتي الضبابية، أوقن أن هذه ليست علامة مباشرة.

تبدأ رؤيتي في العودة ببطء، وتصفو بما يكفي لأرى ما يخيم فوقى. الملك، يقبض على سيفه بذرعه السليمة، وابتسامة تلتوي على شفثيه المتشققتين. لا.

أجاهد للجلوس، لكن ثقلًا هائلًا يدفعني عائدة إلى الأرض. قدمه المنتعلة حذاءً ثقيلاً تسحق أضلاعي، وتثبتني تحته بلا حول ولا قوة. ليس هكذا. أرفض أن أموت هكذا.

يبدو صوتي غريباً في أذني، مبحوحاً ومذعوراً وأنا أسأله:

– «هل هذا هو كل ما تهتم لأجله؟ السلطة؟ حكم مملكة من النخبة؟ ألا تعني حياة البشر شيئاً بالنسبة لك؟»
يبرطم بغضب:

– «العاديون هم عذر بائس للحياة. إنهم عار. كان يجب أن يموتوا مع الطاعون، لكنهم بدلاً من ذلك أصبحوا طاعوننا. لقد خططت لهذا اليوم طويلاً، منتظراً اللحظة التي أتمكن فيها من تخليص نفسي من هذه المقاومة. وأفترض أن الفضل يعود إليك في إسقاطهم.»

كانت ابتسامته ملتوية، ورأسي ينبض ألماً وأنا أحاول استيعاب ما يقوله. يتابع وعينه الباردتان تخترقانني بينما ينحني قليلاً:

– «فقط الأقوى، والأكثر نفوذاً، هو من سينتصر. البقاء للأصلح، والأصلح هم النخبة.»

يعتدل في وقفته، ولا يزال حذاؤه يسحقني تحته، ويقول ضاحكاً وكأنه قال شيئاً طريفاً:

– «إذن، أين كنا؟ آه، أجل. كنت أخلص مملكتي من شخص عادي آخر لا قيمة له.»

يوجه طرف سيفه للأسفل نحوي، فأتلوى تحت حذاءه.
إنه قوي جداً وأنا ضعيفة جداً—
يقول:

– «لسوء الحظ، أصبح كاي أكثر مهارة مني حين يتعلق الأمر باللعب بفرائسه. لقد كان سريع التعلم بحق. أنا من علمه كل ما يعرفه، هل أخبرك بذلك؟ يعود الفضل لي في قسوته.»

أرتجف حين يلامس طرف سيفه الحاد بشرة وجنتي، فوق فكي مباشرة.
ثم يسحبه ببطء إلى الأسفل.

ربما أكون قد صرخت – لست متأكدة. كل ما أدركه هو ذلك الألم البطيء والممزق الذي يمتد من فكي نزولاً إلى عنقي. تتدفق الدماء الساخنة من الجرح وتتجمع على بشرتي، بينما يلسع المطر الجرح المفتوح. أشعر بفمي يتحرك لكنني لا أسمع شيئاً يخرج منه، سوى طنين يعصف بأذني.

يبتسم حين يوقف سيفه أخيراً عند عظمة ترقوتي ويقول:

– «هذا ممتع للغاية. لكن ربما كان يجدر بي أن أترك لكاي هذا الشرف، هم؟»

أشعر بالغثيان، ولا أشم سوى الرائحة المعدنية لدماي. يلامس الفولان البارد بشرتي مجدداً، مجمداً حركتي ومسكناً معدتي المضطربة. لقد اختار البقعة الواقعة أسفل عظمة ترقوتي الأخرى مباشرة – فوق قلبي تماماً.

يططق بلسانه ويقول:

– «أنا منبهر تقريباً بأن هذا القلب المثير للشفقة لا يزال ينبض. بعد كل الخيانات، وانكسار القلب، وتجارب الاقتراب من الموت التي تمكنتِ بطريقة ما من تحملها بصفتكِ شخصاً عادياً.»

أزمجر، رافعة رأسي عن الأرض رغم ثقله الهائل:

– «كل ما تحملته كان بسببك أنت.»

يرد وكأنه غارق في التفكير:

– «همم. صحيح تماماً.»

ينتفض جسدي إثر ألم معمي مجدداً حين يحفر سيفه خطأً فوق قلبي. تفلت مني صرخة مخنوقة، تكاد تغرق كلماته الهادئة. يقول:

– «إذن سأترك علامتي على قلبك، خشية أن تنسي من كسره.»

كانت طعناته عميقة وبطيئة حد إثارة الغثيان. يعيد تمرير النصل فوق كل خط حفره مراراً وتكراراً بينما تتمزق الصرخات في حنجرتي. أغمض عيني هرباً من الابتسامة الملتوية على وجهه، عاجزة عن تحمل النظر إلى هذا الرجل للحظة أخرى. لا، ليس رجلاً. بل وحش.

تنساب الدموع على وجنتي رغماً عني، ممتزجة بالمطر والدماء المتناثرة على وجهي. أعرف تماماً ما يحفره على بشرتي، ويمكنني الشعور به مع كل تمريرة من سيفه. إنه يوسمني قبل الموت، وهذا الألم يكاد يفوق العذاب الذي يعتصر جسدي.

لا أعلم كم من الوقت مضى حين رفع سيفه أخيراً ليتأمل صنيعه.

يقول بنبرة عابرة وقاسية للغاية:

– «هكذا أفضل. شيء تتذكريني به في الحياة الآخرة.»

ثم يرفع سيفه، موجهاً نصله نحو صدري.

لا. لا، لا، لا.

يبتسم قائلاً:

– «طعنة تخترق الصدر. البنت سر أبيها.»

لا يمكنني أن أموت.

ينتصب الملك فوقى، قابضاً على مقبض السيف، رافعاً إياه عاليًا، عاليًا–
لن أموت.

كنت يائسة، ومندفعة بالجنون. حتى رفع ذراعيّ كان يرسل ألمًا صاعقًا
عبر جسدي، لكنني تجاهلته، وغرست أصابعي في حذائه القابع فوق صدري؛
إحدى يديّ تطوق كاحله، والأخرى تقبض على المقدمة الجلدية للحذاء.

وبكل ذرة قوة متبقية لديّ، لويت قدمه.

تأوه متألماً، وترنح فاقدًا توازنه.

ممتاز.

جذبت قدمه للأمام بقوة. كانت إصابته في رأسه، متظافرة مع الإصابات
التي تفضلت بمنحها إياه، قد أضعفته وجعلته يترنح.

فهوى مرتطمًا بالأرض المبتلة بصوت مكتوم.

لم أتردد قبل أن أزحف نحو السيف الذي انزلق من يده. كنت أزحف،
بينما امتزج الألم بالأدرينالين ليخلقًا مزيجًا خطيرًا من التهور. أطبقت يد خشنة
على كاحلي، تسحبني إلى الخلف عبر الوحل.

صرخت، يائسة ومذعورة، بينما لامست أصابعي مقبض السيف قبل أن
أُسحب بعيداً. التفت برأسي لأرى وجه الملك مشوهاً بالغضب، وملطخاً بالدم
والوحل بالتساوي. ركلت للخلف بأقصى ما سمح لي به جسدي المحطم،
وحين سمعت صوت تهشم، عرفت أن كعبي قد أصاب هدفه.

صرخ الملك، وخرج الصوت متبقبعا بينما تدفقت الدماء من أنفه المحطم
إلى فمه. انتزعت كاحلي من قبضته واندفعت نحو السيف، مطبقة أصابعي
أخيراً حول مقبضه.

سحبت نفسي لأقف على قدمي، وكل حركة كانت تن أَلَمًا. كنت مغطاة بالدماء، ومبللة حتى العظم بسبب المطر المنهمر. ترنحت نحو الملك، أتنفس بصعوبة بينما أجر السيف عبر الوحل خلفي.

الآن، أنا من يحلق فوقه. من المضحك كيف انقلبت أدوارنا بهذه السرعة. أنا، على وشك سلب حياة. وهو، الحياة التي أوشك على سلبها.

كشر عن أسنانه الملطخة بالدماء، وسأل:

– «ألا تريدان معرفة من قتل والدك يا بيدن؟»

جعلتني تلك الجملة الوحيدة أوقف السيف الذي كنت على وشك إغماده في صدره. أطلق ضحكة مبحوحة قبل أن يختنق بدمائه.

قلت من بين أسناني المطبقة:

– «أعرف بالفعل من كان. لقد رأيتك تغمد السيف في صدره.»

أعدت انتباهي إلى السلاح المقبوض في يدي، عاجزة عن تحمل هذا أكثر، ومستعدة لـ-

قال:

– «خطأ.»

تسمرت في مكاني قبل أن أردد:

– «خطأ؟»

أفلتت منه ضحكة لاهثة أخرى، ولم أنتظره حتى يتوقف عن سعال الدماء، بل غرست طرف نصل سيفي في صدره وأنا أقول ببطء:

– «لقد كنت أنت.»

سعل كلماته التالية بصعوبة:

– «من المضحك كيف يمكن للعقل أن يجعلنا نرى ما نتمنى رؤيته. لقد كنت تكرهيني بالفعل لما فعلته ببني جنسك، لذا لا بد أنه كان من السهل إقناع نفسك بأنني أنا من غمد ذلك النصل في صدر والدك.»

تمددت ابتسامة دموية على شفثيه وتابع:

– «لكنه لم يكن أنا.»

همست وأنا أضغط بالسيف أعمق في صدره:

– «كاذب.»

كانت كلماته التالية أقرب إلى همس هستيري:

– «دعنا نقول فقط إن لقاءك الأول بأمير لم يكن حين أنقذت كاي في

الزقاق.»

لا. لا.

– «بل كان حين قتل والدك.»

دار العالم من حولي، مهدداً بطرحي أرضاً.

هذا لا يمكن أن يحدث. إنه يكذب. إنه كاذب. إنه—

تابع الملك بابتسامة دموية تستحضر الذكريات:

– «كانت جريمته الأولى أيضاً. كانت المهمة الأولى التي أرسلته فيها،

وأظن أن الفتى ربما بكى بعدها. انظري إلى أي مدى وصل الآن. انظري إلى

مدى جودة تدريبي له. الآن يقتل بأمرى وبالكاد يرف له جفن أمام عشرات

الأرواح التي تُحصد على يديه.»

بالكاد استطعت التنفس. الفتى الذي علمني كيف أرقص، وداوى جراحي،

وسألني عن لوني المفضل تحت النجوم—

اختنقت بكلماتي:

– «أنت تكذب.»

أطلق ضحكة مبحوحة وقال:

– «لا، أنت من تكذبين على نفسك يا بيدن.»

بدت ذكرى الليلة التي مات فيها والدي فجأة مشوشة للغاية، وغير

واضحة. حيث ظننت يوماً أنني رأيت وجه الملك، أرى الآن جسداً ضبابياً. لا

يمكنني تبين أي من التفاصيل، ولا يبدو أنني أستطيع تذكر أي شيء عن قاتل

والدي.

هزرت رأسي. لا يمكنني التفكير في هذا الآن. أرفض أن أسمح لأفكاري المتضاربة حول كاي بتشتيتي عن المهمة التي بين يدي.

لأنني الآن سأقتل والده.

مرة أخرى، أجد التماثل أمرًا يثير الغثيان.

لن أفشل.

ابتسامة الملك دموية.

لن أتردد.

تبعها ضحك هستيري ساخر.

لن أشعر بالندم.

قال:

– «ضعيفة. تمامًا مثل والدك»–

أخرسه السيف الذي غمدته في صدره في لمح البصر.

كانت كلماتي التالية جوفاء، وهادئة ببرود مرعب:

– «هذا من أجل والدي.»–

أطلق شهقة لاهثة وضعيفة وهو يرفع رأسه عن الأرض ليحرق في الخراب

الذي أحدثته. اتسعت عيناه عند رؤية سيفه الخاص مغمورًا بعمق في صدره.

تبعته شهقته غرغرة، وتدفقت الدماء من زوايا فمه وتفجرت من جرحه.

لا شيء – لم أشعر بشيء تجاه هذا الرجل الذي يموت عند قدمي، والذي

يموت على يدي.

لويت مقبض السيف، فانتزعت صرخة من الملك بينما يتمزق المزيد من

لحمه، وقلت:

– «وهذا من أجل أدينا.»–

أطلق شهقة مخنوقة حين انتزعت السيف، وألقيت به على الأرض.
استدرت، لأجد خنجري ملقى على بُعد أقدام. كان كل خطوة نحوه تجعلني
أشعر بقوة أكبر، رغم أن كل جرح كان يضعف جسدي.

كان المقبض الفضي المتموج لخنجر والدي زللاً بمياه المطر، والدم،
والوحل – مثلي تماماً. انحدرت قطرات الماء على وجهي، تلسع جراحي
المفتوحة وأنا أقلب الخنجر في يدي. قلبته مرة، مرتين، مستشعرة وزنه
المألوف.

قلت:

– «وهذا من أجلي أنا أيها الوغد.»
وأطلقت العنان للخنجر ليطير.



الفصل 66

بيد

يجد النصل هدفه، موجهاً بكراهيتي، وبانكسار قلبي، وبانعدام رحمتي. يغوص في منتصف حنجرتي، ليُخرس أنفاسه المبحوحة في الحال. أرتجف بكليتي، أطلع جثة قاتل يحدق بدوره في المخلوق الذي تحول للتو إلى قاتل مثله.

يتدلى رأس الملك إلى الجانب وخنجر والدي مستقر في حنجرتي، وعيناه متسعتان ومتربقتان. تنزلق دمة على وجنتي، تمتزج بقطرات المطر المتدحرجة على وجهي. أمسحها بيدين ملطختين بالدماء، غير واثقة من سبب رغبتني في البكاء.

هل هو الندم؟

لا. ليس الندم. ليس تأنيب الضمير. ولا أي شيء يمت بصلة للشعور بالذنب.

إنه الارتياح.

أخطو خطوة مترنحة نحوه، عازمة على انتزاع خنجري والهرب. شيء ما يخطف بصري.



أستدير نحو الحركة رغم صراخ جسدي محتجاً. تستقر عيناى على
عينين لامعتين لا ترمشان. كانت الفتاة صغيرة، ذات بشرة داكنة وشعر أشد
دكنة. ترمش، وتصفو عيناها قبل أن تستقر نظرة رعب على وجهها.
ثم تنطلق راكضة.
متبصرة.

أرمش تحت المطر، أراقب طيف الفتاة المبتعدة التي يرجح أنها سجلت
للتو مشهد قتلي للملك. بالكاد أملك الوقت لاستيعاب ذلك قبل أن أسمع دوي
خطوات ثقيلة تتردد عبر النفق الحجري إلى يميني.
أتردد.

خنجري.

أحتاجه. يجب أن أستعيده. أنا-

أياً كان من يقترب عبر ذلك النفق، فإنه قادم بسرعة. يجب أن أخرج من
هنا الآن. لا أملك أدنى فكرة عما إذا كان هذا الشخص صديقاً أم عدواً، ولا
أنوي اكتشاف ذلك.

لا أملك لحظة لأهدرها. ولا ثانية واحدة لالتقاط مقتنياتى الأثمن، وقلبي
المكسور هو جرحي الأكثر إيلاًماً الآن.
ثم انطلقت أركض.

كل جزء في يشتعل. جسدي يصرخ، ملطخاً بالدماء، ومترنحاً من الوهن.
لكن لا يمكنني التوقف. بمجرد أن أبتعد في الطريق، ستكون هناك غابة إلى
يميني و-

يئز سكين متجاوزاً إياي، ليلامس ساعدي بصله الحاد.
أستدير برأسي وأتعثر متوقفة عند رؤية ما أمامي.

كل إنش من جسده مغطى بالدماء. شعره فوضى من التموجات الحبرية،
لزوج بالعرق ومخطط بالدماء. يمسك بشفرة رفيعة بين أصابعه، ويده مرفوعة
ومستعدة لإطلاقها نحوي.

وتتضح الرؤية وتتطابق القطع في عقلي بمجرد رؤيته.

أجد نفسي فجأة أعود إلى منزلي القديم، مختبئة خلف باب متصدع بينما أراقب سيفاً يغوص في صدر والدي. السيف يقبض عليه فتى بشعر أسود مموج، فتى بعينين رماديتين تفيضان بالخوف، فتى تحول للتو إلى قاتل. أرتجف وأنا أمسح بعيني ذلك الشعر الأسود ذاته، وتينك العينين الرماديتين ذاتهما، والقاتل ذاته الماثل أمامي. رؤيته الآن جعلت ذكرى تلك الليلة أوضح من أي وقت مضى.

تتطابق قطع الأحجية التي تمثل ذاكرتي المشتتة في أماكنها.

في تلك الليلة البعيدة، أوهمتني ذاكرتي بأن الملك هو من قتل والدي، وجعلتني ألقى باللوم على الرجل الذي كنت أكرهه سلفاً. وبطريقة ما، الملك هو من قتله، ولكن ليس بيده. بل ابنه هو من غمد النصل في صدر والدي.

تنتفض أنفاسي وأنا أحرق فيه.

أصبح كل شيء منطقياً فجأة.

الانجذاب. الارتباط. الألفة. كنت منجذبة إليه بسهولة لأنني في أعماقي كنت أعرفه، وأدركته، وتذكرته. كان مألوفاً لي. والآن قاتل والدي على وشك أن يقتلني.

نتبادل النظرات، وأرى الفتى الذي كان أداة الموت في يد الملك طوال حياته، مأموراً ومحكوماً ليكون قاتلاً. لقد صُنع ليكون هكذا. صُنع ليكون مرآة للوحش الذي يمثله والده - الذي كان يمثله.

لكن هذا لا يجعله أقل ذنباً في كونه قاتلاً.

عيناه هما ما يثير الفزع أكثر من مظهره الممزق والحانق. تلك النظرة الرمادية تشبه الدخان المتصاعد من أشد النيران حرارة، ومع ذلك، فهي باردة كشظايا الجليد، وثاقبة كأطراف النيازك الجليدية. تخون تينك العينان الرعب الذي يشعر به، وتبدوان تماماً كما كانتا في الليلة التي رأيتها يسلب فيها أول روح.

لقد فعلت هذا به. لقد قتلت والده.

لكنه قتل والدي أولاً.

إنه يعرف ما فعلته. أشك في أنه قد ينسى الشكل المميز للخنجر الذي ضغطت به على حنجرته مرات عديدة – الخنجر ذاته الذي يبرز الآن من حنجرة والده.

ومع ذلك، أخطأني سكينه.

كاي لا يخطئ هدفه. إلا إذا أراد ذلك.

يقول:

– «ماذا فعلت بي؟»

كادت كلماته تضيق في العاصفة، لكنها جمدتني حتى العظم أكثر مما قد يفعله المطر المنهمر أبداً. لقد سمعت هذه الكلمات ذاتها تسقط من شفتيه من قبل، حين كانتا تلامسان شفتي. لقد شعرت بهذا المطر يبرد بشرتي المحمومة حين كنا على بُعد إنشأت من بعضنا. لقد شعرت بنظراته الرمادية مسلطة علي من قبل – حين كانت مثقلة بالحرارة بدلاً من الكراهية.

«باي الجميلة، ماذا فعلت بي؟»

كيف يمكن للحظة واحدة أن تعكس أخرى بهذه الطريقة المروعة؟ هل كان الأمس فقط حين صاغت شفاته هذه الكلمات بلهفة، واليوم بصياغة يغلفها المقت؟

لكن التشابه الوحيد بين الليلة الماضية وهذه اللحظة هو نيران وقوة المشاعر التي تملأ عينيه. بسقوط قناعه، يقف بلا حماية، سامحاً لي بلمح الحزن الذي يغشى ملامحه بوضوح.

ارتجفت يده التي تقبض على السكين والمستعدة للضرب في الهواء. أكاد أرى القطع تتطابق في عقله، وإدراكه لحقيقتي ولما فعلته.

يرجع ذراعه أكثر إلى الخلف، مستعداً لغرس نصله في صدري. أغمض عيني، وأثبت قدمي، متقبلة مصيري.

أنا أتألم. كل شيء يؤلمني. ربما أستحق هذا الموت. ربما أبتغيه حتى-
قاطع أفكاري البائسة صرخة اختناق يائسة جعلت عينيّ تفتحان على
وسعهما. كانت يدا كاي تتخللان شعره، ورأسه منحني. وحين التقت عيناه
بعينيّ أخيرًا، تخرقان المطر والمسافة التي فصلنا، رأيت المعركة المستعرة
داخله.

إنه يعرف ما يجب عليه فعله، ومع ذلك لا يفعله.

ارتجف صوت كاي كما ارتجفت يداه:

- «يجب أن أغمد هذه الشفرة في حنجرتك.»

وكان يمكنه فعل ذلك بسهولة. لا أملك أسلحة، ولا إرادة، ولا طاقة
لمحاولة إيقافه.

بدا صوتي ممزقًا كما أشعر:

- «إذن افعلها.»

كان يهز رأسه، ويبدو مشمئزًا من نفسه بقدر اشمئزازه مني، وقال:

- «سأفعل. يجب عليّ ذلك.»

تجهّم وجهه وهو يقبض على الخنجر الموجه نحوي. ومزق حنجرتي
صوت محبط آخر. مرر يديه الملطختين بالدماء عبر شعره، وهز رأسه ناظرًا
إلى الأرض.

- «إذن لماذا لا أستطيع فعل ذلك؟»

والآن كان يحدق في السلاح الذي بيده، السلاح الذي يمكنه من سلب
حياتي بسهولة.

- «لماذا أصبح جبانًا فجأة حين يتعلق الأمر بك؟ لماذا أكرث فجأة حين
يتعلق الأمر بك؟ لماذا لا أستطيع إلقاء هذا السكين اللعين على قاتل والدي؟!»

كان صدره يعلو يهبط بسرعة مع كل نفس متقطع. أما أنا، فأظنني توقفت
عن التنفس تمامًا حين قال:

– «أخبرتكَ أنني أحمق حين يتعلق الأمر بك، ويبدو أنني كنت محقاً. أنا أحمق حين يتعلق الأمر بك.»

كانت كلماته التالية هلاكاً ومع ذلك هادئة بخداع:

– «ربما حين أخلص نفسي منك، سأستعيد شجاعتي. لذا سأمنحك أفضلية البداية.»

رمشت نحوه. بدت قدماي وكأنهما مسمرتان في الأرض. لم أتحرك قيد أنملة، كنت مصدومة ومذعورة لدرجة أنني لم أستطع سوى التحديق. تابع بمرارة وهو يستحضر ذكرى الهجوم بعد الحفل الراقص الأول حين ضمدت جرحه:

– «على الأقل وفيت بوعدك. بقيت على قيد الحياة لفترة كافية لتطعنيني في ظهري. والآن أعدك برد الجميل.»

تهدج صوته من فرط المشاعر:

– «اركضي يا بيدن. لأنني حين أمسك بك، لن أخطئ. لن أتردد. ولن أقترف خطأ الشعور بشيء تجاهك.»

تجمدت في مكاني، لا أزال واقفة تحت المطر المتجمد.

صرخ وصوته ينكسر:

– «اذهبي! اذهبي قبل أن أجد شخصاً ليس جباناً، شخصاً ليس أحمقاً، وأدعه يغمد هذا الخنجر في ظهرك هنا والآن.»

ترنحت، وتعثرت على الأرض غير المستوية قبل أن أستدير مبتعدة عنه.

ثم انطلقت راكضة مرة أخرى كما وجدت نفسي أفعل طوال اليوم، وطوال حياتي. ألقيت نظرة من فوق كتفي، لألمح كاي يجثو على ركبتيه بجوار الملك وعيناه مسلطتان عليّ.

ابتلعت المشاعر التي كانت تחדش طريقها في حنجرتي، مهددة بالفيضان من عينيّ الحارقتين.

ولم أنظر خلفي.



الفصل 67

كاي

كيف كنت أعمى وغافلاً إلى هذا الحد؟

أراقب طيفها المبتعد وهو يتضاءل، أراقبها تهرب مني - تهرب من قاتل.
إلا أنني لم أتصرف كالشخص الذي ولدت لأكونه.
لم أتصرف كالقاتل الذي صُغت لأكونه.
تركتها ترحل.

تركتها ترحل.

نظرت للأسفل إلى خنجرها المقبوض في يدي، نصله الحاد ملطخ بالدماء.
دماء والدي.

انزلت عيناى إلى جسده الهامد، إلى العينين المحدقتين بجمود نحو
المكان الذي لا بد أن بيدن ألقت منه خنجرها. مددت أصابعي المرتجفة
وأغلقتهما، عاجزاً عن تحمل رؤية عيني كيت هامدتين هكذا.

لم أذرف دمعة واحدة.

أشعر بالخدر.



أشعر بالصدمة.

أشعر بالخيانة.

هل كان أي شيء حقيقياً بالنسبة لها؟ هل كان كل شيء كذبة؟ مجرد ادعاء؟

أعلم أن أفكاري يجب أن تنصب على الملك الميت الذي أجتو بجواره، لكنها تأبى إلا أن تعود إليها.

لم أتمكن قط من استشعار قدرتها. كانت محصنة ضد الخامدين. ولم يمسه أحد من المقاومة بسوء حين هاجموا.

لأنها عادية.

لأنها جزء من المقاومة.

حسناً، كانت كذلك. لم يعد هناك الكثير لتكون جزءاً منه بعد اليوم.

كيف لم أر ذلك من قبل؟

هزرت رأسي، وأنا أعرف مسبقاً إجابة هذا السؤال.

لأنني كنت أعمى بكل تفاصيلها.

لقد قتلته. قتلت الملك. قتلت والدي.

ومع ذلك تركتها ترحل.

لكن ليس لفترة طويلة.

وقفت على قدمي، ناظراً للأسفل إلى الملك الميت قبل أن ترتفع نظراتي إلى البقعة التي تمثلها، والتي أصبحت بالكاد مرئية الآن عبر المطر.

لم يسبق للقب المنفذ أن أثقل كاهلي بمثل هذا الوزن.

سيتعين عليّ العثور عليها.

وحين أفعل، سأكون قد استعدت شجاعتي.



الفصل 68

بيد

لم أتوقف عن الركض حتى تعثرت داخل الغابة المحاذية للطريق المؤدي إلى المنزل. وسرعان ما استبدل الركض بالتعثر حين تشابكت الجذور بكاحليّ واصطدمت الحجارة بأصابعي. لم يبطئ المطر محاولاته لإغراقي بعد، بل واصل جلد كل جرح من جراحي المفتوحة.

تلمست بإصبعي الجرح الغائر الممتد من فكي وصولاً إلى عنقي، متتبعة برقة المسار الممزق والدامي الذي أعلم أنه لن يعود كما كان أبداً. ثم تعثرت أصابعي عبر صدري، لتتوقف فقط حين لامست البشرة الممزقة فوق قلبي مباشرة. جفلت، وتمنيت لو كان ذلك بسبب الألم.

حرف العين.

أتتبع الخطوط المتعرجة التي تشكل ذلك الحرف الوحيد. ذلك الحرف الذي سيترك ندبة أبدية، مشوهاً إياي بذكراه وبحقيقة ما أكون.

حرف العين الذي يرمز إلى «عادي».

الوسم ممزق تماماً كالقلب الذي بالكاد ينبض تحته.



ترنحت للأمام، ويدي تضغط على حرف العين المحفور في بشرتي وكل معنى يقبع خلف هذا الحرف الذي يبدو بسيطاً.

لفت انتباهي وميض لون ساطع وسط أوراق الشجر الداكنة في الغابة الرطبة. تشظى قلبي عند رؤيته، وانعصرت رئتاي وارتجفت ساقي. بالأمس فقط كان هذا المنظر يرسم ابتسامة على وجهي، حين دُسّ هذا الرمز في شعري بيدين قويتين وأصابع واثقة.

«زهرة (لا تنسيني)، بما أنك تبدين دائماً وكأنك تنسين من أكون.»

حدقت في باقة الزهور الزرقاء، التي تسخر مني بذكرى اللمسات المسروقة، والوعود الصامته.

الآن، كل ما تبقى هو صرخات الانتقام، وعينان فولاذيتان لا تعدان بالرحمة، وخنجر فضي مسروق عزيز جداً على قلبي، ومع ذلك من المرجح أن يكون النصل الذي سيخترق قلبي.

«لا يهمني على الإطلاق إن نسيت لقي ومنصبي، طالما أنك تتذكرين ما أعنيه بالنسبة لك.»

فتحت فمي لأضحك، لكن شهقة باكية انزلت من شفتي بدلاً من ذلك، إذ قرر جسدي أن يرتجف ألماً بدلاً من السخرية.

أوه، أنا أتذكر من يكون بالنسبة لي.

كيف لي أن أنسى قاتل والدي؟

ترنحت للأمام، أرمش عبر السيل المستمر من المطر والدموع.

سائل سميك وحاد يتدفق على وسمي، وعلى جسدي، وعلى كياني بأكمله.

عسل.

هذا ما أقوله لنفسي.

إنه مجرد عسل.



خاتمة

كبرت

مرت ثلاثة أيام منذ أن رأيت والدي ملقى ميتاً في الوحل.
ثلاثة أيام منذ آخر مرة نمت فيها.

ثلاثة أيام منذ أن تمكنت من إغماض عينيّ دون رؤية جسده الملطخ
بالدماء.

ثلاثة أيام منذ أن هاجمت المقاومة في التصفية الأخيرة.

ثلاثة أيام منذ أن تحولت الفتاة التي وثقت بها، الفتاة التي كبرت رغبتني
فيها، إلى قاتلة وخائنة.

ثلاثة أيام منذ أن أصبحت ملكاً.

التاج على رأسي ثقيل، تماماً كما ثقلت جفوني، وتماًماً كوزن المملكة
الذي أُلقي الآن على كاهلي. أرمش لأستيقظ، مذكراً نفسي بما سأراه إن
استسلمت للإرهاق. والدي الحقيقي الوحيد، ميتاً. الوالد الذي أمضيت حياتي
بأكملها أحاول إرضاءه وجعله فخوراً. يرقد هامداً بجواري. وركبتاي تغوصان
في الوحل بينما تتساقط دموعي على صدره المدمى، وعنقه المذبوح—

أسكت الأفكار الصارخة التي ترددت في مجتمتي لعشرات الساعات.
تعود نظراتي إلى كرسي والدي المفضل، بجلده البني المهترئ من سنوات



الجلوس. أجد نفسي أتأمله كثيرًا، حتى عندما كان حيًا وجالسًا عليه، يوقع المعاهدات ويضع الاستراتيجيات.

كنت أدرس كل ما يفعله.

قبل أن يُقتل بوحشية.

– «كيت.»

كاي.

منفذي.

يخطو إلى داخل غرفة المكتب بعد نقرة خفيفة بمفاصل أصابعه على الباب المفتوح، وبدا صوته خجولًا تقريبًا. كدت أضحك عند رؤية كاي يبذل قصارى جهده ليكون حذرًا حولي. إنها محاولة نبيلة، رغم أنني لم أطلب شفقتة.

أنا لست مثل كاي. لست هادئًا ومتماسكًا وأرتدي دائمًا قناعًا مبنياً بعناية حول معظم الناس. مشاعري معروضة بالكامل، وقلبي على كفي. أنا كيت، الأخ الذي يُفترض أن يكون لطيفًا وساحرًا. الذي قيل إنه سيصبح ألطف ملك شهدته إيليا على الإطلاق.

خطأ.

أشعر بأي شيء إلا اللطف. أشعر بكل شيء إلا اللطف.

أشعر بالغضب والحزن. بالنقص والخواء. باليأس و–

– «أردت رؤيتي؟»

كانت كلمات أخي خافتة، وتبدو قلقة قليلًا.

ويحق له أن يقلق. كيت اللطيف لا يتصرف بجنون. كيت اللطيف رحيم، وليس قاتلاً.

لقد تغير كيت اللطيف.

الحزن لعنة قاسية.

– «أجل. تفضل بالجلوس.»

أشرت بعفوية إلى كرسي كاي المعتاد. انزلت عيناه إلى كرسي والدي المهترئ قبل أن يجلس، ويضع كاحلاً فوق ركبته.

انحنى للأمام، وعيناه تبحثان في عيني عن إجابات لن يجدها وسأل:
- «كيف حالك يا كيت؟»

كسر القلق الذي يملأ صوته شيئاً في قلبي - القلب الذي أصبح شديد البرودة على مدار الاثنتين وسبعين ساعة الماضية. رقت نظراتي قليلاً، متحولة للحظة إلى كيت الأخ أكثر من كيت الملك. إنه لا يزال أخي، لحمي ودمي الوحيد المتبقي. ولربما كان الشخص الوحيد المتبقي لي.

- «أنا... أتدبر أمري.»

أتدبر أمري؟ أي إجابة بحق الجحيم هذه؟
تنحنحت وسألت:

- «كيف حال،»

ترددت قبل أن أضيف:

- «أمي؟»

إنها ليست أمي. أمي ماتت، تماماً مثل والدي.
أجابني كاي بابتسامة باهتة:

- «إنها... تتدبر أمرها. ترفض مغادرة غرفتها. وكأن حزن فقدانه يقتلها ببطء...»

تلاشى صوته، وأعاد انتباهه نحو كرسي والدي المهترئ ليشئت نفسه عن الكلمات غير المنطوقة.

- «أفهمك.»

لقد فهمت حقاً. أتفهم بماذا تشعر. كيف يبدو الأمر حين تُبتلع وتُخنق بالحزن إلى هذا الحد.

انتقلت عيناى إلى كاي، متأملّة كتفيه المتصلبتين، ومفاصل أصابعه المجروحة والملطخة بالدماء.

أرثي لحال من أو ما ضربه ليشئت ذهنه عن الأمور.

كدت أطقق بلساني عليه، راغباً في توبيخ أخي الصغير لارتدائه ذلك القناع البارد حولي. لم يفعل ذلك قط، لم يغلق مشاعره عني قط كما يفعل الآن.

لست متأكداً مما كان يشعر به كاي تجاه والدنا، لكنني أعلم أنه لم يهتم لأمره أبداً كما أفعل أنا - كما كنت أفعل. لربما كان مزيجاً من الحب والكراهية الذي شعر به تجاه الرجل الذي جعله على ما هو عليه. الرجل الذي كان ملكاً بالنسبة له، وليس أباً.

أما بالنسبة لي، فقد كان والدي أساسي. كان هو من سعيت لأكون مثله، ومن تقت لأن أنال محبته. لكنه الآن ميت، وما زلت مستعداً لفعل كل ما يتطلبه الأمر لأجعله فخوراً. لقد أمضيت حياتي بأكملها أنتظر أن أسير على خطاه، وها أنا ذا، أحاول فجأة أن أملأ مكانه. وسأفعل ما يجب فعله، حتى يكون فخوراً بي في موته.

لمحت أخي، مدركاً أنه يشعر بالحزن أيضاً. رغم علاقتهما القاسية، إلا أن كاي خسر الرجل الذي دعاه أباً، حتى وإن كان باللقب فقط. يمكنني لمح هذا الحزن يختلس النظر من بين فكيه المطبقين بشدة، وتجعية حاجبيه الدائمة، واهتزاز ركبته المستمر.

لكنني أعلم أنه يحد على أكثر من شخص.

أعلم أنني أفعل ذلك.

- «كاي».

انتقل انتباهه إليّ فجأة فتابع:

- «لقد تمت مراسم تتويجي، واكتملت مراسم دفن والدي».

توقفت لبرهة، محتاجاً للحظة لأمسح المشاعر من حنجرتي وأضفت:

- «وأنت الآن منفذي الحقيقي».

أوماً ببطء، مدركاً كل هذه المعلومات سلفاً. فأردفت:

– «لذا، حان الوقت لمهمتك الأولى.»

أوماً مجدداً، ببطء شديد. إنها إجراءات شكلية. كلانا يعلم أنه لا يستطيع الرفض حتى لو أراد ذلك. لقد أقسم على تقديم خدماته لي رغم مدى الغرابة التي أصبحت تتسم بها ديناميكتنا. كنت أعلم أنني سأحكم أخي يوماً ما، لكنني لم أظن أن ذلك اليوم سيأتي بهذه السرعة، وبهذه المباغته.

رسمت ملامح حيادية على وجهي وقلت:

– «اعثر عليها.»

وهنا سقط قناع كاي. انزلق، لتغمر وجهه مشاعر توالى بسرعة أكبر من أن أتمكن من تفسيرها. لكنني لست أعمى. لقد رأيت كيف أثرت عليه. رأيت كيف تخلّى عن حذره في حضورها، وهو أمر كان يخصصه لي وحدي. يبدو أنها أخذت أفضل ما فينا قبل أن تطعننا نحن الاثنين في الظهر بطعناتها لوالدنا في صدره وحنجرته.

الوالد الوحيد الحقيقي لي، ميت. الوالد الذي أمضيت حياتي بأكملها أحاول إرضاءه وجعله فخوراً. يرقد هامداً بجواري. وركبتي تغوصان في الوحل بينما دموعي-

تحدثت فوق الحزن الصارخ في رأسي:

– «أريدك أن تعثر عليها، وأريدك أن تحضرها إليّ.»

لم ينظر كاي إليّ وهو يحني رأسه في إيماءة واحدة وقورة وقال:

– «أمرك جلالتك.»

بدا اللقب غريباً على شفتيه، لكنني وجدت أنني أحب وقعه. نهضت من مقعدي وسرت بخطوات واثقة نحو ذلك الكرسي ذي الجلد البني الباهت، الممتلئ بذكرى ملك ميت.

ثم جلست عليه، ببطء.

– «أحضر لي بيدن جراي أيها المنفذ.»

-تمت-

شكر وتقدير

لا أكاد أصدق أنني وصلت أخيراً لكتابة صفحة "شكر وتقدير" بعد رحلة طويلة ومرعبة مع هذه المخطوطة؛ إنهما الكلمتان اللتان أفخر بكتابتهما أكثر من أي شيء آخر!

أولاً، شكراً لأمي وأبي على دعمكم المطلق الذي حقق هذا الحلم. ولإخوتي (نيكي، جوش، جيسي)، شكراً لمساعدتكم في سد "ثغرات الحبكة" ودعمكم الذي لا يُقدر بثمن. محررتي المذهلة ميشيل، لولا جهدك وتوجيهاتك لما ظهر الكتاب بهذا الشكل. والشكر موصول لستيفاني وجوجو على تجسيد عالمي بصرياً وإحيائه عبر الغلاف والخريطة الساحرة.

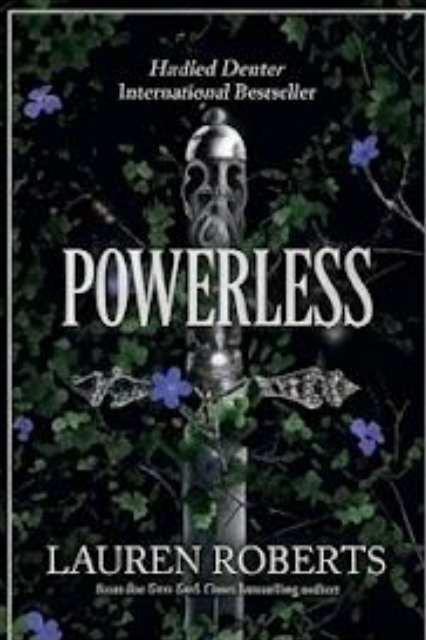
أصدقائي، شكراً لتحملكم ثرثرتي المستمرة. ولعائلتي الفوضوية والرائعة على "تيك توك" (BookTok)، أنتم حرفياً سبب وجود *Powerless*؛ أنتم الأبطال الحقيقيون. أحمد الله الذي وهبني شغف الكتابة، وأخيراً.. شكراً لك أيها القارئ العزيز لمنحك وقتك لعالمي وشخصياتي التي أتعلق بها بشكل مرضي. تخيل أنني أعانقك الآن!

مع حبي، لورين.

عن المؤلف



عندما لا تكون لورين منشغلة بكتابة عوالم الفانتازيا وصياغة الحوارات المليئة بالمماحكات الذكية بين العشاق، فمن المرجح جداً أن تجدها متفوقة في سريرها تقرأ عنها. أمضت لورين حياتها بأكملها في ولاية ميشيغان، مما جعلها شديدة الألفة مع حفر الطرق، الثلوج، والأنشطة المتنوعة المرتبطة بالبحيرات. تجمع هواياتها بين اهتمامات الجدارات والأطفال في آنٍ واحد؛ أي أنها تهوى: الحياكة، ولعبة حرب الليزر، والاسترخاء في الأراجيح الشبكية، وألعاب البحث عن الكلمات، والتلوين. تُعد رواية *Powerless* (بلا قوة) هي عملها الروائي الأول، وتأمل أن تحظى بامتياز كتابة الكلمات الجميلة طيلة حياتها. إذا كنت تستمتع بالنقاشات الحماسية (الثرثرة)، والقراءة، والكتابة، يمكنك العثور على لورين عبر منصتي تيك توك وإنستغرام على المُعرّف [@Laurens1library](https://www.instagram.com/Laurens1library) للاستمتاع بمحتواها الترفيهي.



لا ينتمي إلى مملكة إيليا سوى الاستثنائيين...

لقد تمتعت النخبة بالقوى لعقود، القوى التي أهداها لهم الوباء، بينما من ساءهم القدر ليولدوا من ضمن العاديين لم يزدوا على كونهم كذلك، فيُنْفُون من مملكة إيليا ويتجاهلهم المجتمع.

بيدن جراي هي خير من يعلم هذا، وهي عادية متنكرة في هيئة عرافة لكي تندمج بين النخبة، عندما أنقذت أحد أمراء إيليا، كاي آزر، بحسن نية، زُجَّ بها في ألعاب التطهير، وهي مسابقة غاشمة تستعرض قوى النخبة.

إن لم تلق حتفها في المحاكمات، وعلى يد من بداخلها من خصوم، فسوف يفعل ذلك الأمير الذي تقاوم مشاعرها تجاهه إذا اكتشف ماهيتها... أنها عادية تمامًا.

اترك لنفسك العنان كي تأسرك الرواية الأولى الملحمية
والمثيرة من الثلاثية الرومانسية الخيالية التي حققت
نجاحًا كاسحًا.

